



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه و آله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

شفاء الصدر

في شرح زيارة العاشور

تأليف

العلامة الحاج ميرزا أبي الفضل الطهراني

(١٢٧٣ - ١٣١٦ هـ)

الجزء الثاني

ترجمته

مجتهد سماحة فاضل



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور

كاتب:

ميرزا أبي الفضل الطهراني

نشرت في الطباعة:

المكتبة الحيدرية

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5 الفهرس
8 شفاء الصدور في شرح زيارة العاشر المجلد 2
8 هوية الكتاب
8 اشارة
10 أن يرزقي حَلَبَ لارك
16 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
36 اللهم اجعلي عندك وجيهاً بالحسن عليه السلام في الدنيا والآخرة
40	يا أبا عبد الله إني أقرب إلى الله وإلى رسوله وإلى أمير المؤمنين وإلى فاطمة وإلى الحسن وإليك بمؤايلاتك وبإلزامة منك فأتلك ، ونصبت لك الحرب ، وبإلزامة منك أسس الظلم والجور عليك وأرأى إلى الله وإلى رسوله من أسس أسس ذلك وتبين عليه ثباته ، وجرت في ظميره وجزوه عليك وعلى أتباعك ...
50	برئت إلى الله وإليك منهم ، وأقرب إلى الله ثم إليكم بمؤايلاتكم ومؤايلاتكم ، وبإلزامة من أعدائكم ، والتصيين لكم الحرب ، وبإلزامة من أتباعهم وأتباعهم ، إني سلم لمن سالتكم ، وحرب لمن حاربكم ، وولي لمن والاكم ، وعلو لمن عاداكم ...
60	فأسأل الله الذي أقرمني بمعرفتك ومعرفه أوليائك ، ورزقي البراة من أعدائك ، أن يجعلني معكم في الدنيا والآخرة
64	وأن يثبت في عندك ثم قدم صلتي في الدنيا والآخرة ...
67	وأسأله أن يبعثني الشفاعة المخمودة الذي لكم عند الله ...
74	وأن يرزقي حَلَبَ لارك مع إمام مهدي طاهر ناطق بكنم ...
102	وأسأل الله بخدمتك وبالشأن الذي لكم عنده أن يعطيني بمصاهبي بكم أفضل ما يعطي مصاهبا بمهسية ...
107	مضية ما أظنمتها وأعظم زويتها في الإسلام وفي جميع السموات والأرض ...
141	اللهم اجعلي في مقامي هذا بمن تارة بلك صلوات ورخصة ومغفرة ، اللهم اجعل مخياري مخلصاً ومختاراً ومختاراً ، ومماي ثمات مختاراً وآل مختار ...
158	اللهم إن هذا يوم ترحل به بنو أمية ...
186	وإن أكلة الأكل المعلن إن اللعين على لسان نبيك ، في كل موطن ومؤقف وقت فيه نبيك صلواتك عليه وآله ...
201	اللهم العن أبا سفيان ...
208	ومعاوية بن أبي سفيان ...
245	وزيد بن معاوية ...
300	عليهم بلك اللعنة أهد الأبد ...
301	وهذا يوم فرحت به آل زياد وآل مزوان بظلمهم الحسني عليه السلام ...
340	اللهم فصاعف عليهم اللعن والأعداب بظلمهم الحسني عليه السلام ...
342	اللهم إني أقرب إليك في هذا اليوم ، وفي مؤقفي هذا ، وأتم حياتي بإلزامة منهم ، واللعنة عليهم ، وبالمؤايلات لبيك وآل نبيك عليهم السلام ...
343	في شرح دعاء اللعن والسلام ودعاء قبل السجدة ودعاء السجدة ...
343 اشارة
343 المطلوب الأول : شرح دعاء اللعن
343	اللهم العن أول ظالم ظلم حق مختار وآل مختار وأخر تابع له على ذلك ...
368	اللهم العن العصابة التي جاهدت الحسين وشايعت ونايحت ونايحت ونايحت على قلبه ، اللهم العنهم جميعاً ...
374 المطلوب الثاني : في شرح دعاء السلام
374 السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك ...
374 لا تجعله الله لآخر العهد بيني وبينك ...
375 السلام على الحسين ...
376 وعلى علي بن الحسين ...
385 وعلى أولاد الحسين ...
390 وعلى أصحاب الحسين ...
395 اللهم حسن أنت أول ظالم باللين بيني ، وإبدأ به أولاً ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع ...

- 412 اللهم العز يزيد بن معاوية خاسماً، والعز عبيد الله بن زياد وإبن عرجانة وعمر بن سلف وشيخراً وآل أبي سفيان وآل مزوان إلى يوم القيامة
- 417 المطلب الرابع: في شرح دعاء السجدة
- 417 اللهم لك الخنثى خنثى التاكيرين لك على مضايهم
- 422 الخنثى لله على عظيم زرتي
- 423 اللهم ارزقني شفاعة الحسين عليه السلام يوم الزور
- 423 وثبت لي قلم صدق عنك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم فون الحسين
- 425 خاتمة الكتاب
- 425 اشارة
- 428 قوله عليه السلام: «يا الله يا الله يا الله» إلى آخره
- 429 قوله عليه السلام: «يا من هو أقرب إلي من جبل الوريد
- 430 قوله عليه السلام: «يا من يحول بين البرء وقلبه»
- 431 قوله عليه السلام: «يا من هو بالمنظر الأعلى والأفق العيين»
- 431 قوله عليه السلام: «يا من يعلم خاتمة الأعين»
- 432 قوله عليه السلام: «يا من لا تغلظه الحاجات»
- 432 قوله عليه السلام: «يا من لا يبره»
- 432 قوله عليه السلام: «يا من هو كل يوم في شأن»
- 433 قوله عليه السلام: «أقسم وأعزم عليك»
- 433 قوله عليه السلام: «وباسمك الذي جعلته عندهم»
- 434 قوله عليه السلام: «وتجرتي من الفقر»
- 434 قوله عليه السلام: «كيد الكيد»
- 434 قوله عليه السلام: «مكده»
- 434 قوله عليه السلام: «اللهم اشغله»
- 435 قوله عليه السلام: «وسكته»
- 435 قوله عليه السلام: «نصب عينه»
- 435 قوله عليه السلام: «وخذ عني»
- 435 قوله عليه السلام: «شاغلا عني»
- 436 قوله عليه السلام: «من مخلوق غيرك»
- 436 قوله عليه السلام: «وأشفق»
- 436 قوله عليه السلام: «ومؤنة» إلى آخره
- 437 قوله عليه السلام: «واصرفني»
- 437 قوله عليه السلام: «ما أحمي»
- 437 قوله عليه السلام: «يا أمير المؤمنين»
- 438 قوله عليه السلام: «من زيارتكما»
- 438 قوله عليه السلام: «مستجاباً»
- 438 قوله عليه السلام: «وتشغماً»
- 439 قوله عليه السلام: «على ما شاء الله»
- 439 قوله عليه السلام: «وأقول حسبي الله وكفى»
- 439 قوله عليه السلام: «سمع الله لمن دعى»
- 439 قوله عليه السلام: «ليس وراءكم»
- 440 قوله عليه السلام: «وأنت يا أبا عبد الله»

441 قوله عليه السلام : «سلامي»
441 قوله عليه السلام : «إن شاء الله»
441 قوله عليه السلام : «غير آيس ولا قاطط»
443 شكر وثاء
444 ختام ومسك
447 ثبت المراجع لزيارة عاشوراء
447 إشارة
447 الف - المخطوطات
454 ب - المطبوعات
460 المحتويات
465 تعريف مركز

شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور المجلد 2

هوية الكتاب

شفاء الصدور

في شرح زيارة العاشور

تأليف

العلامة الحاج ميرزا أبي الفضل الطهراني

(1273-1316 هـ - ق)

ترجمة و تحقيق محمد شعاع فاخر

الجزء الثاني

ص: 1

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

ردمك الجزء الأول : 5 - 000 - 503 - 964

ISBN : 964 - 503 - 000 - 5

ردمك دوره : 1 - 002 - 503 - 964

ISBN: 964 - 503 - 002 - 1

الكتاب : شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور / ج 1

المؤلف : العلامة الحاج ميرزا أبي الفضل الطهراني

الناشر : انتشارات المكتبة الحيدرية

عدد الصفحات والقطع : 448 صفحة وزيري

عدد المطبوع : 1500 جلد من الجزء الأول

الطبعة : الأولى

سنة الطبع : 1383 - 1426هـ

المطبعة : شريعت

سعر الدورة الواحدة (1 / 2): 6000 تومان

ص: 2

أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكٍ

أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكٍ (1) مَعَ إِمَامٍ مَنصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ

الشرح الرزق بفتح الراء (2) إطعام العباد أقواتها، والرزق بالكسر هو الاسم نفسه.

الإمام : . معناه القائد وأصل اشتقاقه من أم بمعنى قصد ، وجميع تصاريف هذه المادة من قبيل أم وأمه وأمام بالفتح وأمم بمعنى الطريق المستقيم ترجع كلها إلى هذا المعنى إما بواسطة أو بغير واسطة .

والمراد بالإمام في هذه العبارة خاتم الأولياء وبقية الأوصياء وحافظ دين الله وخلف أئمة الهدى ، غوث الزمان وقطب دائرة الأرض والسماء إمام العصر عجل الله تعالى فرجه، واختصاصه بلقب «المنصور» من جهة أنه ولي الثار وطلب دم سيد الشهداء في عهدة سيفه المالك للعالم، كما أشير إلى هذا المعنى في الأخبار الكثيرة :

منها : هذا الخبر المروي في كامل الزيارة عن الصادق عليه السلام في تفسير الآية الكريمة : «وَمَنْ قُتِلَ مُظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً» (3) قال : ذلك قائم آل محمد، يخرج فيقتل بدم الحسين عليه السلام ، فلو قتل

ص: 3

1- طلب ثار الحسين له من العظمة ما لا يعلمها إلا الله ، ولا يقدر على بيانها سواء أو إيضاح فضلها وثوابها ؛ لأنَّ عظمة دم كل شخص وأهمية الطلب به مرتبطة بقدر صاحبه الكبير ، وكما أن المرء ليس بمستطاعه معرفة مقام الإمام الحسين ومنزلته على نحو الكمال ، كذلك لا يستطيع درك الطلب بدمه وأهميته . ولكي نعرف في حدود أبعادنا واستطاعتنا درك تلكم العظمة نطلب من الله في هذه الزيارة أن يجعلنا من الطالبين بثأره ، وأن يقسم لنا هذه السعادة. (هامش الأصل)

2- قال في لسان العرب : فالرزق - بفتح الراء - هو المصدر الحقيقي ، والرزق الاسم ويجوز أن يوضع موضع المصدر [السان العرب مادة رزق]. (المترجم)

3- الإسراء : 33 .

أهل الأرض لم يكن مسرفاً. وقوله «فلا يسرف في القتل» لم يكن ليصنع شيئاً يكون سرفاً.

ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: يقتل والله ذراري قتلة الحسين بفعل آبائها(1).

وفي هذه الأخبار إشعار بأن لقب «المنصور» للإمام القائم هو من الله وضعه عليه، لاستعماله في القرآن، والمراد منه نفس صاحب الأمر.

ومن الطرائف أنّ من ألقابه أيضاً «الناصر لدين الله وفي هذه المناسبة قلت من قصيدة لي:

أعدّه الله في خزائنه***للنصر فهو المنصور والناصر

يأخذ ثار الآباء منه فلا***موتور إلا غداً له ناصر

ومن ملاحظه هذين البيتين يمكن الوصول إلى حلّ مشكل عويص ويمكن تصويره بقوله تعالى الحمد لله، فقد أجازته جماعة في كلمة «الحمد لله» أن تكون الحامدية والمحمودية مختصة بالله، بمعنى أن يكون هو الحامد وهو وهو المحمود، ولكن العلماء أوردوا على هذا التفسير أن الكلمة الواحد لا يمكن أن تؤدي معنيين في آنٍ، أحدهما معلوم والآخر مجهول.

وجوابه أن طبيعة الحمد مختصة بالله تعالى سواء صدر الحمد منه ليكون حامداً أو من العبد ليكون «محموداً» كما أشرنا نحن في البيت الأول وقلنا: إن الله سبحانه أعدّ للنصرة فبنصر الله له يكون منصوراً، وبنصره للمظلومين يكون ناصرًا.

وهاهنا سؤال وقد أبانت الأخبار وكشفت عن وجه الحقّ فيه وهو أنّ طلب دم

ص: 4

1- كامل الزيارات: 135 (المترجم) كامل الزيارات: 63 باب 18 رقم 5، بحار الأنوار 45: 298 ط لبنان. (هامش الأصل)

الحسين من القاتل أمر لا مرية فيه ولكن ما ذنب ذرّيته حتى يقتلوا بذنب ما جنته أيديهم مع أنّ القرآن جاء بخلافه، حيث يقول سبحانه: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» (1).

والجواب عن ذلك أنّ العقل الصريح والنقل الصحيح يحكم بأن الرضا بعمل قوم يُعدّ مشاركة من الراضي في ذلك العمل، ولما كانت ذراري القتلة راضين بعمل آبائهم متباهين بتلك الشنايع والفضائح التي ارتكبتها آبائهم ويقولون: نحن وآبائنا قتلنا كما سمعت بعضاً من هذا الشعر (2) فيما سبق وبذلك استحقوا، وورد هذا الجواب في بعض الأخبار من قبيل «عيون أخبار الرضا عليه السلام» فقد ورد فيه جواب مثل هذا على التفصيل، وفي المجلد العاشر من بحار الأنوار (3)، فمن أراد مزيد الاطلاع فليرجع إلى هذين الكتابين.

ومن الممكن بل عليه شاهد من بعض الأخبار أنه في وقت الظهور الموفور السرور للإمام الغائب يسر الله بفرجه الرغائب، يحيي الله القتلة الأموات ويقتص منهم لذلك الدم الطاهر الذي أراقوه كما يفعل بالشیطانيين، وبناءً على هذا لا يبقى للإشكال وجه. (4)

ص: 5

1- الأنعام: 164 .

2- في شرح الجملة «لعن الله بني أمية قاطبة».

3- عيون أخبار الرضا 1: 273، علل الشرايع 1: 219، بحار الأنوار 45: 294. (هامش الأصل)

4- جاء في أحوال ولي الأمر لال لاله عن الرجعة أن المفضل بن عمر قال للإمام الصادق: يا سيدي، ثمّ يسير المهدي إلى أين؟ قال: إلى مدينة جدّي رسول الله فإذا وردها كان له فيها مقام عجيب يظهر فيه سرور المؤمنين وخزي الكافرين. قال المفضل: يا سيدي، من هو ذاك؟ قال: يرد إلى قبر جده فيقول: يا معشر الخلائق، هذا قبر جدّي رسول الله فيقولون: نعم يا مهدي آل محمد. فيقول: ومن معه في القبر؟ فيقولون: صاحبه وضجيجاه أبو بكر وعمر (لعهما الله). فيقول - وهو أعلم بهما - والخلائق كلهم جميعاً يسمعون: من أبو بكر وعمر؟ وكيف دفنا من بين الخلق مع جدّي رسول الله وعسى المدفون غيرهما؟ فيقول الناس: يا مهدي آل محمد، ما هاهنا غيرهما، إنهما دفنا معه لأنهما خليفتا رسول الله وأبوا زوجته فيقول للخلق بعد ثلاث: أخرجوهما من قبريهما، فيخرجهما غضين طريين لم يتغير خلقهما ولم يشحب لونهما، فيقول: هل فيكم من يعرفهما؟ فيقولون: نعرفهما بالصفة وليس ضجيجاً جديك غيرهما، فيقول: هل فيكم أحد يقول غير هذا أو يشك فيهما؟ فيقولون: لا. فيؤخر إخراجهما ثلاثة أيام ثمّ ينتشر الخبر في الناس ويحضر المهدي ويكشف الجدران عن القبرين، ويقول للنقباء: ابحثوا عنهما وانبشوهما، فيبحثون بأيديهم حتى يصلون (كذا) إليهما فيخرجوهما غضين طريين كصورتهم فيكشف عنهما أكفانهما ويأمر برفعهما على دوحه يابسة نخرة فيصلبهما عليها فتحي الشجرة وتورق ويطول فرعها، فيقول المرتابون من أهل ولا- يتهما هذا والله الشرف حقاً ولقد فزنا بمحبتهم وولائتهم، ويخبر من أخفى نفسه ممن في نفسه مقياس حبة من محبتهم وولائتهم فيحضر ونهما ويرونهما ويفتنون بهما وينادي منادي المهدي كل من أحب صاحبي رسول الله وضجيجيه فلينفرد جانباً فتتجزأ الخلق جزئين: أحدهما موال والآخر متبرّ منهما. فيعرض المهدي على أوليائهما البرائة منهما، فيقولون: يا مهدي آل رسول الله، نحن لم نتبرأ منهما ولسنا نعلم أن لهما عند الله وعندك هذه المنزلة، وهذا الذي بدى لنا من فضلهم، أنتبرأ الساعة منهما وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت من نضارتهم وغضاضتهم وحياة الشجرة بهما؟ بل والله نتبرأ منك وممن آمن بك ومن لا يؤمن بهما ومن صلّبهما وأخرجهما وفعل بهما ما فعل. فيأمر المهدي ريحاً سوداء فتهب عليهم فتجعلهم كأعجاز نخل خاوية، ثم يأمر بإنزالهما فينزلان إليه فيحييهما بإذن الله تعالى، ويأمر الخلائق بالاجتماع ثمّ يقص عليهم قصص فعالهما في كل كور ودور حتّى يقص عليهم قتلها بين آدم وجمع النار لإبراهيم... وضرب سلمان الفارسي، وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين الإحراقهم بها، وضرب يد الصديقة

الكبرى فاطمة بالسوط ورفس بطنها وإسقاطها محسنها وسم الحسن الله وقتل الحسين وذبح أطفاله وبني عمه وأنصاره ، وسي ذراري رسول الله وإراقة دماء آل محمد وكل دم سفك حراماً ، وكل فرج نكح حراماً ، وكل رين وخبث وفاحشة وإثم وظلم وجور وغشم منذ عهد آدم إلى وقت قيام قائمنا كل ذلك يعدّده عليهما ويلزمهما إياه فيعترفان به ثم يأمر بهما فيقتصن منهما في ذلك الوقت بمظالم من حضره ثم يصلبهما على الشجرة ويأمر ناراً تخرج من الأرض فتحرقهما والشجرة ثم يأمر ريحاً فتسففهما في اليم نسفاً . قال المفصّل : يا سيدي ، ذلك آخر عذابهما ؟ قال : هيهات يا مفصّل والله ليردن وليحضرن السيد الأكبر محمد رسول الله والصدّيق الأكبر أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليا وكل من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر ، محضاً ، وليقتصن منهم بجمعهم حتّى أنّهم ليقتلان في كل يوم وليلة ألف قتلة ويردان إلى ما شاء ربهما [بحار الأنوار 53 : 12 ، وشجرة طوبى ورقة 122 ، كتاب يأتي على الناس زمان : 638] . (هامش الأصل) واللفظ لبحار الأنوار . (المترجم) نكتة تستحق الملاحظة كما أن النبي كان السبب في محو كل بدعة وقمع كل معصية وتذليل أهلها ، وصار باعثاً على إشاعة أعمال البر ورفع مستوى العاملين به ، من هذه الجهة عد شريكاً لكل عامل بمعروف في أجره أو ناهياً عن المنكر في مثوبته ، فإن هذين الرجلين عادت عليهما الأعمال التي أيدها وشدّوا أزر أصحابها بالوزر لأنهما أقاما كل بدعة وكل فعل قبيح وهجرا الأعمال الصالحة وأهلها من ثمّ تحمّلا مع ذوي البدع وأهل الباطل الوزر كل الوزر ، ولذلك قال الإمام إن عليهما ذنوب العالمين من آدم إلى قيام الحجة المنتظر فإنّ ولي الأمر يحاسبهما على ذلك ويقتصن منهما بعد الإثبات . (هامش الأصل)

ويبقى السؤال قائماً بناءً على الوجه الأول عن الذرية وهم اليوم قد انقضوا على الأغلب، وسوف نوافيك ببعض الأخبار عن الأخذ بالثار وعن نصرة هذا الإمام العظيم الحجة بن الحسن عليه السلام الجده الإمام المظلوم في الفقرة الآتية (1) التي لا تخلو من علة بهذا الفقرة .

ص: 7

1- أطلبها في شرح : «أن يرزقني طلب ثاري مع إمام مهدي». (هامش الأصل)

الشرح : ولما كان اللفظ الشريف «الصلوات» تتعلّق فيه أبحاث لطيفة لذلك رأينا من المناسب أن نتعرّض لها على وجه الإجمال ، من ثمّ أثرنا أفرادها في متن مستقل ونحن نوردها ضمن فوائد .

الفائدة الأولى :

المشهور بين العلماء أن معنى الصلوات من الله هي الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار ، ومن البشر الدعاء غير أن هذا الحديث لا يستسيغه أصحاب الأذواق المعتد له ، لأن الأصل في اللفظ عدم حمله على الاشتراك مع أن مثل قوله تعالى : «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...» (1) لا يزال احتمال حمل اللفظ على أكثر من معنى قائماً وهو مظنة الوقوع في ضيق التأويل مع أن رحم فعل متعدّي بنفسه وصلّى فعل لازم وتفسير المتعدّي باللازم غير مستساغ ، وإذا تعدّى فعل دعا بـ«على» يكون للشّرّ ، يقال : دعا عليه وصلّى إذا عدّي بـ«على» يكون بمعنى الرحمة ، فيقال : صلّى الله عليه ، ويستحيل اختلاف الحكم في مترادفين ، من ثمّ قال العلماء : إن معنى جامعاً بينهما وهو الانعطاف وهو حقيقته، ويتجلى أثره في كلّ موقع ، بحسبه ، فالعطف من الله على وجه يناسب عظمة الربوبية، ومن الآخرين يناسب موقعهم من حيث الرتبة .

ومن المحتمل أن يكون تعبير العلماء عنه بقولهم : وهو «الأولى أن يقصدوا هذا المعنى وغرضهم بيان المراد منه لا ما استعمل فيه اللفظ ، ولكن الحال اشتبهت على نزر البضاعة وقليل الاطلاع فتوهم في اللفظ الاشتراك.

ص: 8

المشهور شهرة محققة بل ادعي عليه في المعتر ومحكي المنتهى الإجماع وهو أن الصلاة على النبي لا تجب عند سماع اسمه أو ذكره، ولكن الشيخ الصدوق أو جبهها وتبعه على ذلك الفاضل المقداد والمحقق الأردبيلي وصاحب المدارك والشيخ البهائي والآخوند ملا صالح المازندراني والمحدث الكاشاني والمحدث المجلسي والشيخ مهدي الفتوني وصاحب الحدائق وشارح الصحيفة السجادية السيد علي خان والشيخ عبدالله البحراني، كما نُقل ذلك عن بعضهم، وتشبثوا بوجوه لا تدل على ذلك إما من حيث الدلالة أو من ناحية السند ، وأصح أخبار الباب صحيحة زرارة وفيها جاء الأمر بالصلوات، وقال: «صل على النبي كلما ذكرته أو ذكره ذاكراً»(1).

والأمر وإن كان في نفسه ظاهراً في الوجوب ولكنه يصرف عنه بأدنى صارف، ولما كان الخبر يتضمّن ترتيب المستحبات وجاءت الصلوات ضمن ذلك من هنا كان الأمر فيه للاستحباب بل من الأخبار التي استدلو بها ما يدل على الاستحباب مثل: «البخيل كلّ البخيل من إذا ذكرت عنده لم يصل عليّ» (2) ومثل: «من ذكرت (2) عنده فلم يصلّ عليّ أخطأ طريق الجنة» (3) بل صرّحت بعدم الوجوب ويكفي في ذلك خلق الأدعية المأثورة وخطب الأئمة المشهورة، بل تكفي في إثبات المدعى السيرة القطعية وإن كان الاحتياط يقتضينا لاسيما في المجالس العامة أن نجري الصلاة ولو مرّة واحدة من باب الأولى والأليق كما هو ظاهر المحقق المقدّس الأردبيلي.

ص: 9

1- وسائل الشيعة باب 35 و 42 من أبواب الأذان والإقامة (هامش الأصل)

2- الإرشاد : 285 ، بحار الأنوار 94: 61 ط طهران. (هامش الأصل)

3- ثواب الأعمال : 178 ، بحار الأنوار 94: 60 ط طهران . (هامش الأصل)

احتدم الخلاف بين علماء الفريقين في الصلاة على النبي وآله هل النفع يعود إلى المصلّي أو المصلّى عليه، واختار كل قول من القولين طائفة من العلماء، التحقيق مع القول الأول، وهو الذي اختاره العلامة المجلسي الله في رسالة «العقائد» وغيره من الفقهاء والحكماء والمحدثين جماعة، لأن الأدلة العقلية والنقلية قائمة على هذا المدعى؛ لأن الفقر والحاجة يتقوم بهما ذات الممكن والغني والمفيض هو الواجب تعالى شأنه.. ويستحيل على الإطلاق أن لا يكون الممكن محتاجاً وإلا انقلبت الحال، ومهما حصل للذوات الممكنة والمهيات الجائزة من تحصيل الكمال وتكميل الذات فإتّما يستحيل عليها أن تخرج من دائرة الحاجة إلى المفيض الوهاب فتضع رجلها خارج تلكم الدائرة كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ». (1)

بل المحقق أن الوجود كلّما كان أكمل وأقوى كان تعلّقه بالمبدأ أكثر، واحتياجه إلى حضرة القدس، أوفر، وهذا هو فحوى الإمكان الوجودي بأن تكون ذاته متعلّقة بالمبدأ وجوهره ظلّ لذلك المبدأ.

وبعبارة: أوضح: إن الهيولى الإنسانية للنبوّة ومادتها الخاصة هي في أعلى

مراتب الاستعداد والقبول لجميع الفيوضات وتمام الخيرات فهي من الخيرات فهي من هذه الناحية لا تتناهي قوتها، والمبدأ الفياض جلّ جلاله أيضاً غير متناهي القوة فلا قصور في طرف النبوّة من حيث القبول والتلقى ولا فتور من جهة المبدأ من حيث الفيض والعطاء، ومن لوازم الدعاء الاستجابة ولا يشترط لذلك إلا- استعداد المحل وأهليته للدعاء، وهذا حاصل كما هو المفترض على أكمل وجه وأتم المراتب،

ص: 10

وحينئذ يكون الدعاء مستجاباً حتماً وجاءت الإشارة إلى هذا المعنى في الأخبار الكثيرة نظير ما ورد في نهج البلاغة المكرّمة : إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على النبي ثم اسأل حاجتك فإن الله أكرم من أن يُسأل حاجتين فيقضي أحدهما ويمنع الأخرى. (1)

وهذه العبارة الشريفة صريحة بأن الصلاة دعاء مستجاب. ولبعضهم في هذا المقام تقريب لطيف ومؤداه : إن حاجة الإنسان ذاتها معيبة والصلاة على النبي صحيحة ، والداعي ضمّ أحدهما إلى الأخرى ورفعهما إلى رحمة الربوبية، فينبغي أن يقبلهما معاً أو يردّهما معاً ، والثاني ممتنع فيتعين الأول إذ التفكيك لا يصح لأنه يرجع إلى تبعض الصفقة وذلك شرعاً غير جائز .

ومما يؤيد مطلبنا الأدعية الشريفة الماثورة في تشريف النبي مثل تبيض وجهه وتعطيه المنزلة والوسيلة وترفع درجته وتعلّي كلمته ، وتظهر أمره وأمثالها مما ورد في فقرات الأدعية. (2)

وما احتمل من أنّ هذه العبارات ما هي إلا الألفاظ يكلف الإنسان النطق بها دون قصد الدعاء نفعها عائد للمكلف دون من عداه ، هذا الاحتمال بارد بل يكاد يقتل من البرد ، ولا يرضى بهذا التمحل والتعسف أي متأمل مستقيم الذوق سليم القريحة ، مثلاً كيف تجيز - أيها المسلم - أن يكون مثل هذا الدعاء الشريف الذي رواه العلامة المجلسي في المقباس بسند صحيح في تعقيبات العصر عن الشيخ والسيد عن صادق آل محمد عليهم السلام مجرد كلام وألفاظ متهجاة وأنه دعاء

ص: 11

1- نهج البلاغة صبحي صالح : 538 الحكمة 361. (هامش الأصل) نهج اللاغة 4 : 84. (المترجم)

2- فلاح السائل : 206 ، بحار الأنوار : 86 : 89 وورد أيضاً عن رسول الله في شأن سيد الشهداء «إن لك درجة عند الله لا تتألف إلا بالشهادة». (هامش الأصل)

لا يستجاب ، والآن إليك الدعاء المشار إليه :

«اللهم صلّ على محمد وآله في الليل إذا يغشى ، وصلّ على محمد وآله في النهار إذا تجلّى ، وصلّ على محمد وآله في الآخرة والأولى ، وصلّي على محمد وآله ما لاح الجديدان وما أطرده الخافقان وحدى الحاديان وما عسعس ليل وما ادلهم ظلام ، وما تنفس الصبح وما أضاء الفجر . اللهم اجعل محمدًا خطيب وفد المؤمنين إليك ، والمكسو حلال الإيمان إذا وقف بين يديك ، والناطق إذا خرست الألسن بالثناء عليك . اللهم اعل منزله ، وارفع درجته ، وأظهر حجّته ، وتقبل شفاعته ، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته ، واغفر له ما أحدث المحذون من أمته من بعده ، اللهم بلغ روح محمد وآل محمد عتيّ التحية والسلام ، وأردد عليّ منهم تحية كثيرة

وسلاماً يا ذا الجلال والإكرام» (1).

ص: 12

1- ومن المؤيدات ما نقله السيّد نعمه الله الجزائري عن بعض العظماء ، قال : 1 - من المسلم به عند المسلمين أن النبي والأئمة الأطهار يزداد ثوابهم وترتفع درجاتهم بازدياد أعمارهم وطولها وهو دليل على إمكان ارتفاع درجاتهم ورقى مقامهم 2 - إنّ رسول الله والأئمة الأطهار هم السبب الأول في هداية الناس واستقامتهم ، وبهم تمكن الناس من أعمال البر والعبادة وإرسال الصلوات ، ومن كان السبب في عمل الخير كان شريكاً في أجره ومثوبته ، ومن هذه المقدمة تبرز لنا النتيجة وهي أن صلاة الأمة على النبي وآله تكون علة في ارتقاء درجة النبي والأئمة وحصولهم على الأجر العظيم والثواب الجسيم [زهر الربيع : 2 : 286 ط اسلامية طهران] . (هامش الأصل) والنص مترجم أرجو ملاحظته في زهر الربيع . (المترجم) . ومن المؤيدات لما نحن فيه أخبار فضل ليلة القدر وشرفها لأن فيها تنزل الملائكة ع-ل-ى ق-ل-ب النبي والإمام بالعلوم الجديدة ولولا ذلك لنفدت علومهم وهذا النص واحد من تلك الأخبار : أبو جعفر : لقد خلق الله جل ذكره ليلة القدر أول ما خلق الله الدنيا ولقد خلق فيها أول نبي يكون وأول وصي يكون ، ولقد قضى أن يكون في كلّ سنة تهبط فيها بتفسير الأمور إلى مثلها من السنة المقبلة ، من جحد ذلك فقد رد الله تعالى عزّ وجلّ علمه لأنه لا يقوم الأنبياء والمحدثون إلا أن تكون عليهم بما يأتيهم في تلك الليلة من الحجّة التي يأتيهم بها جبرئيل الله [تفسير البرهان ونور الثقلين ، ذيل الآية الشريفة تنزل الملائكة والروح] . (هامش الأصل)

ولا يصحّ ما يتصوّره البعض من أنّ الصفات التي تضمنتها فقرات الدعاء قد اتصف بها النبي فلا داعي إلى طلبها له بعد اتصافه بها، وهذا تصوّر لا أساس له ، لأنّ للكمال مراتب، وإنّ الفضل والشرف من الألفاظ المشككة، وكلّما تصوّرت للكمال مرتبة فإنّ فوق هذه المرتبة ما يعلوها ويزيد عليها وفوق كل ذي علم عليم، وهي قاعدة كليّة جارية في الأشباه والنظائر .

لمؤلفه :

فالنور في النزول والصعود***مشكك مختلف الوجود

وحينئذ يجوز أن يطلب بالسؤال المرتبة العليا لهذا الكمال وما توهمه البعض من أنّ كلّ ما أمكن وصوله من الشرف والفضل للممكن فقد وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثله ، ومن هنا لا- داعي إلى ذكر الصلوات لأنها تجرّ إلى العبث في القول حيث لا تستجلب أمراً مفقوداً من الشرف والفضل .

أقول : هذا مجرد تمويه بل يمكن أن تعتبر العبارة خادعة لعوام الناس السذج لأنّ لبّ هذا المعنى ينحصر في أمرين:

الأوّل: استغناء النبي عن الله حين استكمل الصفات المطلوبة فلا حاجة به إلى طلب غيرها من ربه إذ لا ينقصه شيء منها فقد تم غناه عن ربه وهذا المعنى ينافي الضرورات العقلية لأنّ أعلى مراتب الكمال عند النبي العبودية فهي عنوان كتاب الفقر وبسملة صحيفة الاحتياج.

الأمر الثاني: الاعتقاد : الاعتقاد بعجز الله عن إفاضة الخير مجدداً عليه - أعادنا الله من هذا

ص: 13

الخاطر المذموم - وعدم قدرته على كسوته ثياب الكرامة الجديدة ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. (1)

نعم، وهاهنا كلام لفقهاء بعضهم على وتيرة الحكمة والفلسفة وخلاصته : إنَّ مقام النبوة خاتمة مقام العقول وفي مرتبة العقل يكون ما بالقوة عين ما بالفعل فليس في عالمه كمال مرتقب، وما يطلبه العقل من لزوم الكمال حاصل عنده ، ولا يوجد في هذا المقام محو وعدم وليس سوى الإمكان الذاتي والقيام الصدوري بالمبدأ الوهّاب والشاهد على هذا الادعاء الحديث النبوي : «أول ما خلق الله العقل وأول ما خلق الله نوري». (2)

والفرق البين في المسألة هو أنّ العقل النزولي واجد للكمال من البدء لكن العقل الصعودي لما كان مقدراً عليه أن يطوي مراحل الكمال جميعاً وفي طيّ كلّ مرحلتين يتم له اجتياز قوسى الوجود ليصل أخيراً إلى تلك الدرجة ...

وجواب هذه الشبهة : لما امتنع انفكك الهيولى عن الصورة، كان العقل الصعودي لوجود هيولاه غير متناهي القوة حتّى أنّه ليجتاز بهذه القوة التي لا حدود لها درجة العقل النزولي . قال شاعرهم :

احمد ار بگشايد آن پر جليل***تا ابد مدهوش ماند جبرئيل

ولو أحمد المختار يفتح جناحه***لأصبح جبرائيل حيران مدهوشا

ص: 14

1- «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا» [الإسراء : 43] . (هامش الأصل)

2- معاذ بن جبل : إن رسول الله الا الله قال : إن الله خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف سنة . [علل الشرايع : 80 ، بحار الأنوار 15 : 7 الرقم 7] قال الإمام علي بن أبي طالب : إن الله تبارك و تعالى خلق نور محمد قبل خلق السماوات والأرض والعرش والكرسي [الخصال 1 : 82 ، معاني الأخبار: 88 ، بحار الأنوار 15 : 5] والأحاديث كثيرة راجع بحار الأنوار (هامش الأصل)

والآية: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا» (1) تدلّ على هذا الضعف الذي هو عبارة عن عدم التقيد بمرتبة خاصة، وتدلّ كذلك على وجود الاستعداد لقبول الكمالات غير المتناهية، النابعة من القوّة.

ومجمل القول: إن هذا الكتاب مبني على الاختصار فلا يحتمل بسط الجواب حول هذه المسألة، والذين لهم أنس بهذه العلوم يعلمون جيداً أنّ لباب حلّ هذا الإشكال مودع في هذين السطرين فلم يبق طريق للإشكال بناءً على مذهبهم.

وتشبّث بعضهم بطائفة من الأحاديث وهذه أيضاً ليس لها من أثر كهذه الفقرة الواردة في زيارة الجامعة: «وجعل صلواتنا عليكم» (2) وهذا الاستدلال يماشي مذهب أبي حنيفة القائل بمفهوم اللقب (3) وإلا فالأمر من الشهرة بمكان حتى عند العوام أنّ إثبات الشيء لا يستلزم نفي ما عده واشتمال الصلاة على الخواص

والآثار المعلومة لا توجب عدم وصول نفعها إلى غير المصليّ عليهم .

نعم، في هذا المقام حديث آخر أشار إليه المحقق ملا عبدالرزاق الكاشي في تفسير «حقائق التأويل» و محصله مع التحرير: إنّ حقيقة الصلوات هي إمداد الكمالات وإفاضتها وتأييدها، إذن المصلي حقيقة هو الله تعالى وأحياناً تكون في

ص: 15

1- النساء: 28 .

2- «وما خصنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا، وطهارة لأنفسنا، وتزكية لنا، وكفارة لذنوبنا». (هامش الأصل)

3- مفهوم اللقب: المقصود باللقب: كل اسم سواء كان مشتقاً أو جامداً وقع موضوعاً للحكم كالفقير في قولهم: أطعم الفقير، وكالسارق والسارقة في قوله تعالى: «السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» وَمَعْنَى مفهوم اللقب نفي الحكم عمّا يتناوله عموم الاسم.. وكان أبا حنيفة يقول بهذا وهو أن الاسم إذا وقع موضوعاً للحكم كان له ظهور في الانحصار، وعند العلماء عدم ذلك الظهور بل نفس موضوع الحكم بعنوانه لا يشعر بتعليق الحكم عليه فضلاً عن ذلك، وقد قيل: إن مفهوم اللقب أضعف المفهومات. [ورجعنا إلى شرح هذه المادة إلى كتاب أصول الفقه للشيخ المظفر 1: 120 بتصرف]. (المترجم)

مقام الجمع بلا واسطة وأحياناً في مقام التفضيل مع الواسطة وهو فعل العباد(1) وحقيقة صلوات المؤمنين هي هذه، وهو عبارة عن قبول الهداية وطبع لوح الوجود بطابع محبته وهو نوع من الإمدادات المختصة به لغرض بلوغه مرتبة الكمال، والغرض هو تعميم الفيض الرباني إذ لو لم تكن المادة قابلة فلا- أثر متصور للفاعل كما قيل: وجودي بك وظهورك مني، فلست تظهر لولاي لم أكن لولاك، وفي الحديث القدسي: لو أطاع الخلق كلهم لخلقت خلقاً يعصوني كي أغفر لهم ليظهر للعيان عفوي وفضلي.(2)

ومثله يقال في تسليم المؤمنين عليه فإنه لدفع آفة نقص الكمال مع إظهار جلال الدعوة العامة وقوة فاعليته في مقام الهداية، وبهذا الوجه يمكن الجمع بين القولين حيث أن فائدة الصلاة أولاً وبالذات تعود على المصلي ثم باعتبار آخر من حيث الاقتدار وتكميل غرض البعثة وتحصيل مقصد الهداية تعود على المصلي عليه وتوجب رفع درجته وعلو شأنه وظهور كلمته كما قال: «فإني أباهي بكم الأمم ولو بالسقط»(3).

ص: 16

-
- 1- الذي أدركته من هذه العبارة أنّ فائدة الصلاة أحياناً تختص بالمصلي عليه، وأخرى تجمع معه المصلي أيضاً. (المترجم)
 - 2- أخرج أحمد وأبو يعلى والضياء عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله يقول: والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم لغفر لكم، والذي نفس محمد بيده لو لم تخطأوا لجاء الله بقوم يخطئون ثم يستغفرون فيغفر لهم. وأخرج ابن أبي شيبة ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري: سمعت رسول الله يقول: لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقاً يذنبون فيغفر لهم [تفسير الدر المنثور 5: 332 ذيل الآية 53 من سورة الزمر]. (هامش الأصل)
 - 3- جامع الأخبار: 103، بحار الأنوار: 103: 220 الرقم 24 ط طهران. (هامش الأصل)

وجملة القول : أتى بنظري القاصر وما توصلت إليه بحث المسألة من الجانب ولا يحتمل الكتاب تفصيلاً أوسع من هذا التفصيل.

الفائدة الرابعة :

ضم آل الرسول في الصلاة عليه إليه يتفق مع الأخبار الكثيرة المتواترة المروية من طرق الفريقين :

منها: أنها نقلت في أكثر الأصول المعتمدة لأهل السنّة وذلك حيث سألوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم : كيف نصلي عليك يا رسول الله ؟ فقال : قولوا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد». (1)

وهذه الصلوات بخصوصها تجب في التشهد عند الشافعي بناءً على قوله الثاني، وتستحب في قوله الآخر كما ذكر ذلك في تقريب أبي شجاع وشرح أبي القاسم وحواشيه ، وكلاهما من علماء الشافعية، وعمل الشافعية غالباً على هذه النسخة مع إضافة قول سيدنا في «محمد» و«إبراهيم» في المواضع الأربعة. (2)

وهذا الشعر الذي نظمه الشافعي طالما تردّد في كثير من كتب الجماعة وعلى ألسنتهم واشتهر شهرة واسعة، يقول:

ص: 17

1- صحيح البخاري 4 : 146 و 8 : 77 ط أميرية بمصر ، وكتب أخرى ، راجع : إحقاق الحق 3 : 22 و 9 : 524 . (هامش الأصل) راجع أرقام الأحاديث المخرجة في البخاري : 3241 ، 3242 ، 4506 ، 6118 ، 6119 ، 6121 ، وفي مسلم باب الصلاة على النبي بعد التشهد ، حديث رقم 858 ، 859 ، 862 . وفي مسند أحمد رقم 1399 ، 11147 ، 17693 ، 17694 ، 17696 ، 17722 ، 21907 ، وهذا على سبيل المثال لا الحصر. (المترجم)

2- على النحو التالي: «اللهم صل على سيدنا محمد ... كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ... كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم». (هامش الأصل)

يا آل بيت رسول الله حبّكم***فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم***من لم يصلّ عليكم لا صلاة له (1)

وروى صاحب ينابيع المودة والصواعق وجواهر العقدين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا تصلّوا على الصلاة البتراء، قالوا: وما الصلاة البتراء يا رسول الله ؟ قال : تقولون : اللهم صلّ على محمّد وتسكتون، بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. (2)

ومع وجود هذا كله فإن أهل السنة والجماعة يلتزمون بذكر النبي مجزّداً عن ذكر آله كي يظهروا عنادهم الفطري وانحرافهم الجبلي وإعراضهم عن الركوب في سفينة النجاة ودخول بيت نوح بيت السلامة .

وكذلك حين يذكرون أهل البيت يلزمون أنفسهم بترك الصلاة والسلام عليهم مع أنّ الله أشركهم في هذا الشرف مع النبوة وثبت من الطرق المعتمدة جواز التسلية والتسليم على العترة الأطهار علاوة على أن صريح الآية: «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ» (3) والآية الكريمة: «وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ» (4) والبشارة في «أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ» (5) هذه بأجمعها تدل على جواز الصلاة على عموم أهل الإيمان .

ونقل عن الصحابة أن الصلاة على الآل كانت جزو عملهم .

ص: 18

1- الصواعق : 88 ط القديم، ينابيع المودة : 295 ط اسلامبول، قال الشافعي ... (هامش الأصل)

2- ينابيع المودة : 295 ط اسلامبول ، إحقاق الحق 9 : 636 .

3- الأحزاب : 43 .

4- التوبة : 103 .

5- البقرة : 157 .

وروي في ينابيع المودة عن أبي نعيم الحافظ وجماعة من المفسرين وساقوا السند إلى مجاهد وأبي صالح ، وهذان الراويان نقلوا القول عن ابن عباس أن «آل يس» في الآية الكريمة «سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ» (1) هم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويس اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم (2) مع ذلك يضيقون ذرعاً بالصلاة والسلام عليهم .

وأشار إلى علة ذلك في الكشف بعد أن قال والقياس جواز الصلاة على غير النبي بدليل آية الزكاة : «وَهُوَ الَّذِي يُصَدِّ لِي ...» الآية (3) وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «اللهم صل على أبي أوفى» يدل على التفصيل بين ذكر الصلاة بالتبع كما إذا قلت : اللهم صل على محمد وآل محمد ، فإنك ذكرت الآل بتبع مشرفهم عليه الصلاة والسلام وآله ، وهذا جائز باتفاق ، وذكر الصلاة بالاستقلال كما إذا أفردت أحداً بالاستقلال بأن تقول : صل على الصحابة من غير أن تسبق الصلاة على رسول الله الصلاة عليهم وهذا مكروه ، لأن ذلك صار شعاراً لذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأنه يؤدّي إلى الاتهام

ص: 19

1- الصفات: 130 .

- 2- الرواية عن آل يس وأنهم آل محمد وردت كثيراً في كتب العامة ، وذكرت في إحقاق الحق تفصيلاً : 450 و 14: 360 .
- 3- «هُوَ الَّذِي يُصَدِّ لِي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا» [الأحزاب: 43] الكشف ذيل الآية 56 من سورة الأحزاب «صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» قال : فإن قلت : فما تقول في الصلاة على غيره ؟ قلت : القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى : «هُوَ الَّذِي يُصَدِّ لِي عَلَيْكُمْ [وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ]» وقوله : «وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ» [التوبة : 103] وقوله : «اللهم صل على آل أبي أوفى» ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل التبع كقولك : صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها ، وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لأن ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله ولأنه يؤدّي إلى الاتهام بالرفض ، وقال رسول الله «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقف مواقف التهم» .

بالرفض، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن موافق التَّهَم». (1)

وعن ابن القيم في فتح الباري نقل عنه ابن حجر قوله: المختار أن يصلّي على الأنبياء والملائكة وأزواج النبي وذريّته وأهل الطاعة على سبيل الإجمال ويكره في غير الأنبياء لشخص مفرد بحيث يصير شعاراً ولا سيما إذا ترك في حق مثله أو أفضل منه كما يفعله الرافضة.. (2) إلى آخر كلامه.

والعجيب فيه أنّهم نقلوا في أصولهم الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «اللهم صل على آل أبي أوفى» و«اللهم صل على سعد بن عبادة». (3)

وفي فتح الباري إنّ الصلاة على غير الأنبياء في مذهب الحسن البصري ومجاهد وإسحاق وأبي ثور وداود والطبري جائزة (4).

وفي منهاج السنّة لابن تيمية - خذله الله - (بل لعنه الله) أنّه قال: وكذلك أبو حنيفة مذهبه أنه يجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وآله وأهله وسلم كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ (وهذا هو المنصوص عن أحمد في رواية غير واحد من أصحابه واستدل بما نقله عن علي أنه قال لعمر، صلّي الله عليه) وهو اختيار أكثر أصحابه كالقاضي أبي يعلى وابن عقيل وأبي محمد عبد القادر الجيلي وغيرهم (ولكن نقل

ص: 20

-
- 1- هذه عبارة صاحب الكشاف وقد مرت في الهامش السابق وذكرناها هنا مترجمة عن المؤلف. (المترجم)
 - 2- فتح الباري 11: 174 باب «هل يُصلّي على غير النبي» ط بيروت. (هامش الأصل) جرى تطبيق العبارة. (المترجم)
 - 3- القول الفصل 2: 272 ط مطبعة «ارشيفل»، إحقاق الحق 3: 271. (هامش الأصل)
 - 4- فتح الباري 11: 142 باب «هل يُصلّي على غير النبي» ط بيروت. (هامش الأصل)

عن مالك المنع من ذلك (1). ومع اتفاق هذه الجماعة فما تأثير منع الزمخشري وابن القيم .

وحصيلة ما نحن فيه بصورة لا يعترها اللبس أن فتاوى القوم تعود أساساً إلى عنادهم للشيعة لأنهم يصلون على أئمتهم وأهل بيت نبيهم، وإن أجازة العقل وشهد برجحانه الكتاب والسنة والإجماع ، وإذا كان الأمر كذلك وأن القوم يعزفون عن الإحسان إلى أهل البيت وترك تبجيلهم وتكريمهم لأن الشيعة يفعلونه فعليهم أن يتركوا جميع الفرائض والسنن كذلك ، وصرح محمد المحببي الشامي وهو من فضلاء هذه الطائفة في كتابه «خلاصة الأثر» بهذا العناد والتعصب تعقيباً على شعر عبدالرحيم بن تاج الدين الدمشقي الذي نقله في فصل ترجمته، وهو هذا (2):

ص: 21

1- روى العامة بطرق كثيرة عن أمير المؤمنين وابن عباس وعمرو بن جميع وأبي ذر وأنس وأبي أيوب ... أن الملائكة صلت علي وعلى علي بن أبي طالب ... راجع : إحقاق الحق 16: 455 . (هامش الأصل) وراجع منهاج ابن تيمية لعنه الله 4: 152 . وأقول : بغض ابن تيمية لأمر المؤمنين لا ينكر لأنّ حيطان دار أبيه قصار أولاً، ولأنه منافق يتدين بنبوّة أبي بكر وعمر ويأمرهما أفضل من رسول الله ثانياً . ثم كيف يصلي أمير المؤمنين على من لعنه رسول الله مراراً ومنها يوم تخلفه عن جيش أسامة، ولكن هذا الخبيث ابن تيمية لا يقرّ له قرار حتى يكذب على أمير المؤمنين وينتزع منه كلمة ولو كانت مفتراة في تعديل عمر والثناء عليه . وأعجب من هؤلاء الذين يوالون رجلاً هم يعترفون بأن أمه حنتمة زانية ، وكيف يجعل الله ابن الزانية ولياً من أوليائه؟! (المترجم)

2- قال : رأيت في «الگلستان» (والذي رأيت في الگلستان) للشيخ السعدي ما معناه : سئل بعضهم عن اليد اليمنى ما بالها مع فضلها الجزيل وكراماتها المعلومة لم يوضع فيها الخاتم ووضع في الشمال؟ فقال : فنظمت هذا المعنى في بيتين : إن الفتى ... ثم ناقضته : تالله ما ذاك مخل بها*** بل شرفت من واحد راحيم وإنما الفضل لها زينة*** به اعنتت عن زينة الخاتم (هامش الأصل) والذي رأيت أنا في خلاصة الأثر كما يلي : والذي رأيت في الگلستان أن أول من وضع الخاتم في اليد جمشيد الملك ، فقيل له : لم وضعته في الشمال ولم تضعه في اليمين؟ فقال : أما اليمين فزينتها كونها يميناً . فقيل : لأي شيء وضعته في الخنصر؟ فقال : جبراً لها لأن ما عداها كبرها زينة لها . وقيل لبعضهم : لماذا حرمت اليمين من الخاتم؟ فقال : أهل الفضل محرومون ... الخ . [خلاصة الأثر 2: 409 ط بيروت - دار صادر] والفرق بين العبارتين ، واضح ، وأما قول المحقق ثم ناقضته : تالله ما ذاك مخل بها*** بل شرفت من واحد راحيم وإنما الفضل لها زينة*** به اعنتت عن زينة الخاتم فقد جاء قبل حديث الگلستان . (المترجم)

إن الفتى العالم مع علمه***تراه محروماً من العالم

مثل اليد اليمنى لفضل بها***قد منعت من زينة الخاتم

يقول : والتختم باليسرى إنما حدث في وقعة صفين حين خطب عمرو بن العاص فقال : ألا إني خلعت الخلافة من عليّ كخلع خاتمي هذا من يميني وجعلتها في معاوية كما جعلت هذا في يساري، فبقيت سنة عمرو بين العامة إلى يومنا هذا، وأما النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذا الخلفاء الراشدون بعده فكانوا يتختمون باليمين، وقد ذكر فقهاؤنا ومنهم البرجندي في الرهن من كشف البزدوي أنه يتختم باليسرى وقيل باليمنى إلا أنه شعار الروافض فيجب التحرز عنه .

قال شيخنا العلاء الحصكفي في شرح الملتقى (ملتقى الأبحر - المؤلف) : ولا شعور لنا بهذا الشعار في هذه الأمصار فتتبع أمر المختار يعني في الحديث افعالها في يمينك ، إذ ثبت الخيار كما جزم به بعض الأخيار أي اجعل الخاتم في يدك اليمنى ثم استطرد بعد هذا وذكر شعراً عن أبي عامر الجرجاني إنه قال:

تختم في اليسار فلست تلقى***طراز الكم إلا في اليسار

وما نقصوا اليمين به ولكن***لباس الزين أولى بالصغار

لذلك ترى الأباهم عاطلات***وهنّ على الأكف من الكبار

ص: 22

إلى أن يقول: وقد عرفت الحديث، فكلّ هذا غفلة عنه (منه - المؤلف) (1).

وفي يتيمة الثعالبي كلام طريف وهنا مكان نقله، يقول: حكي أن أبا حفص الفقيه عاتب يوماً أبا أحمد على لبسه الخاتم في يمينه، فقال أبو أحمد: إن فيه أربع فوائد:

إحداها: السنة المأثورة من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يتختم في اليمين وكذلك الخلفاء الراشدون بعده إلى أن كان من أمر صفين والحكمين ما كان حين خطب عمرو بن العاص، فقال: إني خلعت الخلافة من عليّ كخلع خاتمي هذا من يميني وجعلتها في معاوية كما جعلت هذا في يساري فبقيت سنة عمرو بن العاص بين العامة إلى يومنا هذا.

الفائدة الثانية: من كتاب الله تعالى وهي قوله: «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» (2) ومعلوم أن اليمين أقوى من اليسار فالواجب أن يكلف حمل الأشياء الأقوى دون الأضعف.

والثالثة: من القياس وهو الاستنجاء باليمين صحيح والأدب في الاستنجاء باليسار، ولا يخلو نقش خاتم من اسم الله تعالى فوجب تزييه عن

مواضع النجاسة.

والرابعة: أن الخاتم زينة الرجال واسمه بالفارسيّة (انگشت آرای) فاليمين أولى به من اليسار. (3)

إلى هنا كان كلام أبي أحمد في أبي حفص الفقيه الذي حكاه الثعالبي في اليتيمة.

ص: 23

1- خلاصة الأثر 2: 409 دار صادر - بيروت. (هامش الأصل) وسمّى أبا عامر الفضل التميمي الجرجاني والمحقق تصرّف بالنص الذي نقله (المترجم)

2- البقرة: 256.

3- يتيمة الدهر 4: 68 ط بيروت. (هامش الأصل) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. (المترجم)

ويقول الراغب الأصفهاني في المحاضرات : كان خاتمه صلى الله عليه وآله وسلم حلقة فضة وعليه فص عقيق ، وكان يتختم به في يمينه ، وسبب اتخاذه أنه كتب إلى ملك الروم فقيل : إنه لا يقبل كتاباً إلا مختوماً، وأول من تختم في يساره معاوية ، وقيل شعر :

قالوا تختم باليمين وإنما***مارست ذلك تشبيهاً بالصادق

وتقرباً مني لآل محمد***وتباعداً مني لكل منافق

الماسحين فروجهم بخواتم***اسم النبيّ بهنّ واسم الخالق

وفي كتاب المستظرف عن عائشة قالت: كان رسول الله الله يتختم في يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم في يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام :

كفّ الرسالة ليس يخفى حسنها***وتمام حسن الكف لبس الخاتم

وذكر السلامي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتختم في يمينه والخلفاء بعده، فنقله معاوية (بل لعنه الله) إلى اليسار، وأخذ الأموية بذلك ، ثم نقله السفاح إلى اليمين فبقي إلى أيام الرشيد (بل لعنه الله) فنقله إلى اليسار وأخذ الناس بذلك (1).

والآن دقق النظر وتأمل قليلاً وانظر كيفية الديانة عند القوم فإنهم يديرون ظهورهم للأخبار الصحيحة ويعزفون عن متابعة خلفائهم عداءً لأهل بيت العصمة ومخالفةً لأتباعهم وشيعةهم ويتركون السنة النبوية ويقتدون بالسنة الأموية ويصرحون بأنّ التختم باليمين لما كان شعار الروافض فيجب عندئذ تركه ، ورفعوا هذا الشعار لأن الروافض لم يقتدوا بابن العاص وثبتوا على السنة النبوية، فياللعجب ولضياح دين سيّد العرب، وقد قلت بديها :

ص: 24

1- المستظرف للشيخ شهاب الدين أحمد الأبشيهي 2: 25 ط مصر . (هامش الأصل) وص 432 ط مؤسسة عز الدين، الأولى 1411 هـ - 1991 م وفيه الجزء أن الأول والثاني في ترقيم واحد . (المترجم)

تختم باليمين فتلك أعلى*** تكن في عد أصحاب اليمين

ولا تجعله عرضة نيل سوء*** وفيه اسم المهيمن والأمين

ولا تعدل بذاك إلى شمال*** فتحيي سنة الرجس اللعين(1)

الفائدة الرابعة :

اشتقاق آل من أول ، وقال جماعة : وإثما يقال آل فلان لأنهم أولهم ، والأول

على ثلاثة أوجه:

1 - الأول الجسماني وهو عبارة عن القرابة الصورية والتولد الجسماني.

2 - الأول الروحاني، وهو عبارة عن تعلم علوم أحد وكسب فضائله والتخلّق بأخلاقه .

ص: 25

1- قال مصنف الهداية من الحنفية : إن مشروع التختم في اليمين ولكن لما اتخذته الرافضة جعلناه في اليسار ، وأول من اتخذ التختم باليسار خلاف السنة هو معاوية - كما في ربيع الأبرار للمخشري .. وقال ابن تيمية في منهاجه 2 : 143 عند بيان التشبه بالروافض : ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعاراً لهم ، فإنه وإن لم يكن الترك واجباً لذلك لكن في إظهار ذلك مشابهة لهم فلا يتميز السني من الرافضي ، ومصلحة التميز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة هذا المستحب، ونرى في موارد كثيرة تركهم للسنة مخالفة في العمل بالسنن . وذكر العلامة (مولانا الأميني) كثيراً منها في الغدير 10: 210 فراجع . نتف اسم كتاب أبي عبد الله السلامي : أن النبي كان يتختم في يمينه والخلفاء الأربعة بعده ، فنقلها معاوية إلى اليسار وأخذ بذلك فبقي كذلك أيام مروانية فنقلها السفّاح إلى اليمين ، فبقي إلى أيام الرشيد فنقلها إلى اليسار وأخذ الناس بذلك . واشتهر أن عمرو بن العاص عند التحكيم سلّها من يده اليمنى وقال : خلعت الخلافة من عليّ كخلعي خاتمي هذا من يميني وجعلتها في معاوية كما جعلت هذا في يساري، والروايات والأشعار في ذلك كثيرة، راجع مناقب ابن شهر آشوب 2 : 75 في لوائه وخاتمه . الصدوق، عن أبيه، عن سعد ، عن ابن علوان، عن عمرو بن ثابت، عن أبيه ، عن ابن بطريق، عن أمير المؤمنين : أنا سيد الوصيين ووصي سيد النبيين ... وزوجة سيدة نساء العالمين، أنا المتختم باليمين والمعقر للجبين [أمالى الصدوق : 17 ، بحار الأنوار 39: 341] . (هامش الأصل)

3 - الأول النوراني ، وهو عبارة عن اتحاد النور ووحدة الذات السنخية وهو أشرف أنواع الأول .

وآل النبي الحقيقيون هم الذين تتحقق فيهم تلك الأقسام الثلاثة، ونحن بعد الاستقراء والتتبع الكامل لم نجد هذه الصفات كاملة ولا هذه الجهات تامة إلا في الأئمة الاثنى عشر ومعهم فاطمة عليهم السلام .

أما الأول أعني الانتساب الصوري والتولد الجسماني الظاهر فأمر من الوضوح بمكان .

وأما الجهة الثانية فثبت بحديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» .

والحيثية الثالثة فثبت من الحديث الشريف «كنت أنا وعلي نوراً» والآية الكريمة : «ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ» (1) ويشهد بذلك أهل الانصاف.

وأما من اعتقد من أهل السنّة أن الآل مطلق القرابة أو هم عموم الأمة فقد جانب الانصاف وليست أوّل قارورة كُسرت في الإسلام.

وعقد باباً في كتاب عيون أخبار الرضا لنقل كلام الإمام الرضاء عليه السلام في مجلس المأمون الملعون مع علماء العامة لإثبات الفرق بين الآل والأمة وهو الباب الثالث والعشرون من هذا الكتاب ونحيل إليه طالبي معرفة ذلك لطوله

ولكن للفخر الرازي مع ما هو عليه من شدّة العناد والعصبية في تفسيره الكبير كلام قريب من الانصاف ، يقول : آل محمّد هم الذين يثول أمرهم إليه ، فمن آل أمره إليه وكان أشدّ به وأكمل فهو آله ، وما من شك بأن العلقة بين علي وفاطمة والحسن والحسين وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشد العلقات، وهذا أمر معلوم بالنقل المتواتر فالواجب كونهم هم الآل .

واختلفوا أيضاً في الآل ، فقال بعضهم: الأقارب، وقال بعضهم : الأمة ، فإذا قلنا

ص: 26

1- آل عمران : 34 .

أولئك - الأربعة - أقربائه فهم آله ، أو قلنا بأنهم أمته فهم آله أيضاً، إذا هم آله على كل تقدير ، وأما من فهم محل خلاف ولم يقطع بهم أحد ، تم كلام الرازي ونحن نجعل هذا التقريب مطرداً في الأئمة الاثني عشر أيضاً.

الفائدة الخامسة :

لو أردنا إعراب صيغة الدعاء أعني صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «فإنها تحتوي على العطف بالواو على الضمير المجرور بـ«على» من دون إعادة الجار -على- أي لم نقل (وعلى آله) شاهد على صحة مذهبنا لأننا أثبتنا في موضعه أن الأدعية والكلمات الصادرة عن الأئمة عليهم السلام لاسيما في موضع الدعاء والخطبة وأمثالهما لا سيما عن الصادقين ومن كان قبلهما عليهم السلام حجة في العربية وقواعدها وتكفي شاهداً على إثبات اللغة لأن رواتنا لا يقلون عن الأصمعي الناصبي وأبي عبيدة الخارجي - المرتكبين لكل محذور وقبيح - والصادقين عليهم السلام في علم العربية ليسوا بأدنى منزلة من جرير والأخطل والفرزدق .

لاسيما في الزيارة الشريفة التي علمت سلفاً بأنها حديث قدسي وهـ-وف-ي حجيته كالقرآن والحديث النبوي الشريف، ومن هنا يعلم أن توقف الشيخ الأجل أبي الفتح الكراچكي في جزّ الآل في أدعية الصحيفة بالعطف، والتزامه بنصبه عطفاً على المحلّ كما جاء في حاشية السيد المحقق الداماد ونقل عنه ما هو إلا اقتصار على رأي بعض القشريين من النحاة والصحفيين من علماء العربية، ويعضد ذلك قراءة حمزة للآية الكريمة «تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ» بجر الأرحام (1) شاهد على هذا الدعوى ، وما جرى من اعتراض صاحب الكشف عليه خطل في الرأي من غير مبنى، وتحقيق هذا الباب لا يناسب هذا الكتاب.

ص: 27

1- راجع مجمع البيان في تفسير الآية الأولى من سورة النساء.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهاً بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ..

الشرح : الجعل على قسمين :

الأول: البسيط ومعناه إنشاء نفس الذات، وهذا الجعل بناءً على قوانين العربية لا يحتاج إلى أكثر من مفعول

والثاني : الجعل المركب وهو إيجاد الصفة في الطرف الثالث وهو يحتاج إلى مفعولين .(1)

والجعل في هذه العبارة الشريفة من القسم الثاني كما هو واضح . الوجه مأخوذ من الوجه بمعنى الجاه كما ورد في عبارة البخاري وقد مرّت عليك: «وكان لعلي وجه في حياة فاطمة» .(2)

والدنيا تأنيث الأدنى، ويعتمد على موصوف محذوف يمكن تقديره بـ«النشأة» أو الدار ، ومثله الوجه في تأنيث الآخرة ، والسبب في وصف النشأة بالدنيا وهي أفعال تفضيل يمكن أن تكون للمبالغة في الدنو أو الدناة. ويستعمل أفعال التفضيل أحياناً في شدة اتصاف الشيء بالشيء بحيث كأن المفضل عليه مجازاً لا اعتبار لوجوده بأزائه كما صرّح بذلك الخفاجي في شرح الدرّة، ونقل

ص: 28

1- الجعل - بالفتح وسكون العين المهملة - في اللغة بمعنى «كردن» على ما في الصراح وهو عند الحكماء على قسمين .. جعل بسيط وهو جعل الشيء وأثره نفس ذلك الشيء فلا يستدعي إلا أمراً واحداً ولا يكون بحسبه إلا مجعولاً فقط وحاصله إخراج شيء من العدم إلى الوجود، وقد أشير إليه في القرآن : «وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ» . و جعل مركب : وهو جعل الشيء شيئاً وأثره مفاد الهيئة التركيبية الحملية أعني اتصاف الماهية بالوجود من حيث أنه غير مستقل بالمفهومية ومرآة ملاحظة الطرفين وهو يتوسط بين الشيين فيستدعي مجعولاً و مجعولاً إليه .. راجع : كشاف اصطلاحات الفنون 1 : 566 و 567 . (المترجم)

2- مرّت في المسألة الثانية شرح أسست أساس الظلم». (هامش الأصل)

عن غيره والاستعمال والتتبع شاهد عليه، وأحياناً يلاحظ فيه معنى التفضيل على عالم البرزخ الملحوظ هنا وهو عالم المثال والخيال المنفصل والملكوت الأدنى في اصطلاح علماء الإشراف والعرفاء ذوي الأذواق، ولما كان عالم البرزخ له صلة بعالم الآخرة صار متوسطاً في الاعتبار، والدنيا نشأة متأخرة، وبهذا الاعتبار سميت الدنيا كما جاء في فقرة الزيارة الجامعة: «وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى» شريطة أن لا تكون الأولى إشارة إلى عالم الأظلة أو الذرّ بناءً على بعض الاحتمالات.

وقال الحكماء: لقد أشار الله إلى تثليث العوالم، فالآية الكريمة: «وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ» (1) لأنّ في هذه النشأة الحسي والتخييلي والعقلي والتذكّر يوجب أن نقول في العالم كله وفي الإنسان الكبير توجد عوالم ثلاث:

الأول: عالم الحس وهو نشأة الماديات .

والثاني: عالم التخييل وهو موطن الصور المجردة من المواد الكثيفة العنصرية لأنّ خلوّ الصورة من المادّة خلاف البرهان، والذين نفوا المادّة عن عالم التخييل كان نفيهم منزلاً على تفسيرنا حيث قيّدنا عالم التخييل أو الصور المجردة بالعنصرية الكثيفة لئلا تستوجب اللوازم الدنياوية لكي يكون ما وردنا عن الشرع من حركة هذا العالم وترقيه وانتفاعه بالدعاء والمثوبات وأعمال الأخلاف والأقرباء الصالحة والأصدقاء والمؤمنين صحيحاً، وهذه الأمور وردت عن الشرع بصورة مقطوع بها بل حتى الرؤيا الصادقة والأمارات الأخرى.

والثالث: عالم التعقل وهو التجرد من جميع اللوازم الدنياوية والمضايقات العنصرية وتعلقاتها هذا وإن لم تفرق عن المادّة من رأس بل لا بد من وجود مادة

ص: 29

رقيقة لطيفة موجبة للتحوّلات العرضيّة معها بحكم تلازم الهيولا والصورة كما أشير إلى ذلك سابقاً وهذا هو عالم الآخرة الذي هو عالم الخلود والحياة الأبدية

«وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ» (1).

تنبيه :

جاء في تفسير الفخر الرازي المذكور أن الوجيه الذي يكون له وجه أي يكون .. معروفاً، بالخير، وكلّ أحد وإن كان عند الله معروفاً لكن المعرفة المجردة لا تكفي في الوجاهة فإن من عرف غيره ليكون خادماً له وأجيراً عنده لا يقال : هو وجيه عند فلان وإنما الوجيه من يكون له خصال حميدة تجعل من شأنه أن يعرف ولا ينكر وكان كذلك. (2)

ولم أعر لهذا التفسير على وجه ولا أعرف له موافقاً في سائر الآثار ، ولا تقتضي ذلك قواعد اللغة ، ولو صح ما قاله فلا موقع للنقض بالخادم والأجير وهما معروفان. وجملة القول : إنّ ما يجب معرفته في هذا المجال هو : كيف تحصل الوجاهة عند الله في دار الدنيا، الآية الكريمة : «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» (3) تحكم بأن الكرامة والوجاهة تناط بالتقوى عند الله تعالى، وللتقوى ثلاث مراتب :

الأولى : التقوى في العقائد ومعناها استقامة الدين وإحكام الإيمان .

الثانية : التقوى في الأعمال وهي عبارة عن الورع عن المحارم واجتناب المآثم وملازمة الواجبات وإدانة الطاعات وهذه المرتبة يجب تحصيلها بعد المرتبة

الأولى.

ص: 30

1- العنكبوت : 64 .

2- الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب 25: 233 ط دار إحياء التراث العربي الثالثة - بيروت .

3- الحجرات : 13 .

الثالثة : التقوى في الأخلاق والملكات ، وذلك أن يقرأ المرء في مصحف قلبه فإن عثر على رذيلة فيه فهي بمنزلة آية العذاب فعليه أن يمحوها من قلبه بالبكاء والقرع والاستعاذة، وإن عثر على خصلة حميدة فهي بمنزلة آية الرحمة يشكر الله عليها ويسأله ثباتها ودوامها وأن يرزقه نظائرها وأمثالها لكي يستطيع بالجهد التام والمشقة الكاملة دفع الراذل وجلب المحامد وتحصيل المحاسن .

وهذه المراتب بأجمعها متوقفة على العلم لأنَّ الجهل عجز ، ومن هنا يعلم بأنَّ الكرامة عند الله تعالى مشروطة ومنوطة بالعلم كما قال سبحانه: «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» (1) وقال في آية أخرى : «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (2) ويقول في آية ثالثة : «أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ» . (3) وليس مقصودنا من العلم هو الفاقد للعمل إلا أن يتحدا تماماً كالمقصود من التقوى في مرحلتها الأولى إن هي إلا الإيمان، ومقصودنا ذلك العلم الذي هو الاعتقاد القلبي والتحقق الواقعي مع الإذعان بصفات الربوبية والتصديق بالأنبياء والأئمة والكتب والملائكة والحشر والنشر المعبر عنها بالمبدأ والمعاد.

وحاصل الحديث أن الزائر يطلب من ربه في هذه الزيارة أن يسدده للعروج في مدارج العلم والعمل بواسطة الاعتصام بالعروة الوثقى ومحبة الحسين والتمسك بالحبل المتين لكي يشملته رضى الله في الدنيا ويصل في الآخرة إلى مقام القرب ودرجة الأولياء .

اللهم اجعلني عندك وجيهاً بالحسين عليه السلام في الدنيا والآخرة بجاه محمد وعترته الطاهرة.

ص: 31

1- المجادلة : 11 .

2- الزمر : 9 .

3- الرعد : 16 .

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِلَى فَاطِمَةَ وَإِلَى الْحَسَنِ وَإِلَيْكَ بِمُؤَالَاتِكَ وَبِالْبِرَاءَةِ
مِمَّنْ قَاتَلَكَ ، وَنَصَبَ لَكَ الْحَرْبَ ، وَبِالْبِرَاءَةِ مِمَّنْ أَسَسَ الظُّلْمَ وَالْجَوْرَ عَلَيْكُمْ وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مِمَّنْ أَسَسَ
أَسَى ذَلِكُكَ وَبَنَى عَلَيَّ هِ بَنِيَّ أَنَّهُ ، وَجَرَى
وَعَلَى
أَشْيَاعِكُمْ ...

الشرح : التقرب تفعل من القرب، وصيغة التفعل في هذا الباب يمكن أن تكون للطلب ولعلها للمبالغة والأول أظهر .

وعبارة صاحب القاموس : تقرب به إلى الله تقرباً و تقرباً يعني كتملاق أي طلب القربة والوسيلة من عنده (1) تشهد بذلك ، وإن لم يكن
حجة في نفسه ؛ لأن دعوى السماع من الواضع في هذا الموضوع غاية في البعد ، والاستعمال على كلا الوجهين يمكن انطباقه وظاهر العبارة
المذكورة في الزيارة أن الباء بعد التقرب تكون باء السببية - بمؤالاتك - ويستبعد في هذه الفقرة الواردة في الزيارة أن تكون للملابسة،
ويكون المعنى هكذا: إنني بولايتك والبراءة من عدوك أطلب القرب أو شدة القرب منك ، وما من شك في أن المراد بالقرب هنا هو القرب
المعنوي لا القرب المكاني.

ولا- يحصل ذلك إلا- بملازمة الطاعات ومجانبة المعاصي، والتخلق بأخلاق الله تعالى لينتفع من الإيمان الصوري ويتلبس بالإيمان
الحقيقي «فإن لكل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً».

ص: 32

1- إليك ما وجدته في القاموس : وتقرب به تقرباً وتقرباً - بكسرتين - طلب القربة به . لم يزد على ذلك شيئاً . 1 : 158 ط دار الوفاء - جده
- أولى 1406 تحقيق الدكتور أحمد عبد الرزاق الكبيسي . (المترجم)

الموالات : معناها المحبة والولاية ، وقد شرحنا سلفاً دلالة الولاية التي حقيقتها القرب على المودة .(1)

ويصاغ باب المفاعلة هنا من أجل تقوية المعنى المجرد ؛ لأنّ اختلاف الصيغة وزيادة المباني والحروف في اللغة لا تخلو من نكتة ، وإن لم يصرّح العلماء غالباً بهذا المعنى في باب المفاعلة، إلا أن عامة قوانين اللغات وخصوصيات الكلمات ما هي إلا جوهرة الفنّ بيد أساطين الصناعة، وهي تقوي هذا الخيال وتقرب هذا الاحتمال .

كل هذا يقال بعد صحة افتراضنا أن الولي في اللغة بمعنى المحبّ، ولكنّ بعضهم نفى هذا الاستعمال وبناءً على هذا فإنّ استعمال الموالات والتوليّ في المحبّة بملاحظة ملازمة تأكد القرب الذي هو مدلول الصيغة مع المحبّة، وعلى هذا يكون الولي مأخوذاً من الموالات مثل البديع من الإبداع ، وهذا الكلام يحتمل المناقشة في الجملة والتأمل .

وإن كان يستعمل في المتبّع على كل حال، والله العالم.

نصب : في أصل اللغة : كلّ ما نصب فجعل علماً(2). وأكثر معاني هذا اللفظ من قبيل «النصب النحوي» والنصب الفناء الخاص، والنصيب بمعنى السهم من القسمة والنصاب بمعنى الحدّ ، والنصب بمعنى المعبود الباطل يرجع إلى هذا الاستعمال.

ومن وجوهه ما يقال من نصب له العداوة أو نصب له الحرب أو ناصبه العداوة. ومن فرع هذا الاستعمال الأخير «نصب» بمعنى عادي أمير المؤمنين عليه السلام ، وليس هذا المعنى من فروع المعنى اللغوي الأصلي إذ لا يعقل أن يضع الواضع

ص: 33

1- في شرح الفقرة برئت إلى الله وإيكم منهم ومن أتباعهم وأشياعهم وأوليائهم» . (هامش الأصل)

2- لسان العرب 1 : 758 (المترجم)

لفظاً وهو جزء من أصل وضع عام ، فلا تستعمل في معناه الذي وضع له إلا بعد أزمة متطاوله، ويكون كل هذا ملحوظاً للواضع ، ويضع له لفظاً مع أن نصب لا تأتي بمعنى العداة على أيّ وجه، ولكنه لفظ حذف متعلّقه وهو العداة، وكثر استعماله حتى صار يستعمل مجرداً عن متعلّقه في معناه. وما يقصده بعض اللغويين من قوله : إن نصب مجاز في عداة أمير المؤمنين عليه السلام يقصد هذا المعنى الذي حققناه

و من هنا يظهر خطأ ما تخيَّله صاحب الحدائق من أن النصب في اللغة حقيقة هو التدين ببغض علي أمير المؤمنين عليه السلام استناداً إلى ظاهر عبارة القاموس الذي قال : «... النواصب والناصبية وأهل النصب : المتدينون ببغضة علي» (1) ولا وجه له ؛ لأن مهمة اللغوي لا تنحصر في بيان جزئيات موارد الاستعمال، والاستعمال أعم من الحقيقة، وقد علمت أن احتمال كون اللفظ حقيقة في هذا المعنى لا يتمشى مع واقع الوضع.

علاوة على أن عبارة صاحب القاموس نفسها تنادي بخلاف دعواه لأنه قال بعد العبارات المنقولة «لأنهم نصبوا له أي عادوه» لأن صريح صريح هذا الكلام أن الاستعمال من باب إطلاق الكلّي على الفرد لا من جهة أخذ الخصوصية في مفهوم اللفظ وتفسير النصب بالعداوة من جهة إفادة حاصل المعنى وتقريب الدلالة هي التي بينهاها .

ومن هنا يُعلم أنّ من التزم بمجازيّته فإنّما هو من باب إطلاق الكلّي على فرده وغفل عما اعتبره الأصوليون من كون ذلك حقيقة أيضاً ولكن كونه حقيقة بهذا

ص: 34

1- «النواصب والناصبية وأهل النصب المتدينون ببغضة علي لأنهم نصبوا له أي عادوه». القاموس 1: 177. (المترجم)

الوجه لا يفيد صاحب الحقائق شيئاً؛ لأن غرضه المبعوض وهو أمير المؤمنين في المفهوم الحقيقي للفظ، وقد ظهر حاله .

جری : بمعنی سال ، وحكي عن الراغب أن «الجري» المرّ السريع ، وأصله في الماء ونحوه، وأحياناً يكتى به عن الاستمرار باعتبار أن الفعل الذي ينقطع لا- جريان، له واستعماله في جري الفرس وجري السفينة وسائر مواضع الاستعمال هو على سبيل التشبيه أو التوسع ، وإثما سمّيت الأمة جارية لأنها تجري في الخدمة .

يقول في المصباح الجارية السفينة سميت بذلك لجريانها في البحر، ومنه قيل للأمة جارية على التشبيه لجريانها مستسخرة في أشغال مواليتها، والأصل فيها الشابة لخفتها ، ثم توسعوا فيها حتى سمّوا كل أمة جارية وإن كانت عجوزاً لا تقدر على السعى تسمية بما كانت عليه .

والمحكي عن المحيط : إثما سمّيت جارية لأنها تجري في الحوائج.

وقال في أساس البلاغة : وسمّيت جارية لأنها تستجري في الخدمة.

والمحكي عن المهذب وقانون اللغة مثله

وعبروا في بعض الكتب عن الجارية بالقينة - بقاف وياء مثناة تحتية ونون - وهي مؤنّث القين بمعنى الأمة كما أن القين معناه العبد ، وغفل صاحب القاموس عن هذه الكلمة غفلة صعبة وصحفتها تصحيفاً عجيباً لأنه قرأها «فتية» مؤنّث فتى ، ولما رأى أن هذا الإطلاق ليس صحيحاً لإطلاقه على الجمل والفرس وأمثالهما ، ألحق من نفسه لفظ من النساء النساء ء وقال: «الجارية الفتية من النساء» ولم يوجد في كتب اللغة عن الجارية أنّها الفتية من النساء، وإن كان منه غير عجيب فإنّ له في ذلك اليد الطولى والمرتبة العليا .

ومجماً- نقول : المراد بالفقرة من الزيارة «وجرى في ظلمه وجوره عليكم» أنّه استمر في طريق ظلمه وجوره. و«عليكم» متعلق بالظلم والجور، وحكي في

بعض النسخ أن الفقرة السالفة كما يلي: جرى ظلمه وجوره... بحذف «في وبناءً على هذا يكون المراد من الجريان الوقوع، ولأنه احتوى على معنى آخر في نفسه وهو أن نسبة الجريان بالذات لا بالحدث، وهذا المعنى يتوقف على رمزية الاعتبار وزيادة النكات اللطيفة وهو تصرف في اللفظ، موجب لحركة الذهب والانتقال إلى المعنى وهو في النفس أوقع وفي القلب أحلى.

وغالباً ما به يناط حسن التعبير كما أن أصحاب القرائح اللطيفة والأذهان الدقيقة الذين يتعاطون لطايف البيان وبدائع الكلام لأول وهلة يتوجهون إليه ومن فقد هذا الذوق والمزاج فلا ينفعه طول البيان وكثرة التطويل «ومن لم يستضيء بمصباح لم يستضيء بإصباح».

فائدة استطرادية

ثبت كفر النواصب بالإجماعات المستفيضة والأخبار المتكثرة المعتبرة المنجيرة بعمل الأصحاب، ولكن وقع الخلاف في تحقيق الموضوع وتعيين مفهوم الناصب في أخبار الباب، وعبارات الأصحاب، لأنه ورد في الأخبار «الناصب لأهل بيتي حرباً...» وجاء تفسيره في بعض الأخبار: «هو من نصب العداوة لأهل بيت محمد»، وفي أخرى: «من دان بمعاداتهم»، وجاء في موضع منها: «من نصب العداوة لعلي عليه السلام»، وفي خبر آخر «من أعلن بالعداوة» وفي رواية أخرى: «من نصب العداوة لشيعتهم» وفي طريق آخر: «من قدم الجبت والطاغوت» كما استقصى ذلك بعض الفقهاء المعاصرين، وترجع هذه الأخبار غالباً إلى معنى واحد وهو: «التدبير ببغض أهل البيت».

كما وردت في عبارة القاموس، وإن اختلف ذلك بأمير المؤمنين عليه السلام كبعض الأخبار وإنما اختلف به دون من عداه فلأنه من أجلاء أهل البيت بل كان سيدهم وصار من لوازمه إظهار العداوة له وإعلانها، ونصبها، وصار محكماً لذلك، ونصب

ص: 36

الحرب أحد أفراد النصب، ونصب العداوة لشيئته عليه السلام راجع إلى نصب العداوة له لأنهم شايعوه وتابعوه، وعندنا في علوم ماوراء الطبيعة ثابت أن الحكم على المحيِّث راجع إلى الحيثية لوجوب رجوع ما بالعرض إلى ما بالذات.

وتقديم الجبت والطاغوت المراد منه ما نفي بسببهم استحقاق عليٍّ للمحبة كما يظهر ذلك في رسالة الجاحظ فإنَّ الملاحظة منه أنه في الوقت الذي يقدِّم أبابكر على أمير المؤمنين ، يتضمن التقديم نفى الفضيلة عن أمير المؤمنين .

والمراد بقولنا التدين بالنصب أو النصب هو التدين بكذا إظهاره من الدين لا الاعتقاد الواقعي بالعداوة لأهل البيت عليهم السلام اعتقاد الواقعي ليدخل كفر الجحود الذي هو أشد أنواع الكفر .

وحديث جنادة عن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال للحسين عليه السلام : «كلهم يتقرب إلى الله» (1) يشير إلى هذا المعنى .

وإلا فلا يعقل أن مرادهم التقرب الحقيقي فإنَّ من غير المعقول أن يتأتى ذلك من جميعهم بعد ظهور البيئات وقيام الحجج وقرب عهدهم من أمير المؤمنين عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان متصوِّراً من بعضهم.

ص: 37

1- ثابت ابن أبي صفية الثمالي قال : نظر علي بن الحسين السيد العابدين إلى عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب فاستعبر ثم قال : ما من يوم أشدَّ على رسول الله من يوم أحد ؛ قُتل فيه عمّه الحمزة ابن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب . ثم قال : ولا يوم كيوم الحسين ، از دلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله عزَّ وجل بدمه وهو بالله يُذكرهم فلا يتعظون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً [الخصال 1: 68 ، أمالي الصدوق : المجلس 70 الرقم 10 ، بحار الأنوار 44: 298 ، عوالم العلوم : 348] . قال ابن نما : ثم دعا جنذب بن عبد الله الأزدي وكان شيخاً ، فقال : يا عدو الله ، ألسنت صاحب أبي تراب ؟ قال : بلى لا أعتذر منه . قال : ما أراني إلا متقرباً إلى الله بدمك . قال : إذاً لا يقربك الله منه بل يباعدك . قال : شيخ قد ذهب عقله، وخلي سبيله [بحار الأنوار 45 121] . (هامش الأصل)

إذن يكون معاوية وعمرو بن العاص والمنصور وهارون وأشباههم الذين عندهم علم تفصيلي بفضائل الإمام ومع ذلك يظهر لهم العداوة من أعظم النواصب .

وأخيراً، بعد تأملنا في مؤدى مجموع الأخبار ظهر ذلك جلياً لدينا، ومثله يقال في كلمات أصحابنا عن النصب والنواصب فإنه من الممكن إرجاعها إلى هذا المعنى غالباً، ولم يظهر عليهم الحكم بكفر أهل الخلاف قاطبة ما عدا هذه الطائفة أي لم يظهر عليهم ترتيب آثار الكفر بحسب الظاهر عليهم؛ لأن الإجماع مفقود بالضرورة، والأخبار خاصة بالنواصب وقد بيننا معناه، ولا وجه لادعاء النصب لجميع أهل الخلاف بمقتضى رواية المعلى بن خنيس: «ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت لأنك لا تجد أحداً يقول إني أبغض محمداً وآل محمداً ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تتولّوننا وتبرّؤوا من أعداءنا» (1) لأنه بعد غض النظر عن ضعف طريق الخبر، يكون فحواه بعد التأمل أنه لا أحد يجاهر بعداوة النبي وآله ويبارزهم بل يظهرهم بعداوة الشيعة تعبيراً عن عداوتهم لهم وبالطبع هؤلاء هم النواصب .

ولكن الكلام في الصغرى لأن عوام العامة لا يحملون العداوة للشيعة من هذه الناحية أي لا تبعهم آل محمداً بل عداوتهم راجعة إلى البرائة من الصحابة حيث يفعلها بعض الشيعة والعامة لا يعدّون أنفسهم عدوّ آل محمداً لأنهم أنفسهم يلعنون عدوّ آل محمد والنزاع بيننا صغروي وإن كنا بعون الله أثبتنا هذه المقدّمة الممنوعة من كتبهم أنفسهم، ولكن إلزامنا لهم لا دخل له باعتقادهم الفعلي، ولو فرضنا جدلاً أنهم يحملون في ضمائرهم عداوة كامنة للآل فإنه لما لم يكن لنا

ص: 38

1- معاني الأخبار : 104 . (هامش الأصل) وجرى تطبيقه، وبعد الحديث : وقال : «من أشيع عدواً لنا فقد قتل ولياً لنا» . (المترجم) علل الشرايع : 200 عن عبد الله بن سنان عن الصادق . بحار الأنوار 27 233 ط تهران (هامش الأصل)

دليل عليها فإننا لا نستطيع أن نعاملهم معاملة الكافر ؛ لأن مناط الحكم يعود إلى الإعلان والإظهار كما اعتبرت هما الأخبار، كاشفين عن التدين الحقيقي كما مرّت الإشارة إليه بالشرح السالف .

وأما الأخبار الواردة بكفر مطلق أهل الخلاف فإنّها لما كانت معارضة بالأخبار الواردة في معاملتهم كما لو كانوا مسلمين من حيث الطهارة وجواز المعاشرة والمؤاكلة وحلّ المناكحة والمصاهرة وأكل ذبائحهم، والأخبار المتظفّرة - ب- المتواترة الواردة في الفرق بين الإسلام والإيمان المبثوثة في مطاوي كتب الأخبار سيما الكتاب الجليل القدر والعظيم الشأن الكافي، في الباب المعقود لهذا المعنى ، المتفقة مع السيرة القطعية المحقّقة التي لا تحتمل التردد والشك، تنزل منزلة الكفر الباطني . إذ لا مانع باختلاف أحكام الكفار لاختلاف أقسامهم، وهذا المعنى ثابت في الجملة بين الفريقين واستشعرت طائفة هذا الفرق من عبارات الفقهاء في موارد خاصة، ويستشم هذا المعنى من عبارات الشيخ في التهذيب وعبارات السيد في تنزيه الأنبياء.

وظهر من مجمل ما قلناه أن القول بكفر مطلق أهل الخلاف ووجوب الاجتناب الفعلي منهم لا وجه له في وادي التحقيق وإن كان صاحب الحدائق مصراً بإصرار بليغ على التصدّي لإثبات هذا الأمر، واعتضد بطائفة من الأخبار وكلمات الفقهاء الأخيار، وإذا لم يكن في هذه الأخبار دليل على خلاف مدعاه فليس فيها دليل على إثباته، أو إنّها قابلة للتأويل بتوجيه قريب. ومع كل هذا فقد طعن طعناً بليغاً وعرض تعريضاً أكيداً على المتأخرين على وجه ينافي فضله وهو من أهل الفضل، ولا يليق بمقامهم المنيع. ونحيل على الكتب المفصلة في بسط الكلام حول هذا المقام ولم نقصد إلا بيان لمعة منه هنا، وإظهار لمحة من حقيقته، والله الموفق .

وجملة القول أن ما حققناه من مجموع ما جاء في هذه الفائدة أن الإشارة إلى كفر محاربي سيّد الشهداء عليه السلام في الفقرة: «من نصب لك الحرب» من المسلمات بل إنّ هذا المعنى من ضروريات المذهب الشيعي، ولا يحتاج إلى الاستدراك. لأنّه علاوة على كون هذه المحاربة أمانة النصب وهي على التحقيق السبب المستقل لكفر هذه الطائفة من الخوارج والفئة الباغية، فإن الخروج على الإمام وهتك حرّماته والتصدي لقتله وسفك دمه المقدّس، كل واحد منها سبب تـام لكفر فإنها قد اجتمعت في محاربي سيّد الشهداء، ولا حاجة بنا إلى إثبات كفر هذه الطائفة بل الطائفة السابقة التي هي مطلق النواصب التي يرجع كفرها إلى مسألة إنكار الضروري كما يظهر ذلك من كلام بعض الأساطين؛ لأن مسألة كفر منكر الضروري محلّ خلاف هل هو لجهة الموضوعية أو بسبب الكاشفية؛ فإنّ طائفة من كبار المحققين المتأخرين مثل المقدّس الأردبيلي والفاضل الهندي وجمال المحققين والمحقق القمي وأستاذ اساتيد عصرنا في الرسائل وغيرهم قدس سرّهم ذهبوا إلى الاحتمال الثاني وهو الأقوى.

وبناءً على هذا لا يحكم بكفرهم مع وجود الشبهة، وهذا المعنى مقطوع بفساده في حق المحاربين والخوارج، وفي حق النواصب خلاف الظاهر إذن الأولى أن نرجع في إثبات كفر هذه الطوائف إلى الأدلة التي تكفّرهم خاصة، ولا نرجع المسألة إلى القاعدة الكلية وهي كفر منكر الضروري.

والمتمم المتصفح للأخبار أن اعتبار الولاية جزء الإيمان الموثقة في الأصول المعتمدة والمصادر الوثيقة والكتب الصحيحة لأساطين علماء الشيعة رضوان الله عليهم من قبيل الجوامع السبع العظام⁽¹⁾ وغيرها مجتمعة ومتفرقة، يجزم أو

ص: 40

1- الكافي، من لا يحضره الفقيه، التهذيب، الاستبصار، العلل، العيون، الخصال. (هامش الأصل)

يشرف على الجزم بأنّ الولاية شأنها شأن التوحيد والنبوة من الأركان الأصلية والعناصر الأسطقسية الأسطقسية للإيمان، وبفقدتها تفقد حقيقة الإيمان، ولا تترتب عندئذ أحكام الإيمان على فاقدها بشكل مطلق سواءً كان ذلك عن قصور أو تقصير.

كما أن حال التوحيد والنبوة كذلك بالاتفاق أو بضرورة الإسلام. نعم، الفرق الوحيد يتجلى بين القاصر والمقصّر فقد نفى جماعة من المحققين وأهل النظر بالقرائن الصريحة العقلية والشواهد الصحيحة النقلية العقاب عن القاصر جازمين بذلك، وتحقق القصور خارج الواقع، ونفس الأمر يتم بملاحظة أحوال أصناف البشر ومراجعة أخلاق أخلاق الزمر، وتأمل الفروق في القابليات واختلاف مؤهلات الناس واستعداداتهم من الوحشية والتمدن والهمجية والقروية والبدوية والزنجية والرومية، وكونهم رجالاً أو نساءً فإن ذلك يختلف من حال إلى حال بتفاوت مراتب الوجود وتبيان درجات النفوس، وهذا أمر محسوس ومطلب مشهود

وليس يصح في الأفهام شيء*** إذا احتاج النهار إلى دليل

وطعن بعض الأخباريين على بعض أساطين الفرقة ورؤساء المذهب في اختيار نفي العقاب عن القاصر ناشئ عن القصور في الطاعن نفسه .

وكتابة هذه الجملة كانت على سبيل الاستحجار والتطفل، ومحصل الغرض وحاصل المطلب هو أن علماء الإمامية رضي الله عنهم أطبقت كلمتهم على كفر محاربي سيّد الشهداء وجواز لعنهم وسبهم، وتشهد بذلك أخبار العامة على هذا المدعى بين مصرحة، وملوحة، وسوف ينقل هذا القليل البضاعة بعون الله جلّ ذكره في تضاعيف هذا الشرح طائفة من أخبار الفريقين حول هذه المعاني مفرقة خلال الشرح والإكثار منها في هذا الموضوع ينافي شرطنا في الاختصار، والله الموفق وهو الهادي.

بَرَّنتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ ، وَأَتَّقِبْتُ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَيْكُمْ بِمُؤَالَاةِكُمْ وَمُؤَالَاةِ وَلِيكُمْ ، وَإِلْبْرَاءَةٍ مِنْ أَعْدَائِكُمْ ، وَالنَّاصِبِينَ لَكُمْ الْحَرْبَ ، وَإِلْبْرَاءَةٍ مِنْ أَشْيَاءِهِمْ وَأَنْبَاعِهِمْ ، إِنْ سَلِمَ لِمَنْ سَأَلَكُمْ ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ ، وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاكُمْ ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاكُمْ ...

الشرح : لما كان الاعتقاد بإمامة أهل البيت عليهم السلام من أهم أصول الدين ، وقوام هذا الأصل بركنين أساسيين : الأول : التولي ، والثاني : التبري ، كما هي الحال في طبّ الأبدان فإنّ صحة المرء منوطه بالتنقية وهي دفع الأخلاط العفنة والمواد الفاسدة، والتقوية وهي حفظ القوى الأصلية وإعانة الأرواح على تناول الأعمال، وكذلك الحال في طبّ النفوس فإنّ الكمال النفساني أيضاً مشروطه بالتخلية، ومعناها : إزالة الملكات الرذيلة والأخلاق الرديئة، والتخلية ومعناها جلب الملكات العادلة والأخلاق الفاضلة .

إذن ، يكون الطبّ الإيماني أيضاً بحاجة إلى هذين الركنين ؛ لأن التبري ومعناه البرائة من أعداء أهل البيت يجعل بأزاء التنقية والتخلية. والتولي ومعناه المحبة والودّ لهذا البيت العظيم ، تجعل في قبال التقوية والتخلية المذكورين آنفاً. وبما أنّ الغاية من هذه الزيارة هي إظهار المشايعة والمتابعة الواقعية لأهل البيت عليهم السلام ، وكان قوام ذلك بهذين الركنين السالفين ، لهذا عبّر عنهما بهذه الزيارة الشريفة بأساليب مختلفة ووجوه متعدّدة :

فأحياناً يأتي ذلك ضمناً في لعن أعدائهم على سبيل الاستطراد والاستتباع كأنّما الغليان النفسي والشوق الباطني يثور بذكر مساوئ الأعداء، ويهيح الإخلاص لهم، وانسياقاً وراء مقتضيات المحبّة الجبلية لهذه الثلة المباركة

والعداوة الفطرية «فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» (1) لتلك القبيلة المعادية يظهر المرء البرائة والتألم منها .

وأحياناً تختص الحال بسيد الشهداء فيجعل المؤمن تولي أوليائه والتبري من أعدائه رأس مال القرب وواسطة التقدّم بين يدي الواحد الأحد جل مجده، وسيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم وسيد الأولياء وسيدة النساء والإمام المجتبي عليهم السلام الذين هم أقرب الخلق إلى الله وأحبّ الناس إلى سيّد الشهداء «وأنتقرب إلى الله وإلى رسوله» ويتمّ قراءة الفقرة السابقة، وبعد أن يجعل ذلك وسيلة للتقرّب وواسطة للتقدّم يعود فينشأ البرائة الفعلية تأكيداً للبرائة وتقوية للمطلوب ويقول: «برئت إلى الله» .

وأحياناً يعم بخطابه جميع أهل البيت فيتقرب إلى الله بإظهار البرائة من أعدائهم ، والولاية لهم ولشيعتهم فيقول: «وأنتقرب إلى الله وإليكم وأحياناً بعبارة أخرى على سبيل الفذلكة وجني النتيجة يقول : «إني سلم لمن سالمكم» إلى آخره.

ومحصل القول هو : من كان معكم فأنا معه ، ومن كان عيكم فأنا عليه ، ليس لي سواكم في الدنيا والآخرة ، أنت لي فحسب ، وأنتم سبيل سعادتِي ووسيلة نجاتي وقربي .

نگسلد رسته امید گران باری جرم***زمره ای را که شما جبل متینید همه

سيزده تن ز شما چاشنی از یکتن یافت***زان نمکدان حقیقت نمیکنید همه

ومع أن الأحاديث الواردة في فضل أولياء آل محمد ومثالب أعدائهم أكثر من أن يمكن حصرها في مكان واحد أو درجها في سفر واحد ، فإننا نكتفي هنا بذكر حديث واحد محكياً عن تفسير الثعلبي مسنداً ومذكور في كتاب الكشاف وتفسير

الرازي الكبير مرسلأ ليكون حجة على الخصم ، والحديث كما يلي :

ص: 43

1- الروم : 30 .

روى صاحب كتاب ينابيع المودة عن كتاب فصل الخطاب للخواجه محمّد پارساي البخاري النقشبندي وهو من أجلاء عرفاء العامة ومحدّثيهم وعلمائهم أنه قال : روى الإمام أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره عن الإمام محمد بن أسلم الطوسي، عن يعلى بن يعيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من مات على حب آل محمّد مات شهيداً .

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له .

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً .

ألا ومن مات على حب آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان .

ألا ومن مات على حب آل محمّد بشره ملك الموت ثم منكر ونكير .

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة .

ألا ومن مات على حب آل محمّد مات على السنة والجماعة. ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله .

ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً .

ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشم رائحة الجنة (1)(2) الطوسي ، النهاية : 112 . (المترجم) (3) الحديث مترجم . (المترجم) نور الأنوار للمرندي : 272 . (هامش الأصل) (4) نور الأنوار : 272 (هامش الأصل) السرائر 3: 639 ، الصوارم المهركة : 248 ، بحار الأنوار 27 : 58 ح 17 . (المترجم) (5) نور الأنوار : 272 . (هامش الأصل) السرائر 3: 640 ، بحار الأنوار 27 : 58 ح 18 . (المترجم) (6) نور الأنوار : 272 . (هامش الأصل) السرائر 3: 640 ، بحار الأنوار 27 : 58 ح 19 . (المترجم) (7) علل الشرايع 1 : 134 ، عيون أخبار الرضا 1 : 291 ، أمالي الصدوق : 8 ، بحار الأنوار 66 : 236 . (هامش الأصل) الأربعون حديثاً للشهيد الأول : 65 - 66 الحديث الثامن والعشرون ، رسالة في العدالة للشهيد الثاني : 267 ، وسائل الشيعة 16 : 178 ط آل البيت ، بحار الأنوار 27 : 54 ح 8 (المترجم) (8) رجال الكشي : 344 و 391 (هامش الأصل) وص 528 (المترجم) (9) بحار الأنوار 18 : 7 (المترجم) 8: 207 ط كمپاني (هامش الأصل) (10) تفسير الإمام العسكري : 354 . (المترجم) (11) البرهان ، تفسير سورة البقرة ذيل الآية . 86 (هامش الأصل) الجلد الأول ص 267 السطر 17 (المترجم) (12) بحار الأنوار 27 : 223 ح 11 عن التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري . (هامش الأصل) تفسير الإمام العسكري الله : 47 ح 21 . (المترجم) (13) بحار الأنوار 50: 316 و 317 (المترجم) وص 317 (هامش الأصل) (14) البقرة : 256 . (15) زهر الربيع 2 : 258 ط الإسلامية - طهران . (هامش الأصل) زهر الربيع : 291 - 292 ط النجف الأشرف . (المترجم) (16) زهر الربيع 2 : 190 ط النجف الأشرف . (هامش الأصل) مترجم . (المترجم) (17) شعشعة الحسيني ، أمانة الولاية تأليف زند كرمانی ، مطبوع ، ص 51 ، وفور الأثر تأليف الشيخ محمد رضا الثامني الشيرازي ، مطبوع ، ص 91 . (هامش الأصل) مُترجم . (المترجم) (18) شجرة طوبى ، الورقة 180 (هامش الأصل) (19)

- 1- ينابيع المودة : 399 ط اسلامبول . ورواه جمع غفير من علماء العامة، ذكر ذلك في إحقاق الحق 9: 489 مفصلاً (هامش الأصل)
- 2- بعد ذكر الحديث شرع المؤلف في ترجمته ملخصاً فعلق عليه المحقق فقال : البرائة والتقمة على أعداء الدين عدت واحدة من أصول الدين. واعتبرت ذات أجر وثواب كثير ، والآن نذكر بعضاً من أقوال أساطين الدين وندرج بعض الروايات التي عثرنا عليها في الموضوع : 1 - قال الشيخ الطوسي في النهاية : ولا تصل خلف الناصب ولا خلف من يتولى أمير المؤمنين إذا لم يتبرأ من عدوه إلا في حال التقية
- 3- 2 . قال رسول الله : أقسم بالله الذي أرسلني بالنبوة واختارني على الخلق كافة أن جبرئيل أخبرني لو أنّ عبداً عبد الله ألف سنة ولم يتولك والائمة من نسلك ولم يتبرأ من عدوهم فإن الله لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً؛ من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - أو كما قال - .
- 4- 3 - الصفواني [في أسن العالم] : إن رجلاً قدم على أمير المؤمنين فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا أحبك وأحب فلاناً - وسمي بعض أعدائه - فقال : أما الآن فأنت أعور ، فإما أن تعمى وإما أن تبصر .
- 5- يقول الشاعر : اى كه گوئی هم على وهم رمع *** اعورى از نور ظلمت بهره ور ياييا پروانه اين نور شو *** يا برو خفاش باش و كورشو تحب علياً وأعدائه *** فأت بمنزلة الأعور فإما ترى نوره كله *** وإما كمهت فلم تبصر 4 - قيل للصادق : إن فلاناً يواليكم إلا أنه يضعف عن البرائة من عدوكم . قال : هيهات ، كذب من ادعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا .
- 6- 5 - روي عن الرضا إنه قال : كمال الدين ولايتنا والبرائة من عدونا
- 7- 6 . عن أبي محمد العسكري عن آبائه قال : قال رسول الله لبعض أصحابه ذات يوم: يا عبدالله أحب في الله وابعض في الله ، ووال في الله وعاد في الله ، فإنه لا تئال ولاية الله إلا بذلك ، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخة الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا عليها يتوآدون وعليها يتباغضون ، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً . فقال له : وكيف لي أن أعلم أنني قد واليت وعاديت في الله عز وجل ؟ ومن ولي الله عز وجل حتى أوليه ؟ ومن عدوه حتى أعاديه ؟ فأشار رسول الله إلى علي فقال له : أتري هذا ؟ فقال : بلى ، قال : ولي هذا ولي الله فواله ، وعدو هذا عدو الله فعاده ، قال : وال ولي هذا ولو أنه قاتل أبيك وولدك ، وعاد عدو هذا ولو أنه أبوك أو ولدك
- 8- . أهمية اللعن وذم تاركه 1 - قال رسول الله : من تألم أن يلعن من لعنه الله فعليه لعنة الله
- 9- 2 . عن أبي حمزة الثمالي قال : قلت لعلي بن الحسين : أسألك عن شي أنفي عني به ما قد خامر الامين نفسي . قال : ذلك لك . قلت : أسألك عن الأول والثاني ، فقال : عليهما لعائن الله كلاهما ، مضيا والله كافرين مشركين بالله العظيم .
- 10- - قال رسول الله : قوم من أمتي ينتحلون بأنهم من أهل ملتي ، يقتلون أفاضل ذريتي وأطائب أرومتي ، ويبدلون شريعتي وسنتي ، ويقتلون ولدي الحسن والحسين كما قتل أسلاف هؤلاء اليهود زكريا ويحيى ، ألا وإن الله يلعنهم كما لعنهم ، ويبعث على بقايا ذراريهم قبل يوم القيامة هادياً مهدياً من ولد الحسين المظلوم، يحرفهم [بسيوف أوليائه] إلى نار جهنم
- 11- . ألا- ولعن الله قتلة الحسين ومحبيهم وناصرهم والساكين عن لعنهم من غير تقية تسكتهم ، ألا وصلى الله على الباكين على الحسين بن علي رحمة، واللاعنين لأعدائهم والممثلين عليهم غيظاً وحنقاً .
- 12- 4 - عن الإمام الصادق عن آبائه عن رسول الله صلوات الله عليهم أنه قال : من ضعف عن نصرتنا أهل البيت فلعن في خلواته أعداءنا بلغ الله صوته جميع الأملاك من الشرى إلى العرش ، فكلما لعن هذا الرجل أعداءنا لعناً ساعدوه ولعنوا من يلعنه ثم ثنوا فقالوا : اللهم صل على عبدك هذا الذي قد بذل ما في وسعه ، ولو قدر على أكثر منه لفعل ، فإذا النداء من قبل الله عز وجل : قد أجبت دعاءكم وسمعت نداءكم وصليت على روحه في الأرواح ، وجعلته عندي من المصطفين الأخيار
- 13- . ه - قال علي بن عاصم للإمام العسكري : إني عاجز عن نصرتك بيدي وليس أملك غير موالاتكم والبرائة من أعداءكم واللعن لهم في خلواتي ، فكيف حالي يا سيدي ؟ فقال : حدثني أبي عن جدي رسول الله قال : من ضعف عن نصرتنا أهل البيت ولعن في خلواته أعدائنا ، بلغ الله صوته إلى جميع الملائكة ، فكلما لعن أحدكم أعداءنا ساعدته الملائكة ولعنوا من لا يلعنهم ، فإذا بلغ صوته إلى الملائكة

استغفروا له وأثنوا عليه، وقالوا: اللهم صلّ على روح عبدك هذا الذي بذل في نصرة أوليائه جهده ولو قدر على أكثر من ذلك لفعل، فإذا النداء من قبل الله تعالى يقول: يا ملائكتي، إني قد أجبت دعائكم في عبدي هذا وسمعت نداءكم وصليت على روحه مع أرواح الأبرار وجعلته من المصطفين الأخيار

14- . تفوق التولي على التبري أو تقدم اللعن على الصلوات كثير من علماء الإسلام يرون تقديم التبري على التولي، وأقاموا الدليل على ذلك، وكتب بعضهم الرسائل المستقلة حول الموضوع، منها «أمانة الولاية» تأليف زند الكرمانى مطبوع، ورسالة «فضل اللعن على الصلاة» وهذه الرسالة مثبتة برقم 2842 في مكتبة «ملك» بطهران وإليك بعضاً من الدلائل والشواهد حول الموضوع: 1 - يظهر فضل التبري في كلمة الإخلاص الشريفة «لا إله إلا الله» والآية الشريفة: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى»

15- واللعن مائة مره في زيارة عاشوراء على التولي وهو الإقرار بالربوبية والإيمان بالله وذكر السلام، ومن هنا يُعرف أهمية التبري. نقل السيد الجزائري: وُصف للملك ركن الدولة بن بويه الديلمي، الشيخ الأجل محمد بن بابويه، و مجالسه وأحاديثه، فأرسل إليه على وجه الكرامة، فلما حضر قال له: أيها الشيخ، قد اختلف الحاضرون في القوم الذين يطعن عليهم الشيعة، فقال بعضهم: يجب الطعن، وقال بعضهم لا يجوز، فما عندك في هذا؟ فقال الشيخ: أيها الملك، إن الله لم يقبل من عباده الإقرار بتوحيده حتى يفنوا كل إله وكل صنم عبد من دونه، ألا ترى أنه أمرهم أن يقولوا: «لا إله إلا الله» ف«لا إله» غيره وهو نفي كل إله عبد دون الله و«إلا الله» إثبات الله عز وجل، وهكذا لم يقبل الإقرار من عباده بنبو محمد حتى نفوا كل من كان مثل مسلمة وسجاح والأسود العبسي وأشباههم، وهكذا لا يقبل القول بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلا بعد نفي كل ضد انتصب للأمة دونه. فقال الملك: هذا هو الحق.

16 - 2 - في التولي - مثل الصلاة على النبي وآله - سرور الموالى والآل، وفي التبري مثل اللعن على العدو سرور الموالين وكتب المعادين وتعذيبهم وإذلالهم.

17- 3 - الموارد التي جاء اللعن فيها في القرآن الكريم كثيرة تبلغ أعدادها العشرات [حدود 100 آية] ولكن موارد الصلوات لا تتجاوز أصابع اليد منها تظهر أهميه اللعن. 4 - للمحبة والتولي مراتب: 1 - المحبة اللسانية. 2 - المحبة القلبية. 3 - المحبة القلبية إلى درجة نصرة المحبوب والدفاع عنه، والتفر من عدوه، ولكل واحدة منها درجات. فالمحبة التي تجاوزت مرحلتها الأولى وبلغت إلى مستوى الدفاع والتبري واعتبرت حبيبتها العقل الخالص ومنشأكل خير واعتبرت الخصم والعدو جهلاً محضاً ومنشأكل شر، كما جاء في الحديث: «ذكركم ذكر الله وذكروا عدوكم ذكر الشيطان»، «إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه» هي خيرها. ولما كان التولي لا يكشف عن أية مرتبة من المراتب المتقدمة وكان التفر والتبري من العدو يحكي عن آخر درجات الحب يمكن أن يظهر أن التبري من التولي أعلى وأعلى. جاء خياط بقميصين إلى الإمام الصادق وقال: واحدة كنت ألعن عدوكم وأنا أخطيها، والثانية أصلي عليكم، فأيتها تختار؟ فاختار الإمام القميص الذي خاطه وهو يلعن، وقال: هذه أحب إلي

18- . قال الشاعر: چندی به سفر بودم و چندی به حضر *** ديدم بسى زاهل دانش و هنر معلوم شده ز صحبت اهل بصر *** ذكرى نبود نكوتر از لعن عمر أنا امرئ قطعت عمري بالسفر *** صحبت من صحبت من أهل النظر فلم أجد أشهى إلى أهل البصر *** أوقع في القلوب من لعن عمر هر كس كه گوید تبری ضرر است *** آن را نه زدين و زایمان خبر است فرزند على اگر تبری نکند *** فرزند على نیست ز نسل عمر است

19- من قال عن بغض ذوي النصب لِمَه؟ *** ليس له في عالم الدين سمه وليس ينمي لعلي المرتضى *** وإنما ينمي إلى ابن حنتمه

من هذا الخبر الشريف يظهر لأهل الانصاف؟؟؟ والحمد لله على وضوح الحجّة وظهور الكلمة وجريان الحق على لسان الأعداء.

ص: 49

فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَائِكُمْ، وَرَزَقَنِي الْبِرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ، أَنْ يَجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

...

الشرح : لمعرفة الأئمة عليهم السلام المراتب :

المرتبة الأولى : الإحاطة بمقامهم كما هو حقه ، وهذه المرتبة ليست في حيز أفهامنا .

جملة ادراكات از خرهای لنگ*** او سوار بادپایان چون خدنگ

والحديث الشريف: «من عرفنا فقد عرف الله» يمكن أن يكون إشارة إلى هذا المعنى(1) علل الشرايع بالإسناد عن سلمة بن عطا عن أبي عبد الله... بحار الأنوار 23 : 83 الرقم 22 ، كنز الكراچكي : 151 وبحار الأنوار 23: 93 الرقم 40 ، وراجع تفسيره في البحار في الموضوعين . (2) الاحتجاج : 121 عن أمير المؤمنين، بحار الأنوار 24 : 14 «لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتكم»، بصائر الدرجات : 52 ، بحار الأنوار 24: 251 الرقم 8. (3) بحار الأنوار 26 : 1 و 6 ، راجع أيضاً : مشارق أنوار اليقين : 160 . (4) بصائر الدرجات : 30 ، بحار الأنوار 106: 26 ح 5 و 107: 26 ح 10 . (5) مناقب ابن شهر آشوب 2 : 27 في مراكب أمير المؤمنين ومراقبه في الآخرة (6) الأعراف: 172 . (7) كشف الغمّة عن الدلائل للحميري ، إثبات الهداة 3: 426 . (8) مناقب ابن شهر آشوب 2: 432 في إمامة جواد الأئمة (9) والحديث المعروف الذي رواه الشيخ الصدوق عليه الرحمة أنّ

ص: 50

- 1- قال له [أي للحسين] رجل : يا بن رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، فما معرفة الله ؟ قال : معرفة أهل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته
- 2- «ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا»
- 3- . «يا سلمان ويا جندب ، قالوا : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : معرفتي بالنورانية معرفة الله عز وجل ، ومعرفة الله معرفتي بالنورانية ... أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد ، وكلنا محمد فلا تفرقوا بيننا ، ونحن إذا شئنا شاء الله ، وإذا كر هنا كره الله
- 4- . سدير عن أبي جعفر ، سمعته يقول : نحن خزان الله في الدنيا والآخرة ، وشيعتنا خزاننا ، ولولانا ما عرف الله .
- 5- الإمام الصادق : الأوصياء من آل محمد الاثني عشر (كذا) لا يعرف الله إلا من عرفهم .
- 6- أبو هاشم قال : كنت عند أبي محمد فسأله محمد بن صالح عن قول الله تعالى : «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ»
- 7- ثم ذكر الجواب ، إلى أن قال أبو هاشم : فجعلت أتعجب في نفسي من عظم ما أعطى الله وليه وجزيل ما حملة ، فأقبل إلي أبو محمد فقال : الأمر أعجب مما عجبت منه يا أبا هاشم ما ظنك بقوم من عرفهم فقد عرف الله ، ومن أنكرهم أنكره الله
- 8- . فصاح [الإمام محمد التقي الجواد] بي : يا عسكر ، تشكون فننبئكم ، وتضعفون فنقويكم ، والله لا وصل إلى حقيقة معرفتنا إلا من من الله عليه وارتضاه لنا ولياً

- 9- . (1) قال النبي يا علي ، ما عرف الله حق معرفته غيري وغيرك ، وما عرفك حق معرفتك غير الله وغيري . [ابن شهر آشوب 2: 51 في المفردات من مناقبه ، بحار الأنوار 39: 84 ط طهران] (2) قال أمير المؤمنين في كلام له مع سلمان وأبي ذر : يا سلمان ويا جندب ... لأننا كلنا واحد ، أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد فلا تفرقوا بيننا . [بحار الأنوار 26: 7 ، وتقدم ما يدل على ذلك وتأتي في أحاديث أخرى - أيضاً - ذيل فقرة «أسأله أن يبلغني المقام المحمود الذي لكم عند الله»]

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا علي ، ما عرف الله إلا أنا وأنت، ولا عرفني إلا الله وأنت، ولا عرفك إلا الله وأنا... (1). بناءً على ثبوت أحكام أمير المؤمنين للأئمة من ولده أن يكون شاهد صدق على المدعى ؛ لأنهم شركاء في الخصائص والأحكام والصفات كما ورد في الأخبار (2) .

المرتبة الثانية : الاطلاع على أسرارهم ، وسرائرهم ، والوقوف على بواطنهم وضمائرهم إلى المثوى الذي لا يخرج عن الإطار البشري، ولهذا أيضاً مراتب وهو مقول على التشكيك ، ودرجة الخصيصين من الشيعة والصدّيقين والأولياء،

ص: 51

ويظهر من أخبار أهل البيت أن سلمان الفارسي وأبا حمزة الثمالي ويونس بن عبد الرحمن مولى آل يقطين وجماعة آخرين وصل كل واحد منهم إلى مرتبة من مراتب هذا المقام. ويستفاد من مجموع الأخبار أنه ليس في الصحابة أفضل من سلمان ، وهذا الحكم لا يجري في أهل البيت لأن سلمان وإن كان منهم إلا أنه مُنزل إلى ذلك تنزيلاً، وهو من المحقق من الطائفة أي من أهل التشيع .

المرتبة الثالثة : الاطلاع على مراتب كمالاتهم ومدارج مقاماتهم العالية كما يظهر ذلك من أخبار أهل البيت وآثارهم الشريفة من العلم والحلم والتقوى والشجاعة والسماحة، واحتياج جميع الخلق في جميع أمورهم إليهم.. وكونهم وسطاء لجميع الفيوض الإلهية والمواهب الربانية ، ولهم الإمامة على ما في الوجود جميعاً، وهذه المرتبة هي مقام العلماء والفقهاء والمؤمنين والحكماء والعرفاء ومن اقتبس من مشكاة أنوارهم أو اغترف من بحر فضائلهم المحيط أكثر يكون أرسخ قدماً في هذه المرحلة وأرفع درجة فيها.

المرتبة الرابعة : الاعتراف بإمامتهم ومالهم من الكمالات إجمالاً وهذه حظ العوام من الناس.

وهذه المراتب جميعاً تتفاوت على نحو التشكيك فتكون عند بعض أجيال وأكمل منها عند البعض الآخر ، ويرجع إلى اختلاف الاستعداد عند الأصحاب. لمؤلفه :

واختلاف الهيولات دليل*** لاختلاف الحظوظ والأنصاء (1)

وتجري المراتب الثلاثة بل الأربعة في معرفة أوليائها على حسب مراتبهم أيضاً. والمعية على ثلاثة أقسام ...

المعية القيومية وهي عبارة عن الإحاطة بوجود الشيء بالحيثية التي يستحيل

ص: 52

1- والبيت مضطرب وزناً ومعنى (المترجم) ديوان المؤلف : 12 .

معها الانفكاك ، ومعنى ذلك أنّ المقيم لو سلب علاقة الإقامة منه ينعدم من الوجود، وهذه المعية هي معية الله مع خلقه . «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ»(1). قال النظامي ونعم ما قال:

زير نشينى عَلمت كائنات*** ما به توقايم چه توقائم بذات

الثاني : معية المصاحبة وهي عبارة عن انضمام شيء لشيء بحسب الجسمانية كانضمام شخصين لبعضهما البعض أو خطين أحدهما إلى الآخر.

الثالث : المعية الروحانية وهي التماثل في الأخلاق والأطوار والتشابه في السلوك والأفعال، وهذه المعية عموماً نادرة جداً وهي قليلة الاتفاق .

وما يطلبه السائل من الله تعالى هو المعية الروحانية مع أهل بيت النبوة في الدنيا والآخرة، وهذا المعنى لا يتحقق إلا إذا تدرّجت النفس في مراقي الكمالات وأماطت عنها رداء الرذائل وجلت صداً الشقاوة بصيقل العلم والعمل من مرآة القلب لكي تنعكس هذه الأنوار المقدسة بحسب مرتبتها وتتألاً ظلالها في ذاتها . وحينئذ تبلغ درجة المعية حتماً ويقيناً. فتبين من هذا أن روح المعية هي المعية الأولى وهي لا تتم إذا فقدت السخية .

ولمّا كان مقدّمة هذا العمل تولّي الذوات القدسيّة والأنوار الإلهيّة بحقيقة الولاية وتمام المتابعة، ويناسب ترائي هذه الدرجة معرفة الله بحق وذكره من خلال هذه المعرفة، لأنّ ذلك ذاتاً وسيلة عظمي لنيل هذا المقام وصفة جمالية يوجب ذكرها تحريك سلسلة الإجابات، فيسأل الله نيل هذا المقام .

وبناءً على هذه الملاحظة استعملت فاء التفرّيع بعد البرائة وأثبت الله تعالى صفة الإكرام بمعرفتهم .. «وأكرمني بمعرفتكم» لكي تكون موجبة لجلب أمثال هذا الشرف وإعطاء أمثال هذه الكرامة ، والله أعلم .

ص: 53

وَأَنْ يُثَبِّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ...

الشرح : جاء معنى القدم في كتب اللغة على معان عدّة منها قدم الرجل وهو أشهر معانيها ، والآخر الفضل والسابقة كما حكوا ذلك عن الواحد في «البسيط» واستشهد بهذا البيت لغيلان ذي الرمة أنّه قال :

وأنت امرئ من ذؤابة (كذا) ⁽¹⁾ لهم قدم معروفة ومفاخر

والمعنى التالي نقل عن أحمد بن يحيى : القدم ما قدمت من خير .

والمعنى التالي نقل عن ابن الأنباري : القدم عبارة عن العمل الذي يطلب به التقدّم بلا تأخير أو إبطاء .

وقال الفخر الرازي: واستعمال القدم في هذه المعنى لأنها لا يتم السبق والسعي إلا بها ، ولمّا كانت السبب في وجودها سميت بها ، كما يقال للنعمة يد، وهذا الوجه لا يتم إلا في المعنى السابق ، والمعنيان الآخران مأخوذان من التقدّم.

ويمكن أن يقال في القدم أيضاً بأنّها مأخوذة منه ، لأنّها سبب للتقدّم. وعبارة الفخر الرازي مأخوذة من الكشاف وهي منحصرة في المعنى السابق، ونشأ هذا الإشكال من التصحيف والإبدال.

وفي الآية الكريمة : «وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ» ⁽²⁾ ذكر المفسرون لها احتمالات عدّة:

الأول: المراد بالقدم الأعمال الصالحة، وهذا يرجع إلى المعنى الذي ذكره أحمد بن يحيى .

ص: 54

1- «وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابة» وبعده العجز من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة لعنه الله . ديوانه 2 : 1011 ط بيروت مؤسسة الإيمان، شرح أبي نصر الباهلي، الثانية 1402 . (المترجم)

2- يونس : 2 .

الثاني : معناها الثواب.

الثالث: شفاعة النبي، ونسب هذا الوجه في التفسير الكبير إلى ابن الأنباري وقال: استشهد بهذا البيت:

صل لذي العرش واتخذ قدماً***ينجيك يوم العشار والزلل (كذا) (1)

ومعلوم أنّ هذا الشعر شاهد على المعنى الأول ولا يدلّ على إرادة الشفاعة بوجه من الوجوه، ولعله خطأ من الناسخ وإن كان بعيداً إلى حد ما، والله أعلم.

وفسر بعضهم القدم بالمقام، والظاهر أنّ ذلك بعلاقة القيام الذي لا يتحقق إلا بالقدم .

وفي تفسير حقائق التأويل، فسّر القدم تارة بالسابقة العظيمة حسب العناية الإلهية وتارة بمقام القرب الحاصل من التخصيص والشريف الأنزلي بحسب الاجتباء الرباني، وكلا- المعنيين يناسب ما ورد في أخبار أهل البيت عليهم السلام فإنّها فسّرتة أحياناً بالشفاعة وأحياناً بالولاية وأحياناً بالوجود النبوي المقدّس؛ ومرجعها واحد فإنّ المقصود من مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو مقام الشفاعة، والشفاعة لا تحصل إلا بحصول الولاية، ولا تلائم هذه المعاني بأجمعها معنى فقرة الزيارة هذه إلا معنى الولاية وهو غاية في البعد.

وأحسن الوجوه طبقاً لقوانين العربية في الآية الكريمة وفي فقرة الزيارة أن يكون لفظ «قدم صدق» مثل يد الشمال وهي استعارة ترشيحية والمعنى: أن تثبت قدمي اليمنى عندكم وهي كناية في أن يكون الداعي بصدق الإرادة والعقيدة الحقة معهم في الدنيا والآخرة.. ولا تصدر عنه في النشأتين خيانة أو كذب .

ومن هنا يعلم أن ما ذكره الكشاف ومن تابعه مثل الرازي والبيضاوي

ص: 55

1- وينبغي أن يكون «العشار». (المترجم)

والنیشابوري وغيرهم من أن إضافة قدم إلى الصدق للتأكيد ويكون محصل معناه لهم قدم صدقاً مثلاً لا وجه له ، وهو بعيد عن الذوق السليم، ولما كانت نتيجة قدم الصدق على النحو الذي قلناه هو نيل الشفاعة في الآخرة فإنها جاءت في أخبار آل الرسول مروية عن الكافي وتفسير علي بن إبراهيم وتفسير العياشي وغيرها من الوجوه المذكورة فإنها ترجع إلى الشفاعة كما بيّناه .

ص: 56

وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ...

الشرح : التبليغ ، تفعيل من البلاغ، ويتعدى إلى مفعولين، وورد في الأدعية الكريمة تارة بَلِّغْ بِي وَبِنِيَّتِي ، وبلغ بهم ، والباء هنا زائدة للتأكيد وهذا شاهد مذهب الأخفش من جواز إقحام الباء في الإيجاب.

المقام مرّ معناه بحسب اللغة (1) وفي اصطلاح العارفين كل كمال ينال السالك فإن زال سمّي حالاً، وإن ثبت سمّي مقاماً. إذن ، فالمقام في مراتب القلوب بمثابة الملكة في صفات النفوس، واستعمال المقام في هذا المقام يناسب هذا المعنى .

الحمد : معناه بالفارسية «ستايش كردن» واختلفوا في التفريق بين معاني الحمد والشكر والمدح ، وغالباً تكون ديباجات كتب العلماء مشحونة منه إلى الحد الذي يدرك الأذكياء الملل من مطالعته وتأمله، فالأولى أن لا نعرض له وندخل إلى تفسير المقام المحمود .

ادعى في مجمع البيان إجماع المفسرين على أن المراد من المقام المحمود في الآية الكريمة: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً» (2) هو

مقام الشفاعة (3) وهذا المعنى وإن كانت الأخبار الصحيحة تقتضيه في الآية الكريمة وفي المقام التقريبي الذي سترسمعه ولكن إجماع المفسرين ليس حجة بوجه من الوجوه ؛ لأن مرجع المفسرين إلى مثل الكلبي والسدي والحسن وعطاء وقتادة ومجاهد وهم الطبقة الأولى من المفسرين، وتفسير هؤلاء يأتي أحياناً بحسب الذوق الذي اكتسبه لطول المران وبعضهم يفسر القرآن تمثيلاً وراء

ص: 57

1- في شرح فقرة «ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم....» (هامش الأصل)

2- الإسراء : 79 .

3- وقد أجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة مجمع البيان 6 : 284 . (المترجم)

الأهواء النفسانية والتسويات الشيطانية، وجماعة منهم بادعاء السماع من مشايخ التفسير مثل ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وغيرهم، وبناءً على أصول الإمامية المتبعة ليس قول أحد من هؤلاء حجّة، وإن كان ابن عباس رضي الله عنهما مضافاً إلى عدم ثبوت وسائط السند وفي حال النقل لا تتوفر شروط القبول في أي واحد منهم، بل المتبع إما من ظاهر اللفظ المستأنس من اللغة والمتمرن بفهم معانيها يجد ذلك كما كانت عليه طريقة علماء الفريقين خلفاً عن سلف ثابتة على استفادة المطالب الرشيق والمعاني الدقيقة من آيات القرآن فلم تجمد القرائح ولم تتوقف الأفهام لأنّ الحسن أو قتادة نطق أو رأى كذا.

وإما أن يجد ذلك عند أهل البيت الذين نزل القرآن في بيوتهم، وهم المخاطبون به، ووصل تفسيره عنهم بطرق معتمدة، بل يرجع في المحكمات إلى الأثر (1) فإن كان موافقاً للظاهر فنعم الاتفاق وإلا - فمحمول على التأويل المخزون وإظهار بعض البطون. نعم، في المتشابهات التي لا تستنبط من الظواهر ينحصر المرجع إلى الأخبار، وإذا ما استشهد أحياناً بقول المفسرين فلا يخلو إما لتأييد الفهم المدعى وإما لإلزام الخصم وإلا فلا حجّة بقول الحسن ونظائره بحال من الأحوال. ويناسبه ما في الاحتجاج عن عبدالله بن سليمان قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال له رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعمى: إنّ الحسن البصري يزعم أنّ الذين يكتمون العلم تؤذي ريح بطونهم من يدخل النار! فقال أبو جعفر عليه السلام: فهلك إذن مؤمن آل فرعون والله مدحه بذلك، وما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله رسوله نوحاً، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله ما يوجد العلم إلا هاهنا، صدق ولي الله عن رسول الله عن الله (2).

ص: 58

1- أي ظاهر اللفظ المستأنس باللغة ... الخ . (المترجم)

2- الاحتجاج 2 : 68 ط دار النعمان .

و مجمل القول أنّ هذا الحديث وإن ذكر استطراداً إلا أننا أوردناه لتذكّره بعض المعاصرين الذين يرون أنّ الاقتصار على أقوال المفسرين وخيالاتهم لا بد منه،

ولا يستحسن تخطّيها، وهذا تحيل طريق واشتباه عجيب ظاهر البطلان جداً.

والخلاصة أنّ ظاهر لفظ «المقام المحمود» هو تلك الدرجة من الكلام المستوجبة لحمد كلّ أحد من جميع الجهات، وهو نتيجة لقرب النبي من قيامه بالنوافل، ويمكن أن يراد فيه المقام المحمود بالحدف والإيصال أي المقام الذي يقع فيه الحمد كما يدلّ عليه ما جاء في توحيد الصدوق عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (حديث طويل يقول فيه عليه السلام) وقد ذكر أهل المحشر ثمّ يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو المقام المحمود فيثني على الله تبارك وتعالى بما لم يثن عليه عليه أحد قبله، ثمّ يثني على كلّ مؤمن ومؤمنة يبدأ بالصدّيقين والشهداء ثم بالصالحين فتحمده أهل السماوات وأهل الأرض، فلذلك قول الله عزّ وجلّ: «عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً» (1) فطوبى لمن كان في ذلك اليوم له حظّ ونصيب، وويل لمن لم يكن له في ذلك اليوم حظّ ونصيب. (2)

وفي هذه الرواية إشعار على أنّ المقام الحمود مقام يقع فيه حمد الخلق له، ويمكن بشيء من التأمل إرجاعه إلى الوجه الأوّل؛ لأنّ الحديث فرع الحمد على حسن ثناء النبي على ربّه وبلاغ الثناء وكمال الحمد بالمعرفة التامة وشدّة القرب ووفور العلم، ولما امتاز عن الأنبياء وسائر المخلوقات بحسن الثناء بلغ درجة الكمال التي استوجب بها حمد الخلق أجمعين لاسيما حين جعل الفيض الخاص والرحمة المخصوصة قسمة بين أتباعه من أهل الإيمان فقد صار سبباً لشكر قوم

ص: 59

1- الإسراء: 79.

2- توحيد الصدوق، تفسير نور الثقلين 3: 205 الرقم 390. (هامش الأصل) التوحيد: 261. (المترجم)

و موجباً لحسرة آخرين، وصار علة لظهور مقاماته في عرصة الحشر والعرض الأكبر ، فقد أثنى عليه الوجود وعموم الموجود طوعاً وكرهاً، وحمدوه كافة وصلوا من أجل جلالته .

وكلهم من رسول الله ملتمس***غرفاً من البحر أو رشفاً من الدير

والتفسير بالشفاعة في الأخبار من هذه الجهة أيضاً وهي واحدة من مصاديق المقام المحمود وإن كان في عبارة زيارة الجامعة يظهر التعدد في المقام المحمود

والشفاعة : «ولكم المودة الواجبة والدرجات الرفيعة والمقام المحمود والمكان المعلوم عند الله عز وجلّ والجاه العظيم والشأن الكبير والشفاعة المقبولة».

ويظهر من هذه العبارة الفرق بين المقام المحمود والشفاعة وإلا لما تعدداً إلا أن نقول : إن الكمال اعتبر في المقام المحمود فكانت الشفاعة داخله ضمنه . وثانياً إنّما ذكرت الشفاعة وأفردت عن المقام المحمود لاختصاصها بمزيد التشريف، لاسيما مع التصريح باتصافها بالقبول فإنها تولد لذة أخرى في الأسماع، وطرباً جديداً في قلوب المحتاجين .

وجملة القول : إنّ ظاهر فقرة الزيارة وهذه الزيارة الجامعة مشاركة الأئمة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في المقام المحمود أيّاً كان معناه وعمومات الأخبار المعتمدة دالة على مشابهة الأئمة لذلك الجناب في جميع الفضائل . نعم، الفرق المتصور في عالم الفرق من حيث أنّ حقيقة الكمال والذات الفاضلة من مقولات التشكيك كان هذا

الاختلاف متصوراً والواقع أن درجة الإصالة والوساطة محفوظة لمقام النبوة.

في الكافي وساق السند إلى صادق آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : ما جاء به على آخذ به، وما نهى عنه أنتهي عنه ، جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم،

ولمحمّد الفضل على جميع الخلق - إلى أن قال : - وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد. (1)

وفي الكافي أيضاً بسند آخر ومتن قريب من هذا المتن يقول بعد التسوية بين النبي والوصي وبذلك جرت الأئمة واحداً بعد واحد. (2)

وفي كلا الخبرين يقول أمير المؤمنين عليه السلام : وأقرّ لي جميع الملائكة والروح والرسل بما أقرّوا به لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وأيضاً في خبر آخر بعد تعميم التسوية وجرى للأئمة واحداً بعد واحد - إلى أن قال : - يجري لآخرهم من الله مثل الذي جرى لأولهم، ولا يصل أحد إلى ذلك إلا بعون الله تعالى. (3)

وشاهد العقل على هذا العموم بأيدينا لأن مقتضى الوراثة المعنوية والانتساب الروحاني والاتصال بلا تكيف والقياس القلبي والاشتقاق اللبي بين الوصي والنبي هي انتقال جميع الكمالات من المورث إلى وارثه وكلما كانت طبقة الوارث أقرب والواسطة أقل كانت جهة الاتصال أقوى وانتقال الميراث أشدّ . وبالضرورة ليس أحد من أئمة الهدى أقرب منه إلى مقام النبوة الخاتمة التي هي منبع الفيوضات الربانية ومشرق الأنوار السبحانية ، من ثمّ كانت كمالات النبوة على الوجه الأتمّ سارية في وجوده ومتجلّية لا محاله ، وإن لم يجرز إطلاق اسم «نبي» عليه ومن هذه الجهة قال أمير المؤمنين في الخطبة القاصعة : قال لي النبي : إنك لتسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي وإنك لوزير ، وإنك لعلّى خير. (4)

ص: 61

-
- 1- الكافي 1 : 196 باب 14 ح اكتاب الحجّة . (هامش الأصل)
 - 2- الكافي 1 : 197 باب 14 ح 2 كتاب الحجّة . (هامش الأصل)
 - 3- الكافي 1 : 198 باب 14 ح 3 كتاب الحجّة . (هامش الأصل)
 - 4- الخطبة الخامسة (5/5) 190. (هامش الأصل)

أخيراً نقول : إن مشاركة أئمة الهدى في هذه الكمالات وإن كانت على وجه الظلّية والأصلية (1) إلا- أن أصل اتصافهم بها طبقاً للأخبار المتواترة بالمعنى ، بل هذا هو المرتكز في أذهان الشيعة ليس موضعاً للشك أو التردد، وهذا كلام مفروغ منه عند الجميع إلا أن المسألة التي يمكن أن تحرّر للنزاع هي : ما وجه اتصاف الآخرين بهذه الكمالات؟ وتظهر جليّة الحال بقليل من التأمل وذلك بالاعتبار السالف من أن هذه الكمالات والفضائل جميعها على التحقيق مشككة ومختلفة المراتب ومتفاوتة المدارج ؛ لأن درجات الكمال بصورة عامة لا تتناهي، وليس لها حدود تنتهي عندها، وفي متابعة الأئمة إمكان نيل كلّ شرف والوصول إلى كلّ فضل ، ولا مانع من طلب بلوغ هذه الدرجة بالدعاء .. لأننا نجد في كثير من الأخبار ما يدل على إمكان بلوغ هذه الدرجة «كان معنا وفي درجتنا» (2) وهذا منزل على الاختلاف المذكور الذي لا ينافي الاجتماع على التعدّد الذي لا يعارض الاتحاد.

إنّ النجوم في علو قدرها***ليس سهاها في السنا كبرها

تتميم

فسرّ قوم من أهل المعارف «المقام المحمود» بختم الولاية المحمدية المطلقة ، ويتم ذلك بظهور المهدي عليه السلام ، ومادام لم يبلغ هذه فإنه ما يزال في مقام الحامدية والمحمودية، فإذا بلغ قوسا الدائرة الأوج الختامي للصعود، وظهرت شمس الحقيقة من مغرب الولاية فإنه حينئذ يتجلّى بتمام كمالاته المرتقبة على الوجه الأتمّ من دون نقص أو كسر على ما هي عليها.

إذن، فمقام المحمودية للنبي إنّما يتأتى عندما تستوفي البعثة أهدافها، وتكمل

ص: 62

-
- 1- لعله يريد بالظلية أن جانباً منها تبع للنبي والجانب الآخر وهو الأصلية ذاتي لهم.
 - 2- الأمالي ، مجلس 27 الرقم 5 ، عيون الأخبار 1 : 299 ، بحار الأنوار 44 : 286 .

دائرة الولاية، وينتشر الإيمان في القلوب المستعدة، ويمحى الظلم والعصيان رأساً من على وجه الكرة الأرضية، وهذا الكلام يناسب هذه الزيارة على فرض تحققه، وتمني بلوغه كناية عن طلب درك تلك الدولة السعيدة، وزيارة تلك الطلعة الرشيدة. «اللهم أرنا تلك الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة».

ای حجت منتظر که رویت هست***پاک آینه تجلی یزدان

سبحان الله خدا نه چونت***رخ در سبحات غیب شد پنهان

یا قائم الآل یا من فی محیاه***على الیقین تجلی ربنا الله

ما غبت عن ناظر الدنيا بغیبتہ***في مغرب الغیب ربّ قد عبدناه

وجملة القول أن هذا الوجه ملائم تماماً للقول التالي الذي قيل لتكميل هذا الفرض وتوضيح هذا القصد .

ص: 63

وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِي مَعَ إِمَامٍ مَهْدِي ظَاهِرٍ نَاطِقٍ مِنْكُمْ ...

وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِي مَعَ إِمَامٍ مَهْدِي ظَاهِرٍ نَاطِقٍ مِنْكُمْ ... (1)

الشرح: مرّ معنى الرزق والثأر سلفاً (2) وفائدة التكرار في هذه العبارات وإعادة هذا الطلب إما لإظهار منتهى التشوّق وغاية التضرّع في حصول هذا الانتقام، وإمّا لأنه في الفقرة الأولى أضاف الثأر إلى أهل البيت «وثأركم» يريد أن ينصرهم ويطلب بدمائهم، وهنا في هذا المقام أضافه إلى نفسه «ثأري» من أجل الملاحظة التالية وهي أنّه لمّا كان من شيعتهم فكانّ الظلم الواقع عليهم واقع عليه؛ لاتصال الفطري بهم، وبناءً على القاعدة المطردة بين الناس أن ما يقع على الرؤساء والأقرباء ينسب وقوعه على العشيرة والأتباع، فيقولون فعلنا وسمعنا كذا، وإمّا الفاعل والسامع غيرهم - الرئيس أو القريب - وهذه سنه مطّردة وقاعدة مستمّرة في باب التعبير عند العرب والعجم.

وإمّا لأنّ الظلم واقع عليه فعلاً ودمه مراق حقاً من أثر الظلم الواقع على أهل البيت؛ لأنه لو كانت دولة الحق قائمة ودولة الباطل مهزومة لما غلب الباطل ولم يقع الاعوجاج والظلم على وجه الأرض. فلم يقع كل هذا الفعل الفضيع والعمل الشنيع من سفك للدماء وهتك للأعراض وسلب للأموال مطلقاً... (3) النور: 36 - 37. (4) الزيارة الجامعة. (5) بحار الأنوار 252:50 (هامش الأصل) (6) نور الأنوار للمرندي: 412. (هامش الأصل) (7) جاءت هذه العيارة بالفارسيّة هكذا: «ما يكيم اندر بدن» (المترجم) (8) ما في المعاني تقسيم وأعداد*** وليس تجزية فيها وإفراد (9) الحديد: 17 (10) الإسراء: 33. (11) هود: 46. (12)

ص: 64

1- جاء في كامل الزيارة: «طلب ثارك» وفي المصباح: «طلب ثاري» (هامش الأصل)

2- في قوله: «أن يرزقني طلب ثارك»، ومعنى الثار في قوله: «السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره» (هامش الأصل)

3- في بعض النسخ: «طلب تارك» ولعله هو الصحيح وتوافق الفقرة المازّة «طلب تارك مع إمام منصور» ولكنّ العبارة السالفة: «طلب ثاري» ليست باطلة ولا هي خطأ، فقد ذكر العلماء لها وجوهاً: 1 - إنّ النبي والأئمة الأطهار هم وسائط الفيض التي عمّ الموجودات كلّها جميعاً، ومنهم حسب الوجود كله الفيض، وأينما رفع منار فهو منهم كما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة: بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض... بكم ينفس الهم ويكشف الضر، وأشرقت الأرض بنوركم... وروي عن أمير المؤمنين أنه قال: «أنا أحبي وأميت». ومن هذه الجهة عرفوا بأنهم قوام العالم ووسيلة الوجود وسبب خلق الموجودات. ولكن من جهة أخرى وباعتبار جانبهم البشري يقول النبي: أنا عبد الله، اسمي محمد، ولا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً...» ويقول أيضاً: «أنا عبد الله مرزوق ومخلوق» ويقول أمير المؤمنين: «أنا عبد من عبيد محمد». وبلحاظ المعنى الثاني يقول قائلهم: «جالسوا من يذكركم الله رؤيته» لأنّ لأولئك نور الله والعظمة الربانية، وإنما تجلوا في بيوت ليراهم الناس، وبواسطتهم يتوصلون لمعرفة الله جلّت عظمته. «في بيوت أذنّ الله ن ترفع ويذكر فيها اسمه... رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله»

4- وقالوا: «من رأني فقد رأى الحق» و«من عرفني بالنورانية فقد عرف الحق» و«من عرفهم فقد عرف الله ومن جهلهم فقد جهل الله» ويكون مع ملاحظة هذه الجهة قتل أحدهم وإطفاء نوره قتلاً لمفيض النور ومعطيه. لو جئته لرأيت الناس في رجل*** والدهر في ساعة والعمر في نار ولمّا كان نور الأئمة والأنبياء نوراً واحداً مع حفظ مراتبهم، لذلك قالوا: «وإنّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض»

5- وهذه مسألة ابن أبي العوجاء والجواب منا، واحد، وإذا كان معنى المسألة واحدة جرى لآخرنا ما جرى لأولنا، وأولنا وآخرنا في العلم والأمر سواء، ولرسول الله وأمير المؤمنين فضلهم.

6- و«من زار أولنا زار آخرنا، ومن زار آخرنا فقد زار أولنا، ومن تولى أولنا تولى آخرنا، ومن تولى آخرنا فقد تولى أولنا»

7- . ونحن الأولون ونحن الآخرون» و«أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد؛ فلا تفرقوا بيننا...». و«كلنا قائم بأمر الله ..» و«أنا محمد ومحمد أنا» و«نحن اثنان في بدن...»

8- و«أنا من حسين وحسين مئي» و«حسين لحمي ودمي، من جفاه فقد جفاني»، ويقول الإمام الحسين: «أنا آدم أنا نوح...». يقول الملا الرومي: در معانی قسمت و اعداد نیست*** در معانی تجزیه و افراد نیست

9- أطلب المعنى من القرآن قل*** لا- تفرق بين آحاد الرسل وحقاً يقال: إن المصيبة التي نزلت في الحسين نزلت برسول الله وبتمام الأنبياء والأئمة الأطهار والمؤمنين، وقتل سيد الشهداء قتل لهم جميعاً. وضح ما يقال في الزيارة: «أن يرزقني طلب ثأري» وضح أن ينسب الثأر إلى نفسه. وإلى هذه الملاحظة يمكن أن يعزى قول رسول الله ما أؤذي نبي كما أؤذيت، مع أن إيذاء النبي لا يعدل المصاعب التي تلقاها نوح وصبر على ذلك، وكان النبي مأموراً بالدفاع والجهد وهو يعطيه فرصة من التنفيس عن بعض الآلام. ويقول الإمام الصادق: «شيعتنا منا، خلّقوا من فاضل طينتنا، يحزنون لحزننا، ويفرحون لفرحنا». ويقول: «نحن جذور الشجرة وشيعتنا ورقها فإذا تضرر الجذر الحق الضرر بالورق». 2- للقتل مراتب ونماذج؛ فأحياناً يزال وجود الشخص كله بالقتل، وربما محوا آثاره الكمالية وحرّموا الآخرين من الاستفادة منه، وأحياناً يعرض الشخص للقتل و... لذا جاء في الروايات: «من أذاع سرنا قتلنا» و«لعن الله أمة قتلتكم بالأيدي والألسن» و«من رضي بقتل قوم فهو منهم» وموارد أخرى، ومن هذه الجهة يمكن أن يقال لكل واحد من الموارد إعلان فلان مقتول ومن الناحية هذه قال أمير المؤمنين: «أنا أميب وأحيي» وفسروا هذه الجملة على النحو التالي: أحيي السنة وأميت البدعة. ويقول الإمام زين العابدين إليها متحدثاً عن حكم القصاص ألا أخبركم بقتل هو أعظم من هذا القتل؟ قالوا: بلى، قال: أعظم من هذا القتل قتل امرئ بشكل لا تمكن له الحياة من بعده وذلك بإضلاله عن نبوة محمد وولاية عليا، وإدخاله في طريق يتبع به أعداء علي، وهذا هو القتل الذي ينبغي أن يخلد صاحبه بالنار. وقال الإمام الباقر في تفسير الآية الشريفة: «اعلموا أنّ الله يُحيي الأرض بعد موتها قد بيّنا لكم الآيات لعلكم تعقلون»

10- إن الله تعالى يحيي الأرض بعد موتها لقائم آل محمد. ونقرأ في زيارة صاحب الأمر: «السلام على محيي المؤمنين». وأيضاً نقول في دعاء الندبة لإظهار الشوق لظهور الإمام: «أين محيي معالم الدين وأهله...». والآن يظهر معنى عبارة الزيارة جلياً شريطة وضع المطالب السالفة نصب العين على النحو التالي: اللهم مد في أجلي حتى أطلب الثأر ثأر ذلك الدم الذي هو أصل الحياة وأصل حياتي العلمية وكمالاتي، وباراقته حجزوني عن الكمالات الإنسانية وصاروا سبباً في هلاكي. 3- كل العلماء - من العامة والخاصة - على هذه العقيدة وهي أنّ النبي وأوليائه هم آباء الأمة الروحانيون كما قال النبي: «أنا وعلى أبوا هذه الأمة». وكذلك يرى الجميع أولاد القتل هم أولياء دمه ومن حقهم المطالبة بثأره وإجراء القصاص على القاتل كما قال الله تعالى: «وَمَنْ قَتَلَ مُظْلوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلطاناً».

11- ومن المسلم به أن من لا يقتدي بأبيه الروحاني فهو من أتباع إبليس ومن حزبه، ومن ثم لا يكون «الولي» آباء الروحاني، كما أن: يسر نوح با بدان بنشست*** داستان نبوتش گم شد وصار ابن نوح من الأخيشت*** فضاعت نبوته بينهم وجاء النداء من الله مخاطباً نوحاً: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ»

12- . و مما تقدم نأخذ من المقدمات النتيجة التالية وهي أن الإمام الحسين الأب الروحي لأحبابه وشيعته وهؤلاء بعد الأئمة المعصومين فهم أولياء دم الحسين المقدمين لاسيما ولي العصر أرواحنا لمقدمه الشريف فداء في الدرجة الأولى يحسبون فيمن يطلب بدمه إذا يصح لهم القول: «اللهم ارزقني حتى أطلب بدم أبي الروحي».

الهداية : معناها فيما يقتضيه التحقيق واختاره أهل التحقيق أيضاً الإرشاد والدلالة سواء كانت موصلة أو لا، وما ذكر قوم من أنه ينظر إلى ما يتعدى به فإن كان باللام أو بـ«إلى» فهو بمعنى الرشاد وإيضاح الطريق، وإن كان متعدياً إلى مفعولين فهو بمعنى الإيصال، وهذا التفصيل مع كونه خلاف الاعتبار فهو خلاف الاستعمال الصحيح لأنه يمكن أن يقال إذا تعدى إلى المفعولين فهو متضمن

ص: 67

الإرادة لأنها تتعدى إلى مفعولين، وإذا تعدى بـ«إلى» واللام، فهو مضمّن معنى الإيصال لأنه يتعدى بأحدهما، وفي القرآن المجيد: «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» (1).

والمراد هنا صرف الإرادة لأنه لا منة في الإيصال إلى طريق الشر، بل لعله يفضي إلى التناقض لأن الوصول إلى الخير أو الشر إذا كان في الأمر الواحد فهو تناقض صريح، وكذلك: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ» (2) فالمراد منه ليس الإيصال بالضرورة.

وتأتي الهداية أحياناً بمعنى التلويح، وفي هذه الحال تتعدى باللام، وأما تعديها بمفعولين أو بـ«إلى» فإن ذلك بتضمينها معنى الإرادة والتعريف، وأحياناً تشرب معنى الإيصال والإرشاد، وأحياناً تكون البداية بمعنى التوفيق، وهو تهيئة أسباب الخير، فتستعمل في ذلك ويقابلها الإضلال بمعنى الخذلان، ومنه قوله تعالى: «وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» (3)، وقول الشاعر:

فلا تعجلن هداك المليك***فإن لكل مقام مقالا

وظنّ الزمخشري في الكشف أن مفهوم الإيصال مأخوذ في مفهوم الهداية مطلقاً وهو عبارة عن: الدلالة الموصلة إلى المطلوب، واستدل بثلاثة أوجه:

الأول: وقوع الضلالة مقابلة للهداية في قوله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى» (4). ولو لم يكن مأخوذاً من الوصول لما حصلت المقابلة.

الثاني: لو لم يكن كذلك لما كان لفظ مهدي مثلاً أو مهتدي يستعمل في مقام المدح لأنه بناءً على المعنى غير المختار يكون الاهتداء أعم من الوصول وعدمه.

ص: 68

1- البلد : 10

2- الإسراء : 9 .

3- الرعد : 33 .

4- البقرة : 16 .

الثالث : إنّ الاهتداء مطاوع هدى يقال هديته فاهتدى ، كما يقال : كسرتة فانكسر، فالانكسار لازم وقوع الكسر كذلك الاهتداء لازم وقوع الهداية.

وهذه الوجوه الثلاثة بعيدة عن مشرب التحقيق، مباينة لطريق النظر مباينة تامة ؛ لأنّ الدليل الأول لا دلالة له على المطلوب، وبيانه : أن الهدى في الآية الكريمة مصدر بمعنى المفعول أي الاهتداء لا الإهداء والضلال بمعنى فقدان الطريق، ومعناه أنّ هؤلاء يستبدلون الضلالة بالهدى ولا دلالة فيه على أخذ الوصول، وعلى فرض التسليم يكون تفضلاً بقرينة الضلال، وقد علمت أن المدعى في الاستعمال في الأعم والخاص لا ينافي العام ، والاستعمال أعم من الحقيقة كما تقرّر ذلك في علم الأصول.

وأما الدليل الثاني فجوابه أنّ لفظ مهدي لما أورد في مقام المدح كان ذلك قرينة على اعتبار الانتفاع والاهتداء وإلا فمن المعلوم أنه لو قال قائل : هدي فلم يهتد لم يكن مدحاً بل هو الذم بعينه .

وأما الدليل الثالث فهو مخدوش بوجهين :

الأول: لا- لزوم في تحقق الأثر في الفعل المطاوع دائماً؛ لأن أفعال المطاوعة تارة تكون بمعنى الانفعال والتأثر الواقعي وفي هذه الصورة يكون صدق وقوع الفعل من الفاعل موقوفاً على انطباع المتأثر بالفعل وتأثير المؤثر، وأحياناً تكون بمعنى القبول والمتابعة ، مثل : أمرته فآتمر، حيث يكون الائتمار عبارة عن الاتباع والاستماع ، وفي الصورة الأولى يكون حصول الانفعال لازماً لوقوع التأثر، وفي الصورة الثانية ليس الأمر كذلك، ومعنى ذلك أنّ الحقيقة فيه ليست إيجاد أثر الفاعل في المقابل بل هو فعل له نوع تعلّق بالمقابل، لهذا قول «كسرتة فلم ينكسر»

مجاز (1) وأمرته فلم يَأْتَمِر حَقِيقَةٌ فَمَا الْمَانِعُ أَنْ يَكُونَ الْاهْتِدَاءُ بِمِثَابَةِ الْإِتْمَارِ لِأَنَّ الْهَدَايَةَ بِمَعْنَى الدَّلَالَةِ وَالْإِرَائَةِ، وَمَعْنَى الْاهْتِدَاءِ مَعْرِفَةَ الطَّرِيقِ، وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ نَقُولَ فَلَمْ يَهْتَدِ، بِالْوَجْهِ الْمُتَقَدِّمِ - أَي عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ (الْمُتْرَجِم) ..

الثاني : سَلَّمْنَا أَنَّ الْإِنْفِعَالَ لِأَزْمِ الْفِعْلِ بِوَجْهِ مُطْلَقٍ، فَإِذَا قِيلَ : هَدَيْتَهُ وَجِبَ أَنْ يَقَعَ اهْتِدَى بَعْدَهُ لَا مُحَالَةً وَلَكِنْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ لِأَزْمِ لَشَيْءٍ فِي تَحَقُّقِ مُصَدِّقِهِ الْخَارِجِيِّ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ مَأْخُوداً فِي مَفْهُومِهِ وَمَعْتَبِراً فِي حَقِيقَتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعْتَقَدُ أَحَدٌ أَنَّ مَفْهُومَ الْإِحْتِرَاقِ مَأْخُودٌ فِي مَفْهُومِ الْإِحْرَاقِ لِتَلَازُمِهِمَا الْخَارِجِيِّ وَإِلَّا لَكَانَتِ الْمَعْلُومَاتُ جَمِيعاً مُعْتَبَرةً فِي مَفَاهِيمِ عِلْمِهَا، وَهَذَا ضَرُورِي الْفَسَادِ وَبِدْيَهِي الْبَطْلَانِ .

ونظير هذا التوهّم ما وقع لبعض المحققين في مقاييسه في تعريف البيع ونحن كشفنا عنه في محله من مكاسب الشيخ الأنصاري ونبهنا على اندفاعه. وأخيراً فيما ظهر شرحنا أنّ حقيقة الهداية لا تتضمن معنى الإيصال، كما صرّح بذلك جماعة من المحققين المستأنسين بمجاري العبارات وتمييز المفاهيم كالشيخ الطبرسي والسيد شارح الصحيفة والمحقق الشريف وغيرهم من علماء الفريقين.

أقسام الهداية ..

الأول : الهداية باتجاه جلب المنافع ودفع المضار مضافاً إلى المشاعر الظاهرة والمدارك الباطنة والقوّة العاقلة الحاكمة بين المشاعر الجزئية والمدارك الحسيّة . واختيار الضرر على النفع أو العكس أو ترجيح أحدهما مفوض إليها وهي بمنزلة

ص: 70

1- وإثما صار مجازاً لأن قوله «كسرتة» معناه وقوع الحقيقة بالكسر فإذا نفاه بعد ادعاء وقوعه كان مجازاً، أما الأول فليس فيه هذا المعنى فإن أمرته لا يدلّ على قبول الأمر من المأمور لذلك جاء النفي في موقعه. (المترجم)

الإمام أو النبي في العالم الصغير، وهذا النوع عام في أفراد النوع الإنساني، ويحتمل شموله أيضاً لسائر الحيوانات والنباتات بل الجمادات كذلك رعاية التشكيك وحفظ المراتب، وسوف نشير إن شاء الله في الفقرات القادمة (1) إلى صحة هذا العموم.

وقول الله تعالى: «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» (2) ناظر إلى هذا المعنى ومعلوم أنّ حطّ الإنسان من هذه الهداية أوفر ونصيبه أكمل، وبناءً على جواز اختلاف مراتب الإنسانية يكون الأمر فيها كما يلي: فمن كان كمال الحقيقة الإنسانية فيه أتم وأكمل كان تجليه بوصف الهداية بهذا المعنى أجلى وأبين.

القسم الثاني: نصب الدلائل العقلية وجعل الطرق العلمية التي تفرّق بين الحق والباطل، وتميز بين الصحيح والسقيم، والصلاح من الفساد، والضلال من الرشاد، وقد أشارت إلى هذا القسم الآية الشريفة «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» (3) وحقيقة العلم عبارة عن هذا المعنى كما قال الحكيم السنائي:

علم چه بود فرق دانستن حتى از باطلی *** نی کتاب زرق شیطان جمله از برداشتن

العلم في مفهومه الكامل *** ما ميّز الحق من الباطل

من نال من دفتر إبليس *** لم ينسلخ من صفة الجاهل

القسم الثالث: الهداية بإرسال الرسل وتنزيل الكتب واللفظ في تأييد البديهيات العقلية بالسمعيات، وأشار الله تعالى إلى هذا النوع بقوله: «وَأَمَّا تَمُودُ

ص: 71

1- في شرح: «مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيتها في الإسلام على جميع أهل السماوات والأرض». (هامش الأصل)

2- طه: 50.

3- البلد: 10.

فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى» (1).

القسم الرابع : الهداية بالسير إلى الحضائر القدسيّة والسلوك حتى بلوغ مقامات الأنس العالية وذلك بانطماس آثار التعلقات الجسمانية واندراس جلايب العلايق الهيولانية والاستغراق في ملاحظة أسرار الجلال ومطالعة أنوار الجمال، وهذه الهداية خاصة بالأولياء وخواص المؤمنين. قال عزّ من قائل: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ» (2) وإطلاق الهادي على الله عزّ وجلّ باعتبار جميع مراتب الهداية كما يظهر ذلك من عبارة الشهيد في القواعد وابن فهد في العُدّة وغيرهم بنحو الإشارة الإجمالية بعد توجيههم للتفصيل الذي ذكرناه .

ونتيجة الهداية - بخاصة في المعنى الرابع - هي العلم كما ورد في إنجيل أهل البيت وزبور آل محمّد : «اللهم صل على محمّد وآل محمّد وقنا بك واهدنا إليك ولا تباعدنا عنك ، إن من تقه يسلم ، ومن تهده يعلم ، ومن تقرب به إليك يغنم» (3).

وأنت ترى كيف جعل الهداية سبباً للعلم ، إذن فمن كان مهدياً فيجب أن يكون عالماً بجميع المراتب، وثمره العلم هداية الآخرين، وتفسير المهدي بالهادي هو من قبيل التفسير باللوازم والخواص، وتعليل تسميته بصدور الهداية منه هو من مقولة التعليل بالغايات والمنافع، وهذا النوع من التعبير في أساليب المحاورات وفنون المكالمات والمخاطبات أكثر عدداً من النجوم بل لا يُعدّ ولا يُحصى.

وبهذا التقريب يرتفع الإشكال الوارد ظاهراً في بعض الأخبار، فقد سُئل المعصومون عن القائم عجلّ الله فرجه لماذا سمّي القائم بالمهدي ؟ فقال : إنّما

ص: 72

1- فصلت : 17

2- البقرة : 257 .

3- الصحيفة السجّاديّة : دعاء 5 . (هامش الأصل)

سمي القائم مهدياً لأنه يهدي إلى أمر قد ضلوا عنه (1) كما في إرشاد المفيد نقلاً عن الصادق عليه السلام .

ونقل في غيبة الطوسي أنه قال : لأنه يهدي إلى كل أمر (خفي) . (2)

ونقلت كذلك أخبار بهذا المضمون فلم يبق موضع للإشكال أو موضع للسؤال بعد الشرح التفصيلي الذي ذكرناه .

الظهور : الظهور بدو الشيء كما هو صريح كتب اللغات جميعاً، وفي إطلاق اسم «ظاهر» على الإمام القائم بوجه أتت على البال :

الأول: كان سبب الإطلاق بعلاقة ما جرى منه أول أمره حيث غاب عن الأبصار ، أو أن التشبيه بالظهور له حصل يقيناً بالواقع وما هو عليه من الاختفاء فيكون التجوّز في أمر عقليّ.

الوجه الثاني: أن المراد من الظهور هو الواقعي الفعلي فإنّ ملاحظة كثرة الدلائل ووفور الشواهد من العقل والنقل على وجوده على وجه لو أن شخصاً توجه بأقل النفات لرأى آثار وجوده المبارك على جميع الأشياء، فيصدق بظهوره ووضوح وجوده ، وهذا نظير «تفسير الغالب» و«المنصور» في قوله تعالى : «فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» (3) و«إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ» (4) «وَإِنَّ جُنُدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ» (5) لأن المقصود الغلبة بالحجة والنصرة بالبرهان.

ص: 73

1- الإرشاد 2 : 383 (المترجم)

2- الطوسي، الغيبة : 471 . (المترجم) إرشاد المفيد غيبة الطوسي، علل الشرايع ، بحار الأنوار 51: 28 ط طهران. (هامش الأصل)

3- المائدة : 56 .

4- الصفات: 172

5- الصفات: 173 .

الوجه الثالث : الظهور في قلوب الشيعة والتجلي في سرّ خواص المؤمنين كما جاء في حديث عليّ بن مهزيار المروري في كتب كثيرة من القدماء رضي عنهم وهو أنّه عليه السلام ليس محجوباً «إتّما حجبه سوء أعمالكم» (1).

وجاء في حديث آخر تراه عيون العارفين بفضلها، الشاكرين الكاملين، ويبشرون بوجوده أولئك الشاكين في وجوده (2) بحار الأنوار 52 : 172 (3) يس : 30. (4) الغيبة للنعماني : 141 ، بحار الأنوار 51: 112 و 113. (5) بحار الأنوار 51: 55 (6) الكافي 1 : 337 ، الغيبة للنعماني ، دلائل الإمامة ، بحار الأنوار 52: 154 الرقم 9 ومثله في 142:51 عن إكمال الدين والعلل . (7) الغيبة للنعماني. (8) الغيبة للنعماني ، بحار الأنوار 52: 155 الرقم 10 . (9) زيارة الإمام الحسن العسكري . (10).

ص: 74

1- جنة المأوى المطبوع في البحار : 53 : 131 ، نواب الدهور 3: 358.

2- فقلت : يا مولاي ، وهل تجوز المراجعة في أمري ؟ قال : لا ، قلت : يا مولاي ، وهل تأذن لي في أن أحكي كلما قد رأيت وسمعت ؟ قال : لا بأس أن تحكي للمؤمنين لتطمئن قلوبهم ، إلا كيت وكيت ، وعين ما لا أقوله

3- * المفضل بن عمر : قال أبو عبد الله : قال أمير المؤمنين على منبر الكوفة : وإن من ولائكم فتناً مظلمة عمياء منكسفة ، لا ينجو منها إلا النومة ؟ قيل : يا أمير المؤمنين ، وما النومة ؟ قال : الذي يعرف الناس ولا يعرفونه . واعلموا أن الأرض لا تخلو من حجة الله ولكن الله ولكن الله سيعمي خلقه منها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم ، ولو خلت الأرض ساعة واحدة من حجة الله ، لساخت بأهلها ، ولكن الحجة يعرف الناس ولا يعرفونه كما كان يوسف يعرف الناس وهم له منكرون ، ثم تلا : « يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ ».

4-

5- * الإمام الصادق : صاحب هذا الأمر يتردد بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ فرشهم ولا يعرفونه حتى يأذن الله ، يعرفهم نفسه
6- * سدير الصيرفي قال : سمعت أبا عبد الله الصادق يقول : إن في صاحب هذا الأمر لشبهاً من يوسف ، فكانت تخبر بغيبه أو حيرة ؟ فقال : ما ينكر هذا الخلق الملعون أشباه الخنازير من ذلك ؟ إن إخوة يوسف كانوا عقلاء الباء أسباطاً أولاد أنبياء دخلوا عليه فكلّموه وخطبوه وتاجروه وراودوه [راودوه - المصدر] وكانوا إخوته وهو أخوهم ، لم يعرفوه حتى عرفهم نفسه وقال لهم : أنا يوسف ، فعرفوه حينئذ ، فما ينكر هذه الأمة المتحيرة أن يكون الله جل وعزّ يريد في وقت من الأوقات أن يستر حجته عنهم ، لقد كان يوسف إليه ملك مصر ، وكان بينه وبين أبيه مسيرة ثمانية عشر يوماً ، فلو أراد أن يعلمه مكانه لقدر على ذلك ، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر صر ، فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون صاحبكم المظلوم المجحود حقه صاحب هذا الأمر يتردد بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ فرشهم ، ولا يعرفونه حتى يأذن الله أن يعرفهم نفسه ، كما أذن ليوسف حتى قال له إخوته : إنك لأنت يوسف ؟ قال : أنا يوسف

7- * إسحاق بن عمار : سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد يقول : للقائم غيبتان ، إحداها طويلة والأخرى قصيرة ، فالأولى يعلم بمكانه فيها خاصة من شيعته ، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها [إلا خاصة مواليه في دينه] .

8- * إسحاق بن عمار : قال أبو عبد الله : القائم غيبتان ، إحداها قصيرة والأخرى طويلة [الغيبه] الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته ، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه في دينه .

9- * «السلام عليك يا أبا الإمام المنتظر ، الظاهرة للعاقل حجته ، والثابتة في اليقين معرفته المحتجب عن أعين الظالمين ، والمغيب عن دولة الفاسقين»

10- . غوطه در اشک شدم کاهل طریقت گویند***پاک شو اول پس دیده بر آن پاک انداز طهّرت بالدمع عینی حین أخبرنی***أهل
الطریقة ، ألق الطهر بالطاهر (هامش الأصل)

ويتفق مع هذا الكلام القصص والأخبار المنقولة عن رؤية ذلك الجناح المقدّس أبان الغيبة في متون الكتب ويطون الطروس.

ومجمل القول أنه بعد الالتفات التفصيلي إلى جميع تلك القصص المتواترة

ص: 75

وإن كان بعض هذه القصص ذاتاً يفيد القطع بوقوعه.

أقول : بعد الالتفات لهذه التفاصيل الموثقة في المصادر الموثقة، لا يقدح في صحة مضمونها ضعف سند بعضها أو ضعف دلالة لأن هذه الصفة موجودة في جميع الأخبار المتواترة أو في أكثرها .

نطق : الناطق ينطق نطقاً تكلم (1) بصوت وحروف مفهومة للمعنى ، كما جاء ذلك في القاموس (2) فليس مطلق التكلم إذن بل الإبانة في الجملة وإفهام المعنى مأخوذ فيه واتصاف الإمام بهذا الوصف عند ارتفاع التقية وظهور الكلمة وانكشاف الأستار وتبين الأسرار في عصره كما يلاحظ ذلك من الأخبار الكثيرة الواردة في ته وطريقته خلافاً لأبائه الطاهرين حيث كتّموا أسرار العلوم ولباب المعارف لغلبة الظالمين عليهم ولعدم استعداد نفوس معاصريهم كما فعل أمير المؤمنين عليه السلام حين أشار إلى صدره المبارك وقال : إنّ هاهنا لعلماً جمماً لو وجدت له حملة» (3). ولو في هذا المقام للتمني، ويقول سيد الساجدين كذلك :

إني لأكتم من علمي جواهره***كي لا يراه أخو جهل فيفتتنا

وربّ جوهر علم لو أبوح به***يقال لي أنت ممن يعبد الوثنا

وقد تقدم في هذا أبو حسن***إلى الحسين وأوصى قبل الحسن (4)

ص: 76

1- لسان العرب 10 : 354

2- نطق ينطق نطقاً ومنطقاً ونطقاً : تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعاني . (القاموس 3 : 285 - المترجم)

3- نهج البلاغة صبحي صالح : 496 الحكمة 147 . (هامش الأصل)

4- يارب جوهر علم لو أبوح به***لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي***يرون أقبح ما يأتونه حسناً إني لأكتمل من علمي جواهره***كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا وقد تقدم في هذا أبو حسن***إلى الحسين ووصى قبله الحسن الإتحاف بحب الأشراف، ط مصر ، شرح ديوان أمير المؤمنين : 15 (مخطوط)، غرائب الاغتراب : 70، لطائف المتن 2 : 89 ط مصر ، ينابيع المودة، إحقاق الحق 12 : 84-85 (هامش الأصل)

وأما ستر الأحكام الشرعية والإبقاء على الأحكام الظاهرية أو العدول بمقتضى التقية التي وردت في أخبار أهل بيت العصمة بشكل خارج عن حدّ الحصر والإحصاء، فإنّ هذه الموانع ترفع في عهده الميمون وأيام هذا الإمام المؤتمل المأمون . «اللهم أرنا تلك الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة».

ومجمل القول : أنّ ما دلّت عليه هذه الفقرة والفقرة السابقة هو من اختصاص القائم من آل محمد عليهم السلام بولاية الثأر وطلب دم القتلى من أهل البيت الأطهار وهو مدلول الأخبار الكثيرة التي يمكن أن يدعى لها التواتر، واستقصائها ينافي نهجنا بالاختصار، وتركها من رأس أيضاً ينافي مهمة هذا الشرح، فنكتفي بحديث أو حديثين على روية الاختصار.

روى الشيخ السعيد الموقّق جعفر بن قولويه في كامل الزيارة، وروي في البحار وأمالى شيخ الطائفة ، وساقوا السند إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال : لما كان من أمر الحسين بن علي ما كان ، ضجّت الملائكة إلى الله تعالى وقالت: يا ربّ، يفعل هذا بالحسين صفيك وابن نبيك ؟ قال : فأقام لهم ظل القائم عليه السلام وقال بهذا أنتقم له من ظالميه .(1)

وفي علل الشرايع عن أبي حمزة الثمالي قال: سألت أبا جعفر محمد بن عليّ الباقر : كلّم قائمين (كذا) بالحقّ ؟ قال : بلى ، قلت : فلم سمّي القائم قائماً ؟ قال : لما قتل جدي الحسين عليه السلام ضجت الملائكة إلى الله تعالى بالبكاء والنحيب وقالوا:

ص: 77

إلهنا وسيدنا أتغفل عمّن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليهم: قروا ملائكتي، فوعزتي وجلالي لأنتقم منهم ولو بعد حين، ثمّ كشف الله عن الأئمة من ولد الحسين عليه السلام للملائكة، فسرت الملائكة بذلك، فإذا أحدهم قائم يصلي، فقال الله عزّ وجلّ: بذلك القائم أنتقم منهم (1).

تنبيه نافع

لقد تقرّر في موضعه أنّ الوجود الواحد ربّما كان مصداقاً لعناوين متعدّدة ومنشأ لانتزاع مفاهيم مختلفة، وكلّما كان هذا الوصف أظهر في الوجود دلّ على كمال الوجود وقوة تحقّقه وبرنت ساحته من الأعدام (2) وتنزه ذيله من اللسيات (3) إذن تكثّر الألقاب في شيء دليل على شرفه وفضله قطعاً، ومن هذه الجهة ورد في القرآن على سبيل المدح والمباهات: «لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» (4).

ومن هنا أيضاً بذل العلماء أقصى الجهد ومنتهى الهم لإحصاء أسماء الله تعالى وتعداد ألقاب النبي والأئمة والقرآن وقرّروا وجهات النظر في معاني إطلاقها بقدر الإمكان من العقل والنقل، وليس في هذا مجملاً مورد للإشكال، ولكنّ المهم هو الحصول على الميزان الذي يميّز من الألفاظ ما يجوز إطلاقه لقباً وما لا يجوز، فلم أعثر عليه في كلام أحد. والذي يظهر بالتأمل من مطاوي كلمات العلماء ومواضع ذكر هذه الألقاب أنّ اللقب والإسم على أقسام: فمنها الأعلام وحده أن يوضع بواسطة الواضع على المسمّى مثل «الله» و«محمد» و«قرآن».

ص: 78

1- علل الشرايع 1 : 154 والمؤلف حذف صدر الحديث، بحار الأنوار 45 : 221 ط طهران. (هامش الأصل)

2- جمع عدم. (المترجم)

3- قالوا: إنّ ليس نفي الأيس، وهو الوجود فيكون ليس لا وجود يعني العدم. (المترجم)

4- طه : 8

ومنها أن يذكر صراحة في الكتاب أو السنة كالنور في القرآن، والذكر في حق النبي مثلاً، ومن هذا القبيل الألفاظ الواردة في الزيارات الخاصة.

ومنها أن ينتزع اسم من وصف ثابت للمسمّى في الكتاب والسنة كما يسمّى الله تعالى «ماكرًا» لأنه قال: «وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ» (1) وفي دعاء السحر: «ولا تمكر بي في حيلتك» وفي هذا النوع من أسماء الله أظهر الشهيد عليه الرحمة في القواعد التردّد. (2)

ولكن المتتبع لموارد ذكر الألقاب أنه يذكر في هذا المقام . ومنها أن يذكر لقب لا يدلّ على الملقب به إلا بتأويل، وليس في ظاهر العبارة ما يدلّ عليه مثل: «ماء معين ورب الأرض من ألقاب صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه .

القسم الخامس : أن يشتهر اللقب على السنة الخاصة دون أن يذكر في الكتاب أو السنة، ولكنّه دليل على الفضل ومُشعر بالمدح مثل «أبو الأرواح» وهو باصطلاح العرفاء من ألقاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا فرق بين هذه الألقاب أن يكون اللقب عاماً والملقب به أحد مصاديقه ولكنّه بالقرينة تخصص به مثل لفظ رسول ونبي أو كونه اختصاصياً منذ وضعه الأوّل مثل : خاتم النبيين» مفرداً أو مركباً، نظير الجملة : «من لم يجعل الله له شبيهاً» في ألقاب الحجّة عجل الله فرجه . وإذا ذكر هذا المفرد مجرداً عن الإضافة أو مضافاً إليه فإنه يحسب لقبين مثل «الصاحب» و «صاحب الزمان».

ص: 79

1- آل عمران : 54

2- قال الشهيد محمد بن جمال الدين العاملي في القواعد والفوائد ص 270 : ما ورد به السمع لكن إطلاقه في غير مورد يوهم النقص كما في قوله تعالى : «وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ» وقوله : «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» فلا- يجوز أن يقال الله : يا مستهزئ أو يا ماكر أو يحلف به ، وكذا منع بعضهم من أن يقال : اللهم أمكر بفلان وقد ورد هذا في دعوات الصباح إما اللهم استهزء به ، أو اللهم لا تستهزئ بي ، ففيه كلام . (هامش الأصل)

وإذا كان اللفظ واحداً ولكنه يتعدّد بالمضاف إليه فإنه يجعل اثنين في الحساب مثل «صاحب الغيبة» و«صاحب الدار» في ألقاب الإمام صاحب الزمان عليه السلام .

بل حتى لو اتحد المضاف إليه في المعنى وتعدّد في اللفظ يحسب لقبين كذلك مثل «صاحب الزمان» و«صاحب العصر».

وإذا ألقيت سمعك إلى هذا التفصيل فاعلم أنّ قوماً سمت بهم المهمة إلى إحصاء ألقاب الحجّة فأوصلوها في بعض الكتب إلى مائة وثمانين لقباً ولكن مع ذلك بحكم «وفي الزوايا خبايا» فإنّ بعض ألقاب الإمام ومنها ما هو المشهور ومنها ما هو مسطور في المصادر الموثقة والأصول المعتمدة لم تذكر في موضع ، والآن أذكر جملة منها على قلّة البضاعة وبملاحظة الميزان المذكور بإمكان المتتبع المتوسع أن يضيف عليها في طول الزمان ألقاباً كثيرة (1).

الأول: «أبو الوقت» وحقيقة الأبوّة هنا تعني التدبير والرياسة الكلية لأن المتعارف بين العرب إطلاق لفظ «أب» على الزعيم ومقيم كلّ أمر ، ومن هذا الباب جاء لقب «أبو الأرواح» في كنى خاتم الأنبياء وينخرط في سلكه قول الأزرى:

لم تكن هذه العناصر إلا***من هيولاه حيث كان أباهما

ولقب «أبو الوقت» من ألقابه المعروفة عند فريق العرفاء كما ورد لفظ هذا اللقب في الدعاء المشتمل على مدائح الأئمة الاثني عشر المنسوب إلى محيي الدين بن عربي . (2)

الثاني: إمام الزمان» واشتهاره الله بهذا اللقب لا يحتاج إلى دليل ، ولا مندوحة

ص: 80

1- مؤلف كتاب مفتاح الكتب الأربعة في كتابه النفيس يأتي على الناس زمان بلغ بالألقاب 185 لقباً. (هامش الأصل)

2- راجع الصلوات الكبيرة لمحيي الدين بن عربي التي نقلها «گلزار بلاغي»

من ذكر ألقابه مثل : ولي الله وخليفة الله في ألقابه ثم العدول عن ذكر هذا اللقب بل قائم الزمان وقيم الزمان وهي من ألقابه عليه السلام من هذا القبيل.

الثالث: «إمام العصر» وتعدّد هذين اللقبين بالمضاف إليه «الزمان» و«العصر» كما مرّ في تعدّد لقب صاحب الزمان وصاحب العصر ، ولا يُتوهّم أنّ الاستغناء حاصل عن هذين اللقبين باللقبين المذكورين ، كلا لاختلاف اللفظ والمعنى وكلّ واحد منهما كافٍ في التعدّد كما سبق ذكره .

الرابع: «باب الله» خوطب عليه السلام بهذا اللقب في زيارة «آل يس» وهذا باب تفتح منه أبواب لأنّهم استدلوا على شمول الزيارة له من وجود هذه الألقاب فيها، وأشرنا إليها في الميزان المذكور ومع ملاحظة هذا المعنى فإن من قرأ الزيارات المأثورة فما ورد فيها من مخاطبته وتعظيمه بالألفاظ تشتمل عليها الزيارة إنّما هي ألقابه مثل «خليفة آبائه المهديين» و«دليل إرادة الله» و«ربّاني آيات الله» و«حافظ حق الله» و«المقدّم» و«المأمول» وأمثال ذلك . ولا فرق بين المأمول الذي صيروه لقباً باستنادهم إلى هذه الزيارة وبين الألفاظ التي أهملوها، كذلك لا فرق بين اللفظ الذي يخاطب به في حال حضوره وبين اللفظ الذي يقال عنه في غيبته .

الخامس: «خليفة آخر الزمان» نقل في صحيح مسلم عن أبي سعيد وجابر أنّ النبي صلى الله عليه و اله وسلم قال : يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعدّ عدّاً (1) . واشتمال صحيح مسلم على هذا الحديث يوجب القطع بصدوره، كما قيل:

ومناقب شهد العدو بفضلها***والفضل ما شهدت به الأعداء

ص: 81

1- مسند أحمد بن حنبل 3 و 38 233 ط الميمنية بمصر ، إحقاق الحق 13 : 250 ونقل عن كتب كثيرة . (هامش الأصل) صحيح مسلم الرقم 7263 : يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده ... (المترجم)

ولا زلت أذكر أنني وجدت في كلام العرفاء التعبير عنه بخليفة آخر الزمان مراراً وتكراراً .

السادس: «خاتم الأولياء» وهذا اللقب لجنابه شائع في اصطلاح الصوفية ، لأنه خاتم الدورية للولاية المحمدية واستكمال النفوس البشرية واستتمام الغرض من البعثة وظهور الصلاح المطلق وعلو كلمة الحق ، وكل هذه يكون في عهده السعيد، وصرح محيي الدين بن عربي بهذا . كلماته ، وعبارته معروفة في البشارة بجنابه .

ويقول المييدي في شرح الديوان المهدي خاتم الولاية المحمدية المطلقة الذي هو من سلالته ومثله خاتم الأولياء ، وإن كان اختلاف اللفظ كافٍ التعدد في كما ذكر سابقاً، وشعر محيي الدين مشهور الذي يقول فيه :

ألا إن ختم الأنبياء شهيد***وعين إمام العالمين فقيده

السابع: «طاووس أهل الجنة» روي عن ابن عباس في كثير من الكتب العامة والخاصة عن فردوس الديلمي أن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال : «المهدي طاووس أهل الجنة»⁽¹⁾ وهذا المعنى إما بلحاظ أن الإمام يمتاز عن أهل الجنة بعلو المقامات وارتفاع الدرجات كما يمتاز الطاووس عن سائر الطيور بالجمال المنصوص، أو أنه رؤيته تجلب السرور والراحة لأهل الجنة كما يحصل عند الناس من البهجة الزائدة والنشاط الوافر عند مشاهدة الطاووس.

الثامن: «الظاهر» كما سمعت ذلك في عبارة الزيارة الشريفة، وبهذه المناسبة نحن أدرجنا التنبيه هنا ولا فرق بين الناطق المذكور في ألقابه استناداً إلى هذه الزيارة الشريفة والظاهر الذي أهملوه.

ص: 82

1- الطرائف، بحار الأنوار 51 : 105 الرقم 41. (هامش الأصل) الطرائف : 178. (المترجم)

التاسع: «غاية النور». (1).

العاشر: «منقذ الأمة».

الحادي عشر: «مصدر الأمور» روى المسعودي عليه الرحمة في كيفية بدء الخلقة حديثاً مرسلأً عن الإمام الصادق عليه السلام والإمام رواه عن آبائه الكرام أباً عن جد عن أمير المؤمنين عليه السلام . ويقول المسعودي : وذكرت سنده في كتيبي الأخرى، وفي ختام الحديث ولم يزل الله يخبأ النور تحت الزمان إلى أن وصل محمداً صلى لله عليه وآله وسلم في ظاهر الفترات فدعا الناس ظاهراً وباطناً وندبهم سرّاً وإعلاناً واستدعى الله التنبيه على العهد الذي قدّمه إلى الذرّ قبل النسل فمن وافقه واقتبس من مصباح النور المقدم اهتدى إلى سيره واستبان واضح أمره، ومن ألبسته الغفلة استحق السخط ، ثم انتقل النور إلى غرائرنا ولمع في أئمتنا فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض فبنا النجاة ومنا مكنون العلم ، وإلينا مصير الأمور، وبمهدينا تقطع الحجج خاتمة الأئمة ومنقذ الأمة وغاية النور ومصدر الأمور ؛ فنحن أفضل المخلوقين وأشرف الموحدين وحجج رب العالمين، فليهنأ بالنعمة من تمسك بولايتنا وقبض عروتنا. (2).

وليس بعيداً أن يكون الفاضل المتتبع الميرزا محمد رضا المدرس صاحب «جنات الخلود» اعتبر «خاتمة الأئمة» من ألقاب الإمام اعتماداً على هذه الرواية، وفي هذه الحالة لا يصح التفكيك بوجه من الوجوه .

والمراد من «غاية النور» إما أن يكون منتهى الفضل والكمال لأن الكمال أشرف أنواع النور ، وإما أن يكون نور النبوة والولاية الذي هو مشرق شمس الإرشاد

ص: 83

1- في الرواية التالية ذكر الاسم الحادي عشر «غاية النور» و «منقذ الأمة».

2- مروج الذهب 1: 43 باب المبدء وشأن الخليقة. (هامش الأصل)

والهداية ينتهي إليه ، لأن الغاية إما أن تكون بمعنى «المنتهى إليه الشيء» وإما أن يكون معناه أن الغرض من خلق عالم الأنوار هو وجوده المقدس كما قال في حق جده «لولاك لما خلقت الأفلاك» (1) بحار الأنوار 15 : 27 و 57 : 198 . (2) بحار الأنوار 36 : 302 (3) بحار الأنوار 15 : 12 و 38 : 81 (4) العلل والعيون والإكمال ، بحار الأنوار 18 : 345 و 26 : 335 و 60 : 303 و 668 . (5) بحار الأنوار 36 : 337 (6) بحار الأنوار 7 : 350 و 11 : 172 و 26 : 320 (7) بحار الأنوار 17 : 317 (8) بحار الأنوار 74 : 116 . (9) مدينة المعاجز : 153 . (10) الغدير 2 : 300 ط 2 و تمام الروايات في ذلك . راجع : إحقاق الحق 9 : 105 و 106 ، وكتاب الغدير 5 : 435 . (11) عيون الأخبار 1 : 262 ، العلل ، 1 : 6 ، كمال الدين ، بحار الأنوار 18 : 345 و 26 : 335 و 60 : 304 الرقم 16 . (12).

ص: 84

1- حديث «لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك» وحديث «لولا رسول الله وعلي لما خلقت العالم» وحديث «لولا أهل البيت لما خلقت العالم» وحديث «لولا فاطمة لما خلقتكما» : روى أبو الحسن البكري أستاذ الشهيد الثاني في كتاب الأنوار عن أمير المؤمنين أنه قال : كان والله لأنه ولا شيء معه ، فأول ما خلق نور حبيبه محمد قبل خلق الماء والعرش والكرسي والسموات والأرض واللوح والقلم ... والحق تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول : يا عبدي ، أنت المراد والمريد ، وأنت خيرتي من خلقي ، وعزتي وجلالي لولاك لما خلقت الأفلاك ، من أحبك أحببته ، ومن أبغضك أبغضته

2- . وفي حديث المعراج بعد تصريحه تعالى باختياره نبيه وأوليائه الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم ، قال تعالى : فلولاكم ما خلقت الدنيا والآخرة ولا الجنة والنار

3- . وفي الحديث القدسي المروي عن مولانا الصادق في معاني الأخبار ، والعلل ، بعد بيان نبوة الرسول وإمامة أمير المؤمنين قال : لولاهما ما خلقت خلقي .

4- الإمام علي بن موسى الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين قال : قال رسول الله ما خلق الله عز وجل خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني ... يا علي ، لولا نحن ما خلق آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض .

5- وفي النبوي العلوي : ولولا أن لا لم يخلق الله الجنة ولا النار ولا الأنبياء ولا الملائكة

6- . وفي رواية المفضل عن الصادق في وصف خلقه الأرواح قبل الأجساد : بعد ما رأى آدم أسماء النبي والأئمة على ساق العرش ، قال تعالى : لولاهم ما خلقتكما .

7- وفي تفسير الإمام العسكري في حديث : قال الشجرة : دعوتك لتشهدي لي بالنبوة بعد شهادتك لله بالتوحيد ، ثم تشهدي بعد شهادتك لي ، لعلي هذا بالإمامة وإنه سندي وظهري وعضدي وفخري وعزّي ولولاه ما خلق الله عز وجل شيئاً مما خلق

8- . ويشهد على ما تقدّم في البحار 39 : 350 او رواية العيون عن الرضاء كما في البحار 16 : 362 . وقال العلامة المجلسي : إن رسول الله وأمير المؤمنين أبوا هذه الأمة لصيرورتهما سبباً لوجود كل شيء وعلّة غائية لجميع الموجودات كما في الحديث القدسي : «لولا كما لما خلقت الأفلاك» .

9- والروايات في ذلك أكثر من أن تحصى ، منها ما في مدينة المعاجز

10- رواية كريمة غريبة كالدرد في وصف خلقه النبي وآله المعصومين وجوامع فضلهم وأنه لولاهم ما خلق الله شيئاً فراجع إليه . وروى العامة من طرقهم عن أبي هريرة عن النبي عل الله أنه قال : لما خلق الله تعالى آدم أباً البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمناً العرش فإذا في النور خمسة أشباح ... قال تعالى : هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك ، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي ، لولاهم ما خلقت الجنة والنار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجنّ

11- أبو الصلت الهروي عن الرضا صلوات الله عليه ، عن آبائه عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم ، قال : قال رسول الله : ما خلق

الله عز وجل خلقاً أفضل مني ولا - أكرم عليه مني . قال علي صلوات الله عليه : فقلت : يا رسول الله ، فأنت أفضل أو جبرئيل ؟ فقال : يا علي ، إن الله فضل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقربين والفضل بعدي لك يا علي وللأنمة من ولدك ، وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا . يا علي ، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا . يا علي ، لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسيبته وتهليله وتقديسه ؛ لأن أول ما خلق الله عز وجل خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده ، ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وإنا عبيد لسنا بألهة يجب أن يعبد معه أو دونه ، فقالوا : لا إله إلا الله ، فلما شاهدوا أكبر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به ، فلما شاهدوا ما جعله لنا من العزة والقوة قلنا : لا حول ولا قوة إلا بالله لتعلم الملائكة أن لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجه لنا من فرض الطاعة قلنا : الحمد لله ، لتعلم الملائكة ما يحق الله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمته [نعمه - خ ل] فقالت الملائكة : الحمد لله ، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد وتسيبته وتهليله وتحميده وتمجيده . ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه ، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً ، وكان سجودهم لله عز وجل عبودية ولادم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه ، فكيف لا أكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون ؟ وإنه لما عرج بي إلى السماء أذن جبرئيل مثني مثني ، وأقام مثني مثني ، ثم قال لي : تقدم يا محمد ، فقلت له : يا جبرئيل ، أتقدم عليك ؟ فقال : نعم ، لأن الله تبارك وتعالى فضل أنبيائه على ملائكته أجمعين وفضلك خاصة ، فتقدمت فصليت بهم ولا فخر ، فلما انتهيت إلى حجب النور قال لي جبرئيل : تقدم يا محمد و تخلف عني ، فقلت : يا جبرئيل ، في مثل هذا الموضوع تقارقني ؟! فقال : يا محمد ، إن انتهاء حدي الذي وضعني الله عز وجل فيه إلى هذا المكان فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعدي حدود ربي جل جلاله ، فزح بي في النور زخة حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله من علو ملكه فنوديت : يا محمد ، أنت عبدي وأنا ربك ، فإياي فاعبد وعلي فتوكل فإنك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقي وحجتي على بريتي ، لك ولمن تبعك خلقت جنتي ، ولمن خالفك خلقت ناري ، ولأوصياءك أو جبت كرامتي ، ولشيعتهم أو جبت ثوابي . فقلت : يا رب ، ومن أوصيائي ؟ فنوديت : يا محمد ، أوصياءك المكتوبون على ساق عرشني ، فنظرت وأنا بين يدي ربي جل جلاله إلى ساق العرش فرأيت اثني عشر نوراً في كل نور سطر أخضر عليه اسم وصي من أوصيائي : أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم مهدي أمتي . فقلت : يا رب ، هؤلاء أوصيائي من بعدي ؟ فنوديت يا محمد هؤلاء أوليائي وأوصيائي وأصفيائي وحجتي (حججي - خ ل) بعدك على بريتي وهم أوصياءك وخلفاءك وخير خلقي بعدك ، وعزتي وجلالي لأظهرن بهم ديني ، ولأ- علين بهم كلمتي ، ولأظهرن الأرض بأخرهم من أعدائي ، ولأمكنته (ولأملكته - خل) مشارق الأرض ومغاريها ، ولأسخرن له الرياح ، ولأذللن له السحاب الصعاب ، ولأرقينه في الأسباب ، فلأنصرنه ، بجندي ، ولأمدته بملائكتي حتى تعلقو دعوتي وتجمع الخلق على توحيدني ، ثم الأديمن ملكه ولأداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة

12- . وفي كتاب (مجمع النورين) للفاضل المرندي ص 14 قال : وفي الحديث القدسي : لولاك لما خلقت الأفلاك ، ولولا علي لما خلقتك . كما ذكره الوحيد البهبهاني . وروي في بحر المعارف : لولاك لما خلقت الأفلاك ، ولولا علي لما خلقتك . وفي ضياء العالمين للشيخ أبي الحسن الجد الأمي للشيخ محمد حسن صاحب الجواهر بزيادة فقرة : «ولولا فاطمة لما خلقتكما» [ونحوه في ص 187 من كتاب المرندي] ... انتهى ما في (مجمع النورين). وقد تقدم مصدر آخر لحديث لولا فاطمة لما خلقتكما في المجلد الأول لكتابنا هذا.

ووجه انطباق منقذ الأمة على جنبه ظاهر لأن بعدله الشامل كل مبتلى يستريح.

سبزه زطرف و من چگونه بروید*** روید زانسان امید از دل حرمان

لاله به صحن چمن چگونه بخندد*** خندد از آنگونه عدل در رخ احسان

یا سائلی کیف تخضر الرياض وقد*** أودی بها المحل أو هوج الأعاصير

تخضر تشبه آمالاً بخافق إن_*** سان يُعذبه جري المقادير

وکیف یضحک نوار علی دمن کالعدل یضحک فی إحسان مشکور وکذلک کونه مصدر الأمور ظاهراً لأن ببرکته الدنیا قائمة ، وأرزاق الخلائق متصلة :

نطفه ای بی مهر او صورت نبندد در رحم***قطره ای بی امر او نازل نگرده از سما

خاصیت بخش نباتات از سپندان تا بعود***رنگ پرد از جمادات از شبه تا در ناب

ص: 87

ولا تحمل الأرحام إلا بحبه***ولا تنزل الأمطار إلا بأمره

ولا قام نبت الأرض إلا بيمينه***ولا البحر مختالاً عليه بدره

وأظهر ما في فقرة مصدر الأمور أنه في زمن إشراق شمس سلطانه تغرب كواكب السلاطين، ويصبح الأمير مأموراً، والملك مقهوراً في جميع الدنيا، كما قيل:

دست بکش بر درش هزار سکندر***غاشيه کش بر درش هزار سليمان

الثاني عشر: «من يملأ الأرض قسطاً وعدلاً» ووصفه بهذه العبارة متواتر في أخبار الخاصة والعامة، وبالطبع، لم يستند الذين اعتبروا من ألقابه: «من لم يجعل

الله له شبيهاً» على برهان أقوى من هذا البرهان فلا وجه للتفريق بينهما. وأخيراً نقول: ثبت بعد ملاحظة الميزان المذكور وتتبع مطاوي الأخبار والتأمل في الآثار الواردة أن ألقابه عليه السلام أكثر مما ذكرت، ونحن اقتصرنا على هذا العدد تيمناً بذكرها

ص: 88

وَأَسْأَلُ اللَّهَ بِحَقِّكُمْ وَبِالْشَّانِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ أَنْ يُعْطِينِي بِمُصَابِي بِكُمْ أَفْضَلَ مَا يُعْطِي مُصَاباً بِمُصِيبَةٍ ...

الشرح : السؤال هنا بمعنى القسم، والباء في «بحقكم» متعلّقة بمحذوف تقديره «مقسماً» لأنه لا شك أن الباء المذكورة جيء بها للقسم، وحقيقته في طلب الشفاعة والتوسل .

حق الشيء يحق حقاً وحب ووقع بلا شك (1) كما جاء في القاموس، وثبتت حقيقة الحق، ومن هذه الجهة كان الحق من أسماء الجلالة وكذلك يقال الحق في مقابل الباطل وكذلك يستعمل الحق في العدل والأمر والمقضي والإسلام والمال والملك والواجب والموجود والصدق والموت والجزم في هذه جميعاً بهذا الجامع، ومن هذا الباب الحقّ مقابل الحكم مثل حق المطالبة بالعرض مثلاً في البيع الذي أشار إليه في القاموس، وقال : واحد الحقوق ... والمراد بحق الأئمة في هذه العبارة إما الشرف والفضل الثابت لهم عند الله عزّ وجلّ بالأحقية التي لهم عنده لنصرة الدين ونشر المعارف وزرع الإيمان في أراضي صدور أهل الاستعداد وسقايته بأنهار بيان الحقائق كما جاء في كثير من الأدعية «بحقك عليهم وبحقهم عليك» (2).

ص: 89

1- القاموس 1 : 1129 ط بيروت، المكتبة العلمية .

2- اللهم بحقهم إليك أتوسل وأسأل سؤال ... (دعاء الثالث من شعبان). اللهم إني أسألك بنور وجهك الذي لا يطفأ، وبوجه محمد حبيبك المصطفى، وبوجه وليك علي المرتضى، وبحق أوليائك الذين انتجتهم أن تصلي على محمد وآل محمد. (أعمال يوم المباهلة) فبحق من ائمتك على سره واسترعاك أمر خلقه، كُن لي إلى الله شافعاً ومن النار مجيراً. (الزيارة المطلقة لأمير المؤمنين) وأسألك بحقهم لما استجبت لي دعوتي وقضيت لي حاجتي . (زيارة الأئمة في سرّ من رأى). عبد الله بن مسعود: دخلت يوماً على رسول الله فقلت : يا رسول الله، أرى الخلق لا- تصل إليه، فقال : يا عبد الله، ليج المخدع ولج البيت : دخل، المخدع بيت داخل البيت الكبير [فولجت المخدع وعليه يصلي وهو يقول في سجوده وركوعه : اللهم بحق محمد عبدك اغفر للخاطئين من شيعتي، فخرجت حتى أخبر رسول الله فرأيته وهو يصلي وهو يقول : اللهم بحق علي بن أبي طالب عبدك اغفر للخاطئين عن أمتي . قال : فأخذني من ذلك الهلع العظيم، فأوجز النبي في صلاته فقال : يابن مسعود، أكفر بعد إيمان؟ فقلت : حاشا وكلا يا رسول الله، ولكنني رأيت عليك سأل بك ورأيتك تسأل الله به فلا أعلم أيكم أفضل عند الله؟ قال : اجلس يابن مسعود، فجلست بين يديه، فقال لي : اعلم أن الله خلقني وعلياً من نور عظيم قبل خلق الخلق بألفي عام إذ لا تسبيح ولا تقديس، ففتق نوري فخلق منه السماوات والأرض، وأنا والله أجل من السماوات والأرض، وفتق نور علي بن أبي طالب فخلق منه العرش والكرسي، وعلي بن أبي طالب أفضل من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم، والحسن والله أجل من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين وخلق منه الجنان والحدور، والحسين والله أجل من الجنان والحدور . ثم أظلمت المشارق والمغارب فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة فتكلم الله جل جلاله بكلمة فخلق روحاً ثم تكلم بكلمة فخلق من تلك الكلمة الأخرى نورا [ابن حسويه في در بحار المناقب، إحقاق الحق 5 : 250 ونظيره في ملحقات شرح نهج البلاغة 4 : 558، إحقاق الحق 7 87 7 عنه، وبحار الأنوار : 36 : 73 و 40 44].

ولعل المعنى الأول في هذه الفقرة باعتبار الإطلاق والانسجام أنسب في العبارة التالية [وبالشأن الذي لكم] .

ويناسبه الخبر المشهور من أن قوماً يدخلون الجنة ويدعون «الحقية» ولا يعرفون من الإيمان سوى القسم بحق أمير المؤمنين (1).

ص: 90

1- جعفر بن محمد بن مالك، عن محمد بن عبدالله بن جعفر، عن محمد بن أحمد الأنصاري قال: وجه قوم من المفوضة والمقصرة كامل ابن إبراهيم المدني إلى أبي محمد ال. قال كامل: فقلت في نفسي: أسأله لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتي وقال بمقالتني، قال: دخلت على سيدي أبي محمد نظرت إلى ثياب بياض ناعمة عليه، فقلت في نفسي: ولي الله وحجته يلبس الناعم من الثياب ويأمرنا نحن بمواساة الإخوان وينهانا عن لبس مثله، فقال متبسماً: يا كامل، وحسر عن [ذراعيه] فإذا مسح أسود خشن على جلده، فقال: هذا الله وهذا لكم، فسلمت وجلست إلى باب عليه ستر مرخي، فجاءت الريح فكشفت طرفه فإذا أنا بفتى كأنه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها، فقال لي: يا كامل بن إبراهيم فاقشعررت من ذلك وألهمت أن قلت: لبيك يا سيدي، فقال: جنت إلى ولي الله وحجته وبابه تسأله هل يدخل الجنة إلا- من عرف معرفتك وقال بمقالتك؟ فقلت: إي والله، قال: إذن والله يقل داخلها والله إنّه ليدخلها قوم لهم الحقية، قلت: يا سيدي، ومن هم؟ قال: قوم من حبههم لعليّ يحلفون بحقه ولا- يدرون ما حقه وفضله، ثم سكت عني ساعة ثم قال: وجنت تسأل عن مقالة المفوضة، كذبوا، بل قلوبنا أوعية المشية الله، فإذا شاء شئنا والله يقول: «وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» [الإنسان: 30] ثم رجع الستر إلى حالته فلم أستطع كشفه فنظر إلى أبو محمد متبسماً، فقال: يا كامل، ما جلوسك وقد أنباك بحاجتك الحجة من بعدي، فقامت وخرجت ولم أعاينه بعد ذلك. قال أبو نعيم: فلقيت كاملاً فسألته عن هذا الحديث فحدثني به [الغيبة للنعماني بسندين، ودلالة الإمامة للطبري بسنده، بحار الأنوار 52: 51 (هامش الأصل)]

الشأن: جاء في الصحاح والقاموس وغيرهما الأمر والحال (1) ولكن يستعمل في العرف العام بمعنى الفضل والشرف كما يقولون «له شأن ولا شأن له» وهذا على سبيل الكناية كما هي الحال في لفظ «مقام».

والمراد من شأن الأئمة عند الله معلوم إجمالاً ولو أردناه بيانه بالتفصيل لخرج عن طاقة البشر ومدارك الخلق .

منقار بند رستی هزار جای ***تا اولین دریچه او طایر قیاس

لكن عند مراجعة الأخبار والتأمل في طواياها يبيّن لنا أن الأمر يعود إلى كلّ شخص بحسبه ويقدر استعداده، يمكن الاستفادة من معرفة مقاماتهم العالية .

گر بریزی بحر را در کوزه ای ***چند گنجد قسمت یکروزه ای

لو وضعت البحر بالكوز فما ***قدر ما يحمله من يومه

اختلاف أوعية القلوب إلى اختلاف استعدادات النفوس التي هو منشأ ويرجع تباين الأذواق وتعدّد المذاهب من العلماء الكبار، ويظهر ذلك في ملاحظة

ص: 91

حالات الصحابة والقدماء من الرمي بالغلو والارتفاع والتخليط ، وهو موجود في الرجال، ومشروح هذا الإجمال.

ولقد كتبت شرحاً جديراً بالرعاية في رسالة «الإصابة في قاعدة الإجماع على العصابة» وفي «منظومة الإجماع» حول هذا الباب على قلة البضاعة .

ويناسب هذا الباب الخبر الشريف المروي في الكافي : روى ثقة الإسلام رضي الله عنه وأرضاه بسند صحيح عن ضريس الكناني قال: سمعت أبا جعفر يقول - وعنده أناس من أصحابه - : عجبت من قوم يتولوننا ويجعلوننا أئمة ويصفوننا أنّ طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يكسرون حجّتهم ويخصمون أنفسهم لضعف قلوبهم فيتقصوننا حقنا ويعيرون ذلك على من أعطاه الله برهان حق معرفتنا والتسليم لأمرنا ، أترون أنّ الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم موادّ العلم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم (1).

والحمد لله وله المنة إنّ عموم الناس بما هو أكثر من المئة السالفة على أثر المساعي الجميلة لعلماء الإسلام ونشر أخبار أهل البيت في هذا الزمان قد أخذوا قصب الرهان من حيث رسوخ ولاية الأئمة والاعتقاد الإجمالي بعلو مقامات فضلهم .

الإعطاء : وحقيقة العطاء البذل بدون توقع المدح والشكر وإلا- كان معاوضة ولهذا اسم المعطي على الإطلاق لا يليق إلا بالخالق والتكليف بشكره من باب إدراك الحسن والقبح العقلي، ويحكم به العقل، وإثما الأوامر الشرعية لمحض الإرشاد ولا تعني الجزاء على العطايا الإلهية، وكيف يمكن ذلك وتوفيق الشكر

ص: 92

ذاته من عطايه السنّية وهو يجرّ إلى التسليم. (1)

از دست و زبان كه بر آيد***كز عهده شكرش بدر آيد

كم ذا يطيق بذل حقّ الشكر***باليد باللسان أو بالذكر

الفضل في أصل اللغة الزيادة كما صرحوا بذلك ، وهو أحياناً باعتبار الكيفية وأحياناً باعتبار الكميّة، وأحياناً بقوّة سنخية الوجود ويراد بالأفضل الأكثر ويمكن أن يراد به الأكمل ، والجمع أولى كما هو الظاهر.

المصاب والمصاب في الأول مصدر مبني للمفعول، وفي الثاني اسم مفعول ، والتحقيق في لفظه مرّ آنفاً مع الفوائد المتعلقة به (2) والأخبار حول المصابين . والصابرين ليست قليلة ليتمكن حصرها. والآية الكريمة: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» «الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» «أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (3) إنّها فهرست كتاب السعادة، وديباجة أوراق الفضل والشرف وموضع المثل المعروف: «كل الصيد في جوف الفرا» لأنه ما جاء في الأخبار حول المعنى فهو شرح لاجمالي الآية الكريمة.

ص: 93

1- لأنه كلما أعطاك شكرته والشكر من عطايا، فتشكره على الشكر وهكذا حتى يتسلسل . (المترجم)

2- في شرح: «لقد عظم مصابي بك». (هامش الأصل)

3- البقرة: 155 - 157 .

مُصِيبَةٌ مَا أَعْظَمَهَا وَأَعْظَمَ رَزِيَّتَهَا فِي الْإِسْلَامِ وَفِي جَمِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ...

الشرح : نصب «مصيبة» في عبارة الزيارة بتقدير «أصف» و«أذكر» و«أعني» وأمثالها، وقطع الوصف عن الموصوف في العربية يفيد المدح أو الذم، ولهذا يقال غالباً أنّ هذه الكلمة منصوبة «بالمدح» وفائدته تبين اتصاف الموصوف بالصفة على وجه لو أنه ذكر مستقلاً بدون الاعتماد على موصوف لا يفهم منه إلا أن الموصوف غاية في الوضوح اختصاصه بهذه الصفة وهذا نوع من المبالغة غاية اللطافة وفنّ من البيان في منتهى الشرافة وإن لم أعر على من ذكر هذه الجهة ولم يخطر بخاطري من صرّح بها .

ما أعظمها : الجملة وإن كانت إنشائية إلا أنّ وقوعها في حيز الصفة لا تنافي الموصوف كما هو المشهور ، ويقدر لها «أقول» (أي أقول ما أعظمها).

رزية : مرّ معناها في أوائل الزيارة (1) إلا- أنّ ما ينبغي الكشف عنه هنا هو وجه إضافتها إلى المصيبة مع أن ظاهر اللغويين أن معناها المصيبة ويترائى لي في هذا الاستعمال وجهان :

الأول : أنها للتأكيد، ومن المعروف في لغة العرب أنّهم عندما يريدون المبالغة في بلوغ الموصوف كمال الوصف في صفته فإنّهم يشتقون من الموصوف كلمة يصفونه بها فيقول مثلاً: يوم أيوم وليل أليل ، وشعر شاعر وموت مانت، وهم ناصب كأنّهم يرون أن في اليوم يوماً آخر منطوف في داخله، وفي الشعر نفس شاعره منطوف فيه ، لبلوغه درجة الكمال ، بالاتصاف بالشعرية ، وبناءً على هذا فإنّ دلالة هذه الإضافة على التأكيد واضحة لأنّ مؤداها أنّ هذه المصيبة بلغت من

ص: 94

1- في شرح الفقرة «يا أبا عبدالله لقد عظمت الرزية».

الشدة بحيث استبطنت مصيبة أخرى، وهذا النوع من الاستعمالات لا يخلو من الخيال .

الوجه الآخر : أن أصل الرزء معناه النقص ويمكن القطع بأن الرزية وزان نقيصة وزناً ومعنى واستعماله في المصيبة للزوم النقص لها إما في الأموال أو اللأنفس أو الثمرات، وبناءً على ما تقدّم فهي مصدر يستعمل أحياناً في أصل معناه وهذا الوجه لا يبعد كثيراً عن المعنى وإن كان الإنصاف يقتضينا بأن الوجهين كليهما لا يخلوان من نوع مسامحة وليس بحاجة إلا إلى قدر من العناية ولعلّ النظر يجلو لنا وجهاً آخر. والمراد من أهل السماوات والأرض مطلق الموجودات وليس العقلاء خاصة كما يظهر في تأمل الشواهد القادمة وكما يظهر من مدلول ظاهر اللفظ أنّ الحكم لا- يشمل السماوات والأرض بذاتيهما ؛ لأن الحكم منصب على أهلها إلا- أنهما داخلان في مناط الحكم ومعلومان من مساق التعبير وقد مرت إشارة إجمالية قبل هذه الفقرة السابقة بعموم مصيبة .

ومن المناسب أن نذكر هنا جملة من الأخبار من كتب الشيعة وآثاراً من كتب العامة لأن اعتراف القوم بمثل هذه الأمور الغريبة دليل واضح على أحقية الطريقة الإمامية كثر الله أنصارها وضاعف اقتدارها، وقبل الدخول في ذكر الأخبار المذكورة يجب أن تعلم بأن لا غرابة عقلاً ونقلاً في تألم الموجودات من السماوات والأرضين من المصيبة المحرقة التي ألّمت بالإمام المظلوم الغريب لأنه ثبت في محلّه من علوم مافوق الطبيعة أن الصفات العارضة على الموجودات :قسمان: قسم منها تعرض عليه العوارض مثل الطول والعرض والعمق والتحيّز والحاجة إلى الغذاء والماء بعد تخصصه الطبيعي أو الرياضي، وقسم منها تعرض عليه العوارض بما هو موجود أي يكفي في عروض تلكم الصفات عليه نفس وجوده وتحقق هذا الوجود مثل العلم والسمع والبصر، وبالطبع يعتبر هذا القسم

لازم الوجود لأنه يكفي في عروضها الوجود الصرف بغض النظر عن جميع الأشياء، ولما كان الوجود مختلفاً في الموجودات فمرة يكون عين الذات وأخرى هو بحاجة إلى علة موحدة، ويكون في موضع أقوى منه في موضع آخر، وغنياً صرفاً في مكان، وفي مكان فقيراً بحتاً، من ثم اختلف آثاره باختلاف مراتبه، وتفاوت مدارجه من الغنا والفقر والكمال والنقص والشدة والضعف والأصلية والظلية .

إذن، يكون العلم في موضع عين الذات قوياً شديداً كاملاً بل غير متناهي الشدة، وفي موضع في غاية الضعف ونهاية النقصان ، وتمام الظلية وإن كان يسمى علماً في كلا الموضعين. ومن هذا البيان يظهر أن هذا البيان يظهر أن جميع الأشياء تتمتع بقسط من هذه الصفات ونموذج من هذه المعاني ولا شيء موجود ليس فيه بقدر حظه من الوجود وبمقدار نصيبه من تحقق هذه عوارض الحقائق الوجودية.

اگر خواهی که گردد بر تو آسان*** وان من شيء لا يك دم فرو خوان

إن شئت تلقى الحل للمعضل*** فاقراً وإن من شيء لا تعجل

والآية الكريمة: «أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ» (1) تشعر بهذا المعنى وحكماء الإشراف وإن لم يذكروا القاعدة بهذا العموم إلا أنهم وغيرهم قائلون بأن الحيوانات مدركة للكليات كما يظهر ذلك في أعمال النحل وهندسة الأبايل من صنع بيوتها وسائر عجائب أفعالها لكل عاقل غير مسبوق بالشبهة في ذهنه بل قالوا بالحس الضعيف للنبات أيضاً كاتجاه جذور النباتات والأشجار المزروعة على حوافي الأنهار إليها ، وتدلي أغصانها بالتجاه النهر .

ومن ملاحظة الظاهرة الغرامية التي ادّعاها بعضهم للنخل ومن التوجه إلى فروع الكرمة حين تتسلق جداراً فإذا تم الجدار اتجهت إلى الآخر
رأعجب من

ص: 96

الجميع شجرة القرع التي تدنو فروعها من الجدار وقبل أن تناله تلتف عليه وتتجه إلى طرفه الآخر، ومن هذه الناحية حمل العلماء على اعتقاد أن للشجر حسّاً في الجملة ، وهذا القول أَرْضَى أستاذ البشر والعقل الحادي عشر الخواجه نصير الدين الطوسي قدس الله سرّه القدوسي، وكفى به حجة.

ولا وجه للمشهور من جعل إدراك الكليات فصلاً للإنسان لأنه حيوان ناطق، وذكر ذلك في حده لأنّ قدماء الحكماء اعتبروا الناطق بمعنى المتكلم بالغلبة مميّزاً له ، كما صرح بذلك قيصري الرومي في شرح الفصوص، ولكن المتأخرين اعتبروا النطق بمعنى إدراك الكليات وليس بعيداً أن يكون غير متطابق مع صريح اللغة ، ولا يعرض للذهن أن التكلّم عرض وفصل ذاتي وحينئذ كيف يكون فصلاً لأنّ هذا الإشكال نفسه يصدّق في النطق بمعنى إدراك الكليات لأنه أيضاً عرضيّ بالضرورة والجواب مشترك ، والغرض من الاثنين الإشارة إلى ذلك الجوهر منشأ انتزاع هذا الوصف الذي لم تمسكه يد لحد الآن، وينبغي أن يشار إليه باللوازم من هذه الجهة .

يقول الشيخ الرئيس في (رسالة الحدود) : إدراك الحدود الحقيقية للأشياء خارج عن طاقة البشريّة لأنّه موقوف على نيل حقائقها والدعاء النبوي معروف: اللهم أرني حقائق الأشياء كما هي (1) من هذه الناحية لا يوجد تعريف في أبواب

ص: 97

1- عوالي اللثالي 4 : 132 الرقم 228. قال : اللهم أرنا الحقائق كما هي، وفي ذيله عن التفسير الكبير للرازي 6: 26 سورة طه : «اشْرَحْ لِي صَدْرِي» فَإِنَّ عَيْنَ الْعَقْلِ ضَعِيفَةٌ فَاطْلَعْ يَا إِلَهِي شَمْسَ التَّوْفِيقِ حَتَّى أَرَى كُلَّ شَيْءٍ كَمَا هُوَ ، وهذا في معنى قول محمد : «أرنا الأشياء كما هي». وفي مرصاد العباد ص 309 الباب الثالث من الفصل السابع عشر ، ولفظه ما نقله : (خواجه در استدعاء : «أرنا الأشياء كما هي») ظهور أنوار صفات لطف وقهر ميطلبد انتهى ما في ذيل عوالي النالي . وفي كنوز الحقائق للمناوي المطبوع في هامش «الجامع الصغير للسيوطي» ط مصر : «اللهم أرني الدنيا كما تراها صالح عبادك». وقال المولوي في المثنوي ط علاء الدولة ص 115 السطر 15: طعمه بنموده به ما و آن بوده شست***آنچنان بنما به ما آن را كه هست (هامش الأصل)

العلوم يخلو من المناقشة بحيث يصل إلى المنتهى نقياً من العيوب.

وخلاصة الحديث ولب المسألة والمطلب أنه لم يتم دليل عقلي على عدم شعور الأشياء كلها وعدم الإدراك في الحيوانات بل الدليل والحسن على خلافه كما أشير ذلك إجمالاً، والآيات القرآنية وشواهد الأخبار على هذا المعنى كثيرة مثل الآية الكريمة: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» (1) وبناءً على قراءة «تفقهون» بصيغة الخطاب تكون الدلالة أوضح، ويؤيده رجوع ضمير العاقل تسبيحهم إلى شيء؛ لأن الحكم مبني على هذه الحيثية.

ويثبت مدعانا الأخبار المتواترة بالمعنى بل هي أكثر من متواترة من قبيل عرض الإيمان وعرض الولاية وأخبار مفاخرة كربلاء والكعبة وأخبار ذكـر الحيوانات وأخبار إيمان بعضها وتكلمها ببعض القضايا الدينية مثل تسليم الغزال والضب وشهادة الأسد وتألم الناقة والفرس، وأخبار شهادة الأمكنة على عمل الخير أو الشرّ وأخبار فضل المسجد وسروره وحزنه بالعبادة والمعصية، وأخبار تأثر الجمادات في الوقائع العظيمة في الإسلام، ولا يقتضي المقام بسطاً لهذا المطلب أو تعداداً لوقائعه

ومن هذه الجهة قال قوم: إن معجزة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تسبيح الحصى بيده كان بسماع صوت الحصى ولا جهة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره أو إلى التأويل، وما من حجة تلزمنا بنكران هذه القضايا سوى الاستبعاد وعدم الأنس بها لعدم

ص: 98

جريان العادة بمثلها بل الاستئناس بفتح باب التأويل والتصرف في الظواهر منافٍ للعقول الجزئية قبل التأمل، ولنعم ما قيل:

فاش تسبيح جمادات آيدت***وسوسه تأويلها بريادت

جملگی اجزاء عالم در جهان***باتوميگويند پيدا و نهان

ما سميعيم و بصيريم و خوشيم***با شما نامحرمان ما خامشيم

كلّما في الوجود يلهج بالحمد***لرب سبحانه معبود

الجماد الذي تراه بلا نطق***يناجي وكلّ ما في الوجود

إنّ تأويله ينافي عقولاً***خلقت مرشداً إلى المعبود

ومن القول ظاهر ومن القول خفيّ***بكل معنى مفيد

إن تكن عارفاً ستفقه ما يجري***سميماً تقول هل من مزيد

ليس يدري الحديث إلا الأخلاء***وينأى عن الغريب البعيد (1)

وفي نظير ذلك أقول عن لسان قوم مشيراً إلى برهانه :

عشق الله ذاته فتجلّى***عشقه في مظاهر الأشياء

ليس حاس كأس الهوية إلا***وهو يحسو سلافة الأهواء

واختلاف الهيوليات دليل***لاختلاف الحدود والإنصاء (2)

وأخيراً نقول : إذا وجدت هذه المقدّمة طريقها إلى الذهن وتقرّرت واستقرت الأخبار الكثيرة دالة على أن الموجودات أجمع تألمت لمصيبة هذا الإمام المظلوم

المؤلمة، وكلّ موجود جرى منه البكاء بالشكل الذي يلائم هويته، وأوشكت الانقلابات الواقعية أن تلمّ في اجزاء العالم بواسطة الارتباط الواقعي والمناسبة

ص: 99

1- الشعر للمترجم محاولاً به ايجاب معنى الأبيات الفارسية الثلاثة فيه ، فليس هو من قبيل الترجمة .

2- ديوان المؤلف : 12 . (هامش الأصل)

الحقيقية التي هي عبارة عن تلقي الفيض الإلهي بوساطة ذلك الوجود المقدس والاستمداد من بركات ذاته السعيدة في نيل الترفيات المرتقبة لكل واحد منها في كماله الطبيعي لعلاقتها مع ذلك الجنب الخصب (سيد الشهداء) ولقد تجلّى بشكل ظهر جلياً للعدو والصديق، المؤمن والكافر، فشهدوا وشاهدوا، ولما كان استقصاء هذه الأخبار برمتها يستدعي وضع كتاب مستقل لذلك قسمتها إلى فصلين فأثبت فيهما من كل قسم طرفة ومن كل نوع لمحة.

الفصل الأوّل

في ذكر بعض الأخبار الواردة عن أهل البيت الأطهار التي تقيّد عموم المصاب، البعض منها يفيد ذلك بنفسه، والبعض الآخر بانضمام خبر إليه، وهاهنا

تقتصر على عدد من الأخبار :

الأوّل: روى الشيخ الصدوق في أماليه وأوصل السند إلى سيد الساجدين عليه السلام أن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام دخل يوماً إلى الحسن عليه السلام فلما نظر إليه بكى، فقال له : ما يبكيك يا أبا عبدالله ؟ قال أبكي لما يُصنع بك... ثم راح الإمام الحسن يعدّد مصائبه له الواقعة في كربلاء المذكورة في كتاب أمالي، وفي ذيل الخبر قال: فعندها - أي بعد شهادتك - تحلّ ببني أمية اللعنة وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كلّ شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار. (1)(2)

الثاني : الشيخ الصدوق المتقدّم وابن قولويه في كامل الزيارة مسنداً عن عروة ابن الزبير أنّه قال : سمعت أبا ذرّ وهو يومئذ قد أخرج عثمان إلى الربذة ، فقال له

ص : 100

1- أمالي الصدوق، مجلس 24، تحت رقم 2، بحار الأنوار 45: 218 الرقم 44. (هامش الأصل)

2- الأمالي : 116. (المترجم)

الناس : يا أباذر ابشر فهذا قليل في الله تعالى، فقال: ما أيسر هذا ولكن كيف أنتم إذا قتل الحسين بن علي عليه السلام قتلاً - أوقال : ذبح ذبحاً - والله لا يكون في الإسلام بعد قتل الخليفة أعظم قتلاً منه [بعد الحسين أعظم قتلاً منه] وإن الله سيسل سيفه على هذه الأمة لا يغمده أبداً، ويبعث ناقماً [قائماً من ذريته فينتقم من الناس وإنكم لو تعلمون ما يدخل على أهل البحار وسكان الجبال في الغياض والآكام وأهل السماء من قتله لبكيتم والله حتى تزهق أنفسكم، وما من سماء يمرّ به روح الحسين عليه السلام إلا فزع له سبعون ألف ملك يقومون قياماً ترعد مفاصلهم إلى يوم القيامة، وما من سحابة تمرّ وترعد وتبرق إلا لعنت قاتله، وما من يوم إلا وتعرض روحه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيلتقيان... (1).

الثالث: أيضاً في الكتاب الشريف كامل الزيارة مسنداً عن زرارة (سلام الله عليه) (2) قال : قال أبو عبدالله : يا زرارة، إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، وإن الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وإن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وإن الجبال تقطعت وانتشرت، وإن البحار تفجرت، وإن الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين عليه السلام، وما اختضبت منا امرأة ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عبرة بعده، وكان جدّي إذا ذكره بكى حتّى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي البكائه رحمة له من رآه، وإنّ الملائكة عند قبره لبيكون لبكائهم كل من في الهواء والسماء من الملائكة، ولقد خرجت نفسه عليه السلام فزفرت جهنم زفرة كادت تشق

ص: 101

-
- 1- كامل الزيارة : 74 ، بحار الأنوار 45: 219 . (هامش الأصل) وكامل الزيارة 73 نسخة المترجم .
 - 2- سلام الله عليه ليست من ألفاظ الحديث. (هامش الأصل) وكان المؤلف أراد بذلك أن يظهر ولائنه لزرارة لاختلاف الأقوال فيه . (المترجم)

لذفرتها، ولقد خرجت نفس عبيدالله بن زياد ويزيد بن معاوية فشهقت جهنم شهقة لولا أن الله حبسها بخزانها لأحرقت من على ظهر الأرض من فورها، ولو يؤذن لها ما بقي شيء إلا ابتلعتة ولكنها مأمورة مصفودة، ولقد عنت على الخزان غير مرة حتى أتاها جبرئيل فضربها بجناحه فسكنت، وإثها لتبكيه وتدبه، وإثها لتتلطى على قاتله، ولولا من على الأرض من حجج الله لتقضت الأرض وأكفأت بما عليها، وما تكثر الزلازل إلا عند اقتراب الساعة، وما من عين أحب إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه، وما من باك يبكيه إلا وقد وصل فاطمة سلام الله عليها وأسعدها عليه ووصل رسول الله وأدى حقنا..(1) إلى آخر الحديث الشريف في فضل الباكين .

الرابع : وكذلك في كامل الزيارة مسنداً أن أبا بصير قال عن أبي جعفر قال : بكت الإنس والجن والطير والوحش على الحسين بن علي حتى ذرفت دموعه.(2)

الخامس : وكذلك في نفس الكتاب وساق السند إلى الحسين بن ثوير قال: كنت أنا ويونس بن ظبيان والمفضل بن عمر وأبو سلمة السراج جلوساً عند أبي عبد الله عليه السلام فكان المتكلم يونس، وكان أكبرنا سنناً، وذكر حديثاً طويلاً يقول : ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : إن أبا عبد الله عليه السلام لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن، وما ينقلب في الجنة والنار من خلق ربنا، وبكى على أبي عبدالله إلا ثلاثة أشياء لم تبك عليه .

قلت: جعلت فداك، ما هذه الثلاثة أشياء ؟

ص: 102

1- كامل الزيارات، باب 26، بحار الأنوار 206:45 الرقم 13 . (هامش الأصل) وفي نسخة المترجم ص 80.

2- نفسه، باب 26 ص 79، بحار الأنوار 45 : 205 الرقم .. (هامش الأصل)

قال : لم تبك عليه البصرة ولا دمشق ولا آل عثمان بن عفان. (1)

والظاهر أن المراد من آل عثمان هم خصوص بني أمية أو مطلق أصحابه ومحبيه الذين يقال لهم العثمانيّة.

السادس : وفي الكتاب المذكور عن أبي بصير مسنداً أنه قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ما أحدثه فدخل عليه ابنه فقال له : مرحباً ، وضمه، وقال: حَقَّرَ اللهُ من حَقَّرَكُم ، وانتقم مَمَّنْ ، وتركم، وخذل الله من خذلكم ، ولعن الله من قتلكم ، وكان الله لكم ولياً وحافظاً وناصرًا، فقد طال بكاء النساء وبك-اء الأنبياء والصدّيقين والشهداء وملائكة السماء ، ثم بكى وقال : يا أبا بصير ، إذا نظرت إلى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه بما أتى إلى أبيهم وإيهم . يا أبا بصير، إنّ فاطمة سلام الله عليها التبكيه وتشهق ... ثم ذكر بكاء فاطمة سلام الله عليها ولوعتها تفصيلاً (2).

السابع : في العلل والأمالي ويصل السند إلى ميثم التمار أنه قال لجبلّة المكيّة : والله لتقتل هذه الأمة ابن بنت نبيها في المحرم لعشر يمضين منه ، وليتخذنّ أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة، وإنّ ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهد عهده إليّ مولاي أمير المؤمنين عليه السلام ولقد أخبرني أنه يبكي عليه كلّ شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحر والطير في السماء، ويبكي عليه الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض ومؤمنوا الإنس والجن وجميع ملائكة السماوات والأرضين ورضوان ومالك وحملة العرش، وتمطر السماء دماً ورماداً.

ص: 103

1- كامل الزيارات : 77 ، بحار الأنوار 206:45 الرقم 12 ، وكامل الزيارات ص 80 في نسخة المترجم .

2- كامل الزيارة ، باب 26 ، بحار الأنوار 208:45 ط بيروت، وص 82 و 83 من كامل الزيارة نسخة المترجم

ثم قال : وجبت لعنة الله على قتلة الحسين عليه السلام كما وجبت على المشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر، وكما وجبت على اليهود والنصارى والمجوس.

قال جبلة : فقلت له يا ميثم فكيف يتخذ الناس ذلك اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام اليوم بركة ؟ فبكى ميثم... (1) إلى آخر الحديث وسنعرض له إن شاء الله بعد هذا في موضعه.

الثامن : في الكتاب المذكور ويصل السند إلى واحد من أهل بيت المقدس أنه قال : والله لقد عرفنا أهل بيت المقدس ونواحيها عشية قتل الحسين بن علي عليه السلام قلت : وكيف ذلك ؟ قال : ما رفعنا حجراً ولا -مدراً ولا صخراً إلا ورأينا تحتها دماً عبيطاً يغلي ، واحمرت الحيطان كالعلق ، ومطر ثلاثة أيام دماً عبيطاً، وسمعنا منادياً ينادي في جوف الليل يقول :

أترجو أمة قتلت حسيناً***شفاعة جده يوم الحساب

معاذ الله لا نلتم يقيناً***شفاعة أحمد وأبي تراب

قتلتم خير من ركب المطايا***وخير الشيب طراً والشباب

وانكسفت الشمس ثلاثة أيام ثم تجلت عنها وانشبكت النجوم فلما كان من غد أرجفنا بقتله فلم يأت علينا كثير شيء حتى نعي إلينا الحسين عليه السلام. (2)

التاسع : وفي الكامل أيضاً بسند معتمد عن الصادق عليه السلام إنه قال : بعث هشام بن لها عبدالملك إلى أبي فأسخسه إلى الشام فلما دخل عليه قال له: يا أبا جعفر، أشخصناك لنسألك عن مسألة لم يصلح أن يسألك عنها غيري ولا أعلم في

ص: 104

1- علل الشرايع 1: 217 و 227 نسخة المؤلف، وأمالي الصدوق مجلس 27 تحت رقم 1 ، والبحار 45: 202. (هامش الأصل واللفظ للعلل)

2- كامل الزيارات : 77 ، بحار الأنوار 45: 204 الرقم 6 . (هامش الأصل)

الأرض خلقاً ينبغي أن يعرف أو عرف هذه المسألة إن كان إلا واحداً .

فقال أبي : ليسالني أمير المؤمنين عمّا أحب فإن علمت أجبت ذلك وإن لم أعلم قلت لا أدري وكان الصدق أولى بي .

فقال هشام: أخبرني عن الليلة التي قتل فيها عليّ بن أبي طالب بما استدلّ به الغائب عن المصر الذي قتل فيه علي قتلته وما العلامة فيه للناس ؟ فإن علمت ذلك وأجبت فأخبرني هل كان تلك العلامة لغير علي في قتله ؟

فقال أبي : يا أمير المؤمنين، إنّه لما كان تلك الليلة التي قتل فيها أمير المؤمنين عليه السلام لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلا وجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها هارون أخو موسى عليه السلام وكذلك كانت تلك الليلة التي قُتل فيها يوشع بن نون، وكذلك كانت تلك الليلة التي رفع منها عيسى بن مريم إلى السماء، وكذلك كانت تلك الليلة التي قتل فيها شمعون بن حمون الصفا، وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها الحسين بن علي عليه السلام .

قال : فتربد وجه هشام حتى انتقع لونه وهم أن يبطش بأبي(1)

وللحديث بقيّة لا تهّم موضوعنا وسوف يأتي نظير هذا الحديث في كلام ابن عبد ربه .

العاشر : السيّد الأجل رضي الدين بن طاوس في (الملهوف) (كذا) عن سيد الساجدين عليه السلام أنه قال في خطبته عندما دخل المدينة :
أية عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهمالها ؟ فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها والسماوات بأركانها والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها والحيتان ولجج البحار

ص: 105

والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون (1)، إلى آخر الخطبة.

في كل سطر من هذه الخطبة يفلق الجبل، ويجف الخضم، والأخبار من هذا النمط عموماً وخصوصاً في بكاء الأنبياء بخاصة آدم وعيسى وموسى والنبي صلى الله عليهم في مواقع عدّة، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن عليهم السلام وانكساف الشمس ومطر السماء الدم وصبغ الثياب بها وفوران الدم من الأرض وعويل الملائكة مطلقاً لاسيما خدام قبره المطهر إلى الحد الذي يقطع بصدورها من رآها إذا كان خالياً من الأغراض. والحق أنه تجاوزت التواتر المعنوي.

ووردت في الزيارات الشريفة كلمات تدلّ على عموم دعوانا من قبيل الزيارة التي ذكرت في ذيل رواية الحسين بن ثوير في كامل الزيارة: «أشهد أن دمك سكن في الخلد واقشعرت له أظلة (2) العرش، وبكى له جميع الخلائق، وبكت له السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهنّ وما بينهنّ، ومن ينقلب في الجنّة والنار من خلق ربنا ما يرى وما لا يرى» (3).

وفي الزيارة الواردة في مصباح الزائر: يقال إن السيد المرتضى علم الهدى رضوان الله عليه زار سيّد الشهداء بها وهي المشهورة بزيارة الناحية المقدّسة: «لقد صرع بمصرعك الإسلام، وتعطلت الحدود والأحكام، واظلمت الأيام،

ص: 106

1- الملهوف: (كذا): 82، بحار الأنوار 45: 148، العوالم 17: 469. (هامش الأصل) الملهوف: 201. (المترجم)

2- الظاهر أن أظلة ظلال (جمع الجمع) وهو جمع ظلّ، وعالم الظل والأظلة والظلال في الأخبار جمع مذكورة، والمراد بها الأنوار المقدّسة والأرواح العلوية كما جاء (المصطفى في الظلال) في ألقاب النبي، وأظله العرش بناءً على هذا أرواح الملائكة المقربين وأنوار القادسة المهيمين (كذا) والكرويين، وهناك احتمالات أخرى لا تناسب سائر مجالات الاستعمال اللفظي وإن ذكرت في مزارات البحار ج 101 ص 154 رحم الله صاحب البحار. (هامش الأصل)

3- كامل الزيارات: 197، بحار الأنوار 101 ص 152. (هامش الأصل)

وانكشفت الشمس ، وأظلم القمر ، واحتبس الغيث والمطر ، واهتز العرش والسماء ، واقشعرت الأرض والبطحاء ، وشمل البلاء ، واختلفت الأهواء ، وفجع بك الرسول ، وأزعجت البتول ، وطاشت العقول». (1)

وجاء في زيارة أخرى بأبي وأمي من بكته لطيب وفاته سماء الله وأرضه وملائكته. (2)

وكثير من هذا القبيل في الأخبار ، وهذا المقدار كافٍ للإشارة.

الفصل الثاني

في بيان بعض أخبار علماء أهل السنة وأقوالهم التي شهدت بوقوع الآث-ار الغربية من هذه المصيبة العظمى في السماء والأرض بحيث يمكن من ملاحظة مجموع هذه الروايات والأخبار القطع بادعاء عموم المصيبة، ونحن على سبيل التطفل والاستطراد نورد بعض عجائب الأمور من مقولة الكرامات وهي مشارك في ملاك حكم هذه الوقائع نذكرها من أجل تسديد قلوب الضعفاء والشيعه وتشبيد العقائد من كلا أئمتهم .

منها : روى شيخهم المقدّم وإمامهم المعظم مسلم بن الحجاج النيسابوري في الجامع الصحيح - الذي أجمعوا على صحة رواياته وعدالة روايته - في تفسير الآية المباركة : «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ» (3) لما قتل الحسين بكت السماء وبكائها حمرتها. (4)

ص: 107

1- مصباح الزائر: 117 ، بحار الأنوار 101 : 232 . (هامش الأصل)

2- بحار الأنوار 101: 253 (هامش الأصل)

3- الدخان: 29 .

4- صحيح مسلم ، أول جزء 5 ، بحار الأنوار 217:45 . (هامش الأصل)

وقريب من هذا الخبر ما جاء في تفسير علي بن إبراهيم في ذيل هذه الآية أنّ الحسين عليه السلام مر على أبيه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: لكن هذا ليبيكين عليه السماء والأرض، وقال: وما بكت السماء والأرض إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي عليهم السلام (1).

ونقل في تفسير الثعلبي قال: مطرنا دماً بأيام قتل الحسين عليه السلام (2).

وروى أحمد بن عبد ربه القرطبي بن عبد ربه القرطبي الأندلسي في كتاب (العقد) بسند متصل متعدد عن محمد بن شهاب الزهري المعروف قال: خرجت مع قتيبة أريد

، المصيصة فقدمنا على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وإذا هو قاعد في أيوان له، وإذا سماطان من الناس على باب الأيوان، فإذا أراد حاجة قالها للذي يليه حتى تبلغ المسألة باب الأيوان، ولا يمشي أحد بين السماطين.

قال الزهري: فجننا فقمنا على باب الأيوان، فقال عبد الملك للذي عن يمينه: هل بلغكم أي شيء أصبح في بيت المقدس ليلة قتل الحسين بن علي؟ قال: فسأل كل واحد منهما صاحبه حتى بلغت المسألة الباب فلم يرد أحد فيها شيئاً.

قال الزهري: فقلت: عندي في هذا علم، قال: فرجعت المسألة رجلاً عن رجل حتى انتهيت إلى عبد الملك، سلّمت عليه، فقال لي: من أنت؟ قلت: أنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري. قال: فعرفني بالنسب، وكان عبد الملك عبيد الله طلبة للحديث [فعرفته]، فقال: ما أصبح بيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي بن أبي طالب؟

ص: 108

1- بحار الأنوار 45: 201. (هامش الأصل) وتفسير القمي 2: 291 (المترجم)

2- بحار الأنوار 45: 217، الكشف والبيان للثعلبي 8: 353 دار إحياء التراث العربي سنة 1422 - بيروت. (المترجم)

وفي رواية علي بن عبدالعزيز عن إبراهيم بن عبدالله ، عن أبي معشر ، عن محمد بن عبدالله بن سعيد بن العاص ، عن الزهري إنه قال : الليلة التي قتل في صبيحتها الحسين بن علي .

قال الزهري: نعم، حدثني فلان - ولم يسمه لنا - أنه لم يرفع تلك الليلة التي صبيحتها قتل الحسين بن علي بن أبي طالب حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم عبيط .

قال عبدالملك : صدقت ، حدثني الذي حدثك وإني وإياك في هذا الغريبان .(1) ثم قال لي : ما جاء بك ؟ قلت: [جنت مرابطاً ، قال : الزم الباب، فأقمت عنده فأعطاني ما لا كثيراً ، إلى آخر القصة التي لا ترتبط بما نحن فيه .

وذكر ابن حجر في الصواعق أن الزهري لما أتم حديثه مع عبدالملك ، قال له عبدالملك : لم يبق من يعرف هذا غيري وغيرك فلا تخبر به . قال : فما أخبرت به إلا بعد موته.(2)

وفي سيرة عبدالملك بن هشام في توالي قصه حاملتي الرأس الشريف وحديث الراهب المذكور في كتب الفريقين يقول موافقاً لما نقله شمس الدين «قرغلي» في التذكرة : ثم إنهم أخذوا الرأس وساروا ، فلما قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض : تعالوا حتى نقسم الدنانير لا يراها يزيد فيأخذها منه ، فأخذوا الأكياس وفتحوها وإذا الدنانير قد تحولت خزفاً ، وعلى أحد جانب الدينار مكتوب : «وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ» (3) الآية ، وعلى الجانب الآخر: «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ

ص: 109

1- العقد الفريد 2 : 215 . (هامش الأصل) و 4 : 386 ط القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة 1967 . (المترجم)

2- الصواعق المحرقة : 116 ، وفي نسخة المترجم ص 195

3- إبراهيم : 42 .

مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» (1) فرموها في بردى نهر بدمشق. (2)

وفي التذكرة أيضاً: حكى الزهري عن أم سلمة قالت: ما سمعت نواح الجن إلا الليلة التي قُتل فيها الحسين، سمعت قائلاً يقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهدٍ***ومن يبكي على الشهداء بعدي

على رهط تقودهم المنايا***إلى متجبرٍ في ثوب عبدٍ

قالت أم سلمة: فعلمت أنه قد قتل الحسين (3)(4)

وقال الشعبي: سمع أهل الكوفة قائلاً يقول في الليل:

أبكي قتيلاً بكر بلا***مصنّج الجسم بالدماء

أبكي قتيلاً الطغاة ظلماً***بغير جرم سوى الوفاء

أبكي قتيلاً بكى عليه***من ساكن الأرض والسماء

هتاك أهلوهم واستحلوا***ما حرم الله في الإماء

يا بأبي جسمه المعري***ألا من الدين والحياء

كل الرزايا لها عزاء***وما لذا الرزء من عزاء

ونقل عن الزهري أيضاً قال: ناحت عليه الجنّ فقالت:

ص: 110

1- الشعراء: 227.

2- التذكرة: 273 ط المطبعة العلمية في النجف، الخرائج، بحار الأنوار 186:45. (هامش الأصل) وفي نسخة: التذكرة: 237.

3- أمالي الصدوق، المجلس 29 الرقم 2، بحار الأنوار 238:45 بدل فاحتفلي «فانهملي»، وبدل «ثوب عبد ملك عبد»، تاريخ ابن

عساكر مسنداً ومرسلاً 4 341، والخصائص للسيوطي 2: 127، مجمع الزوائد 9: 199، تذكرة الخواص: 152. (هامش الأصل)

4- تذكرة الخواص: 242. (المترجم)

خير نساء الجن بيكين شجيات(1)*** ويلطمن خدوداً كالدنانير نقيات

ويلبسن ثياب السود بعد القصبيات

قال : ومما حفظ من قول الجن :

مسح النبي جبينه***وله بريق في الخدود

أبواه من عليا قريش***وجده خير الجدود

قتلوك يابن الرسول***فأسكنوا نار الخلود (2)

وذكر هشام بن محمد قال : لما قُتل الحسين عليه السلام سمع قاتلوه قائلاً يقول في السماء :

أيها القاتلون ظلماً حسيناً***ابشروا بالعذاب والتتكيل

كلّ أهل السماء يدعو عليكم***من نبي ومرسل وقبيل

قد لعنتم على لسان ابن داود***وموسى وصاحب الإنجيل (3)

وفي التذكرة أيضاً عن محمد بن سعد صاحب الطبقات : إن هذه الحمرة لم تُر في السماء قبل أن يُقتل الحسين .(4)

قال جدّي أبو الفرج في كتاب التبصرة : لما كان الغضبان يحمر وجهه عند الغضب فليستدلّ بذلك على غضبه وإنه أمارة السخط، والحق سبحانه ليس

ص: 111

-
- 1- في كثير من نسخ الكتب المختلفة جاء الشعر على هذه الصورة ولكنه غير موزون ، وأثبت في بعض الكتب على الوجه التالي : «نساء الجنّ يندبن نساء الهاشميات» وهذا أوفق . ونقل هذه الأشعار في البحار 45: 236 . (هامش الأصل)
 - 2- التذكرة : 280 ط المطبعة العلمية في النجف . (هامش الأصل) وفي نسخة المترجم ص 242 ط منشورات الشريف الرضي
 - 3- التذكرة : 153 ، مناقب آل أبي طالب 4 : 62 و 63 ، بحار الأنوار 45 236 ، وفي نسخة المترجم : التذكرة : 242.
 - 4- تذكرة الخواص ط الغري : 283 ، وفي نسخة المترجم : 245

بجسم فأظهر تأثير غضبه على قتل الحسين عليه السلام بحمرة الأفق وذلك دليل على عظم الجناية (1).

وقال ابن سيرين لما قتل الحسين اظلمت الدنيا ثلاثة أيام ثم ظهرت هذه الحمرة.

وساق السند إلى هلال بن ذكوان قال : لما قتل الحسين عليه السلام لها مكتنا شهرين أو ثلاثة كأنما لطخت الحيطان بالدم من صلاة الفجر إلى غروب الشمس .

قال : وخرجنا في سفر فمطرنا مطراً بقي أثره في ثيابنا مثل الدم.

وقال ابن سعد : ما رفع حجر في الدنيا إلا وتحتته دم عبيط ، ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب مده حتى تقطعت.

وقال السدي: لما قتل الحسين بكت السماء دماً وبكائها حمرتها.

وقال ابن سيرين وجد حجر قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخمسمائة سنة ، عليه مكتوب بالسريانية فنقلوه إلى العربية فإذا هو :

أترجو أمة قتلت حسيناً*** شفاعه جده يوم الحساب

وقال سليمان بن يسار وجد حجر مكتوب عليه :

لابد أن ترد القيامة فاطم*** وقيصها بدم الحسين ملطخ

ويل لمن شفعانه خصمائه*** والصور في يوم القيامة ينفخ (2)

وإلى هنا تم ما نقلته من التذكرة لسبب ابن الجوزي ، والحكاية الأخيرة تشبه تماماً الواقعة المشهورة المذكورة بخط الشيخ الجليل صاحب الكرامات شمس

ص: 112

1- التذكرة : 283 ط الغري، وعنه في الصواعق المحرقة 194 ط مصر . (هامش الأصل) وفي نسخة المترجم في التذكرة ص 246 .

2- تذكرة الخواص : 284 ط الغري، ونسخة المترجم ص 246 نشر الرضي .

الدين بن علي الجباعي جد الشيخ البهائي لأنه وجد عقيق أحمر مكتوب عليه :

أنا دُرّ من السما نثروني***يوم تزويج والد السبطين

كنت أنقى من اللجين بياضاً***صبغوني بدم نحر الحسين (1)

وما في الكشكول وزهر الربيع وغيرها : صبغتني دماء نحر الحسين، وهذا أولى. ووجد على قطعة صفراء في النجف مكتوباً :

صفرة لوني ينيك عن حزني***لسيد الأوصياء أبي الحسن

ووجد مكتوباً على جوهرة سوداء:

لست من الحجارة بل جواهر الصدف***حال لوني لفرط حزني على ساكن النجف

وفي زهر الربيع للمحدّث المطّلع السيد نعمة الله الجزائري أنّه قال: وجدنا في مدينة شوشتر حجراً أصفر صغيراً أخرجه الحفّار من بطن الأرض وعليه مكتوب بلونه: «بسم الله الرحمن الرحيم، لا-إله إلا الله محمد رسول الله، عليّ ولي الله، لما قُتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام كتب بدمه على أرض حصباء: «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» (2)(3)

وفي زماننا حدثت مثل هذه الوقائع كما أخبرني والدي المحقق عن الشيخ الفقيه الفاضل الشيخ عبد الحسين الطهراني له أنه لما قصد الحلة وقعت هذه

ص: 113

1- كنت أصفى من اللجين بياضاً صبغتني دماء نحر الحسين (زهر الربيع 2 : 45 ط النجف . - هامش الأصل)

2- الشعراء : 227

3- رأيت صخره مقدار الكف صفراء أخرجوها من قعر الماء في نهر من أنهار شوشتر ، مكتوباً عليها من نفسها : لما قتل الحسين الشهيد بأرض كربلاء كتب دمه على أرض الحصباء ، «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» . (زهر الربيع 2 : 45 ط النجف الأشرف)

الحادثة وهي أنهم قطعوا شجرة وشرحوها طولاً فوجدوا منقوشاً في باطنها على كل لوح : «لا إله إلا الله محمد رسول الله ، عليّ ولي الله» .

وأنا بنفسى رأيت في طهران «ماسة» صغيرة تعدل نصف حبة عدس وعليها كتابة تبدو في باطنها اسم الإمام أمير المؤمنين «علي» عليه السلام بحيث كل من شاهدها يجزم

يقيناً بأنها ليست صنعاً ، والياء من الاسم الشريف مجرورة إلى أسفل تحته ، ويتكوّن منها ومن العين واللام قبلها وقبلهما «يا» فيحدث من المجموع لفظ «يا علي» .

وقصص من هذا النمط شوهد كثيراً في التاريخ ، منها كما في نفع الطيب عن كتاب «نشق الأزهار» أنّ في جامع قرطبة ثلاثة أعمدة من رخام أحمر مكتوب على الواحد اسم محمد ، والآخر صورة عصى موسى وأهل الكهف ، وعلى الثالث صورة غراب نوح عليه الصلاة والسلام خلقها الله تعالى ولم يصنعها صانع .(1)

وأخيراً ليس غرضنا الاستقصاء بل استئناساً للقصة التي ذكرها صاحب التذكرة ونكتفي بهذا القدر ، وباستطاعة المتتبع ذي الاطلاع تأليف رسالة في هذا الباب .

وفي الصواعق المحرقة لأحمد بن حجر الهيتمي الشافعي المكي ، عن أم سلمة قالت : فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول :

أيها القاتلون جهلاً حسيناً***أبشروا بالعذاب والتنكيل

قد لعنتم على لسان ابن داود***وموسى وحامل الإنجيل (2)

ص: 114

1- نفع الطيب 1 : 520 ط دار صادر 1968 تحقيق الدكتور إحسان عباس . (المترجم)

2- الصواعق : 193 . (المترجم) وفي الهامش : أيها القاتلون جهلاً حسيناً***أبشروا بالعذاب والتنكيل كل أهل السماء يدعو عليكم***ونبي ومرسل وقبيل قد لعنتم على لسان ابن داود***وموسى وصاحب الإنجيل البداية والنهاية لابن كثير 8: 200 ط مصر ، تاريخ ابن عساكر 4: 341 ط روضة الشام ، كفاية الطالب : 295 ط الغري ، نظم درر السمطين : 217 ط مطبعة القضاء ، ينابيع المودة : 320 ط اسلامبول ، والصواعق المحرقة : 193 ط مصر ، تاريخ الأمم والملوك 4 357 ط الاستقامة ، وما أخذ أخر ، فراجع إحقاق الحق 11: 576 . (هامش الأصل)

ونقل عن سيرة ملا عمر فقال: وروى الملا أن علياً عليه السلام مرّ بقبر الحسين، فقال: ها هنا مناخ ركبهم، وها هنا موضع رحالهم، وها هنا مهراق دمائهم فنية من آل محمد يُقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض (1)

ونقل رواية أم سلمة من طريق آخر .

وروى أيضاً عنها أنها سمعت صوت الجنّ ينوحون على الحسين «مسح النبي جبينه...» الخ (2).

وسمعت مناة أخرى :

أنعي حسيناً جبلاً***كان حسين جبلاً (3).

وسمع من آخرين من الجنّ: «ألا يا عين فاحتفلي بجهد... إلى آخره» (4).

ص: 115

1- الصواعق المحرقة : 193 ط القاهرة (هامش الأصل والمترجم)

2- مسح الرسول جبينه***فله بريق في الخدود أبواه من عليا قريش***جده خير الجدود

3- أنعي حسيناً هبلاً***كان حسين جبلاً محاضرات الأبرار 2 160 ط مصر . أتقى حسيناً هبلاً***كان حسين جبلاً الخصائص الكبرى 2

: 127 ط حيدرآباد ينابيع المودة : 320 ط اسلامبول (هامش الأصل)

4- ألا- يا عين فاحتفلي بجهد***و من يبكي على الشهداء بعدي على رهط تقودهم المنايا***إلى متجبر في ملك عبد المعجم الكبير

للطبراني ، كفاية الطالب : 294 ط الغري، مقتل الخوارزمي 2 95 ط الغري.

وروى في الصواعق أيضاً ولما قتلوه بعثوا برأسه فيناهم كذلك إذ خرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديث فكتبت سطرًا بدم:

أترجو أمة قتلت حسيناً*** شفاعة جده يوم الحساب

إلى آخره . أخرجه منصور بن عمار، وذكر غيره أن هذا البيت وجد بحجر قبل مبعثه بثلاثمائة وأتته مكتوب في كنيسة من الروم لا يدري من كتبه .

وذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة عن نصرته الأزدية أنها قالت: لما قتل الحسين بن علي أمطرت السماء دماً فأصبحنا وبابنا وجرارنا مملوءة دماً، وكذا روي في أحاديث غير هذه.

ومما ظهر يوم مقتله من الآيات أيضاً أن السماء اسودت اسوداداً عظيماً حتى رؤيت النجوم نهاراً ، ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط .

وأخرج أبو الشيخ أنّ الورس الذي كان في عسكرهم تحوّل رماداً .

وحكى ابن عيينة عن جدته أن جمالاً ممّن انقلب ورسه رماداً أخبرها بذلك ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل الفئران فطبخوها فصارت مثل العلقم .(1)

وحكى أيضاً وظاهر الضمير في كلام ابن حجر رجوعه إلى سفيان بن عيينة : وإن السماء احمرت لقتله وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار ، وظنّ الناس أن القيامة قد قامت ، ولم يرفع حجر في الشام إلا روي تحته دم عبيط .(2)(3)

ص: 116

1- هذا وما قبله تجده في الصواعق المحرقة ص 194 ط القاهرة . (هامش الأصل والمترجم)

2- نفسه : 194 . (المترجم)

3- نصرته الأزدية أنها قالت : لما قتل الحسين بن علي أمطرت السماء دماً فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دماً . (ذخائر العقبى : 144 ط القدسي بالقاهرة، والصواعق المحرقة : 194 ط القاهرة - هامش الأصل).

وعن عثمان بن أبي شيبة أن السماء مكثت بعد قتله سبعة أيام ترى على الحيطان كأنها ملاحف معصفرة من شدة حمرتها.

ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين: أن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت الحمرة في السماء.

وقال أبو سعيد: ما رفع حجر من الدنيا إلا وتحتته دم عييط، ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت.

وأخرج الثعلبي وأبو نعيم ما مر من أنهم مطروا دماً، زاد أبو نعيم فأصبحنا وجباننا وجرارنا مملوءة دماً.

وفي رواية: إنه مطر كالدم على البيوت والجدر بخراسان والشام والكوفة، وأنه لما جيء برأس الحسين إلى دار زياد سألت حيطانها دماً.

وأخرج الثعلبي أن السماء بكت وبكاءها حمرتها. وقال غيره: احمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله ثم لا زالت الحمرة بعد ترى بعد ذلك.

وإن ابن سيرين قال: أخبرنا أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين. ثم حكى كلام ابن الجوزي الذي ذكر علّة لهذه الحمرة، وذكره سبطه أنفاً وذكر حديث الزهري مجملاً. ونقل عنه أيضاً أنه سمع هذا الحديث من غير عبد الملك. وذكر عن سيرة ملا عمر عن أم سلمة أنه سمعت نوح الجنّ عليه (1)

وفي كتاب ينابيع المودة عن جواهر العقدين للسهمودي وهو من أكابر علماء مصر، روى حديث الزهري، وعن ذلك الكتاب أيضاً ما يوافق حكاية صاحب الينابيع عن ابن البرقي وساق السند إلى صالح إمام مسجد بني سليم عن أشياخ له

ص: 117

1- كل الذي تقدّم نقله المؤلف عن صواعق ابن حجر ص 194 من دون تعليق. (المترجم)

قالوا: غزونا أرض الروم فإذا كتاب في كنيسة من كنائسهم بالعربية :

أترجو أمة قتلت حسيناً***شفاعه جده يوم الحساب

فقلنا لأهل الروم من كتب هذا؟ قالوا ما ندري .

وعن محمد بن سيرين قال : وجد حجر قبل مبعث النبي بثلاثمائة سنة ، عليه مكتوب بالسريانية ، فنقلوه إلى العربية ، فهو : «أترجو أمة قتلت حسيناً» إلى آخره. وقال سليمان بن يسار وجد حجر عليه مكتوب بالانظم وهو هذا: «لابد أن ترد القيامة فاطم»... إلى آخره (1).

ويؤيده ما رواه الحافظ ابن الأخضر في كتاب «العترة الطاهرة» أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدم فتتعلق بقائمة من قوائم العرش فتقول يا عدل، احكم بيني وبين قاتل ولدي فيحكم لابنتي وربّ الكعبة (2).

وتجد في جواهر العقدين ما نقله في الينايع عن الصواعق المحرقة، وفي الينايع أيضاً.

وعن (جمع الفوائد) وهو الكتاب الكبير الذي جمع بين الكتابين الكبيرين أحدهما جامع الأصول لابن الأثير والآخر (مجمع الزوائد) لنور الدين الهيثمي،

ص: 118

1- لابد أن ترد القيامة فاطم***وقميصها بدم الحسين ملطخ ويل لمن شفعانه خصمانه***والصور في يوم القيامة ينفخ التذكرة : 284 ط الغري، ينايع المودة : 331 ط اسلامبول، نظم درر السمطين : 219. (هامش الأصل) وفي نسخة المترجم 3: 45 من الينايع .

2- مقتل الحسين للخوارزمي : 52 ، المناقب لابن المغازلي، فردوس الأخبار للدليمي ، ينايع المودة : 260 ، الشبلنجي في نور الأبصار : 125 ط مصر (هامش الأصل)

نقل عن الزهري أنه قال : ما رفع حجر بالشام إلا وجد تحته دم عبيط ، ولم ترفع حصاة بيت المقدس إلا وجد تحتها دم عبيط .(1)

وهذه العبارات تختلف مع الفقرات السابقة التي رويت بوجه مختلف في كلام شمس الدين البغدادي سبط أبي الفرج وكلام ابن حجر المتأخر صاحب الصواعق.

وعن أبي القبيل قال : لما قتل الحسين عليه السلام انكسفت الشمس حتى بدت الكواكب.

وكذلك روي عن أبي قبيل قال : لما قتل الحسين بن علي رضوان الله عليهما بعث برأسه إلى يزيد فنزلوا أول مرحلة فجعلوا يشربون ويتحيون بالرأس فبينما هم كذلك إذ خرجت عليهم من الحائط قلم حديد فكتبت سطرأ بدم:

أترجو أمة قتلت حسيناً***شفاة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس (2) [ثم عادوا إليه].

وهذه الأحاديث مروية في معجم الطبراني من مرويات الطبراني أيضاً كما جاء ذلك في جمع الفوائد.

وفي مقتل أبي مخنف وهو معتمد بين الفريقين وتوجد نسخته منقولة في الينابيع، والفقير - يعني المؤلف نفسه (المترجم) - لدفع بعض الاحتمالات أنقل عبارة الينابيع (ذكر أن القوم جلسوا يشربون) وإذا رأوا يداً خرج من الحائط معه قلم يكتب بدم عبيط شعراً:

أترجو أمة قتلت حسيناً***شفاة جده يوم الحساب

ص: 119

1- ينايع المودة : 221 ط اسلامبول . (هامش الأصل)

2- نفسه 3: 45 . (المترجم)

فلا والله ليس لهم شفيع*** وهم يوم القيامة في العذاب

لقد قتلوا الحسين بحكم جور*** وخالف أمرهم حكم الكتاب

فهربوا ثم رجعوا ثم رحلوا من ذلك المنزل وإذا هاتف يقول :

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم*** ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مفقتدي(1)*** منهم أسارى ومنهم صُرجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم*** أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

فلما وصلوا بلد تكريت (نشرت الأعلام وخرج الناس بالفرح والسرور فقالت النصارى للجيش : إنّا بُراء مما تصنعون أيها الظالمون) فلما رحلوا من تكريت (وأثوا على وادي النحلة) فسمعوا بكاء الجنّ وهنّ يلطمن خدودهنّ ويقلن شعراً «مسح النبي جبينه إلى آخره...» وأخرى تقول:

ألا يا عين جودي فوق خدي*** فمن يبكي على الشهداء بعدي

على رهط تقودهم المنايا*** (إلى) متجبرّ في الملك وغدٍ(2)

قال أبو مخنف نصبوا الرمح الذي عليه الرأس الشريف المبارك المكرّم إلى جانب صومعة الراهب فسمعوا صوت هاتف ينشد ويقول :

والله ما جئتكم حتى بصرت به*** بالطف منعفر الخدين منحورا

وحوله فتية تدمى نحورهم*** مثل المصابيح يغشون الدجى نورا

ص: 120

1- في ينابيع المودة ص 230 ط اسلامبول و 3 : 89 دار الأسوة تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني نسخة المترجم: «عند مفقتدي».

2- وفي المعجم الكبير هكذا: ألا يا عين فاحتفلي بجهد*** ومن يبكي على الشهداء بعدي على رهط تقودهم المنايا*** إلى متحير في ملك عبد وفي كفاية الطالب : إلى متحير . (ص 294)

كان الحسين سراجاً يستضاء به***الله يعلم أنني لم أقل زورا

مات الحسين غريب الدار منفرداً***ظامي الحشاشة صادي القلب مقهوراً

فقلت أم كلثوم : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا ملك الجنّ ، أتيت أنا وقومي

لنصرة الحسين (رضي الله عنه وأرضاه) فوجدناه مقتولاً، فلما سمع الجيش من الجنّ فتيقنوا بكونهم من أهل النار (1).

وفي ينابيع المودة بلا واسطة عن تفسير الثعلبي روى عن السدي أنه قال : لما قتل الحسين بن علي عليهما السلام بكت عليه السماء وبكائها حمرتها.

وحكى ابن سيرين : إن الحمرة لم تر قبل قتله .

وعن سليم القاضي قال : مطرتنا السماء دماً أيام قتله.

وعن إبراهيم النخعي قال: خرج عليّ كرم الله وجهه فجلس في المسجد، واجتمع أصحابه فجاء الحسين، فوضع يده على رأسه فقال: يا بني، إن الله ذمّ أقواماً في كتابه فتلا هذه الآية : «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ» (2) وقال: يا بني، لتقتلنّ من بعدي ثم تبكيك السماء والأرض . قال : وما بكت السماء والأرض إلا على يحيى بن زكريا وعلى الحسين ابني. (3)

ومرت ترجمة (4) هذا الخبر في الفصل الأوّل من أخبار الشيعة (5).

وفي الينابيع عن كثير بن شهاب قال : بينا نحن جلوس عند عليّ في الرحبة إذ طلع الحسين عليه السلام قال : إن الله ذكر قوماً بقوله : «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ»

ص: 121

1- ينابيع المودة : 352 ط اسلامبول . (هامش الأصل) 3: 89 (نسخة المترجم)

2- الدخان : 29 .

3- ينابيع المودة : ص 322 ط اسلامبول . (هامش الأصل) و 3: 101 . (نسخة المترجم)

4- ينابيع المودة : 322 ط إسلامبول .

5- الفصل الثاني من تفسير القمي : 108

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليقتلنّ هذا ولتبتكين عليه السماء والأرض. (1)

وفي حياة الحيوان: رُئي هذا البيت: أترجو أمة... إلى آخر على جدار في دير راهب، فلمّا سئل عنه قال: رُئي قبل البعثة بخمسمائة عام. وقال بعضهم: فخرج عليهم قلم من حديد من حائط فكتب سطرّاً بالدم: (أترجو أمة) .. الخ. (2)

وفي غرر الخصائص للوطواط أنهم قالوا يعني المشهور أن رأس الحسين عليه السلام حملوه إلى مجلس يزيد ووضع بين يديه فخرجت يد من الحائط وكتبت على جبهة يزيد المشنومة هذا البيت

وفي

خطط المقرئ هذه العبارة: لما قتل الحسين بكت السماء وبكاءها حمرتها.

وعن عطاء في قوله تعالى: «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ» قال: بكائها حمرة أطرافها.

وعن الزهري: بلغني أنه لم يقلب حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين عليه السلام إلا وجد تحته دم عبيط.

ويقال: إن الدنيا أظلمت يوم قتل ثلاثاً، وأصابوا في عسكر الحسين يوم قتل إبلاً فنحروها وطبخوها فصارت كالعلقم، وما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئاً.

وروي أن السماء أمطرت دماً فأصبح كلّ شيء مملوءة دماً، انتهى كلامه. (3)

وهذه العبارة منقولة في نور الأبصار للشبلنجي المصري الشافعي المعاصر.

ونوح الجن عن أم سلمة وكتابة «أترجو...» على جدار دير الراهب المذكور في الفصول المهمة.

ص: 122

1- ينابيع المودة: 322 ط اسلامبول

2- 1: 60 ط القاهرة، تاريخ الإسلام والرجال: 386 عن حياة الحيوان، الأخبار الطوال: 109، تاريخ الخميس 2: 299 ط الوهيبية. (هامش الأصل)

3- نور الأبصار: 123 ط مصر عن خطط المقرئ (هامش الأصل)

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء : ولما قتل الحسين مكثت الدنيا سبعة أيام والشمس على الحيطان كالملاحف (المعصفرة) المصفرة والكواكب يضرب بعضها بعضاً، وكان قتله يوم عاشوراء وكسفت الشم - يوم عاشوراء وكسفت الشمس ذلك اليوم واحمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله ، ثم لا زالت الحمرة ترى فيها بعد ذلك ولم تكن ترى فيها قبله .

وقيل : إنّه لم يقلب حجر بيت المقدس يومئذ إلا وجد تحته دم عبيط ، وصار الورس في عسكرهم رماداً، ونحروا ناقه في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل النيران وطبخوها فصارت مثل العلقم .(1)

وروى أبو نعيم في الدلائل حديث أم سلمة وسماع نوح الجن .

ونقل أيضاً عن أمالي ثعلب أنه روى حديث أبو حباب الكلبي أنه قال: قصدت كربلاء وقلت لرجل من أشرف العرب : أخبرني عمّا يقال عن سماعكم نوح الجن ؟ فقال: لن تجد أحداً إلا وقد سمع نوحهم، قلت: أخبرني أنت عمّا سمعته، فقال : سمعت الجنّ ينوحون بهذا الشعر : «مسح النبي جبينه ... إلى آخره».

وقال السيوطي في (عقود الجمان) في صنعة أسلوب الحكيم : يعتقد علماء الهيئة أن الشمس لا تنكسف إلا في الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين أو في وفاة النبي يوم العاشر من ربيع الأول - بناءً على اعتقاد أهل السنة والجماعة - فإنّها قد كسفت برواية الزبير بن بكار وفي يوم مقتل الحسين عليه السلام العاشر من محرّم كسفت أيضاً كما هو المشهور في التواريخ.

وفي شرح الهمزية لابن حجر ومن جملة الآيات الظاهرة يوم مقتل ذلك

ص: 123

1- السيوطي، تاريخ الخلفاء : 80 ط الميمنية بمصر . (هامش الأصل) و 1 : 207 مطبعة السعادة بمصر 1371 . هجري ، الطبعة الأولى .
(المترجم)

الشهيد المظلوم أنّ السماء مطرت دماً ومُلئت الجرار دماً، واسود الهواء حتى ظهرت الكواكب في السماء، واشتدّت الظلمة حتى ظنّ الناس أن القيامة قامت، وتضاربت النجوم، وانقض بعضها على بعض، واختلطت، ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط يتفجّر، وظلّت الدنيا ثلاثة أيام مغبرة مظلمة ومن يومئذ ظهرت الحمرة فيها، وقيل: امتدت إلى ستة أشهر، وبعد ذلك أخذت تظهر دائماً. وروي عن ابن سيرين لم تظهر الحمرة في الشفق حتى قتل الحسين عليه السلام.

وفي الكامل: قال رجل من أهل بيت المقدس أقسم بالله أن المقدسيين علموا بقتل الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وذلك أنّهم ما رفعوا حجراً عن حجر إلا وجدوا تحته دماً عبيطاً يجري (ومكث الناس شهرين أو ثلاثة كأنما يلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع) وسمع في آخر الليل منادياً ينادي بهذا الشعر: أترجو أمة قتلت حسين...» إلى آخره، وبقيت الشمس ثلاثة أيام منكسفة لا تظهر وأمطرت السماء دماً عبيطاً وتضاربت النجوم، وكنا نحدّث أنفسنا عن وقائع وقعت فلم يمض طويل وقت حتى جاء الخبر بمقتل الإمام المظلوم (1).

تنبيه

ما سمعته مكرراً في هذا الفصل من ظهور الحمرة في آفاق السماء على أثر قتل سيّد الشهداء، وقال الشاعر:

وعلى الدهر (2) من دماء الشهيدين***عليّ ونجلاه شاهدان

وهما في أواخر الليل فجران***وفي أولياته شفعان

ص: 124

1- لم أعرّ عليها في الكامل ولا شك بحذفها وهذه شنشنة القوم، نعم في الكامل العبارة التي وضعتها بين قوسين وذكر المؤلف بعضها.

(المترجم)

2- المشهور وعلى الأفق. (المترجم)

وحيث أن الأذهان العادية المأنوسة بتأويل السمعيات تستبعد هذه المجربات استناداً على القوانين الهيئويّة، وقد تقرّر في علم الهيئة أن الشمس كلّما ارتفعت الأفق كان ظلّ الأرض وهو شكل مخروط مستدير قاعدته في الأرض ورأسه في فلك الزهرة خلافاً للشمس يتجه من سمت الرأس إلى جانب المغرب، ويظهر في الأفق ضوء كاذب شبيه بذنب السرحان ثمّ ينتشر شيئاً فشيئاً حتى يظهر الصبح الصادق وهو الفجر المستدير، والفجر العارض يبيّن في الأفق وتظهر الحمرة التي هي بسبب اختلاط النور بالظلمة في الفلق، ثمّ تميد الضوء رويداً رويداً وينبسط على المعمور كله حتى تظهر الشمس. وفي غروب الشمس تكون المسألة بالعكس حيث تظهر الحمرة أولاً لقرب الشمس من مغربها وميل ظلّ الأرض جهة المشرق، ثمّ كلّما بعدت الشمس يتناقص الحمرة ويزداد البياض اتساعاً ويكون موازياً للفجر الصادق، ثمّ ينقص قليلاً قليلاً حتى يكون بمثابة خط دقيق مثل ذنب السرحان في جهة الصبح ولا يدوم طويلاً حتى يتلاشى، وتعود الظلمة تقهر النور وهي الغسق، وأثبتت التجربة الصحيحة أن سبب حدوث الحمرة التي تكون في أول الفجر الصادق هي عندما تنحط الشمس عن الأفق بثمانية عشر درجة.

وكذلك غاية الشفق يكون حينما تنحط الشمس عن أفق (يح) (1) كما هو مذكور بالتفصيل في الهيئة وهذا القليل البضاعة - المؤلف - أشار إليها في منظومته: «ميزان الفلك» وهذه الأبيات من تلك المنظومة:

والحال في الغروب تحت الأفق *** يعكسه فالصبح عكس الشفق

ص: 125

1- هكذا وجدت عند المؤلف ولم يشر إلى شرحها المحقق ولست أدري هل هي حروف رمزية أشار بها المؤلف إلى بعض الحقائق الفلكية أو هي خطأ لفظي وأرجح أن يكون الأول ولكن على المحقق أن يشير إليه إلا أن يكون مثلي. (المترجم)

يطلع الحمرة فيه أولاً***ثم معارض البلاء يجتلى

ثم بياض استطال واستدق***فينتفي طراً ويقهر الغسق

ودلت التجربة الصحيحه***أن انحطاط الشمس في الصبيحه

في الابتداء عند فجر قد صدق***يح وكذلك عند غاية الشفق

والجواب عن هذا الإشكال وإن لم أجد غيري قد تعرّض له ، أقول :

أولاً : إن قواعد الهيئة لا تنتهي إلى الضروريات والبراهين المسلمة بل الغالب عليها أن تكون مقارنات بعد الوقوع وهي من قبيل الحجج النحوية وهي في الحقيقة استدلال من المعلوم العام على العلة الخاصة ولهذا أنكر علماء أروبا تلك القواعد وشرعوا لأنفسهم في بناء قواعد جديدة بحيث تضبط ب-ه- الحركات واختلاف الفصول والحركات الليلية، والنهارية، وإن كان بعضها محلّ نظر وبعضها الآخر مخالف للقوانين الشرعية ولا- دليل على حدوث الحمرة على أثر حركة الشمس ، وما المانع أن يكون النور كلما ازداد قوة كان بياض الفجر أشدّ وضوحاً إلى شروق الشمس. والشاهد على وقوع الكسوف في يوم عاشوراء وهذا يمكن ادعاء التواتر عليه الرواية الفريقين له - مع أن قواعد القوم كما سمعته من كلام السيوطي حيث جرت الإشارة إليه تقتضي ما لم يكن القمر في عقدة الرأس والذنب وهو عبارة عن نقطة تقاطع منطقة ممثل القمر مع منطقة البروج وهو المسمّى بالجوزهر ، ولما كان هذا الجوزهر ممراً لمركز التدوير ، فإذا كان بجانب الشمال سمّي راساً ، وإذا اتجه بجانب الجنوب سمّي ذنباً ومع هذا الوصف فإذا اجتمع القمر مع الشمس في برج واحد ففي هذه الصورة يكون القمر كاسفاً للشمس وأخفاها عن الأنظار، ويظهر القمر في الأفق ، ولما كان في ذاته كثيفاً مكثراً لا تظهر له للعين صورة ، وقد أشرت إليه في الميزان بقولي :

وهو بإحدى العقدتين إن وقع***وكان إذ ذاك مع الشمس اجتمع

يكسف جرم الشمس من جرم القمر***ولا يرى إلا الأخير في النظر (1)

وفي هذه الصورة تكسف الشمس لا محالة إما في الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين وإلا فلا يجتمع هذا الكوكبان (2).

ثانياً: سلّمنا إما تفضلاً أو بملاحظة التقريب الذي أوردناه ولكن لا يلزم أن تحدث الحمرة الواقعية المحسوسة التي تدرك بالحواس فما المانع أن يكون ظهور الحمرة الظاهرية على أثر شدة الحمرة الواقعية المستندة إلى هذه الحادثة العظيمة.

وأخيراً إن شهادة عدوّ أهل البيت وخصومهم في هذا الباب موجبات لتيقن كلّ منصف خال ذهنه من الشبهات بوقوع هذه الواقعة - ولا يلقي السمع لمثل هذه التلفيقات في ردّ أمور معلومة موجبة لاستيقان أهل الإيمان وسبباً لمزيد اطمئنانهم.

ص: 127

1- يقول علماء الهيئة اليوم عن الكسوف والخسوف أنّهما احتجاب الضوء المنبعث من جرم سماوي احتجاباً جزئياً أو كلياً بسبب من تحرك جرم سماوي آخر واتخاذ وضعاً معترضاً فإذا كان الضوء المتجب هو الشمس دعيت هذه الظاهرة كسوفاً، وإذا كان الضوء المتجب هو ضوء القمر دعيت تلك الظاهرة خسوفاً وإنما يقع الكسوف أو الخسوف لأنّ الأرض والقمر جرمان سماويان مظلمان فما أن يمر القمر مباشرة بين الشمس والأرض حتى يحدث الكسوف، وما أن تعترض الأرض مباشرة بين الشمس والقمر حتى يحدث الخسوف والكسوف الكلي نادر جداً وفيه يتحوّل ضوء النهار إلى ظلمة تامة وتتراخي النجوم كشأنها أثناء الليل ويحدث انخفاض ملحوظ في الحرارة وما هي إلا دقائق معدودات حتى تبدو الشمس للعيان ككرة أخرى (عن موسوعة المورد المترجم)

2- يمكن أن يقال بعد وقوع التواتر في النقل وظهور الرويات الخاصة والعامة في كسوف يوم عاشوراء أن المراد ليس الكسوف الاصطلاحي بل لعظم الواقعة وجلال الموقف وشدة المصائب حجب الله ضوء الشمس على وجه أظلم نهارها وظهرت النجوم وتكون قواعد الهيئة بناءً على هذا التوجيه على حالها. (منه)

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِي مَقَامِي هَذَا مِمَّنْ تَنَالُهُ مِنْكَ صَلَوَاتُ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَخْيَايَ مَخْيَا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَمَمَاتِي مُمَاتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ...

الشرح : النيل : معناه بلوغ الشيء كما جاء في كتب اللغة العربية والفارسية.

والصلوات جمع الصلاة ومرّ تحقيقها (1) وجاء في اشتقاقها كلمات بعيدة عن مقام العلم والعلماء ، وكانت مورداً لكثير من الإشكال، والأولى أن تكون مأخوذة من «صلّى» بمعنى حرّك الصلوتين وهما العرقان المحيطان بطرفي الذنب والعظمان القريبان منهما اللذين ينحنيان بانحنائهما، والمصلّي هو الذي يأتي بعد السابق من خيل الحلبة وهو مأخوذ من هذا المعنى لأنه يبلغ صلوي السابق .

وجملة القول : لما كانت التصلية بهذا المعنى تقتضي الانعطاف والانحناء الصوري فهي أحياناً تستعمل في الأركان المخصصة المشتملة على الركوع والسجود بجامع الانحناء وتحريك الصلوتين وأحياناً تستعمل بمعنى التعطف والانحناء الباطني نظير ألفاظ الميل والانحناء والانعطاف وأشباهها فإنّها نفسها تستعمل في أفعال القلوب على سبيل التمثيل أو التوسع في الاستعمال، وهذه الطريقة التي أشرنا إليها اختارها صاحب الكشاف، وبناءً على هذا لا وجه لما اشتهر على السنة علماء الأصول من أن لفظ صلاة بمعنى الدعاء وإن كان يستعمل في بعض أشعار أبناء الجاهلية بهذا المعنى لكن الاستعمال أعم من الحقيقة .

والذين لهم علم بأنساب اللغات ووجوه انتقالها من المعاني إلى نظائرها بصفة جيّدة فإنّهم لا محالة على مذهب صاحب الكشاف ، الذي لم يبلغ مبلغه في فهم معاني الألفاظ والاستفادة من خصوصيات العبارات ووجوه تحوّلها في أساليب اللغات أحد من علماء الأدب.

ص: 128

1- في شرح «صلى الله عليه وآله». (هامش الأصل)

الرحمة : المعنى الموافق لظاهر كتب اللغة هو رقة القلب وانعطافه الموجب للتفضّل وهو من خواص الأجسام واشتقاق الرحم منه لأنّ انعطافه على ما فيه، وإطلاقه على واجب الوجود سبحانه كسائر عوارض الأجسام من الغضب والرضا وغيرهما على وجهين :

الأول: ما قاله الشهيد السعيد في القواعد (1) وساعده جماعة من أهل التحقيق ، قال وأسماء الله تعالى إنّما يؤخذ باعتبار الغايات التي أفعال دون المبادئ

التي هي انفعالات .

وحاصل هذا الكلام أن هذه الأوصاف الملاحظة لنا لها مبادئ راجعة إلى تأثيرات وعوارض الأجسام مثل الحياء وهو انفعال النفس في مقام مخصوص وله ثمرات وآثار من مقولة الفعل والتأثير من قبيل الفضل والإحسان في خصوص محلّ السؤال، وتستعمل هذه الألفاظ بالاعتبار الثاني لا الأول وحينئذ تكون مستعملة على ضوء نتائجها المخصوصة بغض النظر عن أسبابها وعللها الطبيعية وبناءً عليه فهي جميعاً ألفاظ مجازية .

الثاني : ما قاله جماعة من أكابر المحققين وتحريره كالتالي أن المعنى الواحد تنشأ له لوازم باعتبار اختلاف نشأته وتعدّد مواطنه وربّما استحال نفسه إلى حقائق

مختلفة مع كونه معنى عاماً مشتركاً بين جميع المراتب ويكون لفظه اسماً لذلك المعنى العام مثل العلم الذي يعرض لنا وله أسباب وعلل ولوازم عدّة ومن كان مترفعاً عن مستوانا فهو منزّه منها ويكون جوهرأ في عالم العقول والنفوس (2)

ص: 129

1- والرحمة لغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضّل والإحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيه وأسماء الله تعالى إنّما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادئ التي هي أفعال دون المبادئ التي هي انفعال (هامش الأصل والمترجم) القواعد 2 : 167 ، وفي هامش الأصل ص 265 .

2- أي العلم. (المترجم)

ولكنّه في ذات واجب الوجود تعالى ليس جوهرًا ولا- عرضاً بل عين ذاته المقدّسة المتعالية عن شوائب الأعدام والتقائص جلّ ذكره وعزّ قدره.

ولفظ العلم موضوع لذلك القدر المشترك بين المراتب الثلاث وهو خارج عن خصوصيات العلل والمعلولات واللوازم والحدود ومثله الرحمة التي هي اسم للمرتبة الخاصة والدرجة المخصوصة المستلزمة للفضل والإحسان على الآخرين غاية الأمر أنّ هذا العمل ينبعث في البشر من صفة جسمانية وهي رقة القلب ، وهذا معنى كلام بعض المحققين الذي قال: «العوالم متطابقة فما وجد في الأدنى من الصفات الكمالية يوجد في الأعلى على وجه أرفع وأبسط».

وتخصيص اللغويين المعنى باللفظ إما لقصور علمهم وضيق أفقهم وعدم سعة دائرة التعقل عندهم كما هو المتصوّر في اقتصارهم على اللغويات من أمثالهم، وإما أنّهم يكتفون بذكر لوازم الشيء عن ذكره ؛ لأن اللغة لا تلتزم بأكثر من هذا وأنّهم لم يجدوا أكثر مما وجدوه (1). ونحن نزلنا اختلاف أهل اللغة في معنى اللفظ الواحد أو كثرة المعاني للفظ واحد في كلام بعضهم على هذا المذهب، وبهذه الملاحظة لهذا السرّ وغيره من الأسرار يفتح باب واسع في فهم اللغة والاجتهاد في تعيين معاني الألفاظ (2) وهذا الباب خاص بأرباب القرايح اللطيفة

ص: 130

1- وأقول لمولانا الشيخ : إن كنا نتهم علماء اللغة إلى هذه الدرجة المزرية، وبفضلهم عرفنا معاني الألفاظ وأصول وضعها واشتقاقها فمن أين لسادتنا العلماء الذين تحدث سماحته عنهم هذه المعاني التي توصلوا إليها وبنوا مناهجهم على ضوئها فهي إما أن تكون مأخوذة من أصل الوضع وبهذا يرجع إلى اللغوي، وإما أن تكون مستعملة مجازاً ولا ضير في ذلك فالمجال فيه مفتوح للشعراء كما هو مفتوح للعلماء فلا وجه لاتهام علماء اللغة . (المترجم)

2- أقول لمولانا الشيخ : إنّ الاجتهاد مفسد للغة وهو إن جاز في الأحكام الدينية أراه غير جائز في الأحكام اللغوية لأنه في الأول يرجع إلى حجة وهي القرآن والسنة، وفي الثاني يرجع إلى العقل وهو مختلف . (المترجم)

والأذهان الدقيقة من الممارسين المتأملين في مجاري الاستعمالات والمطلعين على أساليب لغة العرب والله الموفق.

وفي هذا المقام إشكال آخر وهو ما معنى طلب الرحمة بعد أن وسعت رحمته كل شيء «وسعت رحمته كل شيء». والجواب على ذلك أن رحمة الله -ل-ى

قسمين:

الأول: عام ويدخل في دائرته كل ما يصدق عليه اسم شيء وموجود حتى العدم باعتبار وجوده الذهني الذي يحمل مفهومه ، وهذه هي الرحمة التي سبقت الغضب بل حتى الغضب يرحم من حيث كونه وجوداً .

الثاني: خاص وهو منوط باختلاف الاستعدادات وتفاوت القابليات، والأولى الرحمة الرحمانية والإشارة إليها بقوله تعالى: «مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ» (1) في اعتقاد بعضهم ، والثاني الرحمة الرحيمية، وهذا اصطلاح مأخوذ من أحاديث أهل بيت العصمة كما قال الإمام الصادق عليه السلام «الرحمن» اسم خاص للصفة عامة، و«الرحيم» اسم عام للصفة خاصة (2). ومعنى ذلك أن ذلك أن اسم الرحمن خاص لا- يطلق على غير الله وموضوع بأزاء الصفة العامة وهي الرحمة المبسوطة على هياكل الموجودات ، والرحيم اسم عام يجوز أن يطلق على غير الله ولكن معناه صفة خاصة قائمة ببعض الموارد واختلاف كمالات الأشياء منوط به ، إذن يقصد بسؤال الرحمة هذه المرتبة وإن كانت تنال نصيباً من هذه الرحمة أيضاً وتختص بكمالات مخصوصة ولكن فيض رحمة الله غير محدودة ووجود المبدأ الفيّاض لا

ص: 131

1- الملك : 3.

2- الرحمة اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة. (مجمع البيان، نور الثقلين 1 : 12 - هامش الأصل)

ينتهي عند حدّ : «لا يزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً إنّه هو العزيز الوهاب».

ومن هذه الجهة لما كانت كلّ طبيعة طالبة لكمالها تطلب الزيادة بالتوسل بأسباب الإفاضة وهم أئمة الهدى عليهم السلام، والمأمول من رحمة الله أن تبلغ المقصد ولما كانت الصلوات والرحمة من أسباب المغفرة وإن لم تظهر آثارها إلا بعد الغفران فقد ذكرت في المقدم.

ويمكن أن يكون المراد من الصلوات القرب والكمال النفساني في الدنيا والمراد من الرحمة الكمال الأخروي وارتفاع الشأن والدرجة، ولا ينافي هذا المعنى ما قاله في فقره السابقة «مقامي هذا..» إذ لعلّ قصده هو أن يحصل في مقامه هذا على صفة بملاحظتها يكون مرحوماً في الآخرة نظير تعقل الواجب التعليقي الذي هو على التحقيق ترجع إليه جميع الواجبات المطلقة أو المقصود طلب الاستحقاق والأهلية المحققة .

المغفرة : مصدر ميمي من الغفران، وهو كما في شرح الصحيفة وسائر كتب اللغة من القاموس والصحاح وغيرهما بمعنى «الستر» ولكنه في معنى «الستر الخاص الصادر من القادر على المؤاخذه مع التجاوز، ولا يقال : غفر زيد ذنب مولاه ولا عيبه، وقيد التجاوز الموجود في التعريف معتبر من خارج اللفظ بل أكمل مراتب الستر رفع آثاره الوجودية بحيث لا يمكن الاستدلال على وجوده ؛ لأن ماله ظهور في الوجود على شكل من الأشكال لا يُعدّ مستوراً، ومع عدم التجاوز يحق العقاب ويعرف وجود الذنب إذن لا يُعدّ مستوراً حقيقة خلافاً لما يتجاوز عنه من رأس ويعني عنه حيث أن إطلاق الستر بناءً على هذا المعنى أحق وأولى.

وليعلم أن معنى بمجموعه يلتئم مع معنى الآية الكريمة : «الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ

وَأَوْلَيْكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ» (1) لأنه بعد ذكر عظم مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام وابتلائه بتلك المصيبة وإظهار الصبر والالتزام بأمر الله تعالى فإنه يستحق الأجر وهو أجر الصابرين الذي وعدهم به في كتابه الكريم... فلذلك توجه إلى طلب كرم الله الذي لا يتناهى ثم شرع في التبتل والضراعة.

محيي: مصدر ميمي من حيي يحيى كما أن ممات مصدر ميمي من مات يموت، ويبعد أن يكون اللفظان اسم مكان وبناءً على الأول فهما مفعولان مطلقان، وعلى الثاني مفعول فيه والفرض منه بيان الحدّ والرتبة اللتين كانت عليهما حياة محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومؤدى الوجهين واحد لأن الغرض من ذلك هو الطلب من الله أن يجعل الداعي تابِعاً لهم وثابتاً على عقائدهم الشريفة وأخلاقهم الكريمة في جميع الأحوال من الموت والحياة، وأن يصله بدرجة المتابعة المطلقة المبيّنة بقوله تعالى: «فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» (2) ليحظى بمحبوبيته (3) العيون : 219، بحار الأنوار : 36: 244 - 56 ط طهران، أمالي الصدوق : 347 مثله . (هامش الأصل) العيون 1 : 62 ، بحار الأنوار 23 : 111 و 25 : 193 ، أمالي الصدوق : 32 و سياقه مختلف . (المترجم) (4) بصائر الدرجات : 15 ، بحار الأنوار : 36: 248. (هامش الأصل) في بصائر الدرجات روايات عدة بهذا السياق وفيها زيادات على ما ساقه المحقق وأقرب رواية إلى روايته هي رقم 9 وفيها: «من سرّه» بدل «من أحبّ» وتختتم بقوله: «ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم». (بصائر الدرجات : 50 ، بحار الأنوار 23 : 137 - المترجم) (5) كامل الزيارات : 71 ، البحار : 44 : 260 ، عوالم العلوم : 138. (هامش الأصل) كامل الزيارات : 69 و 71 وفي البحار عدد من الأحاديث بهذا المعنى وفيها بعض الاختلافات اليسيرة، راجع : ح 22 وج 23 وج 36 والصفحات 122 و 136 و 137 و 138 و 139 و 227 إلى آخره . (المترجم) (6) بصائر الدرجات : 14 ، بحار الأنوار : 36: 247 الرقم 61 ، كامل الزيارات : 69 ح 3 وفيه عن أبي جعفر ، بحار الأنوار : 44: 259 و 302 ، عوالم العلوم : 136 عن أبي عبد الله . (هامش الأصل) بصائر الدرجات عدة أحاديث في معنى ما ساقه المحقق وجميعها تختلف مع سياقه بألفاظ أو عبارات ، راجع الصفحات 51 و 52 و 53 ، ومثله في بحار الأنوار وكامل الزيارات . (المترجم) (7) كامل الزيارات : 69 ، البحار : 44: 302 ، عوالم العلوم : 597 . (هامش الأصل) (8) بصائر الدرجات : 15 ، بحار الأنوار 36 : 248 الرقم 64 . (هامش الأصل) (9) بحار الأنوار : 39: 259 ، مناقب ابن شهر آشوب 2: 4 في محبته ل . (هامش الأصل) . (10) أمالي الصدوق : 33 ، بحار الأنوار : 36 : 227 و 44 : 258 ط طهران، عوالم العلوم - الإمام الحسين 135 . (هامش الأصل) (11) المناقب لابن شهر آشوب 3: 5 (المترجم) (12) بحار الأنوار : 39 : 267 الرقم 42 (هامش الأصل) (13) حلية الأولياء وفضائل أحمد وخصائص النطنزي ، بحار الأنوار : 39: 259 ، كشف الغمة : 28 - 31 ، بحار الأنوار : 39: 276 الرقم 52 ، كتاب الأربعين للحافظ أبي بكر محمد بن أبي نصر عن زياد بن مطرف عن زيد بن أرقم... بحار الأنوار 39 : 275 مناقب ابن شهر آشوب : 42 في محبته (هامش الأصل) (14) أمالي الشيخ : 314 ، بحار الأنوار : 38: 120 الرقم 66 ، وبالإسناد عن مطرف عن زيد بن أرقم... بشارة المصطفى : 194 ، بحار الأنوار : 39: 285 الرقم 75 (هامش الأصل) (15) بصائر الدرجات : 50 ، بحار الأنوار : 44: 258 ، عوالم العلوم : 136 . (هامش الأصل) (16) كتاب سليم بن قيس : 168 ، بحار الأنوار : 40: 96-97 (هامش الأصل) (17) الكافي 1 : 316 و 319 ، بحار الأنوار : 49: 224 الرقم 17 . (هامش الأصل) (18) العيون 1 : 33 ، بحار الأنوار : 48: 277 (هامش الأصل) (19) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) : 38 ، بحار الأنوار : 42: 152 الرقم 20 ط طهران. (هامش الأصل) (20) وبالطبع بحكم الحديث القدسي : لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل

3- وما يلي مرسوم من أراد حياة محمد وآل محمد ومماتهم : 1 - حديث أمير المؤمنين : ماجيلويه وأحمد بن علي بن إبراهيم وابن ناتانة جميعاً عن علي ، عن أبيه ، عن محمد بن علي التميمي قال : حدثني سيدي علي بن موسى الرضا عن أبائه عن علي عن النبي أنه قال : من سره أن ينظر إلى القضيب الياقوت الأحمر الذي غرسه الله عز وجل بيده ويكون متمسكاً به فليتول علياً والأئمة من ولده فإنهم خيرة الله وصفوته وهم المعصومون من كل ذنب وخطيئة

4- . * أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد ، عن محمد بن سنان ، عن أبي العلاء الخفاف، عن الأصمغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله : من أحب أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة عدن التي وعدني ربي ؛ قضيب من قضبانه غرسه بيده ثم قال له كن فكان [وهي جنة الخلد] فليتول علياً [بن أبي طالب - المصدر] والأوصياء من بعده، فإنهم لا يخرجونكم من الهدى ولا يدخلونكم في ضلالة . عبدالله بن محمد، عن إبراهيم بن محمد الثقفي ، عن إبراهيم بن محمد بن ميمون ، مثله

5- . 2 - حديث الإمام الباقر : محمد الحميري، عن أبيه ، عن ابن أبي الخطاب ، عن محمد بن حماد الكوفي ، عن إبراهيم بن موسى الأنصاري ، عن مصعب ، عن جابر ، عن محمد بن علي قال : قال رسول الله : من سرَّ أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة عدن غرسها ربي بيده فليتول علياً ويعرف فضله والأوصياء من بعده [بعدي - خ] ويتبرأ من عدوي ، أعطاهم الله فهمي وعلمي ، هم عترتي من لحمي ودمي ، أشكو إليك [إلى - المصدر] ربي عدوهم من أمتي ، المنكرين لفضلهم القاطعين فيهم صلتني ، والله ليقتلن ابني ثم لا تنالهم شفاعتي .

6- 3 - حديث الإمام الصادق عن رسول الله . * أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة، عن أبي المعزى ، عن محمد بن سالم ، عن أبان بن تغلب قال : سمعت أبا عبدالله يقول : قال رسول الله من أراد أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنة ربي جنة عدن غرسها ربي بيده فليتول علي بن أبي طالب وليتول وليه وليعاد عدوه وليسلم الأوصياء من بعده فإنهم عترتي من لحمي ودمي ، أعطاهم الله فهمي وعلمي ، إلى الله أشكو من أمتي المنكرين لفضلهم والقاطعين فيهم صلتني [والقاطعين صلتني - المصدر] وأيم الله ليقتلن ابني ، لا أنالهم الله شفاعتي .

7- * ابن الوليد ، عن الصفار، عن اليقطيني، عن زكريا المؤمن ، عن أيوب بن عبدالرحمن وزيد بن الحسن وعباد جميعاً عن سعد الإسكاف ، قال : قال أبو عبد الله [أبو جعفر - المصدر] قال رسول الله : من سره أن يحيا حياتي [محياي - المصدر] ويموت مماتي ويدخل جنة عدن [فليلزم] قضيب غرسه ربي بيده فليتول علياً والأوصياء من بعده وليسلم لفضلهم فإنهم الهداة المرضيون ، أعطاهم الله فهمي وعلمي وهم عترتي من لحمي [خلقي - الأصل] ودمي ، إلى الله أشكو عدوهم من أمتي ، المنكرين لفضلهم ، القاطعين فيهم صلتني ، والله ليقتلن ابني لا أنالهم الله» [لا نالهم - خ والبحار] شفاعتي

8- . 4 - حديث الإمام علي بن موسى الرضا : أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد ، عن الحسين بن بشار [يسار - المصدر] عن أبي الحسن الرضا قال : قال رسول الله من أحب أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة عدن التي وعدني ربي قضيب من قضبانه غرسه بيده ثم قال له : كن فكان فليتول علي بن أبي طالب والأوصياء من بعده فإنهم لا يخرجونكم من هدى ولا يدخلونكم في ضلاله . عبدالله بن محمد، عن إبراهيم بن محمد، عن عبدالرحمن بن أبي ، مثله .

9- 5 - أحاديث الصحابة عن رسول الله : * ابن عباس وأبو هريرة عن رسول الله من سره أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنة عدن منزلي منها غرسه ربي ثم قال له كن فيكون، فليتول علي بن أبي طالب ولياً ثم الأوصياء من ولده فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ...

10- * بالإسناد عن ابن عباس قال : قال رسول الله : من سره أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنة عدن منزلي ويمسك قضيباً غرسه ربي عز وجل ثم قال له كُن فكان فليتول علي بن أبي طالب ولياً ثم الأوصياء من ولده فإنهم عترتي ، خلُقوا من طينتي ، إلى الله أشكو أعدائهم من أمتي ، المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتني، وأيم الله ليقتلن ابني الحسين بعدي لا أنالهم الله شفاعتي .

11- * ابن شهر آشوب : قال عبدالله بن موسى تشاجر رجلان في الإمامة فتراضيا بشريك بن عبدالله ، فجاء إليه ، فقال شريك : حدثني

الأعمش عن شقيق عن سلمة عن حذيفة اليمان ، قال النبي : إن الله عزّ وجل خلق علياً قضيياً من الجنة فمن تمسك به كان من أهل الجنة . فاستعظم ذلك الرجل وقال : هذا حديث ما سمعناه ، نأتي ابن دراج ، فأتيه فأخبره بقصتهما ، فقال : أتعجبان من هذا؟ حدثني الأعمش عن أبي هارون العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله : إن الله خلق قضيياً من نور فعلقه ببطنان عرشه لا يناله إلا علي ومن تولاه من شيعته . فقال الرجل : هذه أخت تلك ، نمضي إلى وكيع ، فمضيا إليه فأخبره بالقصة ، فقال وكيع : أتعجبان من هذا ؟ حدثني الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله : إن أركان العرش لا ينالها إلا علي ومن تولاه من شيعته . قال : فاعترف الرجل بولاية علي .

12- قال خطيب منبج : لقد غرس الإله بدار عدن***قضيياً وهو خير الفارسينا من الياقوت يستعلي وينمو***على قضبانها حسناً ولينا فإن شتمتم تمسكتم فكونوا***بجبل أخي من المتمسكينا وقال الصفر البصري : يروى بأن أبا هريرة قال لي***إني ملأت من النبي مسامعا من رام أن يتمسك الغصن الذي***من أحمر الياقوت أصبح لامعا من غرس رب العالمين وزرعه***من جنتي عدن تبارك زارعا فليلقين لولاية الهادي أبي***حسن عليّ ذي المناقب تابعا * حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله الله الله : من سره أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويتمسك بالقصبة الياقوتة التي خلقها الله ثم قال لها كوني فكانت فليتول علي بن أبي طالب من بعدي

13- * زيد بن أرقم عن النبي قال : من أحب أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي عزّ وجلّ غرس قضبانها بيده فليتول علي بن أبي طالب فإنه لم يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة .

14- * جماعة ، عن أبي المفضل ، عن عبد الله بن أبي ياسين ، عن محمد بن عبدالرحمن بن كامل ، عن علي بن جعفر الأحمر ، عن يحيى بن يعلى ، عن عمار بن زريق ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن مطرف ، عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله من أحب أن يحيى حياتي ويموت موتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي فليتول علياً بعدي فإنه لن يخرجكم من هدى ولا يدخلكم في ردى .

15- * محمد بن الحسين [محمد بن الحسن - المصدر] عن يزيد بن شعر [يزيد شعر - المصدر] عن هارون ابن حمزة ، عن عبدالرحمن ، عن سعد الإسكاف ، عن محمد بن علي بن عمر بن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله من سره أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنة ربي التي وعدني جنة عدن منزلي ، قضيب من قضبانه غرسه ربي تبارك وتعالى بيده فقال له كن فكان ، فليتول علي بن أبي طالب والأوصياء من ذريته ، إنهم الأئمة من بعدي هم عترتي من لحمي ودمي ، رزقهم الله فضلي وعلمي ، وويل للمنكرين فضلهم من أمتي ، القاطنين صلتي ، والله ليقتلن ابني ، لا أنا لهم الله شفاعتي .

16- من أراد أن يطهر قلبه عرفه ولاية علي بن أبي طالب ، ولم يبلغ إبراهيم وموسى وعيسى المرتبة إلا بذلك سليم بن قيس : سمعت رسول الله يقول : إن الله توحد بملكه فعرف أنواره نفسه ثم فوض إليهم وأباحهم جنته ، فمن أراد أن يطهر قلبه من الجن والإنس عرفه ولاية علي بن أبي طالب ، والذي نفسي بيده ما استوجب آدم أن يخلقه الله وينفخ روحه من روحه أن يتوب عليه ويرده إلى جنته إلا بنبوتي والولاية لعليّ بعدي ، والذي نفسي بيده ما أرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ولا اتخذته خليلاً إلا بنبوتي والإقرار لعلي بعدي ، والذي نفسي بيده ما كلف الله موسى تكليماً ولا أقام عيسى آية للعالمين إلا بنبوتي ومعرفة عليّ بعدي ، والذي نفسي بيده ما تنبأ نبي إلا بمعرفتي والإقرار لنا بالولاية ، ولا استأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية والإقرار لعليّ بعدي .

17- تفسير حياة محمد وآل محمد ومماتهم أحمد بن مهران ، عن محمد بن علي ، عن أبي الحكم ، عن عبد الله بن إبراهيم الجعفري وعبدالله بن محمد بن عمار ، عن يزيد بن سليط قال : لما أوصى أبو إبراهيم ، أشهد إبراهيم بن محمد الجعفري وإسحاق بن محمد الجعفري وإسحاق بن جعفر بن محمد وجعفر بن صالح ومعاوية الجعفري ويحيى بن الحسن بن زيد بن علي وسعد بن عمران الأنصاري ومحمد بن جعد بن سعد الأسلمي - وهو كاتب الوصية الأولى [أي وصية آبائه كما سيشير إليه قوله ، وقد نسخت قبل ذلك في صدر الكتاب أو تحت الختم . قيل : المراد أنّ هذه الوصية موافقة لوصاياهم فالمعنى نسخت بعين كتابة هذه الوصية التي وصيا بها - بحار الأنوار 49 : 228] - أشهدهم أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله

يبعث من في القبور ، وأن البعث بعد الموت حق ، وأن الوعد حق ، وأن الساعة حق ، وأن القضاء حق ، وأن الوقوف بين يدي الله حق ، وأن ما جاء به محمد حق ، وأن ما نزل به الروح الأمين حق ، على ذلك أحيي وعليه أموت ، وعليه أبعث إن شاء الله .

18- * ابن إدريس ، عن محمد بن أبي الصهبان ، عن عبد الله بن محمد الحجاج أن إبراهيم بن عبد الله الجعفري حدثه عن عدة من أهل بيته أن أبا إبراهيم موسى بن جعفر أشهد على وصيته إسحاق بن جعفر بن محمد بعد أن أشهدهم أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن البعث بعد الموت حق ، وأن الحساب والقصاص حق ، وأن الوقوف بين يدي الله حق ، وأن ما جاء به محمد حق حق حق ، وأن ما نزل به الروح الأمين حق ، على ذلك أحيأ وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله ...

19- * حمدويه وإبراهيم معاً ، عن أيوب بن نوح ، عن صفوان بن يحيى ، عن عاصم بن حميد ، عن سلام بن سعيد ، عن عبد الله بن عبد ياليل عن رجل من أهل الطائف قال : أتينا ابن عباس رحمة الله عليهما نعوده في مرضه الذي مات فيه . قال : فأغمي عليه في البيت فأخرج إلى صحن الدار ، قال : فأفاق فقال : إن خليلي رسول الله قال : إني سأهاجر هجرتين ، وإني سأخرج من هجرتي ، فهاجرت هجرة مع رسول الله وهجرة مع عليّ وإني سأعمى فعميت ، وإني سأغرق فأصابني حجة فطر حني أهلي في البحر فغفلوا عني فغرقت ثم استخر جوني بعد ، وأمرني أن أبرأ من خمسة من الناكثين وهم أصحاب الجمل ، ومن القاسطين وهم أصحاب الشام ، ومن الخوارج وهم أهل النهروان ، ومن القدرية وهم الذين ضاهوا النصارى في دينهم ، فقالوا : لا قدر ومن المرجئة وهم الذين ضاهوا اليهود في دينهم فقالوا الله أعلم . قال : ثم قال : اللهم إني أحيأ على ما حيي عليه علي بن أبي طالب وأموت على ما مات عليه علي بن أبي طالب ، قال : ثم مات فغسل وكفن ثم صلي على سريره . قال : فجاء طائران أبيضان فدخلا في كفنه فرأى الناس إنما هو فقعه فدفن .

حتى أحبه فإذا أحببته صرت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده

ص: 139

التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها... (1) كما في بعض الطرق، فإذا أحبه الله صدرت منه أعمال إلهية واستنشقت منه روح الرحمن كما في الحديث الصحيح المتفق عليه في حق أويس : إني وجدت روح الرحمن من طرف اليمن» (2) ونعم ما قيل :

چون اويس از خویش فانی گشته*** بود آن زمینی آسمانی گشته بود

ص: 140

1- الكافي 2 : 352 ح 5 كتاب الكفر والإيمان باب 145 (هامش الأصل)

2- أويس القرني كان ممن شهد له رسول الله بالجنة ولم يره ، وشهد مع أمير المؤمنين صفين واستشهد بها. روي عن أمير المؤمنين أنه أخبره النبي أنه يدرك رجلا من أمته يقال له أويس القرني يكون من الله حزب الله ، يموت على الشهادة ، يدخل في شفاعته مثل ربيعة و مضر . روي عن رسول الله أنه كان يقول : تفوح روائح الجنة من قبل قرن ، واشوقاه إليك يا أويس القرني ، ألا ومن لقيه فليقرئه مني السلام. فقيل : يا رسول الله ، ومن أويس القرني ؟ قال : إن غاب عنكم لم تفتقدوه، وإن ظهر لكم لم تكثروا به، يدخل الجنة من شفاعته مثل ربيعة ومضر ، يؤمن بي ولا يراني ، ويقتل بين يدي خليفتي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في صفين . قيل لأويس القرني : كيف أصبحت ؟ قال : كيف يصبح رجل إذا أصبح لا يدري أي مسمى ، وإذا أمسى لا يدري أيصبح ؟ (سفينة البحار 1 : 53 مادة أويس). قال أمير المؤمنين بذي قار وهو جالس لأخذ البيعة : يأتكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً، يبايعوني على الموت. قال ابن عباس : فجزعت لذلك وخفت أن ينقص القوم من العدد أو يزيدوا عليه فيفسدوا الأمر علينا، وإني أحصي القوم فاستوفيت عددهم تسعمائة رجل وتسعة وتسعين رجلاً ، ثم انقطع مجيء القوم ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ماذا حملة على ما قال ؟ فبينما أنا مفكر في ذلك إذا رأيت شخصاً قد أقبل حتى دنا وهو رجل عليه قباء صوف ومعه سيف وترس وأداة ، فقرب من أمير المؤمنين ، فقال : أمدد يديك لأبايعك ، قال علي : وعلى ما تبايعني ؟ قال : على السمع والطاعة والقتال بين يديك أو يفتح الله عليك ، فقال : ما اسمك ؟ قال : أويس القرني ، قال : نعم، الله أكبر ، قد أخبرني حبيبي رسول الله أنني أدرك رجلاً من أمته يقال له أويس القرني يكون من حزب الله ، يموت على الشهادة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر . قال ابن عباس : فسري عني . (الخرائج - البحار 41 : 300 في إخباره بالغائبات). (هامش الأصل)

آن هلیله پروریده در شکر***چاشنی تلخیش نبود دگر

آن هلیله رسته از ما و منی***از هلیله شکل دارد طعم نی

والله أعلم بمراد أولیائه .

وحین اویس لم یحس بذاته***وطینته صارت إلى عالم السما

وذات المذاق المرديفت بسکر***فلم يتجرع طعمها المرء علقما

وهذا الطليق الحرّ من شكل نطفة***دع الشكل ما أعلاه حرّاً وأعظما

ص: 141

اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ تَبَرَّكَتْ بِهِ بَنُو أُمَّيَّةٍ ...

الشرح : التبرك : التيمن بالشيء ، كما جاء في كتاب منتهى الإرَب» وهو يوافق ما هو مذكور في القاوس والصحاح وغيرهما، وهو مشتق من البركة بمعنى النماء والزيادة وذخيرة السعادة والأصل في معنى البركة من برك البعير إذا أناخ في موضع فلزمه ، ولَمَّا كان مبرك البعير يستلزم الثبوت والدوام قياساً إلى حاله في الحركة ، والأمر السعيد الباقي المتزايد إذا كان ثابتاً استعمل فيه ، كما قال ابن الأثير في النهاية : اللهم بارك على محمد وآل محمد، أي ثبت وأدم له ما أعطيت من التشريف والكرامة. وسمي الحوض بركة لأن الماء يدوم فيه، كما في الصحاح حيث قال ذلك : «ويقال : سميت بذلك لإقامة الماء» وترجع سائر الاستعمالات أيضاً إلى هذا المعنى.

وقال ابن الأثير في النهاية بعد ذكره معنى البروك ومعنى الزيادة والنماء: «والأصل الأول» والوجه ما بيّناه.

وفي شرح الصحيفة عن الراغب الأصفهاني وهو من مهرة أهل الصناعة هذه أنه قال: «البركة ثبوت الخير الإلهي» وهذا الكلام شاهد على التحقيق السالف .

وهذا النوع من التوسع في لغة العرب ليست من القلة بحيث يمكن الإحاطة بها، من هذه الجهة أنكر بعض فقهاء اللغة الاشتراك فيها وهذا وإن لم يكن صحيحاً قطعاً إلا أن أكثر موارد الاشتراك - اللفظي - وقد حسبته اللغويون القشريون متعدّد المعنى وتابعهم السطحيون من أهل الصناعات وجروا على ظواهر كلامهم راجع إلى الاشتراك المعنوي وإلى المناسبات البعيدة والانتقالات الخفية وقد كانت بنظر اللغويين في بدو الانتقال قريبة ظاهرة إلا أن تطاول الزمان ونسيان القرائن أخفت المناسبة فكان الاشتراك لذلك، فمن كان يتتبع بذهن وقاد كتب

الأدباء العارفين بالحقيقة والباحثين عن الدقيقة أصحاب الإجادة والتصرف مثل السيدين الجليلين - رضي الله عنهما - المرتضى والرضي، ونجم الأئمة والسيد عليخان والزمخشري والمطرزي، والخطيب التبريزي، والراغب الأصفهاني والجوهري أحياناً، والفيومي وابن الأثير وغيرهم من أصحاب معرفة لباب معاني البيان ونيل حقائق مقاصد الكلام، شريطة أن يكون على بصيرة من وجوه الاستفادات وبيانات القوم، وطريقة العرب عند التحول في أساليب المعاني وفنون التعبير فإنه يستطيع بمعونة الملكة القوية والطريقة السوية أن يلمّ بالمناسبات والقرائن في كثير من المواضع، ويصبح نسابة اللغة ومحققاً في فنّ الأدب.

وأخيراً نقول: إن تبرك بنى أمية في مثل هذا اليوم المشئوم على وجوه:

الأول: ادّخار القوت والأطعمة في هذا اليوم إعلاناً للسرور بقتل الإمام المظلوم، وهذه ثلثة كبيرة في الإسلام - وهي علامة على الخيبة والخسران ومنبع الفساد والعار - حيث اعتبروه يوم فتح وظفر وادّخروا أطياب الطعام فيه إلى العام القادم؛ لأنه يوم سعادة لهم وسعة في الرزق ورغد في العيش كما جاء في الأخبار المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام فقد نهوا عن هذا الأمر مراراً وتكراراً من باب التعريض ببني أمية لعنهم الله.

ففي الأمالي والعيون وغيرهما وسبق السند إلى الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبتته وحزنه وبكائه جعل الله عزّ وجلّ يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقوّت بنا في الجنان عينه، ومن سمى يوم عاشوراء يوم بركة وادّخر فيه المنزل شيئاً لم يبارك له فيما ادّخر وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد

وعمر بن سعد لعنهم الله إلى أسفل درك من النار. (1)

وقال شيخ الطائفة - قدس الله نفسه الزكية - في «المصباح الكبير» بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام ضمن خبر طويل في آداب أعمال يوم عاشوراء الذي قرأناه في الباب الأول من شرح سند الزيارة المقدسة الشريف على التمام أنه قال لعلقمة: وإن استطعت أن لا تنتشر يومك في حاجة فافعل فإنه يوم نحس لا تقضى فيه حاجة مؤمن فإن قضيت لم يبارك ولم ير فيها رشداً، ولا يدخرن أحدكم لمنزله فيه شيئاً، فمن ادخر في ذلك اليوم شيئاً لم يبارك له فيما ادخره، ولم يبارك له في أهله ... الخ. (2)

كناية عن أولئك الذين طعموا من تلك الذخيرة فإن الله يسلب منهم البركة جميعاً من العلم والعمل والرزق والمعاش والدين والدنيا، ويلازمهم الشؤم والنحس، وينتقلون من خزي الدنيا إلى عذاب الآخرة، والله عالم بمراد أوليائه .

وأخبار أخرى حول هذا المعنى يجدها المتتبع ، وتوجد أخبار في كتب العامة تطابق ما ذكره الأئمة من منع الادخار والتبرك الأموي لا فائدة من ذكرها.

الوجه الآخر من وجوه التبرك، إقامة تقاليد العيد من التوسعة على العيال وتجديد الثياب وقص الشارب وتقليم الأظفار والمصافحة والمعابدات الأخرى التي درج الناس على اتخاذها في الأعياد ، وهي سنة بني أمية وأتباعهم - وهم عامة أهل السنة والجماعة - التي جرى عليها كما يشاهد اليوم فعلاً في بلادهم لاسيما البلاد النائية عن بلاد التشيع مثل مكة والمدينة، فقد اعتادوا على تسمية هذا اليوم

ص: 144

1- أمالي الصدوق : 112 المجلس السابع والعشرون، بحار الأنوار 44: 284، عوالم العلوم ، مجلد الإمام-ام الحسين : 540 عن الأمالي . (هامش الأصل) اللفظ للأمالي : 129 في نسخة المترجم .

2- مصباح الطوسي : 538 - 542 ، كامل الزيارات : 174 ، بحار الأنوار 98: 290 و 296 ط لبنان . (هامش الأصل) وفي نسخة المترجم من المصباح : ص 773

«بعيد العاشور» وبالغوا في إظهار المسرات به بحيث لا يشبه ما يجري فيه من التقاليد والأفراح أي عيد من أعيادهم من يشاهد حالات أهل المدينة في يوم عاشوراء الذين هم شرار خلق الله - كما ورد في حديث معتبر - يقف ع-ل-ى م-ا يضمرون في خواطرهم من أنواع المسرات في ذلك اليوم، كيف يظهر الفرح والنشاط في يوم وقوع هذه المصيبة العظيمة؟!

خاطب عبدالملك بن حبيب السلمي - وهو عالم الأندلسيين ويقال عنه أن-ه ألف ألف كتاب-واحداً من خلفاء بني أمية وهنأه في يوم عاشوراء بهذه الأبيات:

لا تنس لا ينسك الرحمن عاشورا***واذكره لا زلت في التاريخ مذكورا

قال النبي صلاة الله تشمله***قولاً وجدنا عليه الحق والنورا

فيمن توسع في إنفاق موسمه***أن لا يزال بذاك العام ميسورا

وقال في نفع الطيب : وهذا البيت الثالث نسيت لفظه فكتبته بالمعنى والوزن إذ طال عهدي به ، والله تعالى أعلم (1).

وانظر كيف حرّضه على الإنفاق وحرّكه على التوسعة في يوم عاشوراء ونسبه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : من وسع في الإنفاق في هذا اليوم وسع عليه في العام كلّه وقضى عامه باليسر والراحة ، نعوذ بالله من هكذا أكاذيب التي أضيفت إلى الشريعة وألصقوها بالله ورسوله ، فما أحسن ما قاله عالم حكيم متزن الأخلاق :

دين تورا در پی آرایشند***در پی آرایش و پیرایشند

بسکه بر او بسته شده برگ و ساز***گرتو بینی شناسیش باز

حملوا دينك ما لم يحتمل***بالأكاذيب وأقوال السفلى

غيروا الدين فلو أبصرته***لم يكن ديناً من الله نزل

ص: 145

1- نفع الطيب 2 : 2 (المترجم)

ولقد جمع الشاعر الفاضل أحمد بن منير الطرابلسي رحمة الله عليه في قصيدته التتيرية التي خاطب بها السيد الشريف الأجل المرتضى الرازي -وهو متأخر عن السيد الأجل الأعظم المرتضى ذي المجدين قدس سره الزكي وألحقه بالمقام العلي العلوي وعمي على الكثيرين أن الخطاب معه عقائد أهل السنة، والعجيب في أن جماعة منهم مثل تقي الدين ابن حجة في كتاب ثمرات الأوراق أن القصيدة تطابق معتقداتهم، وفي هذه القصيدة يشير إلى الأمور المتعلقة عاشوراء جميعها فيقول:

وحلقت في عشر المحرم *** ما استطل من الشعر

ونويت صوم نهاره *** وصيام أيام آخر

ولبست فيه أجل ثوب *** للملابس يدخر

وسهرت في طبخ الحبوب *** من العشاء إلى السحر

وغدوت مكتحلاً أصافح *** من لقيت من البشر

ووقفت في وسط الطريق *** أقص شارب من غبر

الأمر الثالث من وجوه التبرك : الالتزام باستحباب صوم هذا اليوم وقد وضعوا ذلك أخباراً كثيرة والتزموا بصيام هذا اليوم كما صرحوا في متون شروح كتب الفتوى وكتب أخبارهم باستحباب صومه وتأكد ندبه من غير وجه ، وإن كان لي معهم موقف حوار ونقاش على مبناهم معهم وسنوافيك به في آخر البحث إن شاء الله تعالى، وسمعت الإشارة إليه في شعر ابن منير .

والظاهر أن التطابق على الاستحباب وفضله حاصل من المذاهب الأربعة ولا خلاف عندهم في المسألة لأن المسألة أساساً تعود إلى أصولهم وهي معادة أهل البيت عليهم السلام وهو قاسم مشترك بين الطوائف الأربعة ولا اختصاص له بطائفة دون أخرى، ويجب أن تعلم أن أخباراً في استحباب صوم عاشوراء وردت من طرفنا

وأخباراً تدمّ ذلك ، ويناسب هذا المقام الإتيان بشطر من أخبار القسّمين ونذكر بعضاً من وجوه رفع التعارض الذي ذكره العلماء رضوان الله عليهم، ونذكر في أثناء ذلك ما يعن لنا من الأفكار التي يسدّد لها الباري سبحانه بفضل واستمداد أهل البيت عليهم السلام ، فنقول إذاً:

روى الشيخ في التهذيب وساق السند إلى أبي همام أن الإمام أبا الحسن الرضاء عليه السلام قال : صام رسول الله يوم عاشوراء .(1)

وفي سنده إلى مسعدة بن صدقة روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه روى عن الإمام الباقر عليه السلام أن علياً عليه السلام قال : صوموا العاشوراء التاسع والعاشر فإنه يكفر ذنوب سنة .(2)

وكذلك أسند عن عبد الله بن ميمون القداح عن الصادق عليه السلام عن أبيه أنه قال: صيام يوم عاشوراء كفارة سنة .(3)

وأسند عن جعفر بن عثمان أنه روى عن صادق آل محمّد أنّه قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً ما يتفل في يوم عاشوراء في أفواه الأطفال المراضيع من ولد فاطمة سلام الله عليها من ريقه فيقول : ما نطعمهم شيئاً إلى الليل. وكان يروون من ريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت الوحش تصوم يوم عاشوراء على عهد داود .(4)

وأسند أيضاً عن الزهري عن علي بن الحسين عليه السلام أن يوم عاشوراء من الأيام

ص: 147

-
- 1- وسائل الشيعة، كتاب الصوم، باب 20 الرقم 1 ص 337. (هامش الأصل) تهذيب الأحكام 4 : 299 . (المترجم)
 - 2- وسائل الشيعة، باب 20 الرقم 2. (هامش الأصل) تهذيب الأحكام 4 : 299 . (المترجم)
 - 3- وسائل الشيعة، باب 20 الرقم 3. (هامش الأصل) تهذيب الأحكام 4 : 299 . (المترجم)
 - 4- وسائل الشيعة، باب 20 الرقم 4. (هامش الأصل) تهذيب الأحكام 4 : 309 باب الزيادات . (المترجم)

التي يكون المرء في صومه بالخيار ؛ إن شاء صام وإن شاء أفطر. (1)

وأُسند أيضاً عن كثير النوا عن الإمام أبي جعفر عليه السلام إنه قال : لزقت السفينة سفينة نوح - يوم عاشوراء على الجودي فأمر نوح عليه السلام من معه من الجن والإنس أن يصوموا ذلك اليوم... (2)

وهذه مجموع الأخبار الواردة في استحباب صوم يوم عاشورا التي أوردها الشيخ شرف الله قدره في التهذيب واقتصر عليها في كتب الاستدلال والأخبار المعتبرة مثل (الوسائل).

وأما أخبار المنع : فإنّ الصدوق له بإسناده عن زرارة ومحمد بن مسلم رضي الله عنهما روى عنهما أنّهما سألا أبا جعفر الباقر الا عن صوم يوم عاشوراء ، فقال :

كان صومه قبل شهر رمضان فلما نزل شهر رمضان ترك (3).

وساق الكليني روح الله رمسه السند إلى عبدالملك أنّه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صوم تاسوعاء وعاشوراء من شهر المحرم ، فقال : تاسوعاء يوم حوصر فيه الحسين وأصحابه رضي الله عنهم بكريلاء واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها، واستضعفوا فيه الحسين صلوات الله عليه وأصحابه رضي الله عنهم وأيقنوا أن لا يأتي الحسين عليه السلام ناصر ولا يمدّه أهل العراق بأبي المستضعف الغريب. ثمّ قال : وأمّا عاشوراء فيوم أصيب فيه الحسين صريعاً بين أصحابه، يوم وأصحابه صرعى حوله عراة ، أفصوم يكون في ذلك اليوم ؟ كلا ورب البيت

ص: 148

1- وسائل الشيعة، كتاب الصوم، الباب 20 الرقم 6 . (هامش الأصل) تهذيب الأحكام 4 : 296 باب 67 وجوه الصيام. (المترجم)

2- وسائل الشيعة، كتاب الصوم، الباب 20 الرقم 5. (هامش الأصل) تهذيب الأحكام 4:300. (المترجم)

3- وسائل الشيعة، كتاب الصوم، باب 21 الرقم (هامش الأصل) و 10: 459. (المترجم)

الحرام ، ما هو يوم صوم وما هو إلا- يوم حزن ومصيبة دخلت على أهل السماء وأهل الأرض وجميع المؤمنين ، ويوم فرح وسرور لابن مرجانة وآل زياد وأهل الشام غضب الله عليهم وعلى ذريّاتهم، وذلك يوم بكت عليه جميع بقاع الأرض خلا بقعة الشام؛ فمن صامه أو تبرك به حشره الله مع آل زياد ممسوخ القلب مسخوطاً عليه ، ومن ادّخر إلى منزله ذخيرة أعقبه الله تعالى نفاقاً في قلبه إلى يوم يلقاه ، وانتزع البركة عنه وعن أهل بيته وولده، وشاركه الشيطان في جميع ذلك (1).

وفي الكافي والتهذيب أيضاً بإسنادهما عن جعفر بن عيسى اليقطيني قال: سألت الرضا عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء وما يقول الناس فيه ، فقال : عن صوم ابن مرجانة لعنه الله تسألني ، ذلك يوم ما صامه إلا الأعداء من آل زياد بقتل الحسين صلى الله عليه، وهو يوم تشائم به آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويتشائم به أهل الإسلام واليوم المتشائم به الإسلام وأهله ، لا يصام ولا يتبرك به ، ويوم الاثنين يوم نحس قبض الله فيه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وما أصيبت آل محمّد إلا في يوم الاثنين فتشائمنا به، وتبرك به أعداءنا، ويوم عاشوراء قتل الحسين وتبرك به ابن مرجانة وتشائم به آل محمد فمن صامها وتبرك بهما

لقي الله عزّ وجلّ ممسوخ القلب، وكان محشره مع الذين سنّوا صومهما وتبرّكوا بهما. (2)

وفي أصل زيد النرسي وهو من الأصول المعتبرة ونحن أثبتنا في علم الرجال في موضعه منها (حاشية رجال النجاشي) إجمالاً وتفصيلاً اعتباره، ونقل عنه عنه في الكافي والتهذيب أيضاً، يقول: سمعت عبيد بن زرارة يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن

ص: 149

1- وسائل الشيعة باب 21 الرقم 2 ، الكافي 4 : 147 . (المترجم)

2- وسائل الشيعة ، باب 21 الرقم 2. (هامش الأصل) تهذيب الأحكام 4 : 301 واللفظ له، والكافي 4:146. (المترجم)

صوم يوم عاشوراء ، فقال : من صامه كان حظه من صيام ذلك اليوم حظ ابن مرجانة وآل زياد .

قال : قلت : وما كان حظهم من ذلك اليوم ؟ قال : النار ، أعاذنا الله من النار ومن عمل يقرب من النار ..(1)

والحديث ذاته أثبته الشيخ المفيد قدس الله سره السعيد أيضاً في كتاب المقنعة بإرسال معتمد .(2)

وكذلك حدّث ثقة الإسلام ضاعف الله قدره وشيخ الطائفة رفع الله ذكره عن نجية بن الحارث العطار مسنداً أنه قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء فقال : صوم متروك بنزول شهر رمضان، والمتروك بدعة.

قال نجبة : فسألت أبا عبد الله عليه السلام من بعد أبيه عليه السلام عن ذلك، فأجابني بمثل جواب أبيه ، ثم قال: أما إنّه صوم يوم ما نزل به كتاب ولا جرت به سنة إلا سنة آل زياد بقتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما (3).

وفي الكافي والتهذيب أيضاً مسنداً عن زرارة أنه روى عن الصادقين عليهما السلام قالاً : لا تصم في يوم عاشوراء ولا عرفة بمكة ولا في المدينة ولا في وطنك ولا في مصر من الأمصار (4) إذا كان ينافي الدعاء ، وهذا القيد موصول بالأخبار الأخرى.

ص: 150

1- وسائل الشيعة ، كتاب الصوم، باب 21 الرقم 4. (هامش الأصل) 10 : 461. (المترجم)

2- المقنعة : 377 ط قم 1410 تحقيق جامعة المدرّسين . (المترجم)

3- وسائل الشيعة، كتاب الصوم، باب 21 الرقم 5. هامش الأصل الكافي 4:146 باب صوم عرفة وعاشوراء ، تهذيب الأحكام 2 : 301 ح 13 باب المواقيت . (المترجم)

4- وسائل الشيعة ، كتاب الصوم، باب 21 الرقم 6. (هامش الأصل) الكافي 4 : 146، والتهذيب 4:300 ولم أعر على القيد في الكتب الثلاثة (المترجم)

وفي التهذيب ومجالس الشيخ اعزّ الله شأنه وساق السند إلى أبي غندر (1) عن أبيه عن أبي عبدالله قال : سألته عن صوم يوم عرفة ، فقال : عيد من أعياد المسلمين ويوم دعاء ومسألة ، قلت : فصوم عاشوراء ، قال : ذلك يوم قُتل فيه الحسين عليه السلام فإن كنت شامتاً فصم ، ثم قال : إن آل أمية نذروا نذراً إن قتل الحسين أن يتخذوا ذلك اليوم عيداً لهم يصومون فيه شكراً ويُفرحون أولادهم ، فصارت في آل أبي سفيان سنة إلى اليوم فلذلك يصومونه ويدخلون على عيالاتهم وأهاليهم الفرح ذلك اليوم .

ثم قال : إن الصوم لا يكون للمصيبة ولا يكون إلا شكراً للسلامة ، وإنّ الحسين عليه السلام أصيب يوم عاشوراء فإن كنت فيمن أصيب به فلا تصم ، وإن كنت شامتاً ممّن سره سلامة بني أمية فصم شكراً لله تعالى (2) .

هذه جملة من الأخبار الواردة في المنع من صوم يوم عاشوراء والاختلاف ظاهر بين الطائفتين من الأخبار ، لهذا عمد علماء الشيعة رضوان الله عليهم إلى الجمع بينها وتوجيهها وخطر لي عدد من الوجوه في رفع التنافي والاختلاف بينها من خلال تتبعي في مطاوي كلمات الأصحاب .

الوجه الأول

أن الصوم يقع على قسمين : الأول : صوم الترك وعنوانه التعييد والمسرة ، والثاني صوم الحزن لمن أمت بهم المصيبة وتنزل الأخبار الناهية على القسم

ص : 151

1- في السند الحسين بن أبي غندر . (المترجم) وقال المحقق : أبو غندر ، بضم العين المعجمة وسكون النون كما أثبت ذلك العلامة في الإيضاح . (منه)

2- وسائل الشيعة ، كتاب الصوم باب 21 الرقم 7 ، بحار الأنوار 45 : 95 (هامش الأصل) وسائل الشيعة 10 : 462 . (المترجم)

الأول ، وأخبار الإذن بالصوم على القسم الثاني. فارتفع الاختلاف بهذا ونسبوا هذا الجمع إلى المشهور بل ادعوا عليه الإجماع كما أن عبارات الغنية تشتمل عليه. وفي الرياض والجواهر نفي وجود الخلاف لاستحباب الحزن والإنصاف يقضي سقوط هذا الجمع إذ ليس له طريق في مشرب الاستدلال، ولا مسرح في وادي الصحة لأنّه :

أولاً : نأتي إلى أخبار الطائفة الأولى فنجدها من حيث السند لا تقوم بمقابلة الأخبار المانعة لأنّ خبر «مسعدة» في هذا الموضوع ليس بحجة لأنه باعتراف الكشي والشيخ في الفهرست والاختيار (1) والعلامة في الخلاصة وغيرهم، عامي المذهب ومن الطائفة الخبيثة البترية وهي أخبث فرق الزيدية مضافاً إلى أن هارون بن مسلم الراوي عنه بتصريح النجاشي والعلامة قدّس سرهما يقول بمذهب أهل الجبر والتشبيه ، وهذا كاشف عن فساد مذهبه وإن كان قد وثّقوه.

وفي الخبر الثاني عبدالله بن ميمون القداح نقل الكشي عن جبرئيل ، عن محمد ابن عيسى أنّه زيدي المذهب ولا وجه لتضعيف هذا السند لأن جبرئيل بن أحمد معتمد عند الكشي وهذه أمانة الجلالة بل الوثيقة ، ومحمد بن عيسى من أجلة الثقات، وسياق رواية عبدالله حيث عبّر عن الإمام الصادق بجعفر في خصوص هذا الخبر شهادة إجمالية على المدعى كما أن علمائنا في كثير من المواضع استدلوا بهذا التعبير على الانحراف.

وفي الخبر الثالث جعفر بن عثمان مشترك بين جماعة ويونس بن هشام مجهول.

ص: 152

1- وإن كان الموجود في أيدينا من زمان العلامة إلى زماننا هو اختيار الكشي ونحن أننا في (رسالة قاعدة الإجماع) مشروحاً أن جميع ما في (اختيارات معرفة الرجال) هو مذهب الشيخ الطوسي من ثمّ نسبناه إليه في الاختيار. (منه)

وفي الخبر الرابع كثير النوا وهو من أخبث الطوائف يعني العامة البترية.

وفي الخبر الخامس الزهري وفسقه مع كفر إبليس توأمان، والعجب أنهم يقابلون بهذه الأخبار مع قلة العدد وضعف السند الأخبار الناهية ثم يقومون بمحاولة الجمع بينها والروايات الناهية جميعها معتبرة يعضدها تعددها ووجودها في الكتب المعتمدة والأصول المعتمدة وسلامة أسانيدها غالباً.

فتبين الآن أن لا تكافئ بين الأخبار كما صرح بذلك جماعة .

وثانياً : الأخبار المانعة توافق أعمال الشيعة وأصولها، والأخبار المجوزة توافق مذهب أهل السنة والجماعة .

وثالثاً : الأخبار المجوزة ضعيفة الدلالة على المطلوب لأن الخبر الأول يجتمع مع النسخ وسوف نبين عما قريب أن جماعة قالوا بوجوب صوم عاشوراء قبل شهر رمضان ، وبناءً على هذا جملة (صام رسول الله يوم (عاشورا) لا تدلّ إلا على الوقوع في الجملة .

والخبر الثالث لا دلالة فيه على العموم الاصطلاحي لأنه أثبت الصوم للأطفال والوحش، وسوف ترى قريباً أنه مُنزل على الوجه المختار .

وحدث كثير النوا لا يدلّ على الندب ؛ لأن حكاية صوم نوح إنّما كان بعلّة خاصة وهي لزوق السفينة على الجودي وهو مبني على صحة القول باستصحاب أحكام الشرائع السابقة بعد تسليمنا بأن خصوصيّة فعل في موضع مخصوص لا يدلّ على الشرعية المطلقة.

وحدث الظهر غير ظاهر في الاستحباب على وجه خاص ؛ لأن معنى الإباحة في العبادات أنّ العمل ثابت على الثواب المقرّر لطبيعته فلا هو زائد عليها ليكون مستحباً، ولا ناقصاً عنها ليكون مكروهاً، والأخبار المانعة كل خبر منها يدلّ على المنع بالسنة مختلفة ، ويضيف الصائمين في قائمة ابن زياد وجنده ويزيد، وأتباعه، وكفى به خزيماً وهواناً.

ورابعاً : إن الأخبار المانعة باعتراف الفئة التي حاولت الجمع بينها تامة الحجية وقد بلغت نصاب الكمال في صحة الاحتجاج بها، وقد كان التصريح فيها والتنصيص على خلاف الجمع كما في حديث عبدالملك: «ما هو يوم صوم وما هو إلا يوم حزن وهذا صريح في أن الحزن لا يناسب الصوم بل الوارد في الأخبار الكثيرة عن الفريقين أن الصوم من وظائف الأعياد ولوازم الشكر والامتنان للمنعم. وفي خبر جعفر بن عيسى اختلاف العنوانين في التبرك والصوم، وحينئذ حمل

الصوم المنهي عنه على التبرك خلاف الظاهر .

وفي خبر أبي غندر صرح بأن الصوم لا يكون على المصيبة وإنما هو للشكر على السلامة حيث قال: «فإن كنت شامتاً فصم» وهذه الفقرة صريحة بأن الصوم معلول للشماتة ولو كان له وجه آخر متصور لا يصح هذا التعليق من الإمام عليه السلام الصريح في العلية المنحصرة وضعاً أو إطلاقاً، كما هو مقرر في علم الأصول، وكما هو واضح لذوي العلم والفهم كفلق الصبح ونور الشمس.

ومع وجود هذه التصريحات يكون الجمع بمثابة الطرح ، وأخيراً هذا الجمع لا يصح بوجه من الوجوه ولا صحة للشبهة والإجماع بل لم أجد للقائل تابعاً من الأوائل إلى الأواخر كما سأشرحه .

الوجه الثاني

الذي احتمله المحقق الأردبيلي أن الأخبار المجوزة منسوخة، وهذا الاحتمال معتضد ببعض الأخبار الدالة على أن صوم يوم عاشوراء كان واجباً أولاً ثم ترك كما سمعت في صحيحة زرارة، وخبر نجية بن الحارث ، وجاء في كتب الصحاح لأهل السنة وتواريخهم أن صوم يوم عاشوراء فرض في السنة الأولى من الهجرة وفي السنة الثانية نسخ بشهر رمضان وإن اختلفوا في وجه فرضه.

ص: 154

البخاري و(صحيح مسلم) و(الترمذي) نقلوا ببعض الطرق أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى . قال : فأنا أحق بموسى منكم ، فصامه وأمر بصيامه (1).

وفي بعض طرق مسلم والترمذي أنّ عاشوراء يوم تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه (2).

ولكن المتأمل في أخبار كربلاء وأخبار الصوم يجزم بأن عاشوراء من بدو العالم كان يوم مصيبة وغمّ وهم، بل ورد في بعض الأخبار أنّ الوحوش والطيور أيضاً تعزف عن الأكل والشرب كما سمعت في خبر عبدالله بن ميمون القداح أن الوحوش كانت تصومه في عهد داود (3) ومنع الأطفال من الأكل والشرب مُنزل على هذا المعنى لا- على الصوم الاختياري، وروايات أخرى في أبواب كتب المقاتل بهذا المعنى كثيرة جداً.

وحكايات كثيرة وقصص في كتب التاريخ منها ما جاء في (إنسان) (العيون) منقولاً عن أحدهم أنه اعتقاد تقديم فتات الخبز والحبّ إلى النمل فإذا كان يوم عاشوراء عزفت النمل عن الأكل (4) واعتبروا هذه الحكاية شاهداً على استحباب صيام يوم العاشر ولكنهم كشفوا السرّ عن منتهى شقائهم ونصبهم .

وفي خبر آخر نقله العامة : أول طائر صام يوم عاشوراء الصرد (5) وحكم

ص: 155

1- صحيح البخاري رقم الحديث 1962 ، وصحيح مسلم رقم الحديث 2611 واللفظ للبخاري.

2- الترمذي رقم الحديث 747. (المترجم)

3- خبر جعفر بن عثمان عن الإمام جعفر الصادق . (هامش الأصل)

4- مقتل الخوارزمي 2 : 91 ط الغري، إحقاق الحق 11 : 490. (هامش الأصل) والخبر . مترجم.

5- قال القرطبي : ويقال له الصرد الصوم روي في معجم عبد الغني بن قانع عن أبي غليظة بن خلف الجمحي قال : رأني رسول الله وعلى يده صرّة ، فقال : هذا أول طائر صام يوم عاشوراء . وكذلك أخرجه الحافظ أبو موسى والحديث مثل اسمه غليظ . قال الحاكم وهو من الأحاديث التي وضعها قتلة الحسين رواه أبو عبدالله ابن معاوية بن موسى بن أبي غليظ ، قال : رأني رسول الله وعلى يده صرد ، قال : هذا أول طير صام عاشوراء . (بحار الأنوار 61 : 261 ، مستدرک السفينة ذيل صرد)

بوضعه الحاكم في المستدرک (1) لو صح هذا الحديث ولم يكن كذباً فإن الصرد أول طائر تنبه إلى مأتم سيد الشهداء ومنع نفسه من اللذائذ في يوم عاشوراء... (2) كامل الزيارات : 98 ، بحار الأنوار 45: 213 ، عوالم العلوم : 492 . (3) كامل الزيارات : 99 ، بحار الأنوار 45: 214 : (4) كامل الزيارات : 99 ، بحار الأنوار 45: 214 ، عوالم العلوم : 493 . (هامش الأصل) (6).

ص: 156

1- لم أعر على مطلب كهذا في المستدرک ، ولعل المؤلف العظيم أخذ هذا من البحار ، وفيه : قال الحاكم : وهو من الأحاديث التي وضعها قتلة الحسين ، وهذه العبارة حملته على القول بتكذيب الحاكم له .

2- يؤيد هذا الحديث روايات الشيعة : * حسين بن أبي غندر عن أبي عبد الله قال : سمعته يقول في البومة ، فقال : هل أحد منكم رآها نهراً؟ قيل له : لا تكاد تظهر بالنهار ولا تظهر إلا ليلاً . قال : أما إنها لم تزل تأوي العمران أبداً ولا تأوي إلا الخراب ، فلا تزال نهارها صائمة حزينة حتى يجتئها الليل ، فإذا جتئها الليل فلا تزال ترن على الحسين حتى تصبح .

3- * ابن فضال ، عن رجل ، عن أبي عبد الله قال : إن البومة لتصوم النهار فإذا أفطرت تدلّته [ندبت - المصدر] على الحسين حتى تصبح .

4- * الحسن بن علي الهيثمي قال : قال أبو عبد الله : يا أبا يعقوب ، رأيت بومة قط تنفس بالنهار؟ فقال : لا ، قال : وتدرى لم؟ قال : لا ، قال : لأتھا تظل يومها صائمة [على ما رزقها الله] فإذا جتئها الليل أفطرت على ما رزقت ، ثم لم تزل ترن [ترن - خ] على الحسين حتى تصبح .

5- * حكيم بن داود بن حكيم ، عن سلمة ، عن الحسين بن علي بن صاعد البربري قيماً لقبر الرضاء قال : حدثني أبي قال : دخلت على الرضاء فقال لي : ترى هذه البومة ، ما يقول الناس؟ قال : قلت : جعلت فداك ، نسألك ، قال : فقال لي : هذه البومة كانت على عهد جدي رسول الله تأوي المنازل والقصور والدور ، وكانت إذا أكل الناس الطعام تطير فتقع أمامهم فيرمى إليها الطعام وتستقي ثم ترجع إلى مكانها ، ولما قتل الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما خرجت من العمران إلى الخراب والجبال والبراري ، وقالت : بنس الأمة أنتم قتلتم ابن بنت نبيكم ولا آمنكم على نفسي .

-6

ويظهر من أخبار الصوم في كتب الفريقين أنه خاص بالشكر والسعادة بالأعياد، ورفع شرف قدر الأيام المخصصة.

ومن ملاحظة هذين الأمرين في يوم عاشوراء ، يتبين لنا أنه من بدو العالم لم يكن الصوم الاصطلاحي مستحباً على الإطلاق كما يظهر من بعض الأخبار المشرعة له والتي أشرت إليها. ويعلم أيضاً أن صيام اليهود بسبب سرورهم واتباع نبيهم المواطنة مسرتهم.

وعلاوة أخرى تدلّ على كذب هذه الأخبار المذكورة أن غرق فرعون وجنوده لم يكن في يوم عاشوراء وهذا الخبر من الموضوعات كما ستستمع إليه في خبر ميثم إن شاء الله ، وخبر نجية بن الحارث ، وقوله عليه السلام : «أما إنّه صوم ما نزل به كتاب ولا جرت به سنة» شاهد عدل على صدق هذا المدعى.

ويؤيد هذا المعنى ما نقله السيّد الأجل الأعظم رضی اللہ عنہ ابن طاووس - نفعنا الله بعلومه - في كتاب الإقبال عن كتاب تاريخ نيشابور للحاكم في ترجمة نصر ابن عبدالله النيشابوري وساق السند إلى سعيد بن المسيب عن سعدان أنه قال : «إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يصم عاشوراء» وهذا صريح في كذب ادعاء تشريع الصوم مع أنّ الراوي من معتمدي أهل السنة.

وأخيراً نقول: إن الظاهر من أخبار النسخ أيضاً أنها من أجل التقية كما أشرنا إلى أن طريقة القوم مشعرة بهذا، ومن هذه الجهة نفى بعض علمائنا رضي الله عنهم أصل تشريع صوم عاشوراء مطلقاً ولم يعمل بمقتضى هذه الأخبار كما أشير

إلى هذا المطلب في مجمع الزيادة) و(الذخيرة) وغيرهما، فتيين مما قلناه أن احتمال النسخ باعتباره مؤسساً على حكم سابق ضعيف مضافاً إلى أن هذا الاحتمال لو كان جارياً فإنّما يجري في الخبر الحاكي عن صوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى فرض سريانه إلى الخبر المنقول عن أمير المؤمنين عليه السلام فإنه يتم على وجه نقول فيه : إن كلا- الخبرين يتعلّقان بما قبل النسخ ولكن على الخبرين الأخيرين لا يجري هذا الاحتمال إلا في صورة واحدة وذلك بالتزامنا بوجود النسخ والمنسوخ في أخبار الأئمة أيضاً، وهذا المعنى وإن كنا قويناه في بحوث الأصول وفي باب توجيه تأخير التخصيص والتقييد عن العام بوجه لا نراه في هذا المقام يستحق الإشادة والذكر خلا أن هذا التوجيه لا- يتمشى في الأخبار المجوّزة لأنّ الشيعة قبل صدور هذه الأخبار وأعطف عليهم خواص المحبين ما كانوا يصومون يوم عاشوراء بعنوان الاستحباب الخاص قطعاً ولم يكن الحكم فيه طبقاً لما تقدّم كما يفهم من الأخبار الناهية صراحةً.

الوجه الثالث

حمل أخبار التجويز على تقيّة الإمام عليه السلام في بيان الحكم أو بيان الحكم الواقعي للمبتلى به تقيّةً، وبناءً على هذا فإنّ بعضهم أفتى بحرمة صوم يوم عاشوراء مطلقاً، وبعضهم أفتى بالحرمة بشرط الخصوصية في يوم عاشوراء، والإشكال على هذا القول بالإجماع أو الشهرة المحققة لا وجه له. وإن أصرّ في الرياض والجواهر على ذلك نظراً بما تقدّم في الوجه الأوّل من القول بالاستحباب على المشهور، وادعى عليه الإجماع في الغنية، وكلا- القولين محل إشكال لأن المحقق الثاني في جامع المقاصد والشهيد الثاني في المسالك فسروا عبارة المحقق والعلامة قدست أسرارهم القائلين من جملة المستحبّات صوم يوم عاشوراء على

وجه الحزن بأنّ المراد من ذلك الإمساك قدراً من اليوم إلى بعد الزوال ثم يفطر الصائم بعد ذلك .

قال في (جامع المقاصد) : أي صومه ليس معتبراً شرعاً بل هو إمساك بدون نية الصوم لأن صومه متروك كما وردت به الرواية فيستحبّ الإمساك فيه إلى بعد العصر حزناً وصومه شعار بني أمية سروراً بقتل الحسين عليه السلام .(1)

وقال في المسالك : أشار بقوله على وجه الحزن إلى أن صومه ليس صوماً معتبراً شرعاً بل هو إمساك بدون نية الصوم لأن صومه متروك كما وردت به

الرواية ، وينبه على ذلك قول الصادق عليه السلام : «صَمُّهُ من غر تبييت وافطره من غير تشميت، وليكن فطره بعد العصر» فهو عبارة عن ترك المفطرات اشتغالاً عنها بالحزن والمصيبة وينبغي أن يكون الإمساك المذكور بالنية (2) (لأنه عبادة).

وفي مجمع الزيادة والذخيرة احتمالاً أن المراد هذا المعنى بل استقرّ به في الذخيرة، وظاهر عنوان الوسائل أيضاً الموافقة على هذا كما هو معلوم للناظر .

ويقول الشيخ الفاضل عليّ بن شاه محمود الباقتي وهو من معاصري المروّج المجلسي ، وله ترجمة في أمل الآمل (3) في كتابه منهاج الفلاح : «والمراد من الصوم إمساك بدون نية على وجه الحزن والغم ؛ لأنّ بني أمية يصومون يوم عاشوراء على وجه السرور بقتل «الحسين ، تمّت عبارته بعينها (4).

ص: 159

1- المحقق الكركي، جامع المقاصد 3: 86 ط قم المهدية 1408 .

2- الشهيد الثاني ، مسالك الأفهام 2 : 78 ط، قم، بهمن ، الأولى 1413هـ.

3- قال في أمل الآمل : مولانا عليّ بن شاه محمود الباقتي فاضل صالح عابد معاصر ، له كتب منها : منهاج الفلاح في أعمال السنة، وكتاب مجمع المسائل في الفقه ، خرج منه الطهارة والصلاة، يجمع الفروع والأدلة والأقوال والأحاديث انتهى (منه) . (هامش الأصل)

4- العبارة مترجمة لأن الكتاب موضوع بالفارسية . (المترجم)

وما قاله بعض المتأخرين من أن احتمال المسالك مناف لعبارة (المعتبر) لم أجد لها عيناً أو أثراً بعد الفحص التام في المعتبر، نعم نقل في المعتبر أخباراً مختلفة والجمع الأول المطابق لعبارة الشرايع منقول من تهذيب الشيخ وسوف يأتيك تأويل عبارة الشيخ.

وبعد تصريح هذين القدوتين المقدمين والأستاذين المعلمين اللذان هما لسان الفقهاء وترجمان الأصحاب، ومن مرادهما يفهم المراد من عبارة المعتبر والتهذيب، ودليل هذا التفسير عبارة الشيخ في المصباح حيث يقول: فإذا كان يوم عاشوراء أمسك عن الطعام إلى بعد العصر ثم تناول شيئاً يسيراً من التربة. (1) لأنه من الظاهر أن تتم معرفة كلام الشيخ في التهذيب من خلال فهم هذين العبارتين وبمعونتهما كما فهم ذلك هذان المحققان النحريان .

ومن جملة الأدلة على المعنى المذكور هو أنني وجدت في كتاب (مسار الشيعة) وهو من مصنفات الشيخ المفيد المشهورة قدس سره السعيد، حيث يقول: «وفي العاشر منه مقتل سيدنا أبي عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب من سنة إحدى وستين من الهجرة وهو يوم تجدد فيه أحزان آل محمد وشيعتهم، وقد

جاءت الرواية عن الصادقين عليهما السلام باجتئاب الملاذ فيه وإقامة سنن المصائب والإمساك عن الطعام والشراب إلى أن تزول الشمس والتغذي بعد ذلك بما يتغذى به أهل المصائب كالألبان وما أشبه بها دون الملاذ من الطعام والشراب» انتهى بألفاظه. (2) وهذا الكلام صريح على أن فتوى الشيخ المفيد على الوجه المذكور لا

ص: 160

1- المصباح: 547، بحار الأنوار 45: 63. (هامش الأصل) وفي نسخة المترجم من المصباح. ص 771 ط بيروت، فقه الشيعة، الطبعة الأولى 1411.

2- الشيخ المفيد، مسار الشيعة: 43 ط دار المفيد - بيروت الثانية 1414 هجرية، والمؤلف ساق ترجمة العبارة بالفارسية ثم أتبعها بالعربية فلم نجد ترجمة الترجمة لازمة لنا. (المترجم)

الصوم الاصطلاحي - ولما كان الشيخ الطوسي لها نقل التوجيه المذكور من الشيخ المفيد علمنا أن مراده من الصوم الحزني هو ما تضمنته عبارة الشيخ المفيد الذي صرّح به الشيخ رضوان الله عليه في المصباح.

وبناءً على هذا فإنّ جميع عبارات الأصحاب ما عدى طائفة منهم صرّحت بالخلاف مُنزَلٌ على هذا المعنى ، إذاً فالمشهور عدم استحباب صوم يوم عاشوراء والعمل على طبق رواية المصباح عن عبدالله بن سنان كما تقرّر عمل الشيعة الإمامية والسيرة القطعية على هذا .

وفي (مجمع الفائدة) ادعى شهرة العمل على طبق هذه الرواية إجمالاً، وأفتى المحدث الكاشاني والمروج المجلسي - قدس سرهما - بأولوية ترك الصوم مما ظاهره الكراهة

وفي مجمع الفائدة والذخيرة كانا بين التقوية والترديد .

ومن المتأخرين المحقق النراقي والفقيه الورع الكلباسي الأولى عندهما الترك بل أفتى المحقق النراقي بالحرمة إذا قصد بالصوم الخصوصية، ومع كلّ هذا من أين بدى الاختلاف - ظ والإجماع والشهرة .

والعجيب في الأمر أننا لو افترضنا عدم متابعة المحقق الثاني والشهيد الثاني في معرفة مراد الأصحاب فكيف نستطيع هجران خلافهم. والمحدث الكاشاني والعلامة المجلسي والمحقق الأردبيلي بل ما نسبه المحقق الأردبيلي إلى رواية المصباح الظاهرة في عدم استحباب صوم يوم عاشوراء من العمل والشهرة، والفاضل الباقي وصاحب الرسائل في المسألة «بغير خلاف نجده» نقول كما في الجواهر والرياض، وأخيراً ينبغي نقل خبر المصباح بعينه كي لا نحتاج إلى ملاحظة كتاب آخر بعد ملاحظته .

روى الشيخ في المصباح عن عبد الله بن سنان قال : دخلت على أبي عبد الله

في يوم عاشوراء فألْفَيْتَهُ كاسف اللون ، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط ، فقلت : يا بن رسول الله ، ما بكاءك لا أبكى الله عينيك ؟ فقال لي : أفي غفلة أنت؟ أما علمت أن الحسين بن علي أصيب في مثل هذا اليوم؟

فقلت : يا سيدي فما قولك في صومه ؟ فقال : صَمَّه من غير تبييت وافرطه من غير تشميت ولا تجعله يوم صوم كما لا [كملا - الوسائل] وليكن إفطارك بعد [صلاة - الوسائل] العصر بساعة على شربة من ماء فإنه في ذلك تجلّت الهيحاء [عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - الوسائل] وانكشف الملحمة عنهم .(1)

قال في الذخيرة والعمل بمضمون هذه الرواية متجه وكأنه المقصود كما قال بعض الأصحاب إلا أنه خلاف ما صرّح به جماعة منهم.

والحاصل أن دعوى الشهرة لاستحباب عاشوراء لا وجه له بل لا قائل فيه فيمن عدى المتأخرين، وكلّ ما يراد إجرائه من الوظائف في يوم عاشوراء الشرعية والمستحبة تضمنها خبر المصباح، والصوم إذا قصد بمعنى الخصوصية والاستحباب فهو بدعة ومحرم ، وإذا كان بمعنى التبرك فهو الكفر بعينه والخروج من ربة الدين، وإذا قصد في صومه كان بمعنى الفضيلة المطلقة لمطلق الصوم عملاً بالإطلاقات فهو مكروه وناقص الثواب لأنه تشبه ببني أمية ومن تشبه بقوم فهو منهم كما سمعت من الجماعة الذين سبق ذكرهم ورأيت ما في كلامهم ، ولو لم يكن في الأمر إلا فتوى هؤلاء الفحول والأساطين يمكن الحكم بكرأته بناءً على عموم التسامح في أدلة السنن في المكروهات والاكتفاء بفتوى الفقيه في تحديد البلوغ كما قال به جماعة .

ص: 162

1- مصباح المتهجد : 547 ، وسائل الشيعة ، باب 20 أبواب الصوم المندوب الرقم 7 (هامش الأصل)

الذي بلغه فكري القاصر هو حمل أخبار الصوم على الإمساك الناقص، وأخبار النهي على الإمساك الصومي، ويمكن أن نجعل خبر المصباح المنجبر بعمل الطائفة وهو حجة يقيناً شاهداً على هذا الجمع، ولما كان التصرف في المدلول أولى من التصرف بجهة الصدور فإنّ هذا الوجه هو أقرب المحامل، وإن كان خلاف الظاهر في نفسه ولا يبعد أن يساعد عليه العرف.

وأخيراً نقول: إنّ حكم المسألة هو الذي حرّزناه آنفاً: صوم عاشوراء متردّد بين الكفر والحرمة والكراهة، وبالقطع ليس مستحبّاً في مذهب أهل البيت وفقه آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا موضع فيه لاحتمال ذلك .

واعلم بأنّ تحقيق صوم عاشوراء وبسطه وتتبع أخباره بالبحث والتحقيق من غنائم هذا الكتاب إذ لم أجده في كتاب آخر، والحمد لله، والله أعلم بحقائق

أحكامه .

الأمر الرابع : من وجوه التبرك بيوم عاشورا اعتبار الدعاء وطلب الحوائج في-ه من الأمور المستحبة، ومن هذه الجهة وضعوا له مناقب وفضائل لا أصل لها من الصحة وهي مفتراة على السنة المعصومة قطعاً، ولفقوا عدداً من الأدعية لقنوها للعاصين وعلموهم إيّاها ليلتبس الأمر وتعم الشبهة كما يقرئون في الخطبة التي أنشأوها في بلادهم ويرفعون لكل نبي في مثل هذا اليوم وسيلة وشرفاً زاندين كإخماد نار النمرود وقرار سفينة نوح وإغراق جند فرعون ونجاة عيسى من طلب اليهود، وأحياناً يفوّهون بكلام يمّوهون به على العوام، ويخدعون البسطاء، كقولهم : وهذا يوم اختاره الله لقتل ابن بنت نبيه كما سوف أشرح في الجملة الآتية

فيا للعجب كيف انقلب هذا اليوم فكان لجميع الأنبياء زيادة فضل وإنعام ونجاة ، وكان لنبينا بلاءً وقتلاً وأسراً لآله وعترته، إلا أن يعدّوا ذلك نعمة للإسلام ويقولوا : - العياد بالله - هؤلاء الخوارج !! في هذا اليوم.

كما نقل ذلك الشيخ الصدوق قدس الله لطيفه وأجزل تشريفه في كتاب الأمالي والعلل مسنداً عن بجيلة المكيّة أنّها قالت: سمعت ميثم التمار يقول: والله لتقتلنّ هذه الأمة ابن نبيها في المحرم لعشر مضين منه ، وليتخذنّ أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة وإن ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهد عهده إليّ مولاي أمير المؤمنين عليه السلام (ولقد أخبرني أنه يبكي عليه كلّ شيء).

ونحن أوردنا شرطاً من هذا الحديث فيما تقدّم إلى أن تقول [بجيلة - المؤلّف جبلة - المصدر: فقلت له يا ميثم وكيف يتخذ الناس ذلك اليوم الذي يُقتل فيه الحسين بن علي عليهما السلام يوم بركة؟

فبكي ميثم: وقال سيزعمون بحديث يضعونه أنّه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم عليه السلام ، وإنما تاب الله على آدم عليه السلام في ذي الحجة، ويزعمون أنّه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس من بطن الحوت وإثما أخرج الله من بطن الحوت في ذي القعدة، ويزعمون أنّه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح على الجودي وإثما استوت على الجودي يوم الثامن عشر من ذي الحجة، ويزعمون أنّه اليوم الذي فلق الله فيه البحر لبني إسرائيل، وإثما كان ذلك في شهر ربيع الأول (2).

ص: 164

1- في شرح: «وهذا يوم فرحت به آل زياد و آل مروان بقتلهم الحسين»

2- علل الشرايع 1: 227 ، أمالي الصدوق: 110 ، البحار 45: 202 ، عوالم العلوم: 457. (هامش الأصل) الأمالي: 127 وعلل الشرايع 1: 228) (المترجم)

وهاهنا حضرتني لطيفة وأنا أحزرت في الكتاب، أن استقرار سفينة نوح في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يناسب تماماً يوم الغدير ، يوم نصب الإمام أمير المؤمنين على الأمة لأنه حقيقة سفينة نوح بنص «مثل أهل بيتي كسفينة نوح ؛ من ركبها نجى ومن تحلّف عنها غرق ...» وقبل هذا اليوم كانت سفينة الولاية مضطربة خوفاً من المنافقين، ولما جاء الوعد بالعصمة «والله يعصمك» ونزل الأمر من الله سبحانه على سفيره «بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» رست سفينة نوح على جودي التنصيص وتصريح صاحب الرسالة ، وهنا هدأ بال ركابها بوصولها إلى ساحل الأمان.

وأخيراً مع كلّ هذا التصريح والتأكيد في خبر ميثم وهو في الحقيقة من معالم النبوة والإمامة ، والدليل على أحقية طريقة الشيعة حيث روت مثل هذه الأخبار اليقينية وصحح الشيخ الخبر المذكور لمطابقته للواقع المحسوس ورواه مكرراً في كتابيه مع التزامه في كتبه بعدم رواية الخبر ما لم يحكم بصحته الشيخ العظيم محمد بن الحسن بن الوليد الله يكون الخبر يقيناً معتمداً وموثقاً ويقيني الصدور . والعجيب في الأمر أن بعض الأصحاب عوّل على حديث كثير النوا وجعله شاهداً على استحباب الصوم يوم عاشوراء ، والحديث كما يلي :

روى الشيخ في التهذيب مسنداً عن كثير النوا عن أبي جعفر قال : لزقت السفينة يوم عاشوراء على الجودي فأمر نوح من معه من الجن والإنس أن صوموا ذلك اليوم. قال أبو جعفر أتدرون ما هذا اليوم ؟ هذا اليوم الذي تاب الله عزّ وجلّ فيه على آدم وحواء ، وهذا اليوم الذي فلق فيه الله البحر لبني إسرائيل فأغرق فرعون ومن معه، وهذا اليوم الذي غلب فيه موسى فرعون ، وهذا اليوم الذي ولد فيه إبراهيم، وهذا اليوم الذي تاب فيه على قوم يونس، وهذا اليوم الذي ولد فيه

عيسى بن مريم ، وهذا اليوم الذي يقوم فيه القائم... (1)

وأثار الكذب والوضع ظاهرة على هذا الحديث، وظهر تكذيبه من حديث ميثم ، ويمكن إثبات فقراته واحدة واحدة بالتتبع من الأخبار والتواريخ بأنّها خلاف الواقع، مثلاً جاء عن ولادة إبراهيم عليه وعلى نبينا وآله السلام في عدد من الأخبار أنّها في أول ذي الحجة، وأما حال كثير النوافذ فقد كشفناها قبل وبصورة إجمالية ويحسن بنا هنا أن نكشفها على نحو التفصيل :

نسبه الشيخ في رجاله إلى البترية والبترية بضم الباء الموحدة وسكون التاء المثناة أتباع كثير النوا، وسميت بهذا الاسم نسبة إليه لأنه أبتّر بمعنى قطع اليد، وكثير هذا والحسن بن صالح وسالم بن أبي حفصة والحكم بن عيينة وسلمة بن كهيل وأبو المقدم ثابت الحدّاد كما جاء في اختيار الشيخ الطوسي من رجال الكشي ابتدعوا مذهباً دعوا به ولاية علي بن أبي طالب ثمّ خلطوها بولاية أبي بكر وعمر ، ويثبتون لهما إمامتهما وينتقصون عثمان وعائشة والزبير وطلحة، ويثبتون لكلّ من خرج من ولد علي عليه السلام الإمامة (2) فزيد عندهم إمام ولكن أباه السجاد وأخاه الباقر وسائر أئمة أهل البيت ما عدى الحسنين عليهما السلام ليسوا أئمة .

وروى بسند معتبر عن الصادق عليه السلام أنه قال : لو أنّ البترية صف واحد ما بين المشرق والمغرب ما أعز الله بهم ديناً.

ونقلوا عن زيد أنه استقبل البترية بوجهه وقال لهم : بترتم أمرنا بتركم الله ، فسمّوا البترية .

ومن هذه الجهة توهم بعض القاصرين تصحيف اللفظ لأنّه « تبرية بتقديم التاء

ص: 166

1- تهذيب الأحكام 1: 437، وسائل الشيعة ، باب 20 أبواب الصوم المنسوب الرقم 5. (هامش الأصل)

2- اختيار معرفة الرجال : 2 : 499 بتصرف بسيط

المثناة وتشديد الرأء نسبة إلى التبري ولكنه مع كونه خلافاً لما صرّح به أئمة هذا الفنّ فإنّ الحديث نفسه يدلّ عليه لأن لفظ الحديث كما يلي: بترتم أمرنا بتركم

الله فسّموا البترية».

ومذكور في سائر الكتب أنّهم سّموا «البترية» بكثير لأنّه مبتور اليد .

وجاء في الخلاصة والفهرست وسائر كتب المؤرّخين أن كثير عامي المذهب كما نقل عن البرقي ، وبعضهم اقتصر على بتريته .

وفي رجال الكشي ويريد به «الاختيار» للطوسي بسند معتبر عن الصادق عليه السلام أنه قال : اللهم إني إليك من كثير النوا بريء في الدنيا والآخرة .

ونقل أيضاً عن محمد بن يحيى قال : قلت لكثير النواء : ما أشدّ استخفافك بأبي جعفر عليه السلام؟ قال : لأنني سمعت منه شيئاً لا أحبه أبداً، سمعته يقول: إن الأرض السبع تفتح لمحمّد وعترته .(1)

وبسند معتبر أيضاً عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الحكم ابن عيينة وسلمة وكثير النواء وأبا المقدام والتمار يعني سالمأ أضلوا كثيراً ممّن ضل من هؤلاء ، وإّتهم ممن قال الله عزّ وجلّ : «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ» (2)(3)

وفي تكملة نقد الرجال عن العوالم عن تفسير العياشي نقل ذات الخبر .

ومع هذه المذمة في الأخبار التي صدرت بحقه ومع شديد عداوته للأئمة الا من أين لنا أنّه لم يضع تلك الأحاديث لتنفير قلوب الشيعة بهذه الأكاذيب ليصل

ص: 167

1- اختيار معرفة الرجال : 511 2 (المترجم)

2- البقرة : 8.

3- رجال الكشي وتنقيح المقال ذيل كثير النواء وحكم بن عيينة (هامش الأصل)

إلى غرضه من نفي إمامتهم في رأي بعض الجاهلين والمغفلين؟ وعلى فرض تسليم صحة الخبر لا بد من كونه صادراً على وجه التقيّة لأنه ثابت بالضرورة من مذهب الشيعة أن يوم عاشوراء يوم مشنوم كما مرّ في خبر المصباح، وليس يوماً مباركاً لتواتر فيه نعم الله على الأنبياء.

وأعجب من هذا كلّ ما لفته من دعاء موافقاً لهذه الأكاذيب وحوّله إلى أيدي العامة، وذكر في كتب بعض الغافلين عن حقيقة الأمر، وبالطبع قراءة هذا الدعاء بدعة وحرام، ونحن نورده من أجل تنبيه الناس فحسب لكي يجتنبه كلّ من اطّلع عليه، وهو هذا:

«بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الله ملأ الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش لا ملجأ ولا منجأ من الله إلا إليه، سبحان الله عدد الشفع والوتر،

وعدد كلماته التامات وهو العفو للمعاصي برحمته، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على خير خلقه محمّد وآله أجمعين».

ثمّ يصلّي بعده على النبي عشر مرات ويقول:

يا قابل توبة آدم يوم عاشوراء، يا رافع إدريس إلى السماء يوم عاشوراء، يا مسكن سفينة نوح على الجودي يوم عاشوراء، يا غياث إبراهيم من النار يوم عاشوراء، يا جامع شمل يعقوب يوم عاشوراء، يا فارج كرب ذي النون يوم عاشوراء، يا كاشف ضرّ أيوب يوم عاشوراء، يا غافر ذنب داود يوم عاشوراء، يا سامع دعوة موسى وهارون يوم عاشوراء، يا زائد الخضر في علمه يوم عاشوراء، يا رافع عيسى بن مريم إلى السماء يوم عاشوراء، صلّ على محمّد وآله الطاهرين والأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، يا رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، يا قاضي الحاجات اقض حاجاتي في الدنيا والآخرة وطول عمري في طاعتك

ورضاك بحرمة يوم عاشوراء، يا ولي الحسنات يا دافع السيئات والبليات يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، اكفني ما أهمني من أمر الدنيا والدين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين وعترته الطاهرين أجمعين، والحمد لله رب العالمين».

وما من شكّ بأنّ هذا الحديث وضعه أحد نواصب المدينة أو خوارج مسقط أو من شاكلهم ، وأنموا ظلم بني أمية ، وسوف يأتيكم بعض المباحث التي لها مساس بحكاية أحوال أهل السنة والجماعة ونقل أقوالهم في هذا الباب، واستحباب إقامة المناحة والعزاء في هذا اليوم في شرح الفقرة التالية (1) وإذا أمكن تنظيم مباحث هذا الشرح مع مبحثه يمكن أن تستخرج رسالة مستقلة في هذه المسألة.

ص: 169

1- هذا يوم فرحت به آل زياد (هامش الأصل)

وَابْنُ آكَلَةِ الْأَكْبَادِ اللَّعِينُ ابْنُ اللَّعِينِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكَ ، فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَوْقِفٍ وَقَفَ فِيهِ نَبِيِّكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ ...

الشرح : الأكل في أصل اللغة يقال لغير السائل ولا يصح استعماله في الشرب لأنه بالفارسية أعم من الشرب كما ورد في استعمال فصحاء القوم نظماً ونثراً

(شصت كلمه دامغانى) يقول :

اسبى كه صغيرش نرنى مى نخورد آب***نه مرد كم از اسب و نه مى كم از آبست

والخيل تشرب بالصغير فلا أرى***أدنى من الخيل الرجال وأصغرا

كلا ولا حظ السلاف إذا جرى***في الدن من ماء أقل وأحقرا

وأحياناً يستعمل في مطلق الاستيلاء والتصرف لأن غالب أفرادهما في مأكولات الأكل وأظهر أفراد الاستيلاء الإتلاف بنحو الأكل بملاحظة أن استعماله يعم جميعاً لتصرفات الاستيلائية حتى الأشياء غير المنقولة كما في الآية الكريمة: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ» (1) استعمال بهذا المعنى، ويقال في المثل

الفارسي: «أكل بيت فلان» وما شابه هذا الاستعمال.

كبد : معروف ويقابل الرنة في العربية، وهذه الكلمة وإن كانت مفردة وكل مفرد من أجزاء بدن الإنسان فهو مذكر ، ولكنها ومفردات أخرى من جسم الإنسان ستثناء من هذه القاعدة ، وهذه واحدة من ثلاثين أسماء من أسماء أعضاء الجسم مصدرّة بالكاف وهي هذه الكف والكرسوع ، والكوع ، والكتف ، والكاهل ، والكبد ، والكتد ، والكلية ، والكمرة ، والكعب ، والكذوب ، والكعبرة «عقدة مكبلة حائدة عن الرأس» والكثفة «محرّكة دائرة من الشعر عند الناصية تثبت صعداً»

ص: 170

والكرسمة والوجه ولا- يقال إلا في الشتم والكرّ وأصل العنق، والكرأويس «وما شخص من عظام البدن كالمنكبين والمرفقين» والكعاس «عظم السلامي» والكاتبه «ما بين الكتفين إلى أصل العنق» والكلكل «الصدر» والكشح «الجنب وهو من لدن الورك إلى الخصر» والكفل، والكاذة «لحم مؤخر الفخذ» والكرع «من الإنسان ما دون الركبة»، والكرشة «الذكر»، والكرظ «ركب المرأة»، والكلثوم والكرشب وهما الفرج فأما اسمه المشهور فهو على الصحيح تعريب مؤلّد ولا حجة في شعر من نظمه في (كافات الشتاء) بقوله:

جاء الشتاء وعندي من حوائجه***سبع إذا القطر عن حاجاتنا حسبنا

إلى آخره (1) والكين «لحم باطن الفرج» والكراض «حلق الرحم».

ويُحكى عن ابن خالويه أنه صنّف جزءاً في أعضاء الإنسان المصدّرة بالكاف فبلغ فيها المائة، وهذا عجيب للغاية وهو دالٌّ على التوسع والاطلاع الوافر.

لعين بمعنى الملعون وسبق معنى اللعن (2).

لسان: في الأصل بمعنى الجارحة المخصوصة، ويستعمل في اللغة بمعناه للمناسبة مثل: اختلاف ألسنتكم، ويستعمل في مطلق «التكلم» وهذا المعنى أنسب في هذا المقام، وليس المراد معناه الأول لأنه يستحيل إثبات الجارحة للباري تعالى إلا أن لا يقصد بالإسناد الحقيقية، والظاهر من مجيء على في الجملة هذا المعنى، ولو أريد به معنى الكلام لكان استعمال حرف الجرّ أولى، لما يعرفه صراف المعاني ونقاد الألفاظ.

وينبغي أن يعلم بأنّ لفظ لسانك موجود في بعض نسخ المصباح دون بعضها

ص: 171

1- كن وكيس وكانون وكاس طلا بعد الكباب و... ناعم وكسا

2- في شرح: فلعن الله أمة أسست أساس الظلم..... (هامش الأصل)

ويخلو منها كتاب (زاد المعاد) والبحار وهما يطابقان لغة المصباح ولكني لما وجدتها في بعض النسخ ذات الاعتبار رأيت إثباتها في المتن .

نبيّ : مأخوذ من النبأ بمعنى الخبر، وكانت النبوة في الأصل النبوة مثل المرونة والمروّة ، واشتقاقها من النبأ بمعنى «ارتفع» خلاف الظاهر، وقراءة نافع نبيء بالهمز في القرآن كله .

ونحن إن اعتبرنا القراءات غير متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل مشهورة بل أجمعوا على ذلك أمثال الشهيدين والمحقق الثاني وغيرهم، بل جاء في كتاب «الروض» و «المقاصد العليّة دعوى إجماع العلماء على نقل الإجماع عليها إلا أننا لا نشك في تواتر القراءات السبعة وكلّها تطابق القواعد النحوية والصرفية واللغة، فتبين من هذا أن قراءة «نبيء» دليل على صحة اشتقاقها من نبأ ، واحتمال تعدّد الاشتقاق فأحياناً يعتبر مشتقاً من النبو الناقص الواوي وأحياناً من نبأ وكلاهما يطلق بمعنى واحد ، وهذا ليس بعيداً.

والفرق بين النبي والرسول في وجود الكتاب والشرع مع الثاني، ويكون النبي أعم منه .

كلّ : يستعمل على وجهين :

الأول : العموم المجموعي وهو موضع القضية والمنظور إليه بالاستقلال (مثل: كلّ إليه راجعون)

والثاني: العموم المرآتي وهو السور والمرأة التي تعكس أفراد المضاف إليه بأجمعهم (مثل كلّ إنسان) والظاهر منه في الجملة مع قطع النظر عن القرائن الحافّة بالكلام، هو المعنى الثاني .

الموطن : موضع الشيء ومكانه ، كما في منتهى الإرب، وهذا المعنى موافق للقاموس والصحاح، ويظهر من عبارة أساس البلاغة أن حقيقة الوطن هو الإقامة

في مكان ما ، كما هو المعروف من معناه، واستعماله في غير ما وضع له مثل مواطن الحرب ومواطن النسك في الحج إنّما هو استعمال تجوّز مبني على ادعاء أن الثبات والقرار مطلوب في هذه المقامات على وجه تكون كأنها الوطن ويعبر عنها بالموطن ، وهذا المعنى أدق وألطف يوافق ظواهر الاستعمال.

وقف : يأتي متعدّياً ولازماً كما في الصحاح والقاموس وغيرهما، وهاهنا مشتق من المعنى اللازم والمراد من الموقف موضع الوقوف.

وينبغي الكلام على شرح هذه الفقرة في موضعين :

الموضع الأول : آكلة الأكباد هند أم معاوية وابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكانت جادة في عداوتها الله ورسوله ، وحضرت موقعة أحد ، ويُنسب لها هذا الرجز:

نحن بنات طارق***نمشي على النمارق

إن تقبلوا نعانق***أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق

وكانت تحرّض الكفّار لسوء طويتها على القتال، وكانت ترمي بالفاحشة كما قال ابن أبي الحديد وابن عبد ربه ، بل يفهم من كتب التاريخ أنها كانت في مكة من النساء المشهورات بذلك، بل رأيت في بعض الكتب بأنها من ذوات الأعلام كما نقل ذلك في نهج الحقّ عن هشام بن السائب واعترف به ابن روزبهان ، وسوف نعرض لهذه المسألة في شرح نسب ابنها معاوية (لعنه الله) .

ولما قتل الوحشي غلام جبير بن مطعم سيّد الشهداء الحمزة عليه السلام في حرب أحد جاءت هند إلى جنّته واستخرجت كبده ووضعتها في فمها ولاكتها فحوّلها الله صخرة فما أثرت بها أسنانها ثم مثلت بالحمزة ونظمت أعضائه من الأذن والأنف والمذاكير قلادة وعلّقتها في عنقها فاقتدين بها سائر نساء قريش ففعلن فعلها بالشهداء، فعظم ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتفطر كبده وأهدر دم هند وكان ذلك

ص: 173

حتى جاء عام الفتح وأسلم أبو سفيان، مرغماً، فأظهرت هي الإسلام أيضاً، وقبله النبي لأنه رحمة للعالمين، وعفى عنها، ولما جاءت للبيعة وبايعت النبي فكان ضمن عقود البيعة لها وللنساء عامة «أن لا يزنين» فقالت هند: وهل تزني الحرّة؟ فالتفت النبي إلى عمر وتبسّم وذلك كناية عن أنّها لطهارة جيبها ونقاء ذيلها اعترافاً العجب من هذا الكلام فقالت: وهل تزني الحرّة، ويمكن أن يكون استقباله عمر بوجهه الشريف فلكي ينبهه أنه خارج من هذا الشأن لأن أمه إن كانت قد زنت فهي أمه، وخارجة من تعجب هند وغيرها(1)

ونقل سبط ابن الجوزي عن كتاب مثالب هشام بن محمّد الكلبي السّابة بعد ذكره زنا هند، أن الشعبي قال: وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى هند يوم فتح مكة بشيء من هذا، فنقل الخبر كما نقلناه.

ومجمل القول أنّ هنداً بعد إسلامها عاشت على النفاق إلى أن هلكت وذهبت إلى جهنم وبئس المصير في خلافة عمر في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة فرافقت روحها روحه إلى العذاب. ومن يوم أكلت فيه كبد الحمزة حازت لقب «أكلة الأكباد» وعلّق هذا العار إلى يوم القيامة في أولادها(2) كما قالت عقيلة خدر الرسالة والهداية، ورضيعة ثدي النبوة والولاية زينب بنت علي عليهما السلام في خطبتها الشريفة، - وهذه الخطبة بقطع النظر عن اعتبار سندها فإنّ بذاتها دليلاً على صدقها بل بلغت حدود الإعجاز ومن شواهد الإعجاز على صدق دعوة جدّها وأبيها وأخيها العظيم - : نوكيف يُرتجى مراقبة من نبت لحمه بدماء الشهداء ولفظ فوه أكباد الأوكياء».

ص: 174

1- وفي الفخري لابن الطقطقي أنه استقبل بذلك عمه العباس . (المترجم)

2- سيأتي في حديث (ج) ضمن أحاديث لعن رسول الله والأنبياء يزيد وقاتلي الحسين . خبث هند ولعن رسول الله لها ولنسلها (هامش الأصل)

وقال حسن بن ثابت بعد ذلك اليوم شعره في هجائها :

أشرت لكاع وكان عاداتها***لوماً إذا أشرت مع الكفر

أخزى الإله وزوجها معها***هند الهنود طويلة البظر

ويقول في هجائها أيضاً:

لمن سواقط ولدان مطرحة***باتت تفحص في بطحاء أجياد

باتت تفحص لم يشهد قوابلها***إلا الوحوش وإلا حية الوادي

وفي هاتين المقطوعتين أشار حسن إلى زنا هند وفساد نسبها أيضاً، وهو مقطوع به .

ومن جملة المقررات ما قاله الشيخ المفيد عليه الرحمة في الإرشاد وأبو جعفر النقيب في نقض العثمانية من لزوم الاحتجاج بالشعر كما يحتج بالنثر ، وهذا معنى العبارة المعروفة «الشعر ديوان العرب والعمائم تيجانها، والاحتباء حيطانها» لأنهم بالشعر يشبتون أنسابهم وأحسابهم ومناقبهم ومراتبهم ، كما يظهر الرجوع إلى ديوان مراتب العسكر ومناصب أمراء الجيش وسائر الأمراء والأعيان اختلاف شئونهم وتفاوت اقدارهم.

وأخيراً إن الشعر الذي هجي به هند وأبو سفيان وأولادهما أكثر من أن يحيط به بيان ، أو يحصيه لسان ، ونحن ما نورده في كل باب من أبواب هذا الكتاب إنما هو على سبيل المثال لا الحصر .

الموضع الثاني : الظاهر أن المراد من ابن أكلة الأكباد يزيد لعنه الله ، ولعنه على لسان الله إما أن يكون إشارة إلى الشجرة الملعونة لأنه فرع منها (1)(2) فقد تكلمنا

ص: 175

1- الإسراء : 60 .

2- أوردت فصلاً نافعاً عن الشجرة الملعونة في كتابي الحكم والأخلاق في منطق الثورة الحسينية . (المترجم)

عنها بالتفصيل الذي يحتمله هذا المختصر (1) وإما أن يكون إشارة إلى لعنه على لسان أنبياء الله كما سنوافيك به إن شاء الله تعالى. وإما أن يكون إشارة إلى

الأحاديث القدسية التي جاءت في لعنه ونحن نذكر أحدها في هذا المقام .

في كامل الزيارة وساق السند إلى ابن أبي يعفور عن الصادق عليه السلام قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منزل فاطمة والحسين عليه السلام في حجره إذ بكى وخرّ ساجداً ثم قال : يا فاطمة يا بنت محمد ، إنّ العليّ الأعلى تراءى إليّ في بيتك هذا في ساعتى هذه في أحسن صورة وأهيا هيأة فقال لي : يا محمد أتحبّ الحسين ؟ قلت : يا ربّ، قرّة عيني وريحاتي وثمرّة فؤادي وجلدة ما بين عيني، فقال لي : يا محمد ، ووضّع يده على رأس الحسين عليه السلام : بورك من مولود عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني، ونقمتي ولعنتي وسخطى وعذابي وخزبي ونكالي على من قتله وناصبه وناواه ونازعه ، أما إنّ سيّد الشهداء من الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة، وسيّد شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين، وأبوه أفضل منه وخير فقرأه السلام وبشره بأنّه راية الهدى ومنار أوليائي وحفيظي وشهيدى على خلقي وخازن علمي وحجّتي على أهل السماوات وأهل الأرضين والثقلين الجنّ والإنس .(2)

والمراد من لعن يزيد على لسان رسول الله يمكن تصويره على وجوه :

الأول : أن يكون الكلام مطابقاً للظاهر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أينما يكون وحيثما يحل على نحو الاستغراق الشمولي والعمومي الأصولي ، بلا استثناء لموضع يلعن يزيد في الأوّل أو الآخر صريحاً لا بالإشارة والتلميح، وهذا المطلوب وإن كان

ص : 176

1- في شرح جملة: «لعن الله بني أمية قاطبة». (هامش الأصل)

2- كامل الزيارات : 70 و 71 ، البحار 44: 238 ، عوالم العلوم : 132 الرقم 2. (هامش الأصل)

الثاني : أن المقصود بعموم المواقف والمواطن بحسب الأنواع لا بحسب الأفراد، وخلاصة المعنى أن يكون على النحو التالي: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تمام الأحوال بحسب الأنواع بهذا المعنى سواءً في الوقوف أو الجلوس في السفر أو الحضر، في السلم أو الحرب في الركوب أو المشي، في البيت أو خارجه، في البلد أو البرية، على المنبر أو على الأرض في الخلاً أو الملاء، في السرّ أو العلن بحسب كل حال وكل مقام يمكن افتراضهما يلحن يزيد مرّة واحدة على أقلّ تقدير إما بنحو التصريح أو بالكناية والتلميح، جهراً أو إخفاتاً.

وهذا وإن كان في المجموع المكثور خارج عن حدّ الظهور لأنّ ظاهر العموم شمول ذوات الأفراد وليس إرادة الأنواع ولكنّه أقرب من المعنى الأول - تصديقاً -

الثالث: أنّ كلّ نبي غرضه على كل حال بحكم أنه منصرف بكله إلى عالم القدس ومتوجّه لتحصيل مرضي الواحد الأحد جلّ ذكره بترويج الشرع وتبليغ الأوامر والنواهي وهداية الخليقة ولذا كل من وقف موقفاً ينافي حكماً من الأحكام الإلهية ويمنع من إجرائه ساعة التبليغ فيكون بطبيعة الحال ذلك النبي بلسان الحال أو المقال مباعداً لذلك الشخص ، ولا عنأ له ، إما بطلب من الله أو بمباعدته إيّاه لأن معنى لعنه بعده عن الرحمة الإلهية، والأنبياء هم رحمة الله، ولقب نبي آخر الزمان بالرحمة للعالمين لشمول نبوته العموم ولرافته الكاملة ، ولما كان عمل يزيد يؤدي إلى إزالة الشرع بتمام أجزائه بقتله الحسين عليه السلام لأنه في الحقيقة الدين

كله كما قيل :

نزد كوته نظران ماشطه صورت دين***نزد ارباب نظر معنى دينند همه

يراه قصير العقل في الدين حسنه***ولكن يراه الأعمون هو الدين

أو أن ولايته عليه السلام شرط في صحة الأعمال جميعاً فتكون عداوته أو تصفيته من

الوجود عداوة للدين وتصفية له ، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تمام الأحوال التي يبلغ بها الأحكام ، له حكم حتى في حالة السكوت أو النوم إذا دل دليل على رجحانهما أو وجوبهما في كل وقت يقتضي فيه الوجوب .

فتبين من هذا أن كل آفة من آفات الوجود النبوي الشريف بحسب كمال نبوته لا تخلو من لعن أعداء أهل البيت عليهم السلام لأنهم قوام الشرع وتمام الدين لاسيما يزيد وأقرانه ، الذين زاد سعارهم في سبيل إطفاء نوره وإخفاء ظهوره، وأظهروا خلاف الحق والعداوة لله عز وجل ، وهذا المعنى وإن كان لأول وهلة يبدو بعيداً عن الأذهان العامة ولكن ذوي الذوق السليم وأصحاب السليقة القويمة يجزمون بذلك بأدنى التفات ويعزبون عن الاحتمالين السابقين من رأس. (1)

ومجمل القول أنه يحسن بنا ذكر جملة من الأخبار في هذا الموضوع تتضمن لعن يزيد على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل سائر الأنبياء بل الموجودات كافة.

أ- روى الشيخ الصدوق في أماليه وساق السند إلى صفية بنت عبدالمطلب عليه السلام قالت : لما سقط الحسين عليه السلام من بطن أمه فدفعته إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوضع النبي لسانه فيه [فمه] وأقبل الحسين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمصه. قالت: وما كنت أحسب رسول الله يغذوه إلا لبناً أو عسلاً.

قالت : فبال الحسين عليه السلام فقبل النبي بين عينيه ثم ددعه إلي وهو يبكي ويقول: لعن الله قوماً هم قاتلوك يا بني - قالها ثلاثاً - . فقلت : فذاك أبي وأمي ، ومن يقتله ؟ قال : بقية الفئة الباغية من بني أمية لعنهم الله . (2)

ص: 178

1- يمكن أن تراد المعاني الثلاثة بناءً على أن للحديث القدسي بطوناً يفهمها كل واحد بقدر ما عنده من فهم وسعة صدر واستعداد فيصل إلى غاية مهمة من فهمه وينال مطلباً مفيداً، والعلم عند الله . (منه)

2- أمالي الصدوق : 117 ، البحار 43: 243 ، عوالم العلوم : 13 . (هامش الأصل) وفي نسخة المترجم من الأمالي : 136

ب - وفي بحار الأنوار عن الأمالي روى عن أسماء بنت عميس أنها قالت في بيان حكاية ولادة الإمام المظلوم عليه السلام التي تقدمت جملة منها في أوائل الكتاب في إثبات إطلاق لفظ ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وسمعتها(1):

قالت أسماء : لما حملت الحسين إلى جده صلى الله عليه وآله وسلم استقبله بوجهه وقال: إنه سيكون لك حديث ، اللهم العن قاتله .(2)

وفي هذا الحديث أيضاً: فلما كان في يوم سابعه [ثامنه - المؤلف] جئني النبي فقال : هلمي ابني، فأتيته به ... قالت: ثم وضعه في حجره ثم قال : يا أبا عبدالله ، عزيز علي ، ثم بكى ، فقلت : بأبي أنت وأمي ، فعلت في هذا اليوم وفي اليوم الأول فما هو :؟ قال : أبكي على ابني هذا تقتله فئة باغية كافرة من بني أمية لعنهم الله ، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، يقتله رجل يثلم الدين ويكفر بالله العظيم . ثم قال : اللهم إني أسألك فيهما ما سألك إبراهيم في ذريته ، اللهم أحبهما وأحب من يحبهما ، والعن من يبغضهما ملاً السماء والأرض .(3)

ج - وفي (بحار الأنوار) عن (مناقب ابن شهر آشوب) روى عن ابن عباس قال : سألت هند عائشة أن تسأل النبي تعبير رؤياها ، فقال : قولني لها فلتقص رؤياها ، فقالت : رأيت كأن الشمس قد طلعت من فوقي والقمر قد خرج من مخرجي وكأن كوكباً قد خرج من القمر أسود فشد على شمس ، خرجت من الشمس أصغر من الشمس فابتلعها فاسود الأفق لابتلاعها ، ثم رأيت كواكب بدت من السماء وكواكب مسودة في الأرض إلا أن المسودة أحاطت بأفق الأرض من كل مكان.

ص: 179

1- الحديث التاسع منقول من تاريخ الخميس . (هامش الأصل)

2- أمالي الصدوق، عيون أخبار الرضا، بحار الأنوار 44: 250 (هامش الأصل)

3- نفس المصادر التي ذكرت في صدره (المترجم) وفي البحار 44: 251 .

فاكتحلت عين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدموعه ثم قال : هي هند ، أخرج-ي ي-اع-دوة الله - مرتين - فقد جددت عليّ أحزاني ، ونعيت إليّ أحبابي ، فقال : اللهم العنها والعن نسلها .(1)

د - وفي كامل الزيارة مسنداً ، وفي البحار أيضاً عن تفسير فرات بن إبراهيم قال : حدثني جعفر بن محمد الفزاري معنعناً عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان الحسين عليه السلام مع أمه تحمله ، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : لعن الله قاتلك ولعن الله سالبك وأهلك المتوازين عليك ، وحكم الله بيني وبين من بيني وبين من أعان عليك .(2)

ه - عن ابن نما (مثير الأحزان) عن ابن عباس قال : لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرضه الذي مات فيه ، ضم الحسين إلى صدره يسيل من عرقه عليه وهو يوجد بنفسه ويقول : مالي وليزيد ، لا بارك الله فيه ، اللهم العن يزيد ، ثم غشي عليه طويلاً وأفاق وجعل يقبل الحسين وعينه تدرقان ويقول : أما إن لي ولقاتلك بين يدي الله عزّ وجلّ... (3)

ونعم ما قيل :

این انتقام گر نفتادی به روز حشر***با این عمل معامله دهر چون شدی

إذا لم ننتقم في الحشر***إنّ الدهر ينتقم

وسوف ينال ما يجني***وسوف تضمّه الحمم

و- في الخصال وساق السند إلى سيد الساجدين ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : سته لعنهم

ص : 180

1- مناقب آل أبي طالب 4 : 72 ، بحار الأنوار 44 : 263 . (هامش الأصل) وفي نسخة المترجم من المناقب 3 : 227 ط الحيدرية ، النجف 1376 .

2- تفسير الفرات : 55 ، كامل اليارات : 168 ، البحار 44 : 262 ، عوالم العلوم : 140 - 141 . (هامش الأصل) واللفظ لفرات ونسخة المترجم من تفسيره ص 171 (المترجم)

3- بحار الأنوار 44 : 266 الرقم 24 . (هامش الأصل)

الله وكلّ نبيّ مجاب الدعوة الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والتارك لسنّتي ، والمستحل من عترتي ما حرم الله والمتسلّط بالجبروت ليدل من أعزه الله ويعزّ من أدله الله ، والمستأثر بفيء المسلمين المستحل له .(1)

ز - وفي كامل الزيارة روى عن كعب الأحمبار أنّه قال: أوّل من لعن قاتل الحسين ابن عليّ عليهما السلام إبراهيم خليل الرحمان لعنه وأمر ولده بذلك وأخذ عليهم العهد والميثاق، ثمّ لعنه موسى بن عمران وأمر أمته بذلك ، ثمّ لعنه داود وأمر بني إسرائيل بذلك ، ثمّ لعنه عيسى وأكثر أن قال: يا بني إسرائيل ، العنوا قاتله وإن أدركتم أيامه فلا تجلسوا عنه فإنّ الشهيد معه كالشاهد مع الأنبياء مقبل غير مدير(2)، إلى آخر الحديث .

ح - وروى الشيخ الجليل فخر الدين الطريحي النجفي في المنتخب مرسلًا أنّ آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض لم ير حواء فصار يطوف الأرض في طلبها فمرّ بكربلاء فاعتل وأعاق وضاق صدره من غير سبب وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين حتى سال الدم من رجله فرفع رأسه إلى السماء وقال : إلهي ، هل حدث مني ذنب آخر فعاقبتني به فإنّي طُفْتُ جميع الأرض ما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض ؟ فأوحى الله إليه : يا آدم ، ما حدث منك ذنب ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدك الحسين عليه السلام ظلماً فسال دمك موافق لدمه، فقال آدم: يا

ص: 181

1- الخصال: 338 ، البحار 44: 300 ، عوالم العلوم : 597 .

2- قال المجلسي في بيان هذه العبارة : «فإنّ الشهيد معه كالشاهد مع الأنبياء مقبل غير مدير» الصواب أن يقال : مقبلاً لأنّه حال من الشهيد، وبناءً أعلى ما في النسخ أنه بالرفع صفة للشهيد لأنّه قوة النكرة والذي يصل إليه نظري أن خبره مقبل غير مدير، وكالشهيد حال من الاسم ولا مانع عندنا من مجيء الحال من المبتدأ والأظهر أن يكون خبراً بعد الخبر ، واحتمال أن يكون مقبل حالاً لا وجه له ؛ لا لفظاً ولا معنى وكونه وصفاً ركيكاً : (منه)

ربّ، أيكون الحسين نبياً؟ قال: لا ولكنه سبط النبي محمد، فقال: ومن القاتل له؟ قال: قاتله يزيد، فقال آدم: فأى شيء أصنع يا جبرئيل؟ فقال: العنه يا آدم، فلعنه أربع مرات ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حواء... (1)

ط - وفي المنتخب أيضاً: إنّ نوحاً لما ركب السفينة طافت به جميع الدنيا فلما مرّت بكربلاد أخذته الأرض وخاف نوح الغرق فدعا ربه وقال: إلهي، طُفْتُ جميع الدنيا وما أصابني فرع مثل ما أصابني في هذه الأرض، فنزل جبرئيل وقال: يا نوح في هذا الموضع يُقتل الحسين سبط محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء، فقال: ومن القاتل له يا جبرئيل؟ قال: قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين، فلعنه نوح أربع مرات، فسارت السفينة حتى بلغت الجودي واستقرت عليه. (2)

ى - وأيضاً في المنتخب روي أنّ إبراهيم مرّ في أرض كربلاء وهو راكب فرساً فعثرت به وسقط إبراهيم عليه السلام وشجّ رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار وقال: إلهي، أي شيء حدث منّي؟ فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم، ما حدث منك ذنب ولكن هنا يُقتل سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء فسأل دمك موافقة لدمه، قال: يا جبرئيل، ومن يكون قاتله؟ قال: لعين أهل السماوات والأرض، والقلم جرى على اللوح بلعنه، فأوحى الله إلى القلم أنك استحققت الثناء بهذا اللعن، فرفع إبراهيم يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً وأمن فرسه بلسان فصيح (فقال إبراهيم لفرسه: أي شيء عرفت حتى تؤمن على دعائي، فقال: يا إبراهيم، أنا

ص: 182

1- المنتخب: 48. (المترجم) بحار الأنوار 44: 243 الرقم 37 (هامش الأصل)

2- نفسه: 48 (المترجم) بحار الأنوار 44 243 الرقم 38.

أفتخر بركوبك على فلما عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي وكان سبب ذلك من يزيد (1).

يا - وفي المنتخب أيضاً روي أن إسماعيل عليه السلام كانت أغنامه ترعى بشط الفرات فأخبره الراعي أنها لا تشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً، فسأل ربه عن سبب ذلك، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: يا إسماعيل، سل عنك فإنها تجيبك عن سبب ذلك، فقال: لم لا تشربين من هذا الماء؟ فقالت بلسان فصيح: قد بلغنا أن ولدك الحسين عليه السلام السبط محمد يقتل عطشاً فنحن لا نشرب من هذه المشرعة حزناً عليه، فسألها عن قاتله؟ فقالت يقتله لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق أجمعين. فقال إسماعيل: اللهم العن قاتل الحسين عليه السلام (2).

يب - وفي المنتخب أيضاً روي أن موسى كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلما جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله وانقطع شراكه ودخل الحسك في رجله وسال دمه، فقال: إلهي، أي شيء حدث مني؟ فأوحى الله إليه: إن هنا يقتل الحسين وهنا يسفك دمك موافقة لدمه، فقال رب، ومن يكون الحسين؟ فقيل له: هو سبط محمد المصطفى وابن علي المرتضى، فقال: ومن يكون قاتله؟ فقيل: هو لعين السمك في البحار والوحوش في القفار والطير في الهواء، فرجع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمن يوشع بن نون على دعائه، ومضى لشأنه (3).

يج - وفي المنتخب أيضاً روي أن سليمان عليه السلام كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء فمرّ ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء، فأدارت الريح بساطه ثلاث

ص: 183

-
- 1- نفسه: 48 و 49 والعبارات بين القوسين تمام الرواية ولم يذكرها المؤلف. (المترجم) بحار الأنوار 44: 243 الرقم 38.
 - 2- المنتخب: 49. (المترجم) وبحار الأنوار 44: 243 الرقم 40.
 - 3- المنتخب للطريحي: 49. (المترجم)، بحار الأنوار 44: 244 الرقم 41. (هامش الأصل)

دورات حتى خافوا السقوط، فسكنت الريح ونزل البساط في أرض كربلاء ، فقال سليمان للريح لم سكنت ؟ فقالت : إن هنا يقتل الحسين عليه السلام ، فقال : ومن يكون الحسين ؟ قالت هو سبط محمد المختار وابن عليّ الكرّار ، فقال : ومن قاتله؟ قالت : لعين السموات والأرض يزيد، فرجع سليمان يديه ولعنه ودعا عليه وأمن على دعائه الإنس والجنّ ، فهبّت الريح وسار البساط ... (1)

يد - وفي المنتخب أيضاً روي أن عيسى كان سائحاً في البراري وم-ع-ه الحواريون فمروا بكربلاء فأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق فتقدّم عيسى إلى الأسد وقال له : لم جلست في هذا الطريق ولا تدعنا نمر فيه ؟ فقال الأسد بلسان فصيح : إني لم أدع لكم الطريق حتى تلعنوا يزيد قاتل الحسين ، فقال عيسى : ومن يكون الحسين ؟ قال : سبط محمد النبي الأمي وابن علي الولي ، قال : ومن قاتله؟ قال : قاتله لعين الوحوش والذئاب والسباع أجمع خصوصاً أيام عاشوراء، فرجع عيسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمن الحواريون على دعائه ، فتنحى الأسد عن طريقهم ومشوا لشأنهم ... (2)

ويوجد في كتب الأخبار والمقتل نظير ما تقدّم شيء كثير، واستقصائها شأن المطوّلات، والأخبار المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لا أنالهم الله شفاعتي ولا تنالهم شفاعتي والويل لمن قتله، واللهم اخذل من خذله واقتل من قتله» ونظيرها من التعابير النبوية إنّما مفادها اللعن وتوجد في العيون والعلل والأمالى والمناقب وكامل الزيارة والبحار وغيرها وهي خارجة عن الحصر، وما ذكرناه هنا يكفي، وسوف يأتي لعن يزيد في فقرة أخرى لاحقاً بإذن الله.

ص: 184

-
- 1- المنتخب : 49. (المترجم) بحار الأنوار 44: 244 الرقم 42 (هامش الأصل)
 - 2- المنتخب : 49 و 50 (المترجم) وبحار الأنوار 44: 244 الرقم 43 . (هامش الأصل)

الشرح : ذكر لعن أبي سفيان مستقلاً جاء في سياق تذكر مساويء ب-ن-ى أمية وأفعال يزيد الشنيعة لأنه فرع من فروع الشجرة الملعونة، وثمرات تلك الأصول

غير ميمونة .

وأبو سفيان اسمه صخر بن حرب بن أمية ، وأمه صفية بنت مزن الهلالية ، ولقد رأيت في بعض المراجع أنها كانت زانية إلا أتى نسيته .

وكان أبو سفيان لغير رشدة، وولد قبل الفيل بعشرة أعوام، وظلّ حياته كلها جاداً في عداوة الله ورسوله والإجلاب على النبي وتسعير الحروب وسوق الجنود وقيادة الأحزاب، ولا تقوم فتنة في قريش إلا ولأبي سفيان لعنه الله قدم فيها راسخة، وسعي بالغ إلى قهره الإسلام، فأسلم عام الفتح مضطراً مقهوراً، وعاش

بعد ذلك منافقاً، وكان في حصار الطائف مع النبي فأصيبت عينه بسهم فعارت وذهبت عينه الثانية في حرب اليرموك فأضّر ، وكان في حرب هوازن من المؤلفة قلوبهم وصار نصيبه من الغنائم مائة بعير وأربعين أوقية فضة، ونال ولداه معاوية ويزيد مثل نيله وقتل ولده الآخر واسمه حنظلة - وبه كان يكتى فيقال له أبو حنظلة - في بدر بيد أمير المؤمنين عليه السلام فتقدم جيش أبيه وأخيه وأقربائه إلى النار وصار طعمة جهنم .

وأولاد أبي سفيان هم معاوية ، وعمر ، وعتبة ، وصخرة ، وهند ، ورملة ، وآمنة ، وأم حبيبة ، وجويرية ، وأم الحكم ، وحنظلة ، وعنبسة ، ومحمد ، وزياد باستحاق معاوية إياه - كما مر (1) - ويزيد ، ورملة الصغرى ، وميمونة ، كما ذكر ذلك ابن قتيبة - في كتاب المعارف .

ص: 185

1- في شرح «ولعن الله آل زياد». (هامش الأصل) والعجيب من المؤلف أنه يذكر زياد في أولاده والنبي يقول : «الولد للفراش وللعاهر الحجر». (المترجم)

وذهب إلى الجحيم عام ثلاثين للهجرة، وهجاه حسان بن ثابت أبان المهاجاة بين المسلمين والكفار بشعر كثير، ونحن من أجل أن نضفي على الكتاب زينة خاصة نذكر قطعتين منها . قال حسان بن ثابت في حرب أحد :

عضضت بأير من أبيك وخاله***وعضت بنو النجار بالسكر الرطب

فلست بخير من أبيك وخاله***ولست بخير من معازلة الكلب (1)

ولست بذئ دين ولا ذي أمانة***ولست بخير من لؤي ولا كلب

ولكن هجين ذو دناءة لمعرف***مجاحة ملح غير صاف ولا عذب

وله أيضاً:

ولست من المعشر الأكرمين***لا عبد شمس ولا نوفل

وليس أبوك بساقي الحجيج***فأقعد على الحساب الأردل

ولكن هجين منوط بهم***كما نوطت حلقة المحمل

تجيش من اللؤم أحسابكم***كجيش المجاجة في المرجل (2)

وهذه الأبيات صريحة في خبث مولده وفساد نسبه ، لأنه نفاه من عبد شمس وجعله لصيقاً به.

واعلم بأن حال أبي سفيان في النفاق وعداوة أهل بيت الرسالة أشهر من أن تذكر ، وأظهر من أن تنكر .

ص: 186

1- لعلها «معاظلة الكلب» وهذا في رأيي أولى ، وليست في ديوانه ، ولا أشار المؤلف إلى مصدرها لتطلبه . (المترجم)

2- وفي رواية «المشاشة» وهي واحدة المشاش، رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغها ، وأهمل المؤلف بيتاً خامساً له : فلو كنت من

هاشم في الصميم***لم تهجنا وركي مصطلي (الديوان : 189)

وفي نهج البلاغة قابله بتكريم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «منا النبي ومنكم المكذب (1)»

وذكره ابن قتيبة وهو قطب دائرة النصب والإعراض في المؤلّفة قلوبهم ولم يقل بعد ذكره - كما هي عادته في ذكر أمثاله - «وحسن إسلامه» وهذا دليل على أن نفاقه لا يمكن ستره وإلا لكان ذكر هذه الجملة من أجل تعديل معاوية عليه الهاوية.

والجاحظ لعنه الله (2) الذي هو عدوّ مجاهر لأمير المؤمنين عليه السلام يقول في رسالة المفارقة بين بني هاشم وبني أميّة: «قد عرفنا كيف كان أبو سفيان في عداوة النبي وفي محاربه له وإجلابه عليه وغزوه، إيّاه، وعرفنا إسلامه حيث أسلم، وإخلاصه كيف أخلص، ومعنى كلمته يوم الفتح حين رأى الجنود، وكلامه يوم حنين، وقوله يوم صعّد بلال على الكعبة فأذن، على أنه أسلم على يدي العباس والعباس هو الذي منع الناس من قتله وجاء به رديفاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسأله فيه أن يشرفه وأن يكرمه وأن ينوّه به، وتلك يد بيضاء ومقام مشهود، ويوم حنين غير مجحود، فكان جزاء بيته أن حاربوا عليّاً وسّموا الحسن وقتلوا الحسين وحملوا النساء على الأقتاب حواسر وكشفوا عن عورة عليّ بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه كما يُصنع بذراري المشركين إذا دخلت دورهم عنوة» .

إلى أن قال: «وأكلت هند كبد حمزة فمنهم آكلة الأكباد، ومنهم كهف النفاق، ومنهم من نقر بين ثنيتي الحسين عليه السلام بالقضيب» انتهى (3).

ص: 187

1- الرسائل ، عدد 28. (هامش الأصل) تحقيق عبده ط دار المعرفة بيروت . (المترجم)

2- لم يكن للجاحظ دين ليحاسب عليه إنما كان يتلاعب بالأحداث ؛ فنارة يكون أموياً وأخرى علوياً وهو ، كافر بالاثنين . (المترجم)

3- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 15 . (هامش الأصل) ص 236 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار إحياء الكتب العربية - بيروت . (المترجم)

وأنت ترى الجاحظ مع عصبية ومروانيته وسفيانيته وقد كتب رسائل في فضائل هؤلاء الثلاثة ، كيف شهد على أبي سفيان ووصفه بأنه كهف النفاق، ولم يكن مخلصاً في الإسلام، وتكفينا شهادة هذين الناصبين - وهما عند النواصب من أعظم العدول - في نفاقه ودوام كفره .

واتفق العلماء على أنه من المؤلفة قلوبهم وأنه دخل الإسلام حيلة ونفاقاً، ولم يثبت دليل يرفع عنه هذا الاتهام. وحينئذٍ تترتب عليه أحكام النفاق الشرعية جميعاً من من جواز لعنه ووجوب التبري منه وغيره بقاعدة الاستصحاب، ونص الكتاب الكريم في مسألة الرؤيا التي سلفت (1) يشهد بلعنه لأنه في الحقيقة أصل الشجرة الملعونة، والمؤرخون من العامة والخاصة أثبتوا ذلك، وقد جاءت الإشارة في كتاب المعتضد إلى الأمة بلعن معاوية بذلك ، وفيه :

بعد أن استتبت الأمور في خلافة عثمان لبني أمية، وأدخل عثمان إلى بيته دار به بنو أمية وأظهروا الفرح بما جاءهم من الأمر والنهي، وأغلقتوا الباب ع-ل-ى الداخلين الغرباء، وفي هذا الحين رفع أبو سفيان عقيرته وقال: أفيكم من يُحَسَّسَم؟ فقالوا: كلا، فقال: يا بني أمية، تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة، فلما سمع عثمان ذلك خاف أن تنتشر كلمته في المسلمين فتحدث فتنة فأمر بإخراجه .

من هنا ألم أهل المعرفة والدقة أن ثالث المنافقين عثمان، ففي سره شارك أبا سفيان في عقيدة الكفر والنفاق ولكن حمله على تأديب أبي سفيان رعاية المصلحة (2) وإلا لكان عاقبه بالقتل لأن هذا جزاء المرتد لا بالإخراج.

ص: 188

1- في شرح: «ولعن الله بني أمية قاطبة». (هامش الأصل)

2- صدق المؤلف فلو كان جاداً في عقابه لحاسبه حساب المرتد لأن كلمته تدلّ على ارتداده وقد حارب أبو بكر الآلاف من المسلمين واستحل دمائهم على عقاب بعير فكيف لم يقتل هذا المرتد؟ (المترجم)

ومجمل الحديث أن لعن رسول الله له ولو لديه من الأخبار المشهورة التي نقلها ابن أبي الحديد عن البيهقي والزمخشري مروية، ورويت في كتاب المعتضد عن الثقات قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقوده ويزيد يسوقه : لعن الله الراكب والقائد والسائق (1).

ونقل ابن أبي الحديد من كتاب المفازات للزبير بن بكار قال: اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبي معيط وعتبة بن أبي سفيان بن رب والمغيرة بن شعبة وقد كان بلغهم عن الحسن بن علي عليه السلام قوارص، وبلغه عنهم مثل ذلك ، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن الحسن قد أحيا، وذكره إلى آخره، فبعثوا خلفه ، فلما أقبل تطاول عليه الخيلاء كل واحد منهم بجرأته المعهودة على الحق كما جاء تفصيله في الكتاب المذكور، وبعد ذلك تكلم سيد شباب أهل الجنة وخاطب معاوية وفي أثناء كلامه قال : أنشدك بالله يا معاوية ، أتذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده فأكرم رسول الله ،

فقال : اللهم العن الراكب والقائد والسائق.

ثم خاطب الحاضرين فقال: وأنتم أيها الرهط نشدتمكم الله ، ألا تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردّها :

أولها : يوم لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خارجاً من مكة إلى الطائف، يدعو ثقيفاً إلى رسول الدين، فوقع به وسبّه وسقفه وشتمه وكذبه وتوعده وهم أن يبطش به فلعنه الله ورسوله وصرّف عنه .

ص: 189

1- مَرَّ فِي شَرْحِ «لَعْنِ اللَّهِ بَنِي أُمِيَّة» كِتَابِ الْمُعْتَضِدِ (هَامِشِ الْأَصْلِ) وَانظُرْ عِنْدَ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ 15: 175. (المترجم)

والثانية: يوم العير، إذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي جائية من الشام فطردها أبو سفيان وساحل بها فلم يظفر المسلمون بها، ولعنه رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا عليه، فكانت وقعة بدر لأجلها.

والثالثة:

يوم أحد حيث وقف تحت الجبل، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أعلاه وهو ينادي: أعل هبل - مراراً - فلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر مرات ولعنه المسلمون .

والرابعة: يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود، فلعنه رسول الله وابتهل.

والخامسة: يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ محلّه، وذلك يوم الحديبية، فلعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا سفيان ولعن القادة والأتباع وقال: (ملعون كلهم، وليس فيهم من يؤمن) فقيل يا رسول الله، أفما يرجى يرجى الإسلام لأحد منه فكيف باللعنة؟ فقال: لا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع، وأما القادة فلا يفلح منهم أحد .

والسادسة: يوم الجمل الأحمر.

والسابعة: يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العقبة ليستنفروا ناقته وكانوا اثني عشر رجلاً منهم أبو سفيان، فهذا لك يا معاوية .

ثم راح يعدّد مثالب البقيّة (1).

ونقل تقي الدين بن حجّة وهو من أكابر أدباء أهل السنة في كتابه «ثمرات الأوراق» فصلاً من هذا، ويقول: قال عليه السلام: «... وأنشدكم بالله، أتعلمون أن معاوية كان يقود بأبيه على جمل وأخوه هذا يسوقه، فقال رسول الله: لعن الله الجمل وقائده وراكبه وسائقه؟» (2).

ص: 190

1- شرح ابن أبي الحديد 6: 290

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 2: 102 ط مصر . (هامش الأصل)

وأخيراً، لا تخفى حال أبي سفيان عن المنصف المتتبع وإن كان أهل السنّة والجماعة بناءً على رأيهم في تعديل الصحابة كلّهم، يلزمهم أن يعتقدوا بأنّ عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستمرار النفاق والقول للعبّاس: «لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً لا تنافي العدالة، والاتفاق العجيب وقوع أبي سفيان بأزاء رسول الله ومعاوية بأزاء أمير المؤمنين، ويزيد بأزاء الشهداء، وعداوة كلّ واحد منهم ليست من الهوان بحيث يحيط بها بيان .

الشرح المشهور أن معاوية ابن هند من أبي سفيان ولكن يرى المحققون أنه لغير رشدة .

قال الراغب الأصفهاني في المحاضرات، ونقل ابن أبي الحديد عن الزمخشري في ربيع الأبرار قال : كان معاوية يُعزى إلى أربعة إلى مسافر بن أبي عمرو، وإلى عمار بن الوليد بن المغيرة، وإلى العباس بن عبدالمطلب، وإلى الصباح مغن كان لعمارة بن الوليد.

قال : وكان أبو سفيان دميماً قصيراً، وكان الصباح عسيفاً لأبي سفيان شاباً وسيماً فدعته هند إلى نفسها فغشيها وقالوا إن عتبة بن أبي سفيان من الصباح

: أيضاً، وقالوا : إنها كرهت أن تدعه في منزلها فخرجت إلى أجياد (1) فوضعتة هناك، وفي هذا المعنى يقول حسن أيام المهاجاة بين المسلمين والمشركين في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل عام الفتح :

لمن الصبي بجانب البطحاء*** في الترب ملقى غير ذي مهد

ص: 192

1- أجياد جبل للنزهة في مكة المعظمة شرفها الله تعالى وهو في الأصل جمع جواد بمعنى الفرس ، وإنما سمي بهذا الاسم لأن «تتبع» كانت ترعى أفراسها به ، وسمي أجياداً بذلك ، ومن موارد استعماله في الشعر قول ابن الفارض في تائيته المعروفة الصغرى: سقى بالصفى الرعي ربعاً له الصفا*** وجاد بأجياد ثرى فيه ثروتي وهذه العبارة مع ما فيها من الغموض والإبهام وهو طابع كتاب القاموس لا تخلو من الخطأ لأنك علمت أنه جمع جواد الواوي لا- جمع جيد البائي لذلك ينبغي أن يذكر في مادة جود في تعداد جموع الجواد كما فعل إسماعيل بن عباد النيشابوري وهو جوهرى اللغة ، وفعل في الصحاح مثل فعله . ومن النوادر أنه لم يذكر في جمع جواد أجياد أبداً وإن لم يكن الخطأ من أي نوع ليس عجيباً عليه ولا- نادراً في كتابه ، والذي يحتوي على أخطاء في هذا الكتاب لا تحصر فهو القاموس المحيط بالأخطاء والأغاليط ، والله العاصم. (منه)

ونقل آية الله العلامة نصر الله وجهه عن الكلبي النسابة وهو من الثقات عند الإمامية وأقرّ ابن روزبهان أن معاوية كان يُدعى لأربعة : عمارة ومسافر وأبي سفيان ورجل رابع لم يذكر اسمه، وكانت هند أمّه من ذوات الأعلام ، وكانت مولعة بالسودان ، فإذا وضعت وليداً أسود عمدت إليه فقتلته، وحمامة وهـي واحدة من جدّات معاوية كانت صاحبة راية في سوق المجاز وبلغت إلى آخر حدود الزنا، ومن هنا يعرف نسب أبي سفيان لأنه نغل من سفاح.

وذكر السيد المحقق الشهيد الثالث في كتاب إحقاق الحق عن كتاب نزهة القلوب للقطب الشيرازي وهو علامة العلماء عند الإمامية قال : أولاد الزنا ينجبون لأنّ الزاني يندفع للفعل بشهوة ونشاط فيكتسب الولد من هذا كمال القوّة ، وما كان من الحلال فإنه يتم بتصنّع وتكلف، ومن هذه الجهة كان عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان من الدهاة المعدودين .

ثم ساق ما ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار من نسبهم (2) وذكره سبط ابن

ص: 193

1- شرح ابن أبي الحديد 1: 336

2- روى العالم الجليل الشيخ يوسف البحراني الله وغيره عن محمد بن السائب الكلبي وأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتاب (الصلابة في معرفة الصحابة) وكتاب (التنقيح في النسب الصريح) وهؤلاء رووا عن عبدالله بن سيابة بأنه قال : نكاح الشبهة قسم من أقسام النكاح والمتولد من الشبهة والزنا أنجب من المولود من الفراش وأحياناً تظهر منهم علامات من الدهاء تناسب حالهم وشأنهم، والعرب يفخرون بذلك في ظهور مثل ذلك في قبائلهم أو سلالات كراهم . ثم شرع في بيان نسب رمع [شجرة طويى العلامة النوري، ص 2] وقال العلامة السبزواري في كتاب (نزهة القلوب) : أولاد الزنا يخرجون نجباء أذكيا لأنّ الزاني يزني بشهوة ونشاط فيخرج الولد تاماً وما كان من الحلال فإنما يتم بتكلف من الرجل قبال المرأة ، ومن هذه الجهة كان معاوية وعمرو بن العاص من دهاة الناس [شجرة طويى ، ورقة 168] . (هامش الأصل)

الجوزي كلاماً مبسوطاً عن كتاب الكلبي في شرح قول الإمام الحسين لمعاوية لعنه الله قال : وقد علمت الذي ولدت عليه .

وهذا الإجمال موافق لما تقدّم ، ولما كان الاطلاع عليه لاحقاً لما مرت الإشارة إليه رأينا إعادته موجبة للتكرار ، ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتاب التذكرة. وبالجملة فما أحقه بقول ابن الحجاج :

يابن النساء الزواني العاهرات ومن***سألقنّياتهم قد حضن من خلف

يابن التي نتفت من بعض شعرتها***بيتاً من الشعر يغني جملة السلف

هلك معاوية في النصف من رجب عام خمسين وتسع للهجرة على قول

وعام ستين على قول آخر ، وضعفه المؤرّخ المعاصر نظراً لأن قتل الحسين عليه السلام في يوم الجمعة العاشر من محرم الحرام. وإذا رجعنا القهقري ودققنا في حساب الشهور يكون يوم الجمعة العاشر من محرم واقعاً في عام واحد وستين لا عام ستين، ولكن المشهور والمعتمد هو القول الأول.

وقال بعضهم : كان عمره عند وفاته سبعاً وثمانين سنة، وبناءً على هذا تكون ولادته قبل البعثة بسبع سنين .

ويقول ابن قتيبة : كان عمره اثنتين وثمانين سنة وبناءً على هذا تكون ولادته قبل البعثة بثلاثة عشر سنة أي بعد الفيل بسبع وعشرين سنة .

وأولاده عبد الرحمن، ويزيد وعبدالله ، وهند، ورملة ، وصفية .

وأظهر إسلامه بعد الفتح بعد ما أخذ الإسلام بخناقته ، ولكنه اتخذ طريق النفاق مسلماً له ، وكان في حرب حنين من المؤلفة قلوبهم، وأعطى من سهامهم كما أشرنا إليه(1)أعطى أربعين أوقية فضةً على المشهور من الروايات.

ص: 194

1- في شرح: «اللهم العن أبا سفيان». (هامش الأصل)

وقال في نهج الحق : ولما أهدر النبي دمه في فتح مكة أقبل مضطراً إلى العباس ولجأ إليه قبل وفاة النبي بخمسة أشهر واستشفع به، وشهر إسلامه، وتشفع له العباس بأن يجعله النبي كاتباً عنده (1) فكان يكتب أحياناً للنبي مكاتباته، وما اعتبره بعضهم من كونه من كتاب الوحي إنما هو محض افتراء واختلاق ، والذي قلناه عن كتابته صرح به كثير من مؤرخي الخاصة والعامة .

وملخص القول: إنَّ أبا بكر لما سيّر العساكر والجيوش إلى جهة الشام أمر عليها يزيد بن أبي سفيان وجعل أخاه معاوية وأباه أبا سفيان تحت رايته، ولما هلك يزيد وسار إلى حيث يستقر أجداده وضع مكانه معاوية وأمره على الشام كله، وكان بقية زمان أبي بكر وخلافة عمر وعثمان له ولاية الشام مستقلة، فأكثر في هذا الحكم المديد من إحداث البدع وإحياء السنن الكسروية والقيصرية، وظهرت عليه مظاهر التجبر والتكبر والتبختر حتى قال له عمر ذات يوم: «أنت كسرى العرب» وكان مولعاً بالعقار يشربها وتمرساً بأنواع الفجور جارياً في هذا السنن بجد ونشاط حتى قبل أن يلي الخلافة بأيام، ثم قال قوم بأنه أفلح عن ذلك، وقال آخرون : هذا في الظاهر وأما في الباطن فقد كان سائراً في السرّ على تناول كاسات العقار ومقيماً على تداول العهار .

ولما بلغ عليّ إلى حقه وتسنّم غارب الخلافة قصرت الغاصبين والناصبين عن الامتداد إلى أنيهم فلم يقرّ معاوية على ولايته لاشتهاره بين الناس كلهم ، فقام بحرب ضروس على الإمام بحجّة الطلب بدم عثمان فسلبت السيوف في ذلك وقامت الحرب على قدم وساق إلى أن رحل الإمام عن هذا الوجود الفاني بقلب حزين وصدر بالغیظ مشحون من مفاصده، وعمر بن العاص ومكائدهم حتى

ص: 195

1- شرح نهج البلاغة 2: 102 نهج الحق للعلامة الحلي : 310 (هامش الأصل)

شرب الإمام كأس الشهادة دهاقاً، عمد معاوية إلى محاربة الحسن حتى تم الصلح بينهما وامتدت هذه الفترة عشرين عاماً كان فيها، أميراً، ومثلها استقل بالخلافة بالباطل وتفرد بالولاية فامتدت إمارته أربعين سنة.

وجملة القول إنك سمعت لعنه من فم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شرح حال أبي سفيان. وفي ربيع الأبرار للزمخشري وهو موافق لما حكاه العلامة في نهج الحق أن النبي كان في خطبته فأخذ معاوية بيد ولده يزيد وقام من المجلس فلم يسمع الخطبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله القائد والمقود أي يوم يكون لهذه الأمة من معاوية (لعنه الله) ذي الإساءة» (1).

والظاهر أن لفظ أخيه صحفت بابنه في عبارة نهج الحق لأن خط العلامة وعندني منه سطور وهو مبعث فخر لي واعتزاز، موجودة في كتبي، ضعيف جداً، ومثل هذا التصحيف كثيراً يدور على أقلام الكتاب وإلا فمن المستبعد كثيراً أن يكون يزيد في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مولوداً لأن مدة عمره معلومة، ولعل الخطأ في نسخة «ربيع الأبرار» فلم يلتفت إليه العلامة.

إذن، لا يكون طعن ابن روزبهان في الرواية صحيحاً ولو سلمنا جدلاً لما يقوله ابن روزبهان فإنّ القدر في الحديث ينحصر بكونه من المتشابهات. وأما لعن معاوية فهو القدر المتيقن من مضمون الخبر ولا يصح التخلّي عنه، والتفكيك في الحجّة، لاسيّما على وجه استفاد فيه الأحكام من ألفاظ مختلفة فيكون بعضها حجّة والبعض الآخر فاقداً لها أثبتناه في علم الأصول لا مانع منه.

وفي [كتاب - ط] [نهج الحق] يقول: واعترف الفضل بن روزبهان بفضل الله

ص: 196

1- نهج الحق: 310. (هامش الأصل)

أن النبي كان يلعنه دائماً ويقول: «اللعين بن اللعين ، الطليق بن الطليقم (1).

وروي عن النبي أيضاً في كتاب المعتضد أنه قال : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه (2).

ونقل في صحاح أهل السنة أيضاً أن الخلافة من بعدي ثلاثون ثم يكون ملكاً عضوضاً (3).

لذلك اعترف ابن روزبهان بأن معاوية ليس من الخلفاء بل هو من الملوك ووقع سائر أوليائه في ضيق الخناق فعمدوا إلى التأويل وجائوا بأشياء باطلة ملفقة ومحصلها أن الملك أدنى من الخلافة بدرجة ولا ينافي صدق اسم الخلافة عليه ، وهذا كلام ابن خلدون وابن حجر ، وظاهر الحديث ينادي بخلاف ذلك لأنه :

أولاً قابل الملك بالخلافة .

وثانياً سمى الملك عضوضاً أي إنه شديد وهذا ينافي أن يكون خلافة ناقصة أي كونه على حق وإن لم يصل إلى كمال الزمان السابق. وفي أخبار أخرى سماه

ملكاً وجبرية وملكاً وجبروتاً، وهذان الكلمتان لا يقبلان التأويل.

ثالثاً ويدل على بطلان هذا الوجه ما نقله السيوطي في كتاب تاريخ مصر من طبقات محمد بن سعد فقد نقل سعد فقد نقل مسنداً أن قال لسلمان : هل أنا ملك أو

ص: 197

1- الطليق بن اللعين بن اللعين. نهج الحق : 309

2- مضمي تخريجه في كتاب المعتضد . (هامش الأصل)

3- رواه في الصواعق المحرقة : 217 عن أبي داود والترمذي والنسائي والجمع بين الصحيحين عن مسند أنس بن مالك وأبي عامر أن النبي الله قال : أول دينكم نبوة ورحمة، ثم ملك ورحمة ، ثم ملك جبرية، ثم ملك عضوض يستحل فيه الحرّ والحرة». راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي : 9 ، ونهاية اللغة لابن الأثير 3 353 مع تفاوت يسير، وأحمد بن حنبل في المسند 1: 456 ، وتطهير اللسان لابن حجر : 16 ، ونهج الحق للعلامة : 316.

خليفة؟ فقال له سلمان : إذا حبيت درهماً من بلاد المسلمين أو أقل من الدرهم ووضعته في غير حقه فأنت ملك لا خليفة .

وكذلك ساق السند إلى سفيان بن أبي العوجاء أن عمر قال: والله ما أدري خليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم.

قال قائل : يا أمير المؤمنين ، إن بينهما فرقاً.

قال : ما هو؟

قال : الخليفة لا يأخذ إلا حقاً ولا يضعه إلا في حق ، وأنت بحمد الله كذلك، والملك يعتسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا .

وهذان الخبران أولهما قول صحابي وهو حجة ، والثاني تقرير عمر علاوة على أنه مبطل لخلافته لإظهاره الشك وقسمه على الجهل بواقع الحال ، وهذا مبطل للخلافة معاوية وغيره منهم .

فظهر أن المراد بالملك الظالم المتعسف فتبين أن توجيه هذه الفرقة باطل والالتفات إلى هذا الجواب من خصائص هذا الكتاب.

ومجمل القول أن ابن الأثير نقل في أسد الغابة عن عبدالرحمان الزبيري أن عمر قال : إن هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد ، ثم في أهل أحد ما بقي منهم

أحد ، ثم في كذا كذا، وليس فيها لطلاق ولا لولد طليق ولا المسلمة الفتح شيء (1).

لقد نفى عمر الخلافة عن معاوية - والحمد لله - بعناوين ثلاثة ؛ لأنه طليق وابن طليق، وهو من مسلمة الفتح إن كان أسلم (وليس من أهل بدر - المترجم) وهذا الاستدلال مما انفردت به.

ونقل ابن الأثير وغيره عن ابن عباس مسنداً أنه قال: كنت ألعب مع الصبيان

ص: 198

1- أسد الغابة 4 : 388 وقال : أخرجه الثلاثة . (المترجم)

فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتواريت خلف باب فجاء وحطأني حطأة وقال : اذهب فادع لي معاوية (لعنه الله) قال : فجئت فقلت : هو يأكل ، ثم قال : اذهب فادع لي معاوية ، قال : فجئت فقلت : هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه ... (1)

وذكر ابن خلكان في ترجمة النسائي صاحب الخصائص قال : وخرج إلى دمشق فسئل عن معاوية وما روي من فضائله، فقال: أما يرضى معاوية أن يخرج رأساً برأس حتى يفضل.

وفي رواية أخرى ما أعرف له فضيلة إلا لا أشبع الله بطنك. (2)

ووصف ابن خلكان النسائي فقال : الحافظ كان إمام عصره في الحديث، وامتدحه .

ونقل عن أبي سعيد صاحب تاريخ مصر إته قال : كان إماماً في الحديث ثقة ثبتاً. (3)

وهذه المسائل حجة من النسائي لأنه من أصحاب السنن وكتابه أحد الصحاح الستة.

ونقل ابن حجة الحموي في ثمرات الأوراق عن الإمام الحسن عليه السلام في مجلس المفاخرة : أنشدكم الله والإسلام ، أتعلمون أن معاوية كان يكتب الرسائل لجدي فأرسل إليه يوماً فرجع الرسول وقال : هو يأكل ، فردّ الرسول ثلاث مرات كل ذلك وهو يقول: هو يأكل ، فقال النبي : لا أشبع الله بطنه، أما تعرف ذلك في بطنك يا معاوية ؟ ...

ص: 199

1- أسد الغابة 4 : 386، صحيح مسلم 4 : 194 .

2- وفيات الأعيان 1 : 66 ونقلنا الخبر برمته . (المترجم)

3- نفسه 1 : 68. (المترجم)

ونقل السيد الشهيد من تاريخ الياضي أن معاوية ابتلي بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشدة الجوع ، وهذا الأمر من المسلمات المتواترات أن معاوية يأكل مرات عدة ف-لا يشبع ويمل من كثرة الأكل. قيل : إنه يأكل البعير الكامل .

قال الراغب وابن أبي الحديد وغيرهما : كان معاوية يأكل حتى يربع ، ثم يقول : ارفع ما شبعت أكلت حتى مللت ، وقال الشاعر :

وصاحب لي بطنه كالهوية***كأن في أحشائه معاوية

وقال السنائي :

هست چون معاوية آز(1)***كه بخاك از تو دست بردارد باز

وفي مختصر (ربيع الأبرار) المعروف بروض الأخبار يقول : كانت العرب لا تعرف الألوان إنما كان طعامهم اللحم يطبخ بماء وملح، حتى كان زمن معاوية

فاتخذ الألوان وتتوق فيها، وما شبع مع كثرة ألوانه الدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والعجيب أن مسلماً في صحيحه روى الحديث التالي وأحاديث أخرى في مضمونه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنما أنا بشر فأبي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجراً(2). وهذا الحديث واضح أنه موضوع المصلحة معاوية لتعديله وإصلاح حاله، ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر. لأنه لا يمكن أن يلعن نبي معصوم مبرء من الخلل والزلل أحداً ثم تكون له بركة ورحمة.

ثم مما لا يشك فيه أن ذلك الوجود القدسي والهيكل النوراني مع تمام تجرده وكمال تأله لا يغضب على من لا يستحق الغضب بصريح قوله تعالى : «وَمَا يَنْطِقُ

ص: 200

1- هكذا ورد الشعر مختل الوزن ولم يظهر لي معناه بل ولا بعضه فما أمكنت ترجمته . (المترجم)

2- صحيح مسلم، رقم الحديث 6561

عَنِ الْهَوَىٰ إِنَّهُ لَا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (1) والدليل عموم هذه الدعوى. وعلى فرض التسليم لصحة هذه الأخبار جداً فنقول: إن صحت فينبغي أن يكون معاوية والحكم خارج الأمة، لأن دعاء النبي ظهر فيهما بما جرى على أيديهما من المساوي كما مر في حال الحكم (2) وما سمعته عن اليافعي والزمخشري وصاحب (روض الأخبار) وابن حجة وغيرهم عن معاوية (3) وبناءً على هذا ينبغي أن يكون الاثنان كافرين وشدة اهتمام عثمان بالحكم وردّه بعد نفيه عن المدينة إليها كاشف عن حاله، والحرّ يكفيه الإشارة.

وفي نهج الحق روى عن ابن عمر أنه قال: سمعت النبي يقول: سيخرج عليكم رجل يموت على غير سنتي، فخرج معاوية (لعنه الله). (4).

والأخبار المتواترة في كفر ونفاق مبغض أمير المؤمنين عليه السلام الواردة في طرق أهل السنة الصحيحة كثيرة، ويكفي آخر حديث الغدير: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وعداوة معاوية لأمير المؤمنين وسبه له أظهر من أن يمكن سترها أو إخفائها أو شرحها، ولم أجد من أهل السنة من ردّها أو أنكرها إلا ابن خلدون في مقدّمة تاريخه فإنّه استبعد أن يكون معاوية سبّ أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا القول منه وإن كان إنكار المتواتر ولكنّي على قلة اطلاعي رأيت أكثر من مائة كتاب من كتب أهل السنة تنقل أن معاوية سب أمير المؤمنين عليه السلام بل حتى ابن خلدون نفسه صرّح في ذيل أخبار معاوية (لعنه الله) بأنّ المغيرة بن شعبة سبه وكتب عن حجر بن عدي قائلاً بأن سبب قتله إبانته من سب أمير المؤمنين عليه السلام، ومع ما هو عليه

ص: 201

1- النجم: 3 و 4.

2- شرح جملة: وآل مروان. (هامش الأصل)

3- في شرح عبارة: «ومعاوية بن أبي سفيان». (هامش الأصل)

4- كتاب صفين لنصر بن مزاحم: 247، تاريخ الطبري 11 357 نهج الحق: 310 (هامش الأصل)

يظهر من حاله أنه يعترف بأن سب أمير المؤمنين عليه السلام منكر وموجب للخروج من الملة لأنه إن ثبتت الصغرى فإننا ثبتت تواتر الكبرى بشهادته، وكفر معاوية لعنه الله برهاني ومسلم الطرفين، والحمد لله على وضوح الحجة.

وهذا المقام وإن استوجب البسط لكن رعاية الاختصار توجب الصمت، وفي أخبار كثيرة بالطرق المعتمدة بل يمكن الحكم عليها بالتواتر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال العمّار: «تقتلك الفئة الباغية» (1) وقتله أبو العالية الجهنني من جنود معاوية لعنهما الله، ولما قامت الفتنة في جيش معاوية أشاع بين الناس أن عمّاراً قتله ألقاه من طعمة لسيفونا ورماحنا وهو عليّ، ولما سمع الإمام قوله قال: فينبغي أن يكون الحمزة قتله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومجمل القول بأن الأخبار في ذمّ معاوية خارجة عن حدّ الحصر، وعن بعض متبوعي فضلاء الهند، أنه نقل مأتي خبر من الطرق المعتمدة لأهل السنة فيكون الخلاف بينه وبين أمير المؤمنين كالخلاف بين أبي جهل وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثابت بالضرورة، ويستحيل الجمع بين المتناقضين، فعلياً إما موالاته ومعاداة عليّ أو العكس، ولكن أهل السنة اختاروا الشق الأول كما نقل عن كتب علماء ماوراء النهر أنه يشترط في السنن أن يكون بقدر ... من عداوة عليّ في القلب (2) وابن ... خلجان رفع الحجاب في ترجمة عليّ بن جهم الناصبي نقل ذلك عن الخطيب البغدادي أنه كان فاضلاً متديناً ثم يقول: وكان مع انحرافه عن عليّ بن أبي طالب وإظهاره السنن مطبوعاً مقتدراً على الشعر. (3)

ص: 202

1- الإصابة 2: 512، الاستيعاب: 480، تهذيب التهذيب: 7: 409 قالوا: وقد تواترت الأحاديث أنّ عمّار تقتله الفئة الباغية. (هامش الأصل)

2- إحقاق الحق: 7: 447 ففيه ما يفيد المقام. (هامش الأصل)

3- إحقاق الحق: 1: 2 و 64 و 7: 448 عن وفيات الأعيان. (هامش الأصل)

وهنا يمكن الحصول على فائدتين :

الأولى : إن النصب ينافي التدين.

والثانية : إن إظهار التسنن بالانحراف عن علي عليه السلام لأن الظاهر أن جملة وإظهاره التسنن عطف تفسير على الانحراف فظهر منه أنّ التسنن مشروط

بالانحراف عن أمير المؤمنين وبغضه ، وهذه استفادة لطيفة .

ومن هذه الجهة نسب السيد المحقق الشهيد الثالث نصر الله وجهه في مجالس المؤمنين إلى ابن خلكان في الترجمة المذكورة : أقول بأنّ عداوة عليّ شرط في التسنن .. (1)(2)

ولم يلتفت متأخرو أهل السنّة كصاحب التحفة في باب المكاييد من الكتاب المذكور طريقة استنتاج الشهيد الثالث لعبارة السالفة لذلك عمد إلى تخطئته وتكذيبه ... وبناءً على ما تقدّم فإنّ دعاء الحديث المتواتر «اللهم عاد من عاداه» ينطبق على أهل السنّة عامة إلا أن يتشبثوا بذيل حديث مسلم (3) أن لعن النبي من دواعي المغفرة وليس سبباً للبعد عن رحمة الله لأنّ النبي - العياذ بالله - أحياناً يتلاعب به الشيطان فيتعرّض للسهو والنسيان وغلبة الطبيعة البشرية في الغضب والرضا - ثمّ يفيق من هذه الحالة ويرجع إلى الاستواء .. (4).

ص: 203

1- هذا اعتذار عن السيد الشهيد الثالث لأنّ العبارة بلفظها لا توجد لكن توجد بمعناها ويؤيد قول سيدنا الشهيد الثالث قول شيخنا المرحوم أبي الحسن الخنيزي في كتابه «دعوة الحق»: لا يموت السنّي إلا وفي نفسه شيء من عليّ . (المترجم)

2- مر في إحقاق الحق 1: 64 و 7: 488 . (هامش الأصل)

3- اللهم إني بشر ، مر آنفاً (المترجم)

4- أقول : لعن الله من قال ذلك فلقد أخزوا أنفسهم بما وضعوه لتعديل رجل ضال منحرف ؛ لأن النبي إن كان يقول غير الحق في حالة الغضب ثم يعود إلى الصواب فإنّه كذلك في حالة الرضا فقد يغلب عليه الاعجاب برجل فيقول فيه مادحاً غير الحق أيضاً فيكون المدح على غير حقيقته ومخالفاً لطبيعته وحينئذ يكون كلّ ما وضعوه في حق سادتهم لعنهم الله من هذا القبيل لا يمكن أن يصدق أو يقطع به لأنّ قائله معرض لطغيان الطباع الغالبة وحاله حال الشاعر ، وهنا لا أملك إلا لعنهم والبرائة منهم . (المترجم)

وفي الحقيقة إن هذه الحركة الماحقة للدين ما هي إلا لتوجيه أفعال عمر بن الخطاب لعنه الله وأخزاه الذي منع من كتابة الكتاب بنص البخاري ومسلم ونسب إلى النبي الله صلى الله عليه وآله وسلم الهجر - العياذ بالله - والهديان مفترياً بذلك على الله ورسوله لكي يثبتوا أنّ النبوة لا تحجز صاحبها عن الهجر والهديان (قلم اينجا رسيد و سر بشكست)

إن المر إذا وصل إلى هذا الحدّ من الجهل والسخف وبلغ في العناد والتعصب إلى هذه الدرجة فإنّ الحديث معه لا يليق بأهل العلم والمعرفة .

وأخيراً معاوية أوائل عدة يمكن تصيدها من كتب التاريخ:

فهو أول من وضع البريد.

وأول من وضع ديوان الخاتم، وسببه أن أمر لرجل بمائة ألف درهم فلعب الرجل بالكتاب بعد فتحه وصير المبلغ مأتي ألف، من ثمّ وضع معاوية «ديوان

» الخاتم فأتبعه من جاء بعده واقتفى سنته.

وأول من اتخذ المقصورة في المسجد بدعةً .

وأول من خطب جالساً بدعة.

وأول من حبّق على المنبر بمسمع ومشهد [\(1\)](#) كما قال الراغب ذلك .

وأول من نقض العهد بجرأة كما قال ذلك على منبر الكوفة بعد إبرامه الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام ، قال : «إني شرطت للحسن شروطاً وكلها تحت رجلي» .

وأول من خالف الحديث الصحيح : الولد للفراس وللعاهر الحجر .

ص: 204

1- سبقه إلى ذلك ولي نعمته عمر لعنه الله .

وأول من أظهر سبَّ أمير المؤمنين عليه السلام وأشاعه بين الناس .

وأول من أقدم على قتل ذرّية النبي حين سمَّ الإمام الحسن عليه السلام كما ثبت ذلك في الكتب المعتمدة لأهل السنة. وفي قصيدة ابن عبدون يقول:

وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن***أت بمعضلة الألباب والفكر

فبعضنا قائل ما اغتاله أحد***ويعضنا ساكت لم يؤت من حصر

وأول من أخذ البيعة لولده واستخلف يزيد وطوّق إثمه في عنقه .

وأول من استخدم الخصيان .

وأول من أمر بتجريد الكعبة من كسوتها وكان الرسم قبل ذلك جرى برفع كسوتها شيئاً فشيئاً دون تجريدها.

وأول من أحيا رسوم الأكاسرة وجلس في مجلسه على السرير. وأول من عبث رعيته معه في اللهو من دون أن تهابه .

وأول من قتل صبراً كما فعل بحجر بن عدي.

وأول من رفع الرؤوس على أطراف الرماح كما فعل بعمر وبن الحمق.

وأول من استخلف في البيعة وتابعه الحجاج فاشترط اليمين في البيعة كما رويت هذه المسألة في كتب أهل السنة .

وفي التي ذكرنا من بدعه وفتنه كفاية عن غيرها ، وليست بحاجة إلى بيان ، ومن لم يستضيء بمصباح لم يستضيء بصباح.

تذييل وتسجيل

لَمَّا كان جواز لعن معاوية بل سائر المنافقين من الصحابة محل نزاع عظيم وخلاف كبير بين طائفتي الشيعة وأهل السنة والجماعة، ونحن بينا على طريقة الاحتجاج في هذا الكتاب قدراً يكفي في تصديق المنصف المستبصر ولكن نقل

ص: 205

حول الموضوع رسالة لبعض قدماء الزيدية جامعة لمجماع الكلام ومحيفة بأطراف المقصود ولم يتوان دقيقة واحدة في علاج الموضوع وقد ذكرها الفاضل التحرير عبد الحميد بن أبي الحديد في الجزء العشرين من شرح نهج البلاغة في شرح كلمة الإمام في خطابه للمغيرة بن شعبة وحديثه معه ، قال :

دعه يا عمّار فإنّه لن يأخذ من الدين إلا ما قاربه من الدنيا، وعلى عمد لبس على نفسه ليجعل الشبهات عاذراً لسقطاته... (1)

ونحن هنا نورد مجمل كلام ابن أبي الحديد ونحسب معاني تلك الرسالة لإتمام الحجّة وإكمال النعمة ، ومن كانت له رغبة في التفصيل أو اشتاق إلى فصاحة العبارات ذاتها فعليه بالرجوع إلى الموضوع الوارد في الرسالة .

قال ابن أبي الحديد وحضرت عند النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي البصري في سنة إحدى عشرة وستمائة ببغداد وعنده جماعة وأحدهم يقرأ في الأغاني لأبي الفرج، فمرّ ذكر المغيرة بن شعبة وخاض القوم فذمه بعضهم واثنى عليه بعضهم، وأمسك عنه آخرون، فقال بعض فقهاء الشيعة ممن كان يشتغل بطرف من علم الكلام على رأي الأشعري : الواجب الكف والإمسك عن الصحابة وعمّا شجر بينهم .

فقد قال أبو المعالي الجويني (2): إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن ذلك وقال: إياكم وما شجر بين صحابتي ، وقال : دعوا لي أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً لما بلغ مد أحدكم ولا نصيفه وقال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم

ص: 206

1- شرح نهج البلاغة 20 : 8 (المترجم وهامش الأصل)

2- المؤلّف حذف بعض فقرات الرسالة ورأيت إثباتها لعموم فائدتها ولأنّ تلخيصها بالترجمة يجوز قبوله ، أما وأنا أنقل الأصل ذاته فالتلخيص مذهب لكثير من فائدته وإن كلفني جهداً. (المترجم)

وقال : خيركم القرن الذي أنا فيه ثم الذي يليه ثم الذي يليه ثم الذي يليه، وقد ورد في القرآن الثناء على الصحابة وعلى التابعين، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، وقد روي عن الحسن البصري أنه ذكر عنده الجمل وصفين فقال : تلك دماء طهر الله منها أسيافنا فلا تلطخ بها ألسنتنا .

ثم إن تلك الأحوال قد غابت عنا وبعدت أخبارها على حقائقها فلا يليق بنا أن نخوض فيها ، ولو كان واحد من هؤلاء قد أخطأ لوجب [أن يحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ومن المروءة] أن يحفظ رسول الله في عائشة زوجته وفي الزبير ابن عمته وفي طلحة الذي وقاه بيده.

ثم ما الذي أزمنا وأوجب علينا أن نلعن أحداً من المسلمين أو نبرأ منه ! وأي ثواب في اللعنة والبراءة ! إن الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلف لم لم تلعن ؟ بل قد يقول له : لم لعنت ؟ ولو أن إنساناً عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يكن عاصياً ولا آثماً، وإذا جعل الإنسان عوض اللعنة استغفر الله كان خيراً له .

ثم كيف يجوز للعامة أن تدخل أنفسها في أمور الخاصة وأولئك قوم كانوا أمراء هذه الأمة وقادتها ، ونحن اليوم في طبقة سافلة جداً عنهم فكيف يحسن بنا التعرض لذكرهم ؟ أليس يقبح من الرعيّة أن تخوض في دقائق أمور الملك وأحواله وشؤونه التي تجري بينه وبين أهله وبني عمه ونسائه وسراريه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صهراً لمعاوية وأخته أم حبيبة تحته فالأدب أن تحفظ أم حبيبة وهي أم المؤمنين في أخيها .

وكيف يجوز أن يلعن من جعل الله تعالى بينه وبين رسول الله مودة ! أليس المفسرون كلهم قالوا هذه الآية أنزلت في أبي سفيان وهي قوله تعالى : «عَسَى اللَّهُ

أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً» (1) فكان ذلك مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا سفيان وتزويجه ، ابنته على أن جميع ما تنقله الشيعة من الاختلاف بينهم والمشاجرة لم يثبت وما كان القوم إلا كبنى أم واحدة ولم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه قط ، ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع. فقال أبو جعفر : قد كنت منذ أيام علقت بخطي كلاماً بخطي كلاماً وجدته لبعض الزيدية في هذا المعنى نقضاً ورداً على أبي المعالي الجويني فيما اختاره لنفسه من هذا الرأي وأنا أخرجه إليكم لأستغني بتأمله عن الحديث على ما قاله هذا الفقيه فإني أجد أماً يمنعني من الإطالة في الحديث، لاسيما إذا خرج مخرج الجدل ومقاومة الخصوم، ثم أخرج من بين كتبه كراساً قرأناه في ذلك المجلس وأستحسنه الحاضرون ، وأنا أذكر هاهنا خلاصته قال :

لولا أن الله أوجب معاداة أعدائه كما أوجب موالاته أوليائه وضيق على المسلمين تركها إذا دلّ العقل عليها أو صح الخبر عنها بقوله سبحانه : «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ» (2) وبقوله تعالى : «وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ» (3) وبقوله سبحانه : «لَا تَتَّوَلَوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» (4) ولإجماع المسلمين على أن الله تعالى فرض عداوة أعدائه وولاية أوليائه، وعلى أن البغض في الله واجب والحب في الله واجب لما تعرضنا لمعاداة أحد من الناس في الدين ولا البرائة منه، ولكانت عداوتنا للقوم تكلفاً ولو ظننا إن الله عز وجل يعذرنا إذا

ص: 208

1- الممتحنة: 7 .

2- المجادلة : 22 .

3- المائدة : 81

4- الممتحنة : 13 .

قلنا: يا ربّ غاب أمرهم عتّا فلم يكن لخوضنا في أمر قد غاب عنا معنى ، لاعتمدنا على هذا العذر، وواليناهم ، ولكننا نخاف أن يقول سبحانه لنا: إن كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم فلم يغب عن قلوبكم وأسماعكم، قد أتتكم به الأخبار الصحيحة التي يمثلها ألزمتكم أنفسكم الإقرار بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وموالاته من صدقه ومعاداة من عصاه وجحده ، وأمرتم بتدبر القرآن وما جاء به الرسول، فهلا حذرتن من أن تكونوا من أهل هذه الآية غداً: «رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا» (1).

فأما لفظة اللعن فقد أمر الله تعالى بها وأوجبها ، ألا ترى إلى قوله : «أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ» (2)فهو إخبار معناه الأمر ، كقوله : «وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ» (3)وقد لعن الله تعالى العصاة بقوله : «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ» (4)وقوله : «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا» (5)وقوله : «مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا» (6)وقال تعالى لإبليس : «وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ» (7)وقال: «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا» (8)

فأما قول من يقول : (أي ثواب في اللعن؟ وإن الله تعالى لا يقول للمكلف لم لم)

ص: 209

- 1- الأحزاب : 67 .
- 2- البقرة : 159 .
- 3- البقرة : 228 .
- 4- المائدة : 78 .
- 5- الأحزاب : 57 .
- 6- الأحزاب : 61 .
- 7- ص: 78 .
- 8- الأحزاب : 64 .

تلعن؟ بل قد يقول له : لم لعنت؟ وإته لو جعل مكان لعن الله فلاناً، اللهم اغفر لي لكان خيراً له، ولو أن إنساناً عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يؤاخذ بذلك) فكلام جاهل لا يدري ما يقول؟ اللعن طاعة ويستحق عليها الثواب إذا فعلت على وجوها وهو أن يلعن مستحق اللعن الله وفي الله، لا-في العصبية والهوى . ألا- ترى أن الشرع قد ورد بها في نفي الولد ونطق بها القرآن وهو أن يقول الزوج في -- الخامسة : أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفظ عباده بهذه اللفظة وأنه قد تعبدهم بها لما جعلها من معالم الشرع ولما كررها في كثير من كتابه العزيز، ولما قال في حق القائل : «وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ» (1) وليس المراد من قوله «ولعنه» إلا الأمر لنا بأن نلعنه ، ولو لم يكن المراد بها ذلك لكان لنا أن نلعنه لأن الله تعالى قد لعنه، أفيلعن الله تعالى إنساناً ولا يكون لنا أن نلعنه؟! هذا ما لا يسوغ في العقل . كما لا يجوز أن يمدح الله إنساناً إلا ولنا أن نمدحه، ولا يذمه إلا ولنا أن نذمه . وقال الله تعالى: «هَلْ أُتْبِئُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ» (2) وقال : «رَبَّنَا آتِهِمْ ضِرَّةً يُغْفِرُونَ مِنْ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا» (3) وقال عز وجل : «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا» (4).

وكيف يقول القائل : إن الله تعالى لا يقول للمكلف لم تلعن؟ ألا يعلم هذا القائل أن الله تعالى أمر بولاية أوليائه، وأمر بعبادة أعدائه فكما يسأل عن التولي يسأل عن التبري. ألا ترى أن اليهودي إذا أسلم يطالب بأن يقال له : تلفظ بكلمة

ص: 210

1- النساء : 93

2- المائدة : 60 .

3- الأحزاب : 68 .

4- المائدة : 64 .

الشهادتين ثم قل: برئت من كل دين يخالف دين الإسلام فلا بد من البرائة لأن بها يتم العمل! ألم يسمع هذا القائل قول الشاعر:

تودّ عدوّي ثم تزعم أنّي *** صديقك إن الرأي عنك لعازب

فمودة العدو خروج عن ولاية الولي، وإذا بطلت المودة لم يبق إلا البرائة لأنه لا يجوز أن يكون الإنسان في درجة متوسطة مع أعداء الله تعالى وعصاته بأن لا

يودهم ولا يبرأ منهم بإجماع المسلمين على نفي الوسطة .

وأما قوله: (لو جعل عوض اللعنة استغفر الله لكان خيراً له) فإثارة لو استغفر من غير أن يلعن أو يعتقد وجوب اللعن لما نفعه استغفاره ولا قبل منه لأنه يكون عاصياً لله تعالى، مخالفاً أمره في إمساكه عمّن أوجب الله تعالى عليه البرائة منه وإظهار البرائة، والمصرّ على بعض المعاصي لا- تقبل توبته واستغفاره عن البعض الآخر، وأما من يعيش عمره ولا يلعن إبليس فإن كان لا يعتقد وجوب لعنه فهو كافر، وإن كان يعتقد وجوب لعنه ولا- يلعنه فهو مخطئ على أنّ الفرق بينه وبين ترك لعنه على رؤوس الضلال في هذه الأمة كعماوية والمغيرة وأمثالهما أن أحداً من المسلمين لا يورث عنده الإمساك عن لعن إبليس شبهة في أمر إبليس والإمساك عن لعن هؤلاء وأضرابهم يثير شبهة عند كثير من المسلمين في أمرهم وتجنّب ما يورث الشبهة في الدين واجب، فلهذا لم يكن الإمساك عن لعن إبليس نظيراً للإمساك عن لعن هؤلاء.

قال: ثم يقال للمخالفين: رأيتم لو قال قائل: قد غاب عنا أمر يزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف فليس ينبغي أن نخوض في قصتهما، ولا أن نلعنهما ونعاديهما، ونبرأ منهما هل كان هذا إلا كقولكم: قد غاب عنا أمر معاوية والمغيرة بن شعبة وأضرابهما فليس لخوضنا في قصتهم معنى!

وبعد: فكيف أدخلتم أيها العامة والحشوية وأهل الحديث أنفسكم في أمر

عثمان ، وخضتم فيه ، وقد غاب عنكم ! وبرئتم من قتله ولعنتموهم وكيف لم تحفظوا أبا بكر الصديق !!! في محمد ابنه فإنكم لعنتموه وفسقتموه، ولا- حفظتم عائشة المؤمنين في أخيها محمد المذكور ومنعتمونا أن نخوض وندخل أنفسنا في أمر علي والحسن والحسين ومعاوية الظالم له ولهما، المتغلب على حقه وحقوقهما وكيف صار لعن ظالم عثمان من السنّة عندكم، ولعن ظالم عليّ والحسن والحسين تكلفاً!

وكيف أدخلت العامة أنفسها في أمر عائشة وبرئت ممن نظر إليها ومن القائل لها يا حميراء ، وإنما هي حميراء ، ولعنته بكشفه سترها ومنعنا ن-ح-ن ع--ن الحديث في أمر فاطمة وما جرى لها بعد وفاة أبيها ؟

فإن قلت: إن بيت فاطمة إنّما دخل، وسترها إنما كشف حفظاً لنظام الإسلام وكيلاً ينتشر الأمر ويخرج قوم من المسلمين أعناقهم من ربة الطاعة ولزوم

الجماعة.

قيل لكم وكذلك ستر عائشة إنما كشف وهو دجها إنّما هتك لأنّها نشرت حبل الطاعة وشقت عصا المسلمين، وأراقت دماء المسلمين من قبل وصول علي بن أبي طالب إلى البصرة وجرى لها مع عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة ومن كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل وسفك الدماء ما تنطق به كتب التاريخ والسير ، فإذا جاز دخول بيت فاطمة لأمر لم يقع بعد جاز كشف ستر عائشة على ما قد وقع وتحقق، فكيف صار هتك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار والبراءة من فاعله من أوكد عرى الإيمان، وصار كشف بيت فاطمة والدخول عليها منزلها وجمع الحطب ببابها وتهدّدها بالتحريق من أوكد عرى الدين وأثبت دعائم الإسلام وممّا أعزّ الله به المسلمين وأطفأ به نار الفتنة

ص: 212

وما نحب أن نقول لكم أن حرمة فاطمة أعظم ومكانها أرفع وصيانتها لأجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولى فإنها بضعة منه وجزء من لحمه ودمه، وليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينها وبين الزوج وإنما هي وصلة مستعارة، وعقد يجري مجرى إجار المنفعة وكما يملك رق الأمة بالبيع والشراء، ولهذا قال الفرضيون: أسباب التوارث ثلاثة سبب ونسب وولاء، فالنسب القرابة، والسبب النكاح، والولاء ولاء العتق، فجعلوا النكاح خارجاً عن السبب، ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين .

وكيف تكون عائشة وغيرها في منزلة فاطمة وقد أجمع المسلمون كلهم من يحبها ومن لا يحبها منهم أنها سيدة نساء العالمين ؟

قال : وكيف يلزمننا اليوم حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في زوجته وحفظ أم حبيبة في أخيها، ولم تلزم الصحابة أنفسها حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته ولا ألزمت الصحابة أنفسها حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صهره وابن عمه ، ابن عقان ، وقد قتلوهم ولعنوهم ، ولقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة منهم عائشة كانت تقول : اقتلوا نعثلاً لعن الله نعثلاً ، ومنهم عبدالله بن مسعود، وقد لعن معاوية عليّ ابن أبي طالب وابنيه حسناً وحسيناً وهم أحياء يرزقون بالعراق، وهو يلعنهم بالشام على المنابر ويقنت عليهم في الصلوات، وقد لعن أبو بكر وعمر سعد بن عبادة وهو حي ، وبرئاً منه وأخرجاه من المدينة إلى الشام، ولعن عمر خالد بن الوليد لما قتل مالكا بن نويرة، وما زال اللعن فاشياً في المسلمين إذا عرفوا من

ص: 213

1- لا- يقول أحد إلا- من أعمى الله قلبه بالمساواة بين فاطمة علي وعائشة لعنها الله ؛ هذه صاحبة الجمل وتلك سيدة نساء العالمين.
(المترجم)

قال : ولو كان هذا أمراً معتبراً وهو أن يحفظ زيد لأجل عمره فلا يلعن لوجب أن يتحفظ الصحابة في أولادهم فلا يلعنوا لأجل آبائهم، فكان يجب أن يحفظ سعد بن أبي وقاص فلا يلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين، وأن يحفظ معاوية فلا يلعن يزيد صاحب وقعة الحرة وقاتل الحسين ومخيف المسجد الحرام بمكة وأن يحفظ عمر بن الخطاب في عبيدالله ابنه قاتل الهرمزان والمحارب عليا في صفين.

قال : على أنه لو كان الإمساك عن عداوة من عادى الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه رعاية عهده وعقده لم نعادهم ولو ضربت رقابنا بالسيوف ولكن محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليست كمحبة الجهال الذين يصنع أحدهم محبته لصاحبه موضع العصبية وإنما أوجب الله ورسول الله محبة أصحابه لطاعتهم الله فإذا عصوا الله وتركوا ما أوجب محبتهم فليس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محابة في ترك لزوم ما كان

عليه من محبتهم ولا تغطرس فيم العدول عن التمسك بموالاتهم.

فلقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يحب أن يعادي أعداء الله ولو كانوا عترته كما يحب أن يوالي أولياء الله ولو كانوا أبعد الخلق نسباً منه، والشاهد على ذلك إجماع الأمة على أن الله تعالى قد أوجب عداوة من ارتد بعد الإسلام وعداوة من نافق وإن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي أمر بذلك ودعا إليه .

وذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد قطع يد السارق، وضرب القاذف، وجلد البكر إذا زني، وإن كان من المهاجرين والأنصار . ألا ترى إنه قال : لو سرق فاطمة لقطعناها، فهذه ابنته الجارية مجرى نفسه لم يحابها في دين الله ولا راقبها في حدود الله، وقد جلد أصحاب الإفك ومنهم مسطح ابن أثاثة وكان من أهل بدر.

قال : وبعد فلو كان محل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محل من لا يعادى إذا عصى

الله سبحانه ولا يذكر بالقبیح بل یحبّ أن یراقب لأجل اسم الصحبة ویغضی عن عیوبه وذنوبه لكان كذلك صاحب موسى المسطور ثنائه فی القرآن لما اتبع هواه فانسلخ ممّا أوتی من الآیات وغوی، قال سبحانه: «وَأَتْلُ عَلَیْهِمْ نَبَأَ الَّذِی آتَيْنَاهُ آیَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّیْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِیْنَ» (1) ولكان ینبغی أن یراقب محلّ عبدة العجل من أصحاب موسى هذا المحل لأن هؤلاء كلهم قد صحبوا رسولاً جلیلاً من رسل الله سبحانه .

قال : ولو كانت الصحابة عند أنفسهم بهذه المنزلة لعلمت ذلك من حال أنفسهم لأنهم أعرف بمحلّهم من عوام أهل دهرنا ، وإذا قدرت فعل بعضهم ببعض دلتك علی أن القصة كانت علی خلاف ما سبق إلى قلوب الناس الیوم. هذا علیّ وعمار، وأبو الهیثم بن التیهان وخزیمة بن ثابت، وجميع من كان مع علی علیه السلام من المهاجرین والأصنار لم یروا أن یتغافلوا عن طلحة والزبیر حتی فعلوا بهما وبمن معهما ما یفعل بالشرارة فی عصرنا .

وهذا طلحة والزبیر وعائشة ومن كان معهم وفی جانبهم لم یروا أن یمسكوا عن علی حتی قصدوا له كما یقصد للمتغلبین فی زماننا.

وهذا معاویة وعمرو لم یریا علیاً بالعین التي یرى بها العامی صدیقه أو جاره ولم یقصرُوا دون ضرب وجهه بالسيف ولعنه ولعن أولاده وكلّ من كان حیاً من

أهله وقتل أصحابه وقد لعنهما هو أيضاً فی الصلوات المفروضات ولعن معهما أبا الأعور السلمی وأبا موسى الأشعري وكلاهما من الصحابة .

وهذا سعد بن أبی وقاص ومحمّد بن مسلمة وأسامة بن زید وسعید بن زید بن عمرو بن نفیل وعبدالله بن عمر وحسان بن ثابت وأنس بن مالك لم یروا أن

ص: 215

يقلدوا علياً في حرب طلحة ولا طلحة في حرب علي، وطلحة والزبير بإجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين لأنهم زعموا أنهم قد خافوا أن يكون علي

قد زلّ في حربهما وخافوا أن يكونا قد غلطا وزلا في حرب علي.

وهذا عثمان قد نفى أباذر إلى الربذة كما يفعل بأهل الخنا والريب.

وهذا عمّار وابن مسعود تلقيا عثمان بما تلقياه به لَمَّا ظهر لهما - بزعمهما - منه ما وعظاه لأجله ، ثمّ فعل بهما عثمان ما تناهى إليكم ، ثمّ فعل القوم بعثمان ما قد علمتم وعلم الناس كلّهم.

وهذا عمر يقول في قصة الزبير بن العوام لما استأذنه في الغزو ها إني ممسك بباب هذا الشعب أن يتفرّق أصحاب محمد صلى الله عليه و آله وسلم في الناس فيضلّوهم.

وزعم أنّه وأببكر كانا يقولان : إنّ عليّاً والعباس في قصة الميراث زعماهما كاذبين ظالمين ، فاجرين ، وما رأينا عليّاً والعباس اعتذرا ولا تنصلا ، ولا نقل أحد من أصحاب الحديث ذلك ، ولا رأينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم أنكروا عليهما ما حكاه عمر عنهما ونسبه إليهما ، ولا أنكروا أيضاً على عمر قوله في أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم أنهم يريدون إضلال الناس ويهيمون به ، ولا أنكروا على عثمان دوس بطن عمّار ولا كسر ضلع ابن مسعود ولا عمار وابن مسعود ما تلقيا به عثمان كإنكار العامة اليوم الخوض في حديث الصحابة ، ولا اعتدته الصحابة في أنفسها ما يعتقدوه العامة فيهما ، اللهم إلا أن يزعموا إنّهم أعرف بحق القوم منهم.

وهذا عليّ وفاطمة والعباس ما زالوا على كلمة واحد يكذبون الرواية «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث» ويقولون إنّها مختلقة .(1) قالوا: وكيف كان النبي صلى الله عليه و آله وسلم

ص: 216

1- مع كلّ هذا وفي الشيعة وجوه بارزة راحت تأوّل هذا القول المزعوم وتوجد له الوجوه والاحتمالات البعيدة التي تضحك الشكى ، منهم سيدنا الشهيد الصدر في كتاب فذك والشيخ البياضي في كتاب الصراط المستقيم بل والمفيد أيضاً في بعض كتبه . وأقول لهؤلاء وغيرهم ممن يعزف على هذا الوتر المتهرء ، إنّها إسائة بحسن نية إلى أهل البيت وإلى الصديقة منهم خاصة ، وكأنهم استشعروا من أنفسهم فضاة الكذب على رسول الله من صحابي متقدّم فراحوا يخرجون له الوجوه والتأويلات ، وأقول لهم بصراحة ولا أخشى أحداً إلا الله : إن أبا بكر لعنه الله كذب على رسول الله فتبوا مقعده من النار . (المترجم)

يعرف هذا الحكم غيرنا ويكتمه عنا ونحن الورثة ونحن أولى الناس بأن يؤدي هذا الحكم إليه .

وهذا عمر بن الخطاب يشهد لأهل الشورى أنّهم النفر الذين توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راضٍ ، ثم يأمر بضرب أعناقهم إن أخرجوا فصل الإمامة ، هذا بعد أن تلبّهم وقال في حقهم ما لو سمعته العامة اليوم من قائل لوضعت ثوبه في عنقه سحباً إلى السلطان ثمّ شهدت عليه بالرفض واستحلّت دمه، فإن كان الطعن على بعض الصحابة رفضاً فعمر بن الخطاب أرفض الناس وإمام الروافض كلّهم.

ثمّ شاع واشتهر من قول عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، وهذا طعن في العقد وقدح في البيعة الأصلية.

ثمّ ما نقل عنه من ذكر أبي بكر في صلواته وقوله عن عبد الرحمن ابنه دويبة سوء ولهو خير من أبيه .

ثم عمر القائل في سعد بن عبادة وهو رئيس الأنصار وسيدها اقتلوا سعداً قتل الله سعداً، اقتلوه فإنه منافق ، وقد شتم أبا هريرة وطعن في روايته، وشتم خالد بن الوليد وطعن في دينه، وحكم بفسقه وبوجوب قتله، وخوّن عمرو بن العاص ومعاوية ونسبهما إلى سرقة مال النبيء واقتطاعه (1) وكان سريعاً إلى المسائفة كثير

ص: 217

1- اقرأ كتابي الحكم والأخلاق في منطق الثورة الحسينية التعرف علاقة عمر لعنه الله الصميمة بمعاوية وكيف فواه ليجعل منه واجهة لحرب عليّ في المستقبل . (المترجم)

الجبه والشتيم والسب لكلّ أحد ، وقل أن يكون في الصحابة من سلم من معرّة لسانه أو يده ، ولذلك أبغضوه وملوا أيامه مع كثرة الفتوح فيها ، فهلا احترم عمر الصحابة كما تحترمهم العامة ؟ إما أن يكون عمر مخطئاً وإما أن يكون العامة على خطأ (1).

فإن قالوا : عمر ما شتم ولا ضرب ولا أساء إلى عاص مستحق لذلك.

قيل لهم : فكأننا نحن نقول : إنا نريد أن نبرأ ونعادي من لا يستحق البرائة والمعادة ، كلاً ، ما قلنا هذا ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل ، وإنما غرضنا الذي إليه نجري بكلامنا هذا أن نوضح أن الصحابة قوم من الناس لهم ما للناس وعليهم ما عليهم ؛ من أساء منهم ذممناه ، ومن أحسن منهم حمدناه ، وليس لهم على غيرهم من المسلمين كبير فضل إلا- بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا- غير ، بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات فقربت اعتقاداتهم من الضرورة ونحن لم نشاهد ذلك فكانت عقائدنا محض النظر والفكر ومعرضة للشبه والشكوك ، فمعاصينا أخف لأننا أعذر.

ثم نعود إلى ما كنا فيه فنقول : وهذه عائشة أم المؤمنين خرجت بقميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت للناس : هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يبل وعثمان قد أبلى سنته ، ثم قول : أقتلو انعتلاً قتل الله نعتلاً ، ثم لم ترض بذلك حتى قالت : أشهد أن عثمان جيفة على الصراط غداً ، فمن الناس من يقول : روت في ذلك خيراً ، ومن الناس من يقول : هو موقف عليها ، وبدون هذا لو قاله انسان اليوم يكون عند العامة زنديقاً.

ثم حصر عثمان حصرتة أعيان الصحابة فما كان أحد ينكر ذلك ولا يعظمه ولا يسعى في إزالته وإنما أنكروا على من أنكروا على المحاصرين له وهو رجل كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم من أشرفهم ثم هو أقرب إليه من أبي

ص : 218

1- أقول : عمر والعامة كاليهود والنصارى كلاهما مخطئان . (المترجم)

بكر وعمر، وهو مع ذلك إمام المسلمين والمختار منهم للخلافة، وللإمام حقّ على رعيته عظيم، فإن كان القوم قد أصابوا فإذن ليست الصحابة في الموضوع الذي وضعتها به العامة، إن كانوا ما أصابوا فهذا هو الذي نقول من أن الخطأ جاز على آحاد الصحابة كما يجوز على أحادنا اليوم، ولسنا نقدح في الإجماع ولا ندعي إجماعاً حقيقياً على قتل عثمان، وإثما نقول: إن كثيراً من المسلمين فعلوا ذلك والنختم يسلم أن ذلك كان خطأ ومعصية فقد سلّم أن الصحابي يجوز أن يخطئ ويعصي وهو المطلوب.

وهذا المغيرة بن شعبة وهو من الصحابة، ادّعى عليه الزنا وشهد عليه قوم بذلك فلم ينكر ذلك عمر ولا قال هذا محال وباطل لأن هذا صحابي من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجوز عليه الزنا، وهالا أنكر عمر على الشهود وقال لهم: ويحكم هالا تغافلتم عنه لما رأيتموه يفعل ذلك فإنّ الله تعالى قد أوجب الإمساك عن مساوئ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأوجب الستر عليهم؟ وهالا تركتموه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: (دعوا لي أصحابي) ما رأينا عمر إلا قد انتصب لسماع الدعوى وإقامة الشهادة، وأقبل يقول للمغيرة يا مغيرة ذهب ربعك يا مغيرة ذهب نصفك، يا مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك، حتى اضطرب الرابع فجلد الثلاثة(1). وهالا قال المغيرة لعمر: كيف تسمع في قول هؤلاء وليسوا من الصحابة وأنا من الصحابة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) (2) ما رأيناها قال ذلك بل استسلم الحكم الله تعالى.

ص: 219

-
- 1- إثما اضطرب الرابع بتلقين عمر له، والرابع هو زياد بن أبيه. (المترجم)
 - 2- وما أحسن قول الشاعر: صحابه گرچه ايشان كالنجومند***ولى بعض كواكب نحس وشومند زهر الربيع: 348 ط بيروت - (هامش الأصل)

وهاهنا من هو أمثل من المغيرة وأفضل، قدامة بن مظعون لما شرب الخمر في أيام عمر فأقام عليه الحدّ وهو رجل من عليّة الصحابة ومن أهل بدر، والمشهود لهم بالجنّة، فلم يردّ عمر الشهادة ولا درأ عنه الحدّ لعلمه أنه بدري، ولا قال قد نهى رسول الله لعل الله عن ذكر مساوي الصحابة .

وقد ضرب عمر أيضاً ابنه حدّاً فمات وكان ممن عاصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تمنع معاصرته له من إقامة الحدّ عليه .

وهذا عليّ عليه السلام يقول : ما حدثني أحد بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا استخلفته عليه أليس هذا اتهاماً لهم بالكذب وما استثنى أحداً من المسلمين إلا أبابكر على ما ورد في الخبر .(1)

وقد صرّح غير مرّة بتكذيب أبي هريرة وقال : لا أحد أكذب من هذا الدوسي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال أبوبكر في مرضه الذي مات فيه : وددت أني لم أكشف بيت فاطمة ولو كان أغلق علي حرب ، فندم، والندم لا يكون إلا عن ذنب.

ثم ينبغي للعاقل ان يفكر في تأخر علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر ستة أشهر إلى أن ماتت فاطمة ؛ فإن كان مصيباً فأبوبكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة ، وإن كان أبوبكر مصيباً فعليّ على الخطأ في تأخره عن البيعة وحضور المسجد .

ثم قال ابوبكر في مرض موته أيضاً للصحابة فلما استخلفت عليكم خيركم في نفسي - يعني عمر - فكلّكم ورم لذلك أنه يريد أن يكون الأمر له لما رأيتم الدنيا قد جاءت ، أما والله لتتخذن ستائر الديباج ونضائد الحرير، أليس هذا طعناً في الصحابة وتصريحاً بأنه قد نسبهم إلى الحسد لعمر لما نص عليه بالعهد ولقد

ص: 220

1- حاشا عليّاً أن يقول هذا وقد ثبت عنده كذب أبي بكر في حديث لا نورث . (المترجم)

قال له طلحة لما ذكر عمر للأمر : ماذا تقول لربك إذا سألك عن عباده وقد وليت عليهم فظا غليظاً؟ فقال أبو بكر : اجلسوني اجلسوني، بالله تخوفني؟! إذا سألتني قلت : وليت عليهم خير أهلك ، ثم شتمه بكلام كثير منقول، فهل قول طلحة إلا طعنأ في عمر؟ وهل قول أبي بكر إلا طعن في طلحة؟

ثمّ الذي كان بين أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود من السباب حتى نفى كلّ واحد منهما الآخر عن أبيه وكلمة أبي بن كعب مشهورة منقولة : ما زالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبيهم ، وقوله : ألا هلك أهل العقدة والله ما أسى عليهم إنما أسى على من يضلّون من الناس.

ثمّ قول عبدالرحمن بن عوف ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي عثمان : يا منافق ، وقوله : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما وليت عثمان شسع نعلي وقوله : اللهم إنّ عثمان قد أبى أن يقيم كتابك فافعل به وافعل.

وقال عثمان العلي عليه السلام في كلام دار بينهما : أبو بكر وعمر خير منك ، فقال علي: أبو بكر كذبت أنا خير منك ومنهما ؛ عبدت الله قبلهما وعبدته بعدهما .

وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال: كنت عند عروة بن الزبير فتذاكرنا كم أقام النبي بمكة بعد الوحي ، فقال عروة: أقام عشرة، فقلت: كان ابن عباس يقول : ثلاث عشرة ، فقال : كذب ابن عباس .

وقال ابن عباس : المتعة حلال، فقال له جبير بن مطعم كان عمر ينهى عنها ، فقال : يا عدوّ نفسه من هاهنا ضللتكم ، أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحذّثني عن عمر .

وجاء في الخبر عن علي عليه السلام : لولا ما فعل عمر بن الخطاب في المتعة ما زنى إلا

شقي. وقيل: ما زنى إلا شفاءً أي قليلاً. (1)

ومجمل القول تدور مثل هذه الكلمات كثيراً على السنة الأصحاب وتخطئة بعضهم لبعض في الأحكام الفقهية والشرعية كثيرة، ولقد جاء شطر منها في مقال هذا العالم الزيدي الذي نقلناه على وجه التحصيل [التفصيل - ظ] (2) إلى أن يقول:

قال المتكلم: وكيف يصح أن يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم؟ لا شبهة أن هذا يوجب أن يكون أهل الشام في صفين على هدى وأن يكون أهل العراق أيضاً على هدى، وأن يكون قاتل عمار بن ياسر مهتدياً، قد صح الخبر الصحيح أنه قال: تقتلك الفئة الباغية، وقال في القرآن: «فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي نُوَيْبَةَ حَتَّى تَقْبِلَ إِلَيْهِمْ أَمْرَ اللَّهِ» (3) فدل على أنها ما دامت موصوفة بالمقام على البغي مفارقة لأمر الله ومن يفارق أمر الله لا يكون مهتدياً.

وكان يجب أن يكون بسر بن أرطاة الذي ذبح ولدي عبدالله بن عباس الصغيرين مهتدياً؛ لأنَّ بسرّاً من الصحابة أيضاً.

وكان يجب أن يكون عمرو بن العاص ومعاوية اللذان كاننا يلعبان علياً أدبار الصلاة وولديه مهتدين.

وقد كان في الصحابة من يزني ومن يشرب الخمر كأبي محجن الثقفي، ومن يرتد عن الإسلام كطليحة الأسدي ابن خويلد فيجب أن يكون كل من اقتدى بهؤلاء في أفعالهم مهتدياً.

وإنما هذا من موضوعات متعصبة الأموية فإنَّ لهم من ينصرهم بلسانه

ص: 222

1- شرح ابن أبي الحديد 2: 21 - 25. (المترجم)

2- إن لم ينقله المؤلف مفصلاً في ترجمته إياه فقد نقلته على تمامه وكمالها دون حذف منه إتماماً للفائدة. [المترجم]

3- الحجرات: 9

وبوضعه الأحاديث إن عجز عن نصرهم بالسيف.

قال : فأما ما ورد في القرآن من قوله تعالى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ» (1) وقوله : «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ» (2) وقول النبي على الله : إن الله اطلع على أهل بدر ، إن كان الخبر صحيحاً فكله مشروط بسلامة العاقبة.

ومن الصحابة الوليد بن عقبة الفاسق بنص الكتاب، ومنهم حبيب بن مسلمة بن الذي فعل ما فعل بالمسلمين في دولة معاوية، وبسر بن أرطاة عدو الله وعدو

رسوله .

وفي الصحابة كثير من المنافقين لا يعرفهم الناس.

وقال كثير من المسلمين : مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعرفه الله سبحانه كـلّ المنافقين بأعيانهم وإّما كان يعرف قوماً منهم ولم يعلم بهم أحداً إلا حذيفة فيما زعموا . (3) (فما الذي جرى لهم وأين ولّوا بعد رسول الله - المؤلف) .

قال : والعجب من الحشويّة وأصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصي الأنبياء ، ويثبتون أنّهم عصوا الله تعالى وينكرون على من ينكر ذلك ويطعنون فيه ويقولون قدرى معتزلي ، وربّما قالوا : ملحد مخالف لنص الكتاب ، وقد رأينا منهم الواحد والمائة والألف يجادلون في هذا الباب، فتارة يقولون : إن يوسف قعد من امرأة العزيز مقعد الرجل من المرأة، وتارة يقولون : إن داود قتل أوريا لينكح ، امرأته، وتارة يقولون : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان كافراً ضالاً قبل النبوة، وربما ذكروا زينب بنت جحش وقصة الفداء يوم بدر، فأما قدحهم في آدم عليه السلام وإثباتهم

ص: 223

1- الفتح : 18 .

2- الفتح : 29

3- شرح ابن أبي الحديد 20 : 29 و 30 و 33

معصيته ومناظرتهم من يذكر ذلك فهو دأبهم وديدنهم، فإذا تكلم واحد في عمرو ابن العاص أو في معاوية وأمثالهما ونسبهم إلى المعصية وفعل القبيح احمرت وجوههم وطالت أعناقهم وتخازرت أعينهم، وقالوا مبتدع رافضي يسب الصحابة، ويشتم السلف، فإن قالوا إنما اتبعنا في ذكر معاصي الأنبياء نصوص الكتاب، قيل لهم فاتبعوا في البرائة من جميع العصاة نصوص الكتاب (1) فإنه : تعالى قال : « لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » (2) وقال : « فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَقِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ » (3) وقال : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » (4) ثم يسألون عن بيعة علي عليه السلام : هل هي صحيحة لازمة لكل الناس ؟ فلا بد من (بلي) فيقال لهم : فإذا خرج علي الإمام الحق خارج أليس يجب على المسلمين قتاله حتى يعود إلى الطاعة ؟ فهل يكون هذا القتال إلا البرائة التي نذكرها لأنه لا فرق بين الأمرين وإنما برتنا منهم لأننا لسنا في زمانهم فيمكننا أن نقاتل بأيدينا فقصارى أمرنا الآن أن نتبرأ منهم ونلعنهم وليكون ذلك عوضاً من القتال الذي لا سبيل إليه (5).

وهذا خلاصة كلام ذلك الرجل الزيدي (6). والحق يقال إنه كلام متين ومنتقن ومبني على قواعد المناظرة وصادر عن كمال الديانة وتمام النظر والاطلاع وبعد ملاحظته بدقة لا تبقى حجة لمدّع في الإمساك عن سب الصحابة الذين هم من قبيل معاوية وأضرابه .

ص: 224

1- مع أننا نستطيع أن نستدلّ على معاصي الصحابة من ظواهر الكتاب . (المؤلف)

2- المجادلة : 22 .

3- الحجرات : 9 .

4- النساء : 59 .

5- شرح ابن أبي الحديد 20 : 32 و 33 . (المترجم)

6- نقلنا شطره الأكبر كما هو من دون تلخيص . (المترجم)

وإن كان الانصاف يقتضينا أن لعن معاويه لا يفتقر إلى دليل، فمن دقق النظر فيه وفي أبويه وأبنائه لعنه بالضرورة، وقد أجاد الحكيم السنائي زاد الله سنانه حيث قال:

داستان پسر هند مگر نشنیدی***که از او و سه کس او به پیمبر چه رسید

پدر او در دندان پیمبر بشکست***مادر او جگر عم پیمبر بمکید

او بناحق حق داماد پیمبر بستاد***پسر او سر فرزند پیمبر بیرید

بر چنین قوم تو لعنت نکنی شرمت باد***لعن الله يزيد وعلى آل يزيد

خذ أخي واعلم بما***قد فعل النغل العنيد

نغل هند وأبي سفيان***في العهد البعيد

كف صخر كسرت سنأ***تو الدر النضيد

لنبي الله خير الخلق***في هذا الوجود

أمه قد أكلت***أحشاء مولانا الشهيد

نغله قد قتل ال_***سبط بأوباش عبید

أفلا تلعنهم لعناً***على الدهر يزيد

لعن الله يزيد***وعلى آل يزيد

تنبيه

أراد أهل السنة لضيق مجالهم وسوء حالهم وغاية اضطرابهم أن يخترعوا مناقب لمعاوية ولكنهم عجزوا عن ذلك كما جاء في رسالة الصمصام القاطع لعبدالحق الدهلوي في شرح «سفر السعادة»، فقد قال: لم يثبت حديث صحيح واحد في باب فضائل معاوية لعنه الله. وقيل: لم يثبت له إلا كتابته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحتى هذه لم تثبت أيضاً، كذا في جامع الأصول وغيره، تمّ كلام عبدالحق.

وأما حديث: اللهم اجعله هادياً مهدياً فهو دائر على طرق ثلاث وفي طريقين

منها يتردد اسم محمد بن إسحاق بن حرق اللؤلؤي البلخي . وقال ابن الجوزي في رسالته (الرد على المتعصب العنيد) : كان كذاباً ييغض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

وذكره قتيبة بالسوء وقال : سمعت عنه أنه سبَّ أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة ولمَّا أرادوا القبض عليه هرب .

وقال أبو علي صالح بن محمد الحافظ : إن محمداً بن إسحاق كذاب وضاع، وكان يروي أحاديث منكراً .

وقال ابن حبان : يروي عن الثقات شيئاً لا يحل روايته .

وفي الطريق الآخرة إسماعيل بن محمد ، وروى ابن الجوزي عن الدارقطني أن إسماعيل كذاب ، مضافاً إلى أنه كما اعترف بذلك ابن الجوزي أن يكون محارب

أمير المؤمنين هادياً مهدياً ، كما يشهد بذلك الحديث : حرك حربي .

وجملة القول : إنهم لعجزهم تشبثوا بالآية : «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» (1) فلقبوه بخال المؤمنين، وفساد هذا الخيال ظاهر ؛ لأن المراد هنا ليست الحقيقة الوالدة بالضرورة كما صرح بذلك السيد الأجل المرتضى سلام الله عليه في شرح قصيدة الحميري المذهبة والفخر الرازي خذله الله تفسيره الكبير، وإن المراد من إطلاق الأم على أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إثبات حرمتهم أو المراد بذلك حرمة الزواج منهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو وجوب احترامهم ما دُمنَ على الصراط المستقيم والجدادة القويمة من الشريعة كما أن حال الأمهات مشبهة لحالهن : «وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا» . (2)

ص: 226

1- الأحزاب : 6 .

2- العنكبوت: 8

وبناءً على هذا يكون مؤدى الآية التنزيل والتشبيه على سبيل الاستعارة وهي على التحقيق الحقيقة الادعائية ومجاز في أمر عقلي أو على سبيل التشبيه البليغ من قبيل زيد أسد ، بناءً على المذهب المشهور، وهذا في حقيقته راجع إلى الأول . والجوهري العارف بأصناف الجوهر المميز بين أقسام التعابير وطرق المحاورات وأنحاء الأساليب يلم بأدنى التفات بما ندعيه .

وعلى أي تقدير افترضته لا تترتب عليه لوازم الأم وأحكامها من ثم أنبأهن لسن أخوات ومحارم للمسلمين (1) كما أن أمهاتهن لسن جدات، وأخواتهن لسن خالات ، ولا يحرم من على أي واحد من المسلمين بل يجوز للمسلم أن ينكح ابنة زوجة النبي من غيره كزينب بنت أم سلمة ، وبهذا الوصف كيف يكون أخوهنّ خالاً للمؤمنين ، وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن تكون هند جدة المؤمنين كما قاله السيد ، ويكون أبو سفيان جدّهم ، أو تترتب على منزلته جميع الأحكام أو يُغضّ الطرف عنها بأجمعها وحينئذ ما هو الفرق بين هؤلاء ومعاوية ؟ وما الذي أوجب التفكيك وأثبت هذا الاعتبار الركيك ؟

ومع غصّ النظر عن جميع ذلك نريد أن نعلم من هي الأفضل عائشة أو أمّ حبيبة (2)؟ لا ريب سيختارون الأول، وفي هذا الحال سنقول لهم : لم لا يكون محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ولعن الله أباه خالاً للمؤمنين ؟ إلا أن يقولوا: إنّ محمداً كان موافقاً لعلي واستشهد معه وقد كان الله عبداً صالحاً وولداً ناصحاً من ثم سقط من رتبة اعتبارهم، بل قتله معاوية بن خديج لعنه الله بأمر من عمرو بن العاص لعنه الله في فتح مصر ، ووضع جثته في جيفة حمار وأحرقه كما هو مذكور في أدب المحاضرة للسيوطي وغيره من كتب العامة والخاصة، والآن قبره يوجد

ص: 227

1- لو كن أمهات على الحقيقة لجاؤ إبداء زينتهن لأبناهنّ المؤمنين كما هي عليه حال الأم الحقيقية ، اقرأ الآية : «وَلَا يَسِدِينَ زَيْنَتَهُنَّ» . (المترجم)

2- كلاهما لا فضل لهما يا سيدي، وإن أردت الحق والقياس فأمّ حبيبة أفضل . (المترجم)

في مصر وهو مدفن لبقية الأعضاء التي سلمت من النار لهذا الولد الصالح ، أو أنه مكان مقتله ولكنه مهجور ويزوره الشيعة تقيّة وإن كنت وفقت لزيارته مراراً ، وجرت عادة السنّة أن يولوا قبره ظهورهم ويقرؤوا الفاتحة لأبيه ، وعند عوام العجم مثل معروف يقول : الخير يعرف باب بيت أهله .

وعلى فرض التسليم لخوّلته وهو نسبة عارضة، فما الذي تجديده مع خباثته - الظاهرة الذاتية ؟ لقد آمن الحكيم السنائي بخوّلته لعدم اطلاعه على التحقيق

المتقدم ولكنه قال وأحسن :

پسر هند اگرچه خال من است***دوستی ویم بکاری نیست

ور نوشت او خطی زبهر رسول***بخطش نیز افتخاری نیست

در مقامی که شیر مردانند***در خط و خال اعتباری نیست

إن كان خالي ابن هند لست أقبله***خالاً ولا حبّه في القلب مركز

وإن غدى لرسول الله كاتبه***فليس في ذلك تكريم وتعزير

وتأنف الأسد من خال بوجنتها***والخطّ والخال للوجنات تطريز

وقد نظمت البيتين التاليين مع التحقيق المتقدم مع رعاية الجنس التام ولزوم ما يلزم وذلك في سفري الذي قصدت به الشام من طريق الحج وفي دمشق نظمت الأبيات وقلت:

قيل لي فيم لا تعدّ ابن هند***لك خالاً فقلت ليس بخال

وإذن هند جدة وأبو سفيان***جدّد وذاك أكذب خال

ولئن خطّ للرسول كتاباً***فهو خط عن فهو خط عن السعادة خالي

وإذا عدّت الفحول المزاياء***لم تكن عبرة بنخط و خال (1)

ص: 228

يزيد بن معاوية لقد سبق ومرّ بك من حالات جده وأبيه ما اتسع له هذا المختصر، وأمّه ميسون بنت بجدل الكلبيّة.

وفي البحار: قال مؤلّف إلزام النواصب وغيره: إنّ ميسون بنت بجدل الكلبيّة أمكنت عبد أبيها من نفسها فحملت يزيد لعنه الله، وإلى هذا أشار الكلبي:

فإن يكن الزمان أتى علينا***بقتل الترك والموت الوحي

فقد قتل الدعي وعبد كلب***بأرض الطف أولاد النبي

أراد بالدعي عبیدالله بن زياد لعنه الله.. ومراده بعبد كلب: يزيد ابن معاوية لعنهما الله. (1).

ويؤيد الأخبار الواردة في كامل الزيارات بسندين عن كليب بن معاوية وإسماعيل بن كثير وعن عبد الخالق وداود بن فرق وعبد الله بن مسكان عن الصادق عليه السلام أنه قال: قاتل الحسين ولد زنا. (2) وهذا الخبر إن لم يكن متواتراً فهو متفق مع أصول الشيعة ويعتبر مقطوعاً بصدوره لأن بعض طرقه صحيح وبعضها مشتمل على أصحاب الإجمال مثل زرارة ومحمد بن أبي عمير ومنها خمس روايات نقلها خمسة من أصحاب الصادق عليه السلام.

وقاتل الحسين عنوان يندرج تحته شمر وابن سعد وابن زياد ويزيد لعنهم الله، ونحن أشرنا إلى ولاداتهم لغير رشدة ولا نعيد. (3).

ص: 229

1- بحار الأنوار 44: 309 (المترجم وهامش الأصل) وعوالم العلوم: 601. (المترجم)

2- كامل الزيارة: 78، بحار الأنوار 44: 303، عوالم العلوم (الإمام الحسين): 600 هامش الأصل كامل الزيارات: 163 ط النشر الإسلامي - قم - الأولى 1417. (المترجم)

3- في شرح قوله: لعن الله عمر بن سعد ولعن الله شمراً. (هامش الأصل)

وجملة القول انه لا خلاف في هلاك يزيد وأنه سنة أربع وستين للهجرة، والمشهور الموافق لتاريخ الكامل وتاريخ الخلفاء ومختصر أبي الفداء وتتمه ابن الوردي وغير ذلك أنه كان في ليل الرابع عشر من ربيع الأول انتقل إلى دركات النار . وقال بعضهم : السابع عشر منه .

ووقع الاختلاف في عمره هل هو ثلاث وثلاثون أو ست أو ثمان وثلاثون، والأخير هو الأشهر . وزعم السيوطي أن ولادته كانت سنة خمس وعشرين، وإلا

ففي ست وعشرين هجرية، وهذا يلائم سن الثامنة والثلاثين لذلك المتخذول.

وأولاده طبقاً لما جاء في المعارف: معاوية وخالد وعبدالله الأكبر وأبو سفيان وعبدالله الأصغر وعمر وعاتكة وعبد الرحمن وعبدالله الأصغر الأصغر، وعثمان،

وعتبة الأعور ويزيد ومحمد وأبو بكر وأمّ يزيد وأمّ عبدالرحمن(1).

ويزيد عليه اللعنة قضى عمره باللعب بالقرود والفهود وشرب العقار وأنواع القمار وهتك حرمت الإسلام وقتل الذرية الطاهرة وكشف الستر عن نساء المهاجرين والأنصار وإهانة الحرم النبوي الشريف وسفك دماء أهـل المـدينة واسترقاق الأحرار من كبار التابعين وهدم الكعبة وإحراق كسوتها المعظمة وغيرها مما لا يتسع المقام لذكره، وهذا مشتهر غاية الاشتهار، ومنتشر غاية الانتشار، وأول من أشاع الفسق والفجور وجاهر بشرب الخمر وسماع الأغاني.

وقال ابن الجوزي في رسالة تجويز لعن يزيد ذهب وفد إلى الشام من المدينة ولما رجعوا أعلنوا سبّه وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر

ويعزف بالطنابير، ويلعب بالكلاب.

وروي عن عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة أنه قال في حق يزيد : إن رجلاً

ص: 230

1- ابن قتيبة، المعارف : 153 . (المترجم)

ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت الله فيه بلاءً حسناً .

من هنا ظهرت مناقب إمام أهل السنة من شرب الخمر وترك الصلاة واللعب بالكلاب والضرب على الطنبور والناي ووطئ الأمهات - أمهات أولاد أبيه - والأخوات والبنات ، لعنه الله ولعن أشياعه .

وجاء في مروج الذهب أنه كان يحضر مجالس الطرب ويؤتى بالقيان ، فيشرب وابن زياد إلى جانبه، ويأمر الساقى أن يسقيه ويقراً هذا الشعر المشوم:

اسقني شربة تروي مشاشي*** ثم صل فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السر والأمانة عندي*** ولتسد يد مغنمي وجهادي

وفي كامل التواريخ مذكور : قال عمر بن سبيئة : حج يزيد في حياة أبيه ، فلما بلغ المدينة جلس على شراب له فاستأذن عليه ابن عباس والحسين ، فقيل له : إن ابن عباس إذا وجد ريح الشراب مع الطيب (عرفه) فلم يأذن له، وأذن للحسين عليه السلام فلم وجد ريح الشراب مع الطيب ، فقال : الله درّ طيبك ما أطيبه، فما هذا ؟ قال : هو طيب يصنع بالشام ، ثم دعا بقدر فشربه ثم دعا بآخر ، فقال : اسق أبا عبدالله، فقال له الحسين : عليك شرابك أيها المرء لا عين عليك مني ، فقال يزيد : (1)

ص: 231

1- لم يدركني العجب من ابن الأثير ولا من يزيد ولا من الراوي بقدر ما أدركني من المؤلف الذي نقل رواية موضوعة تصرح بكذب واضعها لعنه الله ولم يخضعها للنقد العلمي بحيث يتناول سندها أولاً وينظر فيه نظر الناقد البصير فيرى من الراوي وعمّن روى وهل هي مسندة أو مرسلة، ومن عمر بن سبيئة هذا راوي الخبر فلم تعرفه كتب الرواة ولا معاجم الرجال، والسند في الكامل مقصور عليه، ومن ثمّ يكون أدنى من حديث مرسل ثمّ ما بال الشيخ غفل عن المتن فلم يخضعه للنقد الواعي البصير، فهل من اللائق بالحسين أن يجلس في مجالس يزيد الذي أنكر عليه وعلى أبيه أفعالهم وتعديهم على الأمة وغمطهم لحقها وظلمهم لها، والحسين لم يدخل على معاوية إلا مكرهاً أو منكرهاً - بكسر الكاف - فكيد يدخل على يزيد الخمر والفجور ؟ ثم هل كان هذا قبل ولايته للعهد أو بعدها ؟ فإن كان بعدها فحال الحسين مع يزيد معروفة، وأما قبلها فلم يحدثنا التاريخ الصحيح عن زيارة يزيد المدينة وهذه الرواية تترك زيارته من دون تاريخ وتقول في حياة أبيه فحسب دون تعيين السنة وهذا دليل كذبها ووضعتها ، وإن قصر الكاذب مرة فقد قصر راوي الكذب ألف مرة لاسيما إذا كان ممن يوالي أهل البيت . (المترجم)

ألا يا صاح للعجب***دعوتك ذا ولم تجب

إلى الفتيات والشهوات***والصهباء والطرب

وباطية مكللة***عليها سادة العرب

وفيهنّ الذي تبتل***فؤادك ثم لم تبت

فنهض الحسين وقال: بل فؤادك يابن معاوية تبتل (1).

من هذه القصّة يظهر صلب هذا الإنسان السافل القدر وقلة حياته وسوء فطرته وفرط دنائته. (2)

وفي مروج الذهب أيضاً: إنه كان ليزيد قرد يكنى بأبي قيس، يحضره مجلس منادته وي طرح له متكناً، وكان قرداً خبيثاً، وكان يحمله على أتان وحشية قد ريصت وذلت لذلك بسرج ولجام يسابق بها الخيل يوم الحلبة، فجاء في بعض الأيام سابقاً، فتناول القصبه ودخل الحجرة قبل الخيل وعلى أبي قيس قباء من

ص: 232

-
- 1- لا- يخفى ما في الخبر من قوله: «لا- عين عليك» وأنه من الأكاذيب، ولكن نقله من باب الإلزام للنواصب والتفكيك في الأصول وفي الأقرارير في الفقه غير عزيز ولما فيه من الاستهجان أغمضنا عن ترجمته (منه)
 - 2- ويظهر أن سماحتك بنقلك لهذه الفرية حاطب ليل، وكيف تجعل ما فيه حط لمقام الإمامة والعصمة إلزاماً للناصب بل ليس من المستبعد أن يجعلها الناصب إلزاماً عليك رحمك الله ، أنا لا أشك بولائك و علمك ونجابتك وإلا لكان لي معك حديث آخر . (المترجم)

الحرير الأحمر والأصفر مشمّر وعلى رأسه قلنسوة من الحرير الأحمر منقوش ملمّع ذات ألوان بشقائق وعلى الأتان سرج من الحرير الأحمر منقوش ملمّع بأنواع من الألوان فقال في ذلك بعض شعراء الشام في ذلك اليوم :

تمسك أبا قيس بفضل عنانها***فليس عليها إن سقطت ضمان

ألا من رأى القرد الذي سبقت به***جياذ أمير المؤمنين أتان (1)

الحق يقال هؤلاء المؤمنون الذين يسفكون دماء ابن النبي ويقتربون مع بنات الصحابة المحرّم ويربطون الخيل في حرم النبي وتخلو المدينة من سكانها بحيث يبول الكلب على ... العياذ بالله بحاجة إلى أمير مثل هذا ؛ تارة يصطاد بالنمور، وأخرى يسابق بالقرود ، وأحياناً هو حليف القمار والخمور، وأحياناً رفيق الناي

والطنبور .

وأخيراً روى السيوطي في تاريخ الخلفاء عن مسند أبي يعلى عن أبي عبيدة بن

الجراح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لا يزال أمر أمّتي قائماً بالقسط حتى يكون أوّل من ثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد. (2)

وفي مسند الروياني روى عن أبي الدرداء أنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أوّل من يبدل سنّتي رجل من بني أمية يقال له يزيد. (3)

ص: 233

1- مروج الذهب 3: 79 و 80 (المترجم)

2- تاريخ الخلفاء، وتطهير اللسان لابن حجر : 64 ط القاهرة، الصواعق المحرقة : 221 (هامش الأصل) السيوطي ، تاريخ الخلفاء 1 : 208 ط مطبعة السعادة بمصر ، 1371 أولى . وأظنّ - والله العالم - أن جملة يقال له يزيد ألحقت بالنص بآخره ولذلك يرويها صاحب جمع الشمّل بدونها ويقول : أولته الخوارج بعثمان ابن عفان، فلو كانت الجملة موجودة لما تناولت نعتل لعنه الله ولكنهم ألحقوها لئلا تشمله لعنهم الله ولعنه .

3- الصواعق المحرقة : 222 (هامش الأصل)

ولقد سمعت أخبار لعن يزيد في الفقرة السابقة وعرفت أدلة لعنه من كلام ذلك الرجل الزيدي مشروحاً، وينبغي بعد هذا أن لا يقع خلاف في الأمة على جواز لعنه لأن من يقتل كبد النبي ويسبي عياله في الأطراف والأكناف من بلد إلى بلد كما يفعل بأسرى الكافرين من غير أن ترعى لهم حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن يرتكب في حقهم ما لا يليق بالمسلم تحمله من أي جنس كان طبعاً يكون شخص كهذا مستحقاً لللعن .

ومع كل هذا فإن الغزالي الذي يدعي متابعة شريعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل يدعي دعوى الوصول والشهود، ويرى نفسه نبع العلم والعمل، والبالغ أقصى مراتب المنى والأمل (والأهل) لم يستح من الله ورسوله فمنع منعاً باتاً من لعن يزيد فنجم من بعده طائفة يحملون في صدورهم الحقد القديم ولا يجروون على التصريح به ولكنهم يسرونه بإظهار التخلف عن العترة ويضمرون حرمة لعن يزيد كما سمعنا ورأينا الكثير من ذلك طيلة إقامتنا في سامراء من قضاتهم ومتعصبيهم، والآن أرى من الصواب من أجل فضيحة هذا الشيخ الضال الذي هو عمدة أهل الجهل والضلال، نقل كلامه ثم الجواب على شبهة لينال عموم أهل الإيمان ثواب لعنه لأنه في رأس القائمة من أتباع يزيد ، فنقول :

قال ابن خلّكان في ترجمة عليّ بن محمّد الطبري المشهور بالكفاء الهراسي بعد نقل كلام له في المنع عن لعن يزيد سنشير إليه : وقد أفتى الإمام أبو حامد الغزالي في مثل هذه المسألة بخلاف ذلك فإنه سئل عن صرح بلعن يزيد لعنه الله هل يحكم بفسقه أم لا؟ وهل يكون ذلك مرخصاً له فيه؟ وهل كان يزيد قتل الحسين أم كان قصده الدفع؟ وهل يسوع الترحم عليه أم السكوت عنه أفضل؟ تنعم بإزالة الاشتباه متّاً.

فأجاب : لا يجوز لعن المسلم أصلاً، ومن لعن المسلم فهو الملعون، وقد قال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «المسلم ليس بلعان وكيف يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم وقد ورد النهي عن ذلك ، وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص النبي ، ويزيد صح إسلامه، وما صح قتله الحسين ولا أمره به ولا رضاه بذلك، ومهما لا يح منه لا يجوز أن يظن ذلك به فإن إسائة الظن بالمسلم أيضاً حرام وقد قال الله تعالى: «اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ» (1) وقال النبي الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله حرّم من المسلم ماله ودمه وعرضه، وأن يظنّ به ظنّ السوء. ومن زعم أن يزيد أمر بقتل الحسين أو رضي به فينبغي أن يعلم أنّ به غايه الحماقة فإنّ من قتل من الأكابر والوزراء والسلاطين في عصره لو أراد أن يعلم حقيقة من قتله، ومن الذي أمر بقتله ، ومن الذي رضي به ، ومن الذي كرهه لم يقدر على ذلك وإن كان قد قتل في جواره وزمانه وهو يشاهد فكيف لو كان في مكان ظ [بعيد ، ومن زمن قديم قد انقضى فكيف يعلم ذلك فيما قد انقضى، فكيف يعلم ذلك فيما انقضى قريب من أربعمئة سنة في مكان بعيد وقد تطرق التعصب في الواقعة فكثرت فيها الأحاديث من الجوانب فهذا أمر لا يعرف حقيقته أصلاً، وإذا لم يعرف وجب إحسان الظن بكل مسلم.

وعلى هذا فلو ثبت على مسلم أنه قتل مسلماً فمذهب أهل الحق إنّهُ ليس بكافر، والقتل ليس بكفر بل هو معصية، وإذا مات القاتل فرّبما مات بعد التوبة ، والكافر لو تاب من كفره لم يجز لعنه فكيف من تاب عن قتل ، وبم يعرف أن قاتل الحسين مات قبل التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ، فإذا لا يجوز لعن أحد ممّن مات من المسلمين ، ومن لعنه كان فاسقاً عاصياً الله تعالى، ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصياً، بل لو لم يلعن إبليس طول عمره لا يقال له في القيامة لم

ص: 235

لم تلعن إبليس، ويقال للآعن: لم لعنت؟ ومن أين عرفت أنه مطرود ملعون؟ والملعون هو البعيد من الله، وذلك غيب لا يعرف إلا فيمن مات كافراً فإن ذلك علم بالشرع، وأما الترحم عليه فهو جائز مستحب بل هو داخل في قولنا في كل صلاة: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات فإنه كان مؤمناً، والله أعلم، كتبه الغزالي، انتهى كلام الوفيات. (1)

وذكر نحواً من هذا في كتاب (آفات اللسان) من المجلد الثالث من إحياء العلوم ولكنه جَوَّز اللعن مقيداً كأن يقول: اللهم العنه إن مات قبل التوبة.

وخلاصة هذه الأساطير التي هي من إفرازات الحشيش والأفيون، وهي أنه أجاب السائل عن جواز لعن يزيد وعن صحة قتل سيد الشهداء بأمره وهل يجوز الترحم عليه أو لا؟ فيقول في الجواب: لا يجوز لعن المسلم، ويزيد مسلم ونسبة قتل الحسين أو رضاه به أو أمره إسائة ظنّ بالمسلم، ومن أجاز ذلك أو صححه فإنه بحكم الكتاب والسنة غاية في الرعونة.. وسوء الظن بالمسلم حرام ولو أن سلطاناً أو أميراً أو وزيراً في زماننا قتل أحداً لعسرت معرفة الحقيقة عن القاتل أو الأمر من هو؟ وإن كان السلطان قريباً من مسرح القتل ويراها الرائون فكيف إذا وقع القتل في زمان بعيد ومكان شاسع وقد مرّ على هذا القتل قرابة أربعمئة عام فكيف تعرف حقيقته، ومع عدم العلم يجب إحسان الظن بأهل القبلة، ولو ثبت على مسلم القتل فإن ذلك لا يوجب الكفر عند الأشاعرة ويمكن أن يموت القاتل بعد التوبة، ولا يجوز لعن الكافر بعد التوبة فكيف بالقاتل، ومن ذا الذي يجزم بأن يزيد مات قبل التوبة أو يعلم ذلك، إذن لا يجوز لعن المسلم مطلقاً، ومن لعنه عدّ فاسقاً عاصياً، ولو جاز لعنه ثم سكت لم يكتب عاصياً، ولو

ص: 236

1- وفيات الأعيان 3 : 288 ط بيروت، دار الثقافة، تحقيق إحسان عباس (المترجم)

لم يلعن إبليس طول عمره لا يُسئل عن ذلك يوم القيامة ، ولو لعن لسئل عن ذلك، لأن اللعن طرد من الرحمة والملعون مطرود من رحمة الله ، وكيف تعرف حاله وهو بعيد ، والإخبار عنه تخرّص بالغيب إلا- في حق امرئ مات على الكفر ، وأمّا الترحم على يزيد فهو جائز ومستحب بل هو داخل في قولنا في كلّ صلاة : اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، ويزيد كان مؤمناً (1)، وهذا حاصل تحقيق الغزالي الذي ألقاه على قلبه الشيطان، استمداداً من باطن يزيد بحكم : «إنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم زخرف القول».

والحق يقال أنّ ادعاء الإيمان ليزيد يتم بثمن باهض على أولياء أهل البيت عليهم السلام حيث أنه قتل أولاد النبي وساق بناته ونسائه حواسر على الجمال من بلد إلى بلد ومن تنوفة إلى تنوفة، كأنهم أسرى الترك والكابل ، يتصفّح وجوههن القاصي والداني من العراق إلى الحجاز ، وحمل رأس ابن النبي على السنان فتارة يصلبه على باب داره وأخرى يضعه في الطشت ، ويشرب الخمر ثمّ يلقي عليه ثمالة الكأس، ويظهر الفرح والسرور، ويضرب شفّتيه وأسنانه استخفافاً بقضيبه وهي من أعظم المصائب عند الإنسان الغيور فياللعجب أن يكون شخص مثل هذا مؤمناً والترحم عليه مستحباً .

المؤلفه :

قل لمن لا يجيز لعن يزيد***أنت إن فاتنا يزيد يزيد

زادك الله لعنة وعذاباً***وله الله ضعف ذاك يزيد..(2)

ص: 237

-
- 1- احتاج المؤلف إلى عرض هذا التلخيص لأنه اعتبره بمثابة الترجمة للنص السابق واضطرت إلى متابعتها وإن كان قد تكرر تواءماً لأنني رأيت عدم ترجمته تحدث ثغرة في الكتاب . (المترجم)
 - 2- ديوان المؤلف : 280. (هامش الأصل)

ونحن نعرض لجواب هفوات الغزالي ونجيبه على جزئيات كلامه على نحو الإجمال لا التفصيل وإن كان هذا الكلام غاية في الضعف والركاكة وإيغالاً في الفساد والسخافة، ولا يستحق الرد بل لا يجد المسلم لا ولا الكافر الملتفت إلى الأصول والقواعد الإسلامية شبهة من هذه الكفريات والأباطيل، ولكننا لإثبات أن هذا الكلام صدر من صاحبه تعصباً للباطل وعناداً للحق وهو صرف زندقة وإلحاد نعرض لإبطال أقواله قولاً قولاً :

أما قوله: «لا يجوز لعن المسلم» فجوابه أن لعن المسلم إن كان على الإسلام فهذا غير جائز طبعاً وهو كفر ، وإذا كان لعنه من دون سبب فهو غير جائز أيضاً ويُعدّ فسقاً، وإذا أُريد باللعن اللعن المطلق لعناوين أخرى مثل الظلم والفسق وشرب الخمر وقتل النفس وأمثال ذلك فهذا مخالف لنصوص الكتاب والسنة - أي عدم تجويزه - بل ينافي الضرورات من دين الإسلام لأن اللعن على العناوين المذكورة ورد كثيراً في القرآن والحديث المتواتر، وهو يفوق حدّ الحصر.

واستشهاده بأنّ المسلم ليس بلعان يظهر جوابه مما حكى ابن الجوزي عن خط القاضي أبي الحسن محمد بن القاضي أبي يعلى وتصنيفه فإنه صنّف كتاباً في بيان من يستحق اللعن، وذكر فيهم يزيد ، وقال : الممتنع من ذلك إما أن يكون غير عالم بجواز ذلك أو منافقاً يريد أن يوهم بذلك ، وربما استغر الجهال بقوله: المؤمن لا يكون لعاناً وهو محمول على من لا يستحق اللعن.

وأما قوله: يزيد «مسلم» فهو أول الكلام لأن أقواله وأفعاله كليهما يدلان على كفره، على أنه لا يوجد سبب يدلّ على إسلامه وتحوّله من الكفر إليه لأنك سمعت كفر جده وأبيه اللذين عاشا في ظل الشرك عمرهما كله تفصيلاً فلا يعدان والحال هذه من المسلمين، فمتى ولج الإسلام بيته بعد هذا ليحكم به له ؟

أما دلالة أقواله على كفره فهي ظاهرة مثل هذا الشعر الذي قاله في نعت الخمر :

شميسة كرم برجها فعر دنّها***ومشرقها الساقى ومغربها فمي

فإن حرمت يوماً على دين أحمد***فخذها على دين المسيح ابن مريم

ومثل هذا الشعر الذي أنكر به المعاد ونقله عنه الكياالهراسي :

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم***وداعي صبابات الهوى يترتم

خذوا بنصيب من نعيم ولذّة***فكل وإن طال المدى يتصرّم

ومثل هذا الشعر الذي ذكر جمع من المؤرّخين أنّه تمثل به بعد دخول أهل البيت مجلسه وهو شعر ابن الزبيرى :

ليت أشياخي ببدر شهدوا***جزع الخزرج من وقع الأسل

وأول الأبيات هذه :

لعبت هاشم بالملك فلا***خير جاء ولا وحي نزل

لست من خندف إن لم أنتقم***من بني أحمد ما كان فعل

ليت أشياخي ببدر شهدوا***جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل

قال ابن الجوزي الحنبلي في رسالته الموسومة بـ«الردّ على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد» : أنبأنا علي بن عبدالله الزاغولي قال :

أخبرنا أبو جعفر بن مسلمة ، عن أبي عبدالله المرزباني قال : أخبرنا محمد بن أحمد الكاتب قال : أخبرنا عبدالله بن أبي معد الورّاق قال :

حدثنا يحيى الأحمرى قال : أنبأنا ليث عن مجاهد قال : جيء برأس الحسين بن عليّ فوضع بين يدي يزيد بن معاوية فتمثل بهذين البيتين :

ليت أشياخي ببدر شهدوا***جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً***ثم قالوا لي بغيب لا تشل

قال مجاهد : نافق فيها ثم والله ما بقي في عسكره إلا تركه أي عابه ولا مه .

قلت : هذه الأبيات لابن الزبعرى ثم نقل شيئاً منها وقال : وذلك أن المسلمين قتلوا يوم بدر منهم خلقاً فقتلوا منهم يوم أحد خلقاً فاستشهد به يزيد وكأنه غير بعضها ويكفي استشهاده بها خزيًا.

ونسب سبط ابن الجوزي الأبيات الأربعة ليزيد وروى البيهقي الأولين «لعبت هاشم» إلى آخره عن الشعبي وأنها نسبتها إلى يزيد (1) وقدس الله روح الرضي حيث قال وأجاد

طلبت ترات الجاهلية عندها***وشفت قديم الغل من أحقادها

زعمت بأنّ الدين سوغ قتلها***أوليس هذا الدين من أجدادها

ومجمل القول : نقل المسعودي في مروج الذهب : وكتب إلى ابن الزبير :

أدعو إلهك في السماء فإنني***أدعو عليك رجال عك واشعر

كيف النجاة أبا حبيب منهم***فاحتل لنفسك قبل أتى العسكر (2)

ونقل في ديوانه وشهد به سبط ابن الجوزي وهو معروف في كتب المقاتل أنه أنشد هذين البيتين لما ورد أهل البيت الشام وكان يزيد في منظره على جيرون

(مجاز في الجامع الأموي) اللذين أخبرا عن كفره القديم ونفاقه الدفين :

لما بدت تلك الحمول وأشرقت***تلك الشموس على ربي جيرون

نعب الغراب فقلت نح أو لا تنح***فلقد قضيت من النبي ديوني (3)

قال في التذكرة : قال الزهري : لما جاءت الرؤوس كان يزيد (لعنه الله) في منظره على جيرون، فأنشد لنفسه: «لما بدت» إلى آخره .

ص: 240

1- تذكرة الخواص : 235

2- مروج الذهب 3: 81 (المترجم)

3- التذكرة : 235 وفيها من الغريم وعند المؤلف جيحون وهو تصحيف . (المترجم)

وروى سبط ابن الجوزي أيضاً عن ابن عقيل أنه قال : ومما يدل على كفره وزندقته فضلاً عن سبّه ولعنه أشعاره التي أفصح بها بالإلحاد وأبان عن خبث

الضمائر وسوء الاعتقاد، فمنها قوله في قصيدته التي أولها:

عليه هاتي واعلني وترنمي***بذلك إني لا أحب التناجيا

حديث أبي سفيان قدماً سمى به***إلى أحد حتى أقام البواكيا

الآهات (1)فاسقيني على ذاك قهوة***تخيرها العنسي كرمأ شأميا

إذا ما نظرنا في أمور قديمة***وجدنا حلالاً شربها متواليا

وإن مت يا أم الأحيمر فانكحي***ولا تألمي بعد الفراق تلاقيا

فإن الذي حدثت عن يوم بعثنا***أحاديث طسم تجعل القلب واهيا

ولا بد لي من أن أزور محمداً***بمشمولة صفراء تروي عظاميا

قال القرزعلي : ومنها :

لولم يمس الأرض فاضل بردها***لما كان فيها (2)مسحة للتيمم

ومنها : «لما بدت تلك الحمول» وقد ذكرناها .

ومنها قوله :

معشر الندمان قوموا***واسمعوا صوت الأغاني

واشربوا كأس مدام***واتركوا ذكر المعاني

شغلتنني نغمة العيدان***عن صوت الأذان

وتعوّضت عن الحور***عجوزاً في الدنان

إلى غير ذلك مما نقلته من ديوانه انتهى .(3)

ص: 241

2- عندي - المؤلف .

3- التذكرة : 260 و 261 .

وأما أفعاله فيكفي في فظاعتها قتل سيد الشهداء عليه السلام ريحانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيد شباب أهل الجنة ومحبوب حبيب الله ، ومن المعلوم أن قتله هتك لحرمة جده صلى الله عليه وآله وسلم ، ولقد أفتى علماء أهل السنة كما ورد في الصواعق أن رمي الصحف في القاذورات كفر لأنه راجع إلى هتك حرمة الشرع ، سبحان الله ! فكيف لا يكون قتل فلذة كبد الرسول وبضعة الطاهرة البتول هتكاً لحرمة الشرع النبوي وموجباً للكفر ، والله درّ منصور النمري شاعر هارون في الجهر والعلن ومادح أمير المؤمنين سرّاً بل كان يكنى بهارون عن أمير المؤمنين لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه :

«أنت متي بمنزلة هارون من موسى» كما ذكره السيد في الغرر والدرر ، قال :

لا شكّ عندي في كفر قاتله***لكني قد أشتُ في الخاذل

يقتل ذرّيّة النبي ويرجون***جنان الخلود للقاتل

مضافاً إلى ما فعله من الاستخفاف بحق العترة الطاهرة بعد القتل من النهب والأسر وسوقهنّ أسرى إلى بلاد ليس معهنّ من حماتهنّ حمي، ولا من ولاتهنّ ولي، يتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والشريف والوضيع، الذي لا يناسب أدنى حدود الإسلام.

يقول ابن الجوزي في رسالته (الردّ على المتعصب العنيد) : ليس العجب من فعل عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد وإنما العجب من خذلان يزيد و ضربه بالقضيب على ثنية الحسين عليه السلام وإغارته على المدينة أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج (1) أو في الشرع أنّهم يدفنون .

أما قوله : لي أن أسبيهم فأمر لا يقنع لفاعله ومعتقده باللعنة، ولو أنه احترم

ص: 242

1- لقد فعل أبو بكر بن أبي قحافة بالعرب باسم الردّة من القتل والحرق والنهب والأسر حين سلّط السفّاح خالد بن الوليد عليهم ما فعله يزيد بالمدينة ، فما الفرق بين الأول والآخر ليت شعري!(المترجم)

الرأس حين وصوله وصلّى عليه ولم يتركه في طست ولم يضربه بقضيب ما الذي كان يضرة وقد حصل مقصوده من القتل، ولكن أحقاد جاهلية ودليلها ما تقدّم من إنشاده «ليت أشياخي ببدر شهدوا...» الخ.

وكذلك دليل كفرة وقعة الحرّة وانتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها ما أشرنا إلى ذلك إجمالاً .

ومختصر القول في بيانها أن عبد الحق الدهلوي وهو من أكابر المتأخرين وأهل الهند السنّة، يقول في كتابه (جذب القلوب إلى ديار المحبوب) وهو كتاب موضوع في تاريخ المدينة، قال: قال القرطبي: كان سبب خروج أهل المدينة عنها كما جاء في بعض الأحاديث وقعة الحرّة حين بلغت المدينة المطهرة في الروتق والعمارة إلى أحسن مرتبة وأكمل درجة وكانت تعج بقايا الأصحاب من المهاجرين والأنصار والعلماء أصحاب الوزن الرفيع من التابعين والأخيار، ولمّا تواترت الحوادث عليها هجرها أهلها خوفاً من توالي الأحداث وحدوث الآفات، ورحوا من ذلك الموضوع الذي هو محلّ الرحمات ومنتزل البركات .

وأرسل يزيد بن معاوية لعنهما الله مسلم بن عقبة المرّي في جحفل جرّار من الشام لقتال أهل المدينة وأمره بالتمثيل بهم على أقبح وجه، وأباح لهم مدة ثلاثة أيام، فهتكوا الحرمات واستحلوا الفروج والدماء، ومن هذه الجهة سميت واقعة الحرّة. (1)

وقعت هذه الحرّة في حرّة واقم التي تبعد ميلاً عن الحرم النبوي الشريف فقتل فيها ألف وسبعمائة من بقايا المهاجرين والأنصار والعلماء الأخيار، وعشرة آلاف

ص: 243

1- للمدينة حرار تحيط بها وهي الحجارة السوداء وقد وقعت هذه في إحداها فسميت الحرّة باسمها وليست اشتقاقاً من الحرية كما تصوّر صاحب هذا الكلام (المترجم)

من غمار الناس ما عدا النساء والأطفال، وقتل سبعمائة شخص من حملة القرآن المجيد وسبعة وتسعون من قريش، قتلوا بالسيف صبراً، وأبيح الفسق فيها والزنا والفساد إلى الحد الذي وضعت ألف امرأة بعد هذه الواقعة من الزنا أولاداً، وربطوا الخيل في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالت وراثت في الموضع الذي هو روضة من رياض الجنة أي بين القبر والمنبر . وأخذ البيعة ليزيد من الناس على أنهم عبيد وخول إن شاء باع وإن شاء أعتق، وإن شاء أذن لهم بالطاعة أو قسرهم على المعصية.

ولما قال يزيد بن عبدالله بن رفعة: أبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله، ضربوا عنقه فوراً.

يقول هذا العبد - المؤلف - : إن هذا العمل نتيجة لما فعله عبدالرحمن بن عوف لعنه الله في بيعة أمير المؤمنين حين أبي قبولها على كتاب الله وسنة رسوله ي--وم الشورى وعند ذلك قال له على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين لعنهما الله ، فأبى علي عليه السلام وقال : بل على كتاب الله وسنة رسول الله ، فأبى عبدالرحمن لعنة الله عليه وباع عثمان ، والحقيقة أن عبدالرحمن يتحمل وزر أفعال يزيد وهي في عنقه (1) كما يحصل ذلك للعاقل المتأمل المحايد.

بعد ذلك قال عبد الحق : قال القرطبي عن رواية الأخبار أن المدينة في ذلك الوقت خلت من أهلها تماماً وصارت ثمارها وفواكهها للوحوش والهوام والبهائم ، واتخذت الكلاب والحيوانات في المسجد الشريف بيوتها وأوجارها، وصح ما أخبر عنه الصادق ، وبان للعيان ما حدث عنه ، انتهى كلام (جذب القلوب). (2)

ص: 244

1- سيدي أيها الشيخ الجليل إن الوزر الأكبر في عنق الكلبين اللذين تصديا لها واغتصباها من أهلها . (المترجم)
2- ويناسب المقام نقل كلام السعد التفتازاني وابن حجر : قال السعد والحق أن رضاء يزيد بقتل الحسين وإهانتة أهل البيت مما تواتر معناه وإن كانت تفاصيله أحاداً، فنحن لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه فلعنه الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه . وفي المسامرة : واختلف في كفر يزيد فقيل : نعم ، وقيل : لا ، وقيل بالتوقف، وقد أجاز لعنه أحمد بن حنبل والقاضي أبو يعلى، وحزمه الغزالي وابن عريبي (لعنهما الله) . وقال ابن حجر : وصح أيضاً أنه رأى ثلاثين منهم ينزون على منبره نزو القردة فغاضه ذلك وما ضحك بعده إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى ، ولعله هؤلاء ويزيد بن معاوية فإنه من أقبحهم وأفسقهم، بل قال جماعة من الأئمة بكفرهم . راجع تطهير الجنان و تذييله ص 53 ط القاهرة . (هامش الأصل)

وأخيراً مع هذا القدر من الهتك والاستخفاف في حرم النبي فمن شك في كفر يزيد فإنه هو الكافر طبعاً فلعنة الله عليه وعلى من والاه وعلى من نصره أو مال إليه. ونقل ابن الجوزي عن المدائني قريباً من هذا في رسالة الردّ على المتعصب العنيد وهو صاحب التاريخ، ووثقه، ونقل ابن حجر هذه الوقائع تفصيلاً وقال: وأخيفت أهل المدينة أياماً فلم يتمكن أحد دخول مسجدها حتى دخلته الكلاب والذئاب وبالت على منبره صلى الله عليه وآله وسلم تصديقاً لما أخبر، انتهى موضع الحاجة.

والسبب الثاني: هتك الكعبة كما قال ابن الجوزي في مقاتلة ابن الزبير، وقذفت الكعبة بالمجانيق يوم السبت ثالث ربيع الأول، وأخذ رجل قباء (كذا) من رأس رمح فطارت به الرياح واحترق البيت.

وتفصيل هذين الواقعتين مذكور في الكتب المعتمدة لأهل السنّة مثل (كامل) ابن الأثير) و(تاريخ أبو الفداء) و(تاريخ ابن الوردي) وغيرها، وليس غرضنا من هذا الكتاب التاريخ بل لمحض الإشارة وإتمام الحجّة ونقل أحياناً نقولاً مختصرة من الوقائع للمناسبة، والله الموفق. ووافقنا جماعة من أهل السنة على كفر يزيد كابن حجر في الصواعق، فقد قال: اعلم أنّ أهل السنّة اختلفوا في تكفير يزيد بن معاوية وولي عهده من بعده، فقالت

ص: 245

طائفة : إته كافر لقول سبط ابن الجوزي وغيره المشهور أنه لما جاءه رأس الحسين جمع أهل الشام وجعل ينكث رأسه بالخيزران وينشد أبيات ابن الزبيري: «ليت أشياخي بيدر شهدوا» (1) إلى آخره . ثم نقل كلام ابن الجوزي عن كتاب التذكرة لسبطه ونحن نقلناه من الكتاب ذاته وظاهر العبارة كما يلي:

إن مذهب مجاهد تكفير يزيد ونقل ذلك عن إمامهم أحمد بن حنبل . وحكي عن ملا علي القاري في كتاب الشرح الفقه الأكبر أنه وافق على كفر يزيد رداً على سؤال أتاه عن ذلك وتمسك بواحد من الوجوه السابقة وقال : قيل : نعم لما روي عنه ما يدل على كفره من تحليل الخمر وتقوّهه عند قتل الحسين وأصحابه إني جازيتهم ما فعلوا بأشياخ قريش وصناديدهم وأمثال ذلك ولعله وجه ما قال الإمام أحمد بكفره لما ثبت عنده نقل تقريره لا لما وقع منه من الاجترار على الذرّة الطاهرة كالأمر بقتل الحسين عليه السلام ، انتهى كلامه .

وسنذكر كلام التفتازاني عمّا قريّب إن شاء الله وما أحسن ما قاله عمارة الفقيه اليمني الشاعر المشهور في التعريض بكلام يزيد هذا وحال بني أمية، ولله درّه

وعلى الله برّه .

غصبت أمية إرث آل محمد***سفهاً وشتت غارة الشنآن

وغدت تخالف في الخلافة***أهلها وتقابل البرهان بالبهتان

لم تقتنع حكاهم بركوعهم(2)***ظهر النفاق وغارب العدوان

وقعودهم في رتبة نبوية***لم بينها لهم أبو سفيان

حتى أضافوا بعد ذلك أنهم***أخذوا بثأر الكفر في الإيمان

ص: 246

1- الصواعق المحرقة : 220 ط القاهرة . (هامش الأصل)

2- هكذا هي وأظنها بركوبهم . (المترجم)

فأتى زياد في القبيح زيادة***تركت يزيد يزيد في النقصان

وجملة القول فإنّ هذا المذهب ليس من بدع الروافض وإن زعمه الغزالي

خذله الله إن مات على كفره وزندقته وإلحاده وتعصبه وجحوده، وعناده، ونحن باستطاعتنا أن نثبت كفر يزيد من طرق أهل السنة الصحيحة وأخبارهم عموماً وخصوصاً مثل كفر منكر الولاية لأهل البيت ومبغضهم ومحاربيهم، وشانئ الحسنين عليهما السلام استلزام إيذاء النبي الموجب للكفر بحمد الله ولكن لما كانت هذه الطائفة لا تستحق الخطاب لعنادهم وتعصبهم وإنّ الغشاوة التي على قلوبهم ليست من الخفة بحيث ترتفع أو تزول بهذه البيانات والإلزامات لم تر من اللازم تطويل المقال مع ضيق المجال ، ولا فائدة تبغى وراء ذلك.

إن كان في البيت أحد***يكفي نداء واحد

مع أن مطالعة هذا الكتاب سابقه ولاحقه تغني عن بسط الكلام في هذا المقام والله الهادي.

وأما قول الغزالي نسبة القتل ... الخ فقد كفانا مؤنة جوابه الملا سعد التفتازاني الذي ملأ صيته بين أهل السنة والجماعة سمع الدنيا في كتابه (شرح العقائد النسفيّة) وشرح المقاصد وأظهر حكم الغزالي تلويحاً يقول في الكتاب : الأول: الحق أن رضا يزيد بقتل الحسين عليه السلام واستبشاره بذلك وإهانة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما تواتر معناه وإن كان تفصيله أحاداً فنحن لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه ، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعدائه.(1)

ويقول في شرح المقاصد: ما وقع بين الصحابة من المحاربات والمشاجرات على الوجه المسطور في كتب التواريخ والمذكور على السنة الثقات يدلّ بظاهره

ص: 247

1- والغزالي منهم ، والعجب من الشهيد السيد الشوشثري كيف جعله من الشيعة. (المترجم)

على ان بعضهم قد حاد عن طريق الحق وبلغ حدّ الظلم والفسق وكان الباعث له الحقد والعناد والفساد والحسد واللداد وطلب الملك والرياسة والميل إلى اللذات والشهوات إذ ليس كل صحابي معصوماً ولا كل من لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخير موسوماً إلا أنّ العلماء لحسن ظنّهم بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق ، وذهبوا إلى أنّهم محفوظون عمّا يوجب التضليل والتفسيق صوتاً لعقائد المسلمين عن الزيغ والضلالة في حق كبار الصحابة سيما المهاجرين منهم والأنصار والمبشرين بالثواب في دار القرار .

وأما ما جرى بعدهم من الظلم على أهل بيت النبي فمن الظهور بحيث لا مجال للإخفاء، ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الآراء إذ يكاد يشهد به الجماد والعجماء، ويبكي له من في الأرض والسماء، وينهد منه الجبال، وتنشق الصخور، ويبقى سوء عمله على كثر الشهور ومّرّ الدهور فلعنة الله على من باشر أو رضى أو سعى ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى.

فإن قيل : فمن علماء المذهب من لا يجوز اللعن على يزيد مع علمهم بأنّه يستحق ما يربو على ذلك ويزيد .

قلنا : تحامياً عن أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى كما هو شعار الروافض على ما يروى في أدعيتهم ويجري في أنديتهم فرأى المعتنون بأمر الدين إجماع العوام بالكلية طريقاً إلى الاقتصاد في الاعتقاد بحيث لا تزل الأقدام عن السواء ولا تضل الأفهام بالأهواء ، وإلا فمن يخفى عليه الجواز والاستحقاق ؟ وكيف لا يقع عليهما الاتفاق... إلى آخر ما قال.

والمنة الله على أنّ هذا العلامة عظيم الشأن من أهل السنة اعترف بظهور الفسق والظلم الناشئ عن الحقد والعناد من الصحابة ، وأن الظلم لأهل البيت بلغ حدّاً أبكى معه الجمادات والحيوانات، وعلماء السنة مجمعون على لعن يزيد، وإنّما

جرى المنع لئلا يسري منه إلى معاوية ، ومن معاوية إلى عثمان، ومن عثمان إلى عمر ، ومن عمر إلى أبي بكر (1) لأن هؤلاء سلسلة واحدة وحبل واحد فلا يسوغ لعن الأول والترحم على الآخر، ولعلّ إلى هذه السلسلة أشار تعالى بقوله : «خُذُوهُ فَغُلُّوهُ» «ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ» «ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ» (2) ونحن سنوضح هذه المقالة في ذيل شرحنا لهذه الفقرة بقدر ما يتسع له الوقت وحجم الكتاب بمئة تعالى .

من هنا علمت حال الغزالي من كونه منكراً للمتواتر إما للمصلحة اعتمد المنع وفي الحقيقة إنّه من المجوّزين والحمد لله على الوفاق.

وأما قوله : «لو أنّ سلطاناً....» إلى آخر كلامه فإن كان قصده أن تعيين الواقعة مع بعد العهد وتداول الزمن مشكل فهو مسلم، وإن زعم أن ذلك مستحيل فهو سدّ لباب إثبات الشرايع وإنكار إمكان التواتر وبناءً على هذا لا يبعد أن يقول له اليهود والنصارى من أين جاءك العلم بأن شخصاً يدعى محمّداً بعث في أرض تهامة وادّعى النبوة وأقام المعجزة على دعواه؟ فما يجيب به اليهودي نجيب نحن به يهودي الأمة الذي لقب نفسه بحجّة الإسلام وفي الحقيقة ينبغي أن يدعى بـ (شبهة الكفر) حذو النعل بالنعل لأنّه لا جواب له إلا دعوى تواتر النقل وتظافر الأخبار، وثبت عندنا بهذا التواتر نفسه قتل يزيد لسيد الشهداء ورضاه بذلك كما اعترف بذلك شارح العقائد النسفية.

ص: 249

1- شاهد هذا القول قول الغزالي وغيره ويحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فإنّه يهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم .. الصواعق .. المحرقة : 223 (هامش الأصل) وأنا بدوري لا أملك لهم إلا اللعنة التي جرت على لساني يوم نطقت وسوف تكون آخر كلمة أقولها إن شاء الله . (المترجم)

2- الحاقّة : 30 - 32 .

وأما قوله: «من أين يعلم أن يزيد لم يتب» وجوابه أن إصراره على الفعل وإهانتة لأهل البيت بعد قتلهم وسروره واستبشاره وجلوسه مع ابن زياد في مجلس الشراب وأمره الساقى بسقيه ومدحه بالأمانة وأنه صاحب السر في أشعاره السابقة تكفي في إثبات إصراره وسبب ابن الجوزي يروي القصة على النحو التالي:

إنه استدعى ابن زياد إليه وأعطاه أموالاً كثيرة وتحفّاً عظيمة وقرب مجلسه ورفع مجلسه وأدخله على نسائه وجعله نديمه وسكر ليلة وقال للمغني: غن، ثم قال يزيد بديهاً:

اسقني شربة تروي فؤادي(1)***تم مل فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السر والأمانة عندي***ولتسديد مغنمي وجهادي

قاتل الخارجي أعني حسيناً***ومبيد الأعداء والحساد(2)

وفي الفتاوى الكبرى وهي من الأصول المعتمدة عند أهل السنة والجماعة مروى أن صاحبها قال: اكتحل يزيد بدم الحسين وبالأمم لتقر عينه(3)، ومن هنا

ص: 250

1- مشاشي - المؤلف .

2- تذكرة الخواص : 260 . (المترجم)

3- إن كان شيخنا الجليل يقصد ب- «الفتاوى الكبرى لابن تيمية لعنه الله ، فقد جاء فيه : وسئل شيخ الإسلام عما يفعله الناس في يوم عاشوراء من الكحل والاعتسال والحناء والمصافحة وطبخ الحبوب وإظهار السرور وعزوا ذلك إلى الشارع فهل ورد في ذلك عن النبي حديث صحيح أم لا ؟ وإذا لم يرد حديث صحيح في شيء من ذلك فهل يكون فعل ذلك بدعة أم لا ؟ وما تفعله الطائفة الأخرى من المأتم والحزن والعطش وغير ذلك من الندب والنياحة وقرائة المصروع (كذا) وشق الجيوب هل لذلك أصل أم لا ؟ الجواب : الحمد لله رب العالمين ، لم يرد في شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي ولا عن الصحابة ولا استحباب ذلك أحد من المسلمين ؛ لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم ، ولا روى أهل الكتب المعتمدة في ذلك شيئاً ؛ لا عن النبي ولا الصحابة ولا التابعين ، لا صحيحاً ولا ضعيفاً ، لا في كتب الصحيح ولا السنن ولا المسانيد ، ولا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة ، ولكن روى بعض المتأخرين في ذلك أحاديث مثل ما رويوا إن من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد من ذلك العام ، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام ، وأمثال ذلك . ورووا فضائل في صلاة يوم عاشوراء ، ورووا أن في يوم عاشوراء توبة آدم واستواء السفينة على الجودي ورد يوسف على يعقوب وإنجاء إبراهيم من النار وفداء الذبيح بالكبش ونحو ذلك . ورووا في حديث موضوع مكذوب على النبي أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله الله عليه سائر السنة ، ورواية هذا كله عن النبي الله كذب ولكنه معروف م-ن رواية سفيان بن عيينة (لعنه الله) عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه ، قال : بلغنا أنه من وسع ع-ل-سى أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته . وإبراهيم بن محمد بن المنتشر من أهل الكوفة ، إلى آخر ما قال [الفتاوى الكبرى :2: 295 فأنت ترى أن القول الذي عزاء المؤلف إلى الفتاوى لا يوجد فيها ولعله يقصد كتاباً آخر يحمل مثل هذا الاسم ، والله أعلم] . (المترجم)

ندرك أنّ اكتحالهم في يوم عاشورا مستند إلى الأسوة بيزيد لعنه الله ولعن من استن بسنته ، ومع أن توبته لم تثبت وحكم كفره ما يزال قائماً ثابتاً فليس من سبب يدعو للاستدلال خلاف ذلك، ولا دليل على قبول التوبة من كلّ مذنب، لأن وجوب التوبة تحقيقاً لا يعود إلى العقل بل يوجب الوعد ، ولا يوجد هذا الوعد بحق يزيد لعنه الله ، فقد جاء في كتاب العيون بثلاثة طرق عن الإمام الرضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن موسى بن عمران سأل ربه عزّ وجلّ فقال : يا ربّ، إن أخي هارون مات فاغفر له، فأوحى الله تعالى إليه : يا موسى ، لو سألتني في الأولين والآخرين لأجبتك ما خلا قاتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فإني أنتقم له من قاتله. (1)

في وحديث وحشيّ وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم غيّب وجهك عنى لا أراك شاهد على المدعى كما جاء في أسد الغابة عن وحشيّ أن النبي قال له : ويحك ! غيب وجهك

ص: 251

1- عيون أخبار الرضا ال 2 : 47 ، بحار الأنوار 44 300 ، عوالم العلوم : 606. (هامش الأصل) وجرى تطبيقه على العيون (المترجم)

فلو أنه رأى يزيد لارتعد بدنه واحترق لبه وتراخت عبراته، وقد أجاد ابن الجوزي حيث قال: وأنين العباس وهو مأسور بيد من منع النبي النوم فكيف بأنين الحسين؟! ولما أسلم وحشي قاتل حمزة قال له النبي: غيب وجهك فإنني لا أحب أن أرى من قتل الأحيّة، وهذا الإسلام يجب ما قبله فكيف بقلبه أن يرى من ذبح الحسين عليه السلام وأمر بقتله وحمل أهله على أقتاب الجمال، انتهى لفظه في رسالة الرد على المتعصّب العنيد.

وأى مسلم يرضى بتوبة يزيد لو فرضناها محالاً، فيرحمه الله ويؤونه الجنة على أن حقوق المسلمين في هذه الواقعة معقودة في عنق يزيد، والتوبة لو صحت أنها تنفعه فإنها تسقط حق الله دون ما سواه، وقوله تعالى: «وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ» (2) لا يصح نزولها في وحشي كما يظهر ذلك من أخبار أهل البيت، ولو سلّمنا جدلاً بالتوبة فإن الآية شاهد على عدم وجوب قبولها على الله سبحانه، ويثبت مطلبنا ما جاء من امتنان الله على خلقه في خلق النار وعذاب جهنم في سورة الرحمن (3) لأنه لو بطل الجزاء ولم يؤخذ للمظلوم من ظالمه ولم توضع جهنم نصب عين الظالم فإن ذلك يكون جوراً داخلياً على المظلومين.

وأما ما قاله الغزالي: «لا يجوز لعن المسلم وهو كفر وإلحاد وزندقة وتدليس وتلميع ومخرقة» ففي القرآن الكريم لعن الله طائفة من الناس وإن كانوا مسلمين ويزيد تنطبق عليه عناوين اللعن جميعاً، ومنها يعرف جواز لعن يزيد، وقد ذكر

ص: 252

1- أسد الغابة في ترجمة الوحشي. (هامش الأصل)

2- التوبة: 106 .

3- «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ» «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» «فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ» [الرحمن:

35 - 37]. (هامش الأصل)

الفاضل الزيدي شطراً منها، ونحن هاهنا نسوق آيات ثلاثاً من القرآن المجيد تنطبق انطباقاً تاماً على يزيد وتلعنه صراحة مع غصّ النظر عن الآية الكريمة

والشجرة الملعونة في القرآن (1) التي أجازت لعن بني أمية قاطبة .

الآية الأولى : «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» . (2) ولما كان يزيد قد أباد جماعة من المؤمنين بل سيد شباب أهل الجنة بالقهر والظلم والغلبة فهو ملعون ومغضوب عليه ومخلد في نار جهنم ، وحال به العذاب العظيم حتماً إن شاء الله .

الآية الثانية : «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ» (3) ابن الجوزي وساق السند إلى صالح ابن أحمد بن حنبل قال : قلت لأبي : إن طائفة من الناس ينسبوننا إلى موالاة يزيد، فقال أبي : وهل يوالى يزيد مؤمن أو من جعل الله فيه خيراً؟ فقلت له : ولم لا تلعنه إذا؟ فقال : ومتى رايتني لعنت أحداً، وأنت ألا تلعن من لعنه الله ورسوله في كتابه؟ قلت وأين لعنه الله في القرآن؟ فقرأ قوله تعالى : «فهل عسيتم» الآية ، ثم قال : وهل أشدّ فساداً من القتل.

وأورد على هذه الآية عبد المغيث البغدادي في رسالته التي كتبها في منع لعن يزيد ، يقول : نزلت هذه الآية في اليهود وليس لها صلة بغيرهم .

وأجابه ابن الجوزي أنّ راوي اختصاص نزولها في اليهود مقاتل وحده، وأجمع المحدثون على تكذيبه مثل البخاري ووكيع والساجي والرازي والنسائي

ص : 253

1- الإسراء : 60 .

2- النساء : 93 .

3- محمد : 22 و 23

وغيرهم، وهل يكون مع قول أحمد في نزولها في المسلمين قول آخر مقبول؟ ولو سلّمنا جدلاً نزولها في اليهود، فإن خصوص المورد لا يوجب خصوص الحكم كما هو مقرر في علم الأصول.

الآية الثالثة: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا» (1). وما من شك بأن يزيد أذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين وفاطمة، وبناءً على ما ذكره البخاري ومسلم في الصحيحين ورواه أحمد في المسند كما سلف في أوائل الكتاب (2) وإيذائهم إيذاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتبين مما تقدم أن لعنه مصرّح به في القرآن، ولعل أهل السنة والجماعة يجنحون إلى لعنه أكثر من جنوحهم إلى تكفيره.

قال عليّ بن برهان الشافعي فيما حكى عنه في سيره ناقلاً عن الكيا الهراسي ما لفظه وقد استفتى الكيا الهراسي من أكابر ائمتنا معاشر الشافعية وكان من رؤوس تلامذة إمام الحرمين عن يزيد هل هو من الصحابة؟ وهل يجوز لعنه؟ فأجاب بأنه ليس من الصحابة لأنه ولد في أيام عمر بن الخطاب، ولإمام أحمد قولان في لعنه تلويح وتصريح، وكذا للإمام مالك وكذا لأبي حنيفة، ولنا قول واحد التصريح دون التلويح، وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالترد والصياد بالفهد ومدمن الخمر وشعره في الخمر معلوم، انتهى. ونقل هذه المقالة ابن خلكان في ترجمة الكيا الهراسي المسمّى عليّ بن محمد ابن علي الطبري عنه.

ومحصل القول أنّ الأئمة الأربعة متفقون على جواز لعن يزيد بل انعقد

ص: 254

1- الأحزاب: 57.

2- في شرح: «لعن الله أمة أسست أساس الظلم». وما روي لأن العامة: «من حاربكم فقد حارب رسول الله ومن سالمكم فقد سالم رسول الله». (هامش الأصل)

إجماعهم على هذا ، والغزالي خرق الإجماع من الأئمة مضافاً إلى مخالفة القرآن الكريم، بل خالف نصوصه الصريحة كالذي رواه ابن الجوزي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أخاف المدينة أخافه الله ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً .

وهاهنا لطيفة تناسب المقام لا مناص من ذكرها. يقول مجير الدين الحنبلي في كتابه «الأنس الجليل» الذي كتبه في تاريخ القدس والخليل، وهو من كتب القوم الجلييلة، يقول تحت عنوان «مدن وقرى بيت المقدس»: منها إقطاع تميم الداري الذي أقطعه له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي الأرض التي ولد بها بلد سيّدنا الخليل عليه الصلاة والسلام ، وما حولها من الأرض، وكتب له في ذلك قطعة أديم من خف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بخطه .

وقد حكى المؤرخون لفظ الإقطاع على وجوه مختلفة ، وقد رأيت عند التكلّم على الإقطاع المشار إليه القطعة الأديم التي يقال إنّها من خفّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقد صارت رذّة وفيها بعض أثر الكتابة، ورأيت معها ورقة مكتوبة في الصندوق الذي فيه القطعة الأديم منسوب خط هذه الورقة إلى أمير المؤمنين المستنجد بالله العباسي تغمده الله برحمته ، كتب فيها نسخة الإقطاع وصورة ما كتبه المستنجد بخطه :

الحمد لله ، هذه نسخة كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كتبه لتميم الداري وإخوته في سنة تسع من الهجرة بعد منصرفه من غزوة تبوك في قطعة أديم من خفّ أمير المؤمنين علي وبخطة نسخته كهيتته رضي الله تعالى عنه وعن جميع الصحابة : بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أنظاه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التميم الداري وإخوته حبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت إبراهيم وما فيهنّ نطيّة بت بينهم ونفذت وسلّمت ذلك لهم ولأعقابهم ؛ فمن آذاهم آذاه الله ، فمن آذاهم لعنه الله.

شهد عتيق بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وكتب علي بن أبي طالب وشهد، وقد نسخت ذلك من خط المستنجد بالله كهيئته، ولعلّ هذا أصح ما قيل فيه، والله أعلم.

واستمر هذا الإقطاع بيد ذرّيّة تميم الداري يأكلونها إلى يومنا وهم مقيمون ببلد سيّدنا الخليل عليه الصلاة والسلام، وهم طائفة كثيرة يقال لهم: الدارية، وهذا ببركات النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وتقدّم عند ذكر الصحابة أن تميم الداري كان أميراً على بيت المقدس وق--د تعرّض بعض الولاة لآل تميم وأراد انتزاع الأرض منهم ورفع أمرهم إلى القاضي أبي حاتم الهروي الحنفي قاضي القدس الشريف فاحتج الداريون بالكتاب، فقال القاضي: هذا الكتاب ليس بلازم لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقطع تميماً ما لم يملك، فاستفتى الوالي الفقهاء وكان الإمام أبو حامد الغزالي الله حينئذ ببيت المقدس قبل استيلاء الإفرنج عليه، فقال: هذا القاضي كافر فإنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: زويت لي الأرض كلها، وكان يقطع الجنة فيقول: قصر كذا، لفلان، فوعده صدق وعطاؤه حقّ، فخزي القاضي والوالي وبقي آل تميم على ما بأيديهم، وكانت هذه الحادثة حين كان أبو بكر ابن العربي بالشام، وتقدّم في ترجمته أنه دخل إلى الشرق في سنة خمس وثمانين وأربعمائة وقدم إلى الشام وبيت المقدس. (1)

كان هذا كلام صاحب تاريخ بيت المقدس، وتميم بن أوس الداري هذا له ترجمة في أسد الغابة و(السحابة) (كذا) (2) وغيرهما من الكتب التي ترجمت للصحابة.

ويشتمل هذا الحديث على ثلاث فوائد

ص: 256

1- مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل 2: 81 و 82 ط المكتبة الحيدرية - النجف 1386 هـ. (المترجم)

2- لعله يريد الإصابة.

الأولى : يظهر للإنسان الناظر فيه كيف يلعن النبي من أذى أولاد تميم الداري ولكنه لا يلعن من أذى أولاده (هذا لا يجوزه عاقل فضلاً عن فاضل وإن جوزه الخبيث الجاهل (1)).

الثانية : بيان أحوال علماء أهل السنة وولاتهم وكيفية مخالفتهم للنصّ النبوي الصريح، وكيف يجتهدون في مقابل النصّ ويحكمون بخطأ المشرع في إقطاع الأراضي ، وورثوا هذا الاجتهاد من خليفتهم (لعنه الله) الذي منع من كتابة الكتاب وحكم بهذيان النبي صلى الله عليه و آله وسلم . وقال في موضع آخر: «متعتان محللتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما».

الثالث : إنّ الغزالي حكم بكفر هذا القاضي ولم يحكم بكفر يزيد الذي قطع فرع شجرة النبوة وأنكر الشرع والشارع صراحة ، ونفى البعث والوحي والكتاب ويدعي هو الإسلام في حين يرى عدو الله ورسوله وقاتل ذرّيّة البتول مسلماً بالله ويا للمسلمين أهون بهذه الشريعة والملة وأهون بهذا المذهب والطريقة.

وأما قوله : «كلّ من لعن يزيد فهو فاسق وعاص فلقد سمعت أولاً أن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ، وثانياً : الأئمة الأربعة، وثالثاً علماء المذهب كما عرفت في كلام شارح المقاصد ذلك، فإن قصد الغزالي بحكمه عموم الأمة فهو كفر صريح، وإن قصد العلماء من مذهبه ونسب إليهم الفسق والعصيان فإننا نتفق معه على فسقهم وعصيانهم وإن خالفناه في الاستدلال .

وأما قوله : «لو جاز لعنه» إلى آخره، فهو كلام سخيّف ومنهار من أساسه، لأنّ ترك لعن الكفّار والمنافقين ناشى من الكفر والنفاق ، كترك لعن إبليس، بل لعن يزيد وأمثاله أشدّ لزوماً من لعن إبليس كما عرفت الفرق في كلام الرجل الزيدي

ص: 257

1- هذه العبارة جاءت بالعربية . (المترجم)

الذي سلف .

وأما قوله: «من أين يعلم» الخ ، فهو كلام ضعيف وظاهر الفساد ، لأن القصد من لعنة شخص هو الدعاء عليه باللعنة مثل لعنة الله ، واللهم العنة ، وهو إنشاء ، وليس إخباراً ، ومعناه الطلب من الله أن يبعده من رحمته وليس إخباراً عن الغيب هذا أولاً ، وأما ثانياً فإن البعد من رحمة الله يعرف بإخبار الأنبياء الذين هم سفراء الله .. تعالى بينه وبين خلقه ؛ لأن الجنة دار القرب من الله ، والنار دار البعد عنه ، فمن أخبروا عنه أنه من أهل الجنة كان قريباً من رحمة الله ، ومن أخبروا عنه أنه من أهل النار فهو البعيد عنها ، وفهم هذا المطلب يعود إلى الشرع ويسهل فهم المسألة في الرجوع إليه .

وأما جواز الترحم على يزيد لعنه الله واندرجه في عموم قوله : «اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات فهو من باب زاد في الشطرنج بغلة (1)وزاد في الطنبور نغمة وإلا فلم يسمع من أحد من علماء الإسلام إلا عن عبدالمغيث البغدادي صاحب الرسالة في المنع من لعن يزيد ومحبي الدين ابن العربي وعبدالقادر الجيلاني وعامة النواصب ، وليس واحد منهم مسلماً فلم يلتزم بذلك غيرهم ، وإن كان من لوازم مذهبهم كما سوف تعرفه إن شاء الله .

وكيف كان فقد انتقض - ولله الحمد - غزل الغزالي ، وانصرم جبل كيده وضلالته ، ودمرنا على بنيان بيانه المؤسس على شفا جرف هار من غيّه وضلالته.

نادرة

وعن عجائب الأمور أنّ الغزالي مع إصراره الشديد على المنع من لعن يزيد وإنكاره رضاه بقتل سيدالشهداء ، يعجب في كتاب (سرّ العالمين) من أولئك

ص: 258

1- لأول مرة أعر على مثل مثل هذا في اللغة العربية. (المترجم)

الذين ينكرون نسبة القتل إلى يزيد بعد عدة كلمات في ردّ خلافة الخلفاء الثلاثة ، وبيان غلبة الهوى والعصبية عليهم، ومن المناسب نقل نفس عبارته في هذا الكتاب ليظهر للعين تهافته الصريح وتناقضه الواضح بين كلاميه واعترافه هذا من فضل مذهبنا الحق الذي يعترف خصومه بين الفينة والفينة لإتمام الحجّة

، الإلهية وبالإمدادات من فيوض الولاية، فهدراً باللوازم والمؤيدات لهذا المذهب «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتَةِ وَيْحَيِّ مَنْ حَيَّ عَن بَيْتَةِ» (1).

قال الغزالي في كتابه المسمّى بسرّ العالمين وكشف ما في الدارين :

المقالة الرابعة في ترتيب الخلافة : اختلف العلماء في ترتيب الخلافة وتحصيلها لمن آل أمرها إليه ، فمنهم من زعم أنها بالنص، ودليلهم قوله تعالى «قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّدَعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» (2) وقد دعاهم أبو بكر إلى الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجابوه .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى : «وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ...» (3) الآية قال في الحديث : إنّ أباك هو الخليفة من بعدي يا حميراء ، وقالت امرأته : إذا فقدناك فيألى من نرجع ؟ فأشار إلى أبي بكر ، ولأنه أمّ بالمسلمين على بقاء رسول الله والإمامة عماد الدين، هذا جملة ما يتعلّق به القائلون بالنصوص.

وقالوا : لو كان على أول الخلفاء لانسحب عليهم ذيل الفناء ولم يأتوا بفتوح ولا مناقب، ولا يقدر في خلافته كونه رابعاً للخلفاء كما لا يقدر في نبوة رسول

ص: 259

1- الأنفال : 42 .

2- الفتح : 16 .

3- التحريم: 3.

الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان آخرًا.

والذين عدلوا عن هذه الطريقة زعموا أنّ هذا تعلق فاسد جاء على زعمكم وأهويتكم ، فقد وقع ميراث في الخلافة والأحكام مثل داود وسليمان وزكريا ويحيى ، قالوا: كان لأزواجه ثمن الخلافة فبهذا تعلقوا ، وهذا باطل ، إذ لو كان ميراثاً لكان العباس أولى ، لكن أسفرت الحجة عن وجهها وأجمع الجماهير على متن الحديث عن خطبة يوم غدیر خم باتفاق الجمعي ، وهو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال عمر : بخ بخ يا أبا الحسن ، لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، وهذا تسليم ورضا وتحكيم ، ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرئاسة وحمل عمود الخلافة وعقود البنود وخفقان الهوى في قعقة الرايات واشتباك ازدحام الخيول ، وفتح الأمصار ، سقاهم كأس الهوى فعادوا إلى الخلاف الأول ، فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشتررون .

ولما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال قبل وفاته : ايتوني بدوات وبياض لأزيل عنكم إشكال الأمر وأذكركم من المستحق بعدي قال عمر: دعوا الرجل فإنه لي هجر وقيل : يهذي .

فإذا بطل تعلقكم بتأويل النصوص فعدتم إلى الإجماع وهذا منقوض أيضاً فإن العباس وأولاده وعلياً وزوجته وأولاده لم يحضروا حلقة البيعة وخالفكم أصحاب السقيفة في مبايعة الخزرجي .

ودخل محمد بن أبي بكر على أبيه في مرض موته ، فقال : يا بني ، انت بعمك عمر لأوصي له بالخلافة ، فقال : يا أبا ، أكنت على حق أو باطل ؟ فقال : على حق ، فقال : أوص بها لأولادك إن كان حقاً ، ثم خرج إلى علي عليه السلام وجرى ما جرى (1).

ص: 260

1- لا يصح هذا الخبر مطلقاً لأن عمر محمد عند وفاة أبيه سنتان اثنتان فكيف حاوره بما حاوره به . (المترجم)

وقوله على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أقيلوني فلست بخيركم أفضاله هزلاً- أم جداً أم امتحاناً؟ فإن كان هزلاً فإن الخلفاء منزّهون عن الهزل، وإن كان جداً فهذا نقض للخلافة، وإن كان امتحاناً فالصحابة لا- يليق بهم الامتحان لقوله تعالى: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ» (1) فإذا ثبت هذا فقد صارت إجماعاً وشوري بينهم، هذا الكلام في الصدر الأوّل .

وأما في زمن عليّ ومن نازعه فقد قطع الشرع قولكم في الخلافة بقوله : إذا بويع الخليفتان فاقتلوا الآخر منهم ، والعجب كلّ العجب من حق واحد كيف

ينقسم ضربين، والخلافة ليست بجسم لا ينقسم، ولا بعرض يتفرّق، ولا بجوهر يحدّ، فكيف تباع أو توهب .

وفى حديث أبي حازم أوّل حكومة تجري في المعاد بين عليّ ومعاوية فيحكم لعليّ بالحق والباقون تحت الشبه .

وقول المشرع لعمر بن ياسر : «تقتلك الفئة الباغية» فلا ينبغي للإمام أن يكون باغياً والإمامة ضيقة لشخصين كما لا تليق الربوبية لاثنين .

أما الذين بعدهم طائفة تزعم أن يزيد لم يكن راضياً بقتل الحسين عليه السلام فأضرب لكم مثلاً في ملكين اقتتلوا فملك أحدهما الآخر أفتراه يقتله العسك-ر في غير اختيار صاحبها إلا غلطاً، ومثل الحسين لا يحتمل حاله الغلط لما جرى من القتل والعطش والسبي وحمل الرأس إجماعاً من جماهير المسييرين ، وقتل الأمة المغنية حيث مدحت عليّاً في غنائها أفتراه قتلها بغضاً لعليّ أم لها ؟

وقول يزيد بن معاوية لعليّ بن الحسين زين العابدين : أنت ابن الذي قتله الله ؟

ص: 261

قال : بل ابن الذي قتله الناس ، ثم تلا قوله تعالى : «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا» (1) أفتراك يا يزيد تجعل جهنم لربك جزاءً وتخلّده فيها وتغضب عليه وتلعنه وتعدّ له عذاباً عظيماً؟!

فإن قلت : هذه البراهين معطلة لا يحكم بصحتها حاكم الشرع ، فنقول في حججكم مثل ما تقولون .

ثم إجماع الجماهير بشتم عليّ على المنابر ألف شهر أمرم الكتاب أم السنّة أم الرسول ؟ ثم الذين بعدهم من غيرهم أخذوها نصاً أم سنّة أم إجماعاً؟ لكن أخذوها بسيف أبي مسلم الخراساني، فانظروا إلى قطع إجماعكم بسيف الشرع حيث قال : لكم الخلافة بعدي ثلاثون ، ثم يتولّى ملك جبوت، وبقوله للعبّاس : يا أبا الأربعين ملوكاً، ولم يقل خليفة ، والملوك كثير والخليفة واحد في زمانه انتهى .

وبه نقض إبرامه فيا عجباً من تهافت قوله وتنافر كلامه ، ومن هذه الجهة نسبه بعضهم إلى التشيع (2) بل يقولون إنه التقى السيد الأجل المرتضى، وأسلم على يديه ونسبوا إليه الشعر التالي :

يار بر من عرض ايمان كرد ورفت *** پير كبرى را مسلمان كرد ورفت

لقد قدم الإسلام لي ثم عافني *** فأسلم شيخ كافر ثم أسلمه

وكانت ولادة الغزالي بعد مضي سنين من وفاة السيّد المرتضى، لذا قالوا : إنّه السيد مرتضى الرازي صاحب (تبصرة العوام) ولا زال عالماً بخاطري أنّ الفاضل

ص : 262

1- النساء : 93

2- يعني الشهيد القاضي التستري في مجالس المؤمنين، وأنا أشك أن يكون هذا الكتاب للغزالي لأنه بعد عن روحه وأسلوبه بعد السماء عن الأرض . (المترجم)

المحقق الكرمانشاهي ابن الأستاذ الأعظم في المقام انتصر لهذا الاحتمال واعتبره السيد المحقق الشهيد على جاري عاداته في تكثير عدد الشيعة في قبال ادعاء أهل التسنن الباطل من أن التشيع صناعة صوفية.. من الشيعة بل من علمائهم، وهذا المحقق العالم وإن كان معذوراً وعند أجداده الكرام مأجوراً على اتخاذ هذه الخطة لكننا بحمد الله لسنا بحاجة إلى رجل كالغزالي لأن في عالم التشيع المئات من أمثال الغزالي من الحكماء الراسخين والعرفاء الشامخين والفقهاء

الراشدين والصلحاء الزاهدين من علماء الشيعة، فما الحاجة إلى تفتيق مثله؟!

والطائفة التي فيها مثل أستاذ البشر الخواجه نصير الذي اعتبره المؤلف والمخالف استناداً مسلماً به فيسبغون عليه أحياناً لقب أفضل المحققين وأحياناً يسمونه العقل الحادي عشر، وأحياناً سلطان الفقهاء والحكماء والوزراء كما جاء في إجازة الشهيد الثاني للشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي، ويقولون أحياناً عنه أفضل أهل عصره في العلوم النقلية كما شهد بحقه العلامة والمحقق الثاني. وتارة يقولون عنه: أفضل من شاهدناه في الأخلاق كما قال ذلك العلامة في إجازته بني زهرة.

ومصنّف الزيج الخاقاني المدعو ميرزغ بيك، فقد أثنى عليه ثناءً بليغاً، وصدر العلم والعلماء عنه في سرور وجدل(1).

ص: 263

1- قال فيه: وكان في مواقع بعض النجوم تقديم وتأخير فرصتنا الخسوفات بقدر الوسع وعدلنا موقع القمر مع باقي الكواكب طبقاً للرصد الذي وضعه الفيلسوف بحق والحكيم المطلق المولى الأعظم والحبر الأعلّم، مظهر الحقائق، ومبدع الدقائق، أستاذ البشر، أعلم أهل البدو والحضر، متمم علوم الأوائل والأواخر، كاشف معضلات المسائل والمآثر، سيّد الحكماء، أفضل العلماء، سلطان المحققين المدققين، ينبوع الحكمة، نصير الملة والدين، محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، قدس الله نفسه، وزاد في حظائر القدس أنسه، لأنّ من المعلوم بلوغه جميع العلوم إلى درجة الكمال لاسيما فـنّ الرياضات، بل هو المتمم والمكمل لهذا الفنّ، ولو نظرت إليه بعين الانصاف لعلمت أنه خلاق علومه - إلى أن قال: - هو شمس أوج الكمال، وفنّان نحن في قبالة بمنزله الدرّة، حاش لله بل أقل منها. ويشهد لنا على هذا المدعى القوشجي في أول شرحه - مع شديد عداوته ومخاصمته له في المذهب، ونسخته معروفة.. ويقول المحقق عليه الرحمة في رسالة (التياسر): حري في نثار الفرايد المولى أفضل علماء الإسلام وأكمل فضلاء الأنام، نصير الدنيا والدين، محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، أيّد الله بهمته العالية قواعد الدين ومدركاته، ومهد بمباحثه السامية بنيانه - إلى أن قال: وفرض على من يقف على فوائد هذا المولى الأعظم من علماء الأنام أن ييسطوا لديه الاتقياد والاستسلام، وأن يكون قصاراهم التقاط ما يصدر عنه من جواهر الكلام، فإنه شفاء الأنفس وجلاء الأفهام، غير أنه - ظاهر الله إجلاله ولا أعدم أوليائه فضله وإفضاله - سوّغ لي الدخول في الباب وأذن لي أن أورد ما يخطر في الجواب. فانظر إلى اعتراف المحقق الذي انعقدت عليه الخاصة بفضله ووجوب الاستسلام لديه وإنه أفضل علماء الإسلام. (منه)

وما أحسن ما قاله الأستاذ الأعظم البهبهاني في تعليقه رجال الميرزا: لا يحتاج إلى التعريف لغاية شهرته مع أن كَلِّمًا يقال فيه فهو دون رتبته .

والحقُّ يُقال: إن ألفاً مثل الغزالي وخيراً من الغزالي عليهم أن يلتقطوا الحب من بيادر تحقيقات هذا المحقق الشهير والعلامة الكبير، بل لو نظرت بعين الانصاف ونبذت العصبية جانباً لاعتبرت الخواجه أفضل علماء بني آدم(1) من بدو الدنيا إلى يومنا هذا.

ويكفي في فضله أن علماء الفرنجه جعلوه في كتابه «المجسطي» في قبال إعجاز القرآن حين أنكروا العجز عن الإتيان بمثله ، وردوا على الإسلام ونقضوا

ص: 264

1- وهنا ينبغي أن يحد شيخنا الكريم من غلوه في هذا الفيلسوف العظيم فإنَّ حكماً كهذا الحكم يعتمد على الاستقراء أو الحصر العقلي وكلاهما غير متيسر في حق المؤلف، ثم علينا أن ننظر بعين الواقع إلى رجالنا لئلا نضيع علينا حقائقهم في ظل المبالغات . (المترجم)

عليه بما قالوا بأن الزمن لم يأت بمثل الخواجه في المجسطي. (1)

وقد جعله صاحب كشف الظنون وغيره في المرتبة الأولى من الطبقة الأولى من المصنّفين، واعترف بأن له على جميع أهل العلم حقاً ظاهراً تجب مراعاته، ولقد بلغ من الفضل والتحقيق أن إشكالاً واحداً في عبارة التجريد ف-ي ب-ح-ث الماهية متوهماً حمل السعد التفتازاني على عدم الرضا بنسبة الكتاب إليه لعدم تصديقه بصدور خلاف منه، وقال: إن هذا ينبئ عن أن نسبة هذا الكتاب لغير هذا المحقق، مع أن شأن كتاب التجريد أجل من أن يُنسب إلى غيره، وهذا هو كلام التفتازاني مع ظهور عداوته ومنافسته للخواجه الذي ما يزال أتباع السعد يجأرون من صدمة بنانه وبيانه وحدة سيفه وسنانه. والحمد لله على وضوح الحجّة.

واعتبر الصلاح الصفدي في (شرح لامية العجم) الخواجه من الذين لم يبلغ أحد شأوهم في فنّ «المجسطي» (2) وخصه بالمجسطي عناداً وحسدًا.

ص: 265

1- وأربأ بسيدي الشيخ عن مثل هذا الدليل الفج على فضل الشيخ لأنه باطل من القول، وكيف يجعل الباطل دليلاً على الحق، وإن للفرنجية وعلمائهم رأياً مختلفاً في القرآن، وما منهم أحد إلا وهو ينظر إلى القرآن بعين الحقد الصليبية ولو أنهم يتأتى لهم لفصلوا عليه حتى مؤلفات «أجاثا اكريستي». (المترجم)

2- اختلفت الأقوال فيه: فقال بعضهم: إنّه كتاب وضعه كاهن مجوسي يدعى مجست، في أحكام عبادة النار. وقال آخرون: إنّه اسم كتاب كتبه اقليدس الفيلسوف اليوناني في علم الرياضيات. وقال آخر: إنّه رسالة كتبها بطلميوس ولا ارتباط له بطقوس النار. ومنهم من قال: هو كتاب في الرياضيات يشتمل على دلائل علم الهندسة وأصولها وأشكالها، وضعه بطلميوس وكان في الأصل يطلق على علم الهيئة وعلم الأفلاك والأرض ومقادير الحركات وكميات الأبعاد والأجرام، ويدعى في اليونانية بعلم الترتيب، لأنّ هذا العلم لم يكن قبل بطلميوس بهذا الترتيب، وقال بعضهم إنّه نتاج أفكار اقليدس، وفعلاً إن الترجمة التي كتبها نصير الدين الطوسي هي من وضع هذا الفيلسوف، وإذا رجعنا إلى أصوله في اليونانية نراه يسمى «مكيس سونتاكسين» أي الترتيب العظيم فعربه العرب إلى مجسطي وحلوه بلام التعريف فصار المجسطي، ودخلت هذه الكلمة المعربة إلى اللغة الفرنسيّة هكذا: «الماژست». وقال بعضهم: إنّها رسالة في علم الهيئة تأليف بطلميوس القلوذي لا- اقليدس، وليست كتابين. (راجع موسوعة دهخدا مادة مجسطي - المترجم) وقال في موسوعة المورد: المجسطي موسوعة فلكية ورياضية ألفها عالم الفلك اليوناني بطلميوس حوالي العام 140 للميلاد، كانت مرجعاً رئيساً لعلماء الفلك العرب والأوربيين حتى مطلع القرن السابع عشر تقريباً، ترجمت إلى العربية نقلاً عن السريانية عام 828 للميلاد ثم ترجمت إلى اللاتينية نقلاً عن العربية في الثاني من القرن الثاني عشر وهي تقع في ثلاثة عشر كتاباً. (راجع موسوعة المورد 12111 مادة مجسطي - المترجم)

خجسته رهنموی ذوفنونی***که در هر یک بود چون مرد یک فن

في كل فن بارع كأنه***لم يتخذ سواه يوماً فنه

وجملة القول أنّ فضائل هذا البحر المّواج الذي هو في ظلمات الجهل سراج وهاج ، أعظم من أن تلخص في هذه الصفحة.

وياعجباً منّي أحاول وصفه***وقد فنيته فيه القراطيس والصحف

ونعم ما قيل:

كتاب فضل تورا آب بحر کافی نیست***که ترکی سر انگشت و صفحه بشمارى

كتاب فضلك لا يكفي لقارنه***يم يندي به أطراف أصبعه

فيكشف الصفحات الغرّ مائدة***تفني المياه ولم يبلغه لمطلعه

ومع وجود هذا البحر الذي ليس له ساحل وهو أستاذ علماء الدنيا فما حاجتنا للتباهي بأمثال الغزالي وما غرضنا بأشباهه وإنما خصصنا الذكر بالعلامة الطوسي قدس الله سرّه القدّوسي لقوّه امتيازه بجامعيّة فنون الكمالات وأخذه بأطراف صنوف العلوم وجمعه شتات أنحاء الفضائل، وتسالم الكل على رجحان وزنه

ص: 266

وجلاله قدره، وإلا والحمد لله تعالى فإنّ لنا في جميع العلوم العقلية والحكمة العملية والنظرية من الإلهي والطبيعي والرياضي والطب وغيره وجميع العلوم الإسلامية من الحديث والتفسير والرجال والفقه والأصول والكلام والأدب واللغة والنحو والصرف والشعر والتاريخ وغير ذلك رجالاً فحولاً صنّاديد، وأسانيد نبغوا في هذه الطائفة من القيروان إلى القيروان(1) وسطعت أنوار فضلهم على العالم وكل واحد في فنّه أعظم من الغزالي مائة مرّة كما وردت أسمائهم الشريفة في الكتب المؤلّفة في هذا الفنّ، والحديث في هذا المضمّار وإن طال إلا أنه لا يخلو من فائدة .

وعلى كل حال، فإنّ المظنون بل المتيقن في الغزالي هو النصب والعداوة المعهودة لاسيما إذا دققنا في سائر مواضع كتاب (سر العالمين) وتصريحه بالمطالب التي ذكرناها هو من باب تأييدات الهيئة لإظهار المناقب والمثالب على لسان الأعداء ليظهر الحق وتتمّ الحجّة عليهم وتطمئن قلوب المؤمنين، ونحن نعمل بفتواه ضدّه ونختم كلامنا بهذا الدعاء : (اللهم العن الغزالي إن مات على ضلالته ولم يرعو عمّا كان عليه من غيّه وجهالته) (2).

الإزام وإرغام

مقتضى أصول أهل السنة وقواعدهم ما قاله الغزالي ، وما ذكرناه نحن في هذا المجال إنّما هو على سبيل الإلزام والجدل لا الالتزام بجميع مقدمات مذهبهم ، لأن لازم مذهبهم الأساسي هو أن يزيد لعنه الله إمام حق وطاعته واجبة ، وسيد الشهداء

ص: 267

1- القيروان وزن شيروان تقال لحدود مجموع العالم والقيروان اسم مدينة في المغرب وتقال أيضاً للمشرق والمغرب. (هامش الأصل نقلاً عن البرهان القاطع)

2- العبارة بين قوسين غربية من المؤلف . (المترجم)

خارج عليه والعياذ بالله فقتله بحق كما اعترف بذلك بعض علمائهم⁽¹⁾، وشرح هذا المقام هو ما قاله صاحب المقاصد ، يقول :

تتعقد الإمامة بطرق متعدّدة منها بيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس إذا أمكن حضورهم مجلس عقد البيعة ولا يشترط عدد مخصوص ولا يشترط أيضاً اتفاق أهل سائر البلاد، بل لو انعقد البيعة بواحد من أهل الحلّ والعقد لكفى .

وإنّما يقول هذا لأنه من المسائل المقطوع بها المتواترة ونقل مجمله في الصحاح السنّة ولم يحضر بيعة الأوّل أمير المؤمنين ولا الحسنان وابن عباس وبنو هاشم كافة وجماعة من الصحابة أمثال سلمان والمقداد وأبي ذر وأبي الهيثم بن التيهان وخالد بن سعيد والزيير وجماعة أخرى، وتخلّفوا عنها إلى مدّة، وبناءً على هذا لا يكون الإجماع على خلافة أبي بكر حاصلاً، وكان تصديه للخلافة هذه المدّة فسوقاً وعصياناً، وهذا هدم الخلافة وإبطال لقياس الجلافة . پ

فتصدى لدفع هذا الإشكال العضدي في المواقف والبيضاوي في الطوالع والتفتازاني في المقاصد وشرحه، ومير سيّد شريف في شرح المواقف وغيرهم على النحو التالي :

ليس المراد من أهل الحل والعقد إجماعهم كلّهم بل تعقد الخلافة ببيعة الواحد والاثنين منهم كما حصل الإجماع بهذه الكيفية على بيعة أبي بكر ومثله عمر، وصار واجباً على غيرهم اتّباعهم.

وفي كلام شارح المقاصد دقيقة زادت على غيره ونشير إليها، وهي :

لم يدخل في أهل الحل والعقد من عدى عمر ، فأمر المؤمنين والحسنان

ص: 268

1- هو الفقيه الأندلسي أبو بكر بن العربي لعنه الله صاحب كتاب العواصم من القواصم (المترجم)

وفاطمة سلام الله عليها ووجوه بني هاشم ليسوا من أهل الحل والعقد، ومثلهم سائر الأكابر من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان، سبحان الله! يهبط جبرئيل في بيت عليّ ويقوم الإسلام بسيفه ولا يؤخذ رأيه في بسط وقبض عمل الإسلام سبحانه هذا بهتان عظيم.

ومجمل القول؛ يقول شارح المقاصد:

الطريق الثاني من طرق إثبات الخلافة الاستخلاف ونصّ الإمام السابق على الإمام اللاحق.

والطريق الثالث: قيامها بالقهر والاستيلاء، إذامات الإمام السابق وقام من بعده اللاحق المؤهل لها والجامع لشرائط الإمامة فتصدى للأمر بالشوكة القاهرة فإنّ الخلافة تتعقد له (حين يسلم من معارض يساويه) (1) وإن كان جاهلاً فاسقاً على الأظهر (2) تمّ كلام التفتازاني (3).

ومن الواضح أن الطرق الثلاثة تحققت في خلافة يزيد:

أما الإجماع فإن أهل الشام جميعاً بايعوه بل أخذت له البيعة في حياة معاوية حين أرسل إلى الأطراف والأكناف من أخذ له البيعة كما يظهر ذلك من تواريخهم المعتمدة، بل الإجماع على بيعة يزيد أشدّ إحكاماً منه على بيعة أبي بكر لأنه ببينة عمر واحد صار إماماً، وهذا بايعته الألوف من الناس الذين كل واحد منهم عمر

زمانه، وكان على الباقيين متابعته.

وأما نصّ الخليفة السابق عليه فقد نص عليه إمامهم معاوية وهو واجب الطاعة

ص: 269

1- أضفت هذه العبارة لعلمي بدخولها في مجموع رأيهم وإن كان المؤلف أهملها. (المترجم)

2- شرح المقاصد 2: 271 و 272.

3- العبارة مترجمة.

ويقول ابن حجر في الصواعق وفي رسالة (تطهير الجنان) الذي كتبه في إثبات فضائل معاوية ، يقول : أصبح معاوية بعد صلح الحسن إماماً واجب الطاعة مصيباً، وكان قبل ذلك باغياً إلا أنه سار بالعدل في الرعية ولم يكن إماماً ، واجتهد في حربه الإمام أمير المؤمنين والحسن فأخطأ لأنهما إماما حق، ولكن بعد ذلك لم يكن شك في إمامته ولزوم طاعته .(1)

ويقول السيوطي في أوليات معاوية : إنه أول من جعل ولده ولياً للعهد.

وأما القعهر والغلبة فمعلوم لأن كل من قاتلوه قتلهم وأباد حضرائهم، وعلى فرض فسق يزيد فإن ذلك لا ينافي إمامته لما سمعته من شرح المقاصد أن الإمامة مع الشوكة لا- تنافي الفسق والجهل إذا كان منذ البداية، أما الطارئ فلا ينافي الخلافة في جميع أشكالها لأن في أخبارهم لاسيما الصحيحين الحث على لزوم الطاعة ووجوب متابعة السلطان والمنع من شق العصى والخروج على السلطان وإن كان غاية في الفسق ، كما سيرد عليك خبران من البخاري ومسلم.

ويقول شارح العقائد النسفية في ذيل عبارة المصنّف : «ولا يعزل الإمام بالفسق والجور» بعد أن فسّر الفسق بالخروج عن طاعة الله ، والجور الظلم على عباد الله ، وقال : لأنه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الأئمة والأمراء بعد الخلفاء الراشدين ، والسلف كانوا يتقادون لهم ويقيمون الجمعة والأعياد ، ولا يرون الخروج عليهم، ولأن العصمة ليست شرطاً في الإمامة ابتداءً فبقاء أولى تم كلامه بعينه.

بل نقل من جامع الرموز أن السلطان إذا كان واجب الطاعة لم يكن عليه ولاية أحد أعلى منه مرتبة ؛ سواء أعدل أو ظلم . وقال بعضهم : العدالة مشرطة وإطلاق

ص: 270

أدلة متابعة السلطان تشعر بعدم شرطية الإسلام أيضاً. وبناءً على هذا يقول بإمامة يزيد حتى أولئك الذين يعتقدون فسقه.

ومن جملة الشواهد على هذا القول المدعى ، أن خلف خليفتهم المحترم الذي يعتبرونه زاهد الصحابة وهو عبدالله بن عمر كان يرى طاعة يزيد لازمة ونقض بيعته حراماً كما جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم عن نافع مولاة، وقول مسلم: «باب الأمر بلزوم الجماعة» عن نافع قال: جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية لعنهما الله ، فقال : اطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة، قال: إني لم أتك لأجلس ، أتيتك لأحدثك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة .

ورواه بطريقين عن نافع ، وروى بطريق آخر عن زيد بن أسلم عن أبيه معنى حديث نافع عن ابن عمر ، ولفظ حديث البخاري الذي هو أصح الكتب عندهم بعد كتاب الباري: «لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده ، فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ينصب لكلّ غادر لواء يوم القيامة ، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله ، إني لا أعلم غدرًا أعظم من أن يبايع رجل على بيعة الله ورسوله ثمّ ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايعه في هذا الأمر إلا كانت [كان - ظ] الفصل بيني وبينه. (1)

انتهت الحكاية عن رسالة الصمصام القاطع للسيد المؤيد السيد محمد والد السيد الفاضل التحرير السيد دلدار علي الهندي قدّس سرّهما، ونسخة البخاري

ص: 271

1- صحيح البخاري 1: 166 ، سنن البيهقي : 159 ، مسند أحمد 2: 96. (هامش الأصل) رقم الحديث في البخاري 6853 . (المترجم)

عندي إلا أن ضيق المجال عاقلني عن مراجعتها إليها، ولا بأس بعد وثيقة الناقل لاسيما مثل هذا الفاضل. (1)

وظاهر كلام جماعة منهم أن يزيد إمام منصوب عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وملخص المسألة كما يلي: فقد نقل متواتراً عن الفريقين على وجه التسالم: لا ينقضي هذا الأمر حتى يقوم في الأمة اثنا عشر أميراً وخليفة كلهم من قريش. ولفظ البخاري ومسلم مشترك بناءً على ما نقله السيوطي: لا يزال هذا الأمر عزيزاً ينصرون على من ناوهم. (2)

وفي صحيح مسلم: لا يزال أمر الناس ماضياً ما ولاهم اثنا عشر رجلاً.

وروى مسلم أيضاً: إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثني عشر خليفة.

وروى مسلم أيضاً: لا يزال أمر الإسلام عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة.

وفي تاريخ الخلافة عن أحمد: لا يزال الأمر ماضياً...

ونقل عنه أيضاً: لا يزال هذا الأمر صالحاً.

ونقل عن البزار: لا يزال أمر أمي قائماً حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش.

وأخيراً إنهم نقلوا هذا الحديث بسياقات مختلفة بل ادعوا عليه التواتر، وهذا الحديث دليل على أحقية مذهب الشيعة والإثنا عشر رجلاً الذين يستوي عليهم

ص: 272

1- أنظر إلى دقة هذا العالم الكبير فقد أبت ذمته إلا أن يصارح القاري بالمصدر الذي أخذ منه رواية البخاري (المترجم)
2- راجع البخاري رقم الحديث 3808 بغير هذا اللفظ ولكن نفس المعنى، ومثله مسلم رقم الحديث 4658. (المترجم) الحديث والرواية في هذا الموضوع نقل عن النبي بالتواتر، ونقله كتاب عوالم العلوم بالتفصيل مع المستدركات في مجلد النصوص على الأئمة الاثني عشر لتحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي، وإحقاق الحق 13 : 1-74 (هامش الأصل)

لباس الخلافة وتليق بهم الخلافة العظمى والزعامة الكبرى ليسوا سوى الإثني عشر إماماً الذين تعتقد الإمامية بإمامتهم ، بل الأخبار بمثل هذه المغيبات من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وورد التصريح بأسمائهم ونسبهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورواه الشيعة الإمامية ضاعف الله اقتدارها إجمالاً وتفصيلاً بما يفوق حد التواتر ، وكتاب «كفاية الأثر» للشيخ الأقدم علي بن محمد الخزاز القمي الذي لم يُكتب كتاب في جودته في الإمامة عند الشيعة إلى اليوم دليل واضح وبرهان قاطع على هذا المدعى .

ويوجد في مرويات أهل السنة والجماعة أكثر من مائة حديث مصرحة بأسمائهم الشريفة وألقابهم الكريمة ، ومع كل هذا فقد هرع أهل السنة إلى ضيق التأويل وضيقوا على أنفسهم الخناق فوقعوا في حيص بيص من التأويلات والتوجيهات حفظاً لأصولهم وتشيداً لقواعدهم الباطلة ، وألزموا أنفسهم استخراج هذا العدد «اثنا عشر من خلفائهم فذكروا وجوهاً حشر يزيد في غالبها .

منها ما جاء في تاريخ الخلفاء وغيره عن القاضي عياض ، وروي عن ابن حجر العسقلاني صاحب (التقريب) و(فتح الباري) أنه استحسنته ، ومحصل كلام السيوطي هكذا:

قال القاضي عياض : لعل المراد بالإثني عشر في هذه الأحاديث وما شابهها أنهم يكونون في مدة عزّة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس إلى أن اضطرب أمر بني الفتننة زمن الوليد بن يزيد فاتصلت بينهم إلى أن قامت الدولة أمية ووقعت بينهم العباسية فاستأصلوا أمرهم .

قال شيخ الإسلام ابن حجر في شرح البخاري: كلام القاضي عياض أحسن ما قيل في الحديث وأرجحه لتأييده بقوله : في بعض طرق الحديث: «كلهم يجتمع عليه الناس وإيضاح ذلك أن المراد بالاجتماع انقيادهم لبيعتهم، والذي وقع أنّ

الناس اجتمعوا على أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين فتسمى معاوية يومئذ بالخلافة ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن ، ثم اجتمعوا على ولده يزيد ، ولم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك ، ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبدالملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة الوليد ، ثم سليمان ، ثم يزيد ، ثم هشام ، وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبدالعزيز ، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين ، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، اجتمع الناس عليه لما مات عمه ، هشام فولي نحو أربع سنين ثم قاموا عليه فقتلوه وانتشرت الفتن وتغيرت الأحوال من يومئذ ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك .(1)

ويظهر من هذا الكلام أن يزيد من الخلفاء المنصوص عليهم ، والعجيب في أمر هؤلاء أنهم لم يذكروا معاوية بن يزيد ولا عمر بن عبدالعزيز وكلاهما إمام عادل عندهم ، نعم ربّما كان ذنب معاوية بن يزيد أنه أقرّ بظلم أبيه وجده كما ذكر ابن حجر ذلك في الصواعق المحرقة ، واعترف من حيث لا يشعر بحقيقة المسلك الأموي حيث قال :

ومن صلاحه الظاهر أنّه لمّا ولي صعد المنبر فقال : إنّ هذه الخلافة جبل الله وأن جدّي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحقّ به منه علي ابن أبي طالب ، وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته فصار في قبره رهيناً بذنوبه ، ثمّ قلّد أبي الأمر وكان غير أهل له ، ونازع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقصف عمره وانبت [كذا في الصواعق ، وفي الكتاب : أبت] عقبه وصار في قبره رهيناً ، ثم بكى وقال : إنّ من أعظم الأمور علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأباح الخمر [كذا

ص: 274

في المصدر ، وفي الكتاب : الحرم] وخرّب الكعبة ، ولم أذق حلاوة الخلافة فلا أتقلّد بمرارتها، فشأنكم أمركم والله لئن كذا في المصدر،
وفي الكتاب وإن]

: كانت الدنيا خيراً فقد نلنا منها حظاً ، ولئن كانت شراً كفى ذرّية أبي سفيان ما أصابوا منها ، ثمّ تغيب في منزله حتى مات بعد أربعين يوماً⁽¹⁾. انتهى ما في الصواعق .

وفيه شهادة واضحة لما ادّعيناه في حال يزيد ومعاوية.

وأما عمر بن عبدالعزيز فذنبه ترك سبّ أمير المؤمنين لذلك لم يحسبوه من الخلفاء الإثني عشر.

وألمّ بعضهم بشناعة هذا التقسيم فرتبوا الخلافة على وجه آخر بحيث أخرجوا الوليد الفاسق الذي سلفت الإشارة عنه عنها ، ووضعوا مكانه مروان الملعون وقالوا: انتقل الأمر بعد الخلفاء الأربعة إلى معاوية بصلح الإمام الحسن عليه السلام وبعده يزيد وبعده معاوية ابنه ، ثم وقع الخلاف بين عبد الله بن الزبير ومروان ، ثم استقل مروان بالأمر، ثمّ جاء بعده عبدالملك ابنه ثمّ الوليد بن عبدالملك ثمّ من بعده سليمان ثمّ عمر بن عبد العزيز وهو ختام الإثني عشر .

وروي هذا الكلام أيضاً عن ابن حبان في شرح صحيحه.

ومجمل القول أن القولين مشتركان في عدّ يزيد إماماً ، وكذلك جعلوا الدليل على إمامة يزيد الحديث المتواتر : «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة» الوارد في صحاحهم والمذكور في كتب الفريقين الكلامية ؛ لأن الظروف في زمن يزيد كانت مهية له من الإجماع والنصّ ما لم يتهدأ لغيره، فلا مناص من عدّه إمام زمانه .

«واحتمل بعض متأخريهم من المراد بإمام زمانه هو القرآن» وهذا احتمال

ص: 275

1- الصواعق المحرقة : 224 ط القاهرة . (هامش الأصل)

سخيف جداً لأن ظاهر اللفظ تعدد الأئمة مضافاً إلى ما كان يرويه عبدالله بن عمر - وقد مرّ آنفاً - وهو صريح في هذا المعنى ، وأن لكلّ زمان إماماً .

ونقل ابن أبي الحديد أن عبدالله بن عمر طرق على الحجاج بابه ليلاً ليبيع لعبد الملك كيلاً يبيت تلك الليلة بلا إمام زعم لأنه روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : من مات ولا إمام له (ولم يعرف إمام زمانه - المؤلف) مات ميتة جاهلية⁽¹⁾. وبالطبع إن كان عبدالمملك إماماً فلا مانع من إمامة يزيد .

وجملة القول أن قواعد هذه الطائفة ولوازم أصولها تقتضي إمامة يزيد لعنه الله . بل روي أخباراً أخرى في فضائل يزيد، ومن هنا ينبغي أن يعتبر إماماً مفترض الطاعة، وأن الخروج عليه بغي، والخارج باغ ويستحق القتل كما صرح بعض علمائهم بهذا اللازم مثل عبد المغيث البغدادي في رسالته المنع من لعن يزيد يقول - كما نقل ابن الجوزي في رسالة الردّ عليه - : ذهب قوم إلى أن الحسين كان خارجياً، وعبد الله الرقايوي في (تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين) بعد أن قال في شرح أحوال الإمام الحسين عليه السلام وأن يزيد بن معاوية دس إليه السمّ على يد امرأة من أهل الري فبقي أربعين يوماً عليلاً دنفاً ثم ودّع الحياة الفانية بعد ذلك، يقول عن يزيد:

وفي مدة خلافته أرسل إلى الحسين وقتله لكونه امتنع من البيعة - إلى أن قال : - ولا يجوز لعنه على الراجح ، انتهى .

مع اعترافه بكونه قاتل الحسين عليه السلام لكنه لا ل لكنه لا يرى لعنه جائزاً، وأشار إلى قتل سيّد الشهداء وقال : لكونه امتنع من البيعة فيكون قتله بناءً على هذا سائغاً .

ص: 276

1- شرح نهج البلاغة 13 : 242 . (المترجم) ومرّ الحديث عن صحيح البخاري وصحيح مسلم : 258 (هامش الأصل)

ونقل عن محيي الدين ابن عربي (1) كلاً ما في الصواعق صرّح بجميع ما قلناه على سبيل الإجمال وعبارته هكذا

لم يقتل الحسين إلا بسيف جده أي بحسب اعتقاده الباطل أنه الخليفة والحسين باغ عليه والبيعة سبقت ليزيد ويكفي فيها بعض أهل الحل والعقد وبيعته كذلك لأنّ كثيرين أقدموا عليها مختارين لها هذا مع عدم النظر إلى استخلاف أبيه له، أما مع النظر لذلك فلا تشترط موافقة أحد من أهل الحل والعقد على ذلك (2)، انتهى بالفاظه .

والعجب من بعض الشيعة أنّهم بعد وقوفهم على مثل هذه الأقوال ما زالوا يظهرن الهوى والميل إلى الغزالي ومحيي الدين بزعم أن هذه الفرقة هم أهل العرفان، يا للعجب من رسوخ محبة التصوّف في عروقهم قبل رسوخ محبة التشييع (3) ثمّ إن أراد هؤلاء التصوّف فليجنحوا مع صوفية الشيعة فما الحاجة إلى الميل لأعداء أهل البيت الذين أعرضوا عن معادن العلم كالحسن البصري ومحمد الغزالي ومحيي الدين بن عربي . نعم ، لو أنّهم تابوا فإنّ هذه الشنعة لا تعلق بهم، والظاهر أنّهم بهذه الملاحظة يعمدون إلى توجيه كلماتهم العلمية وقد سبقهم إلى غالباً في أكثر الموارد السيد المحقق الشهيد الثالث ولكننا أفصحنا عن

هذا الزعم، عذره والله العالم .

وجملة القول : إن ابن حجر أراد التفصي عن هذا الإشكال ، فقال : إن حرمة

ص: 277

1- الصحيح أنّه القاضي أبو بكر ابن العربي (هامش الأصل)

2- خلاصة عبقات الأنوار 4 : 237 . (عنه)

3- خفي على المؤلف أن محيي الدين بن العربي المالكي غير ذاك الصوفي، وقد فرق العلماء بينهما بأداة التعريف ؛ العربي للفقيه، وعربي للصوفي، وقد خدعه اتحاد اسميهما ولقبيهما ووالديهما، ولكن الاتجاه مختلف عند الاثنين . (المترجم)

الخروج على الإمام الجائر تتم بإجماع الأمة ولم يحصل إجماع على الحرمة آنذاك، وكان الحسين مجتهداً فاقتضى اجتهاده الخروج فخروجه كان بحق إذاً، ونحن قبلاً أشرنا إلى حديثين عن البخاري ومسلم وجعلنا ذلك شاهداً أن ابن عمر روى أن الخروج على الإمام الجائر وخلع يد الطاعة حرام على كل حال . ومثل هذا الخبر أخبار كثيرة عنهم وردت في مضمونه ولكن ذلك لا يوصل إلى مكان .

وابن الجوزي دلّس تدليساً غريباً وكشف عن لون جديد من ألوان الخيانة في مذهبه، فقد قال في رسالة ردّ مانع لعن يزيد : إنّ الإجماع منعقد على وجوب نصب إمام على الأمة لأنّ انتظام أمر الدين منوط بوجوده ، وللاّمام شروط وصفات عدة اجتمعت بجملتها عند الحسين عليه السلام وقال الفقهاء : لا تجوز ولاية المفضول على الفاضل إلا مع وجود المانع من الخوف أو الجهل بالسياسة ، قال :

«.... ويدلّ على تقديم الأفضل أنّ في الصحيحين من حديث عمر أن أبابكر يوم السقيفة أخذ بيد عمر وبيد أبي عبيدة بن الجراح وقال : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم ، قال عمر : كان والله أن أقدم فيضرب عنقي لا يقربني من ذلك إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبوبكر . هذا حديث

متفق على صحته .

ولما ولّى أبوبكر عمر دخل عليه جماعة فقالوا: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر وقد ترى غلظته؟! فقال أبوبكر : اجلسوني، أبالله تخوّفوني؟ أقول : اللهم استخلفت خير أهلك .

وفي الصحيح : إن عمر لما جعل الخلافة شورى في ستة قال: يشهدكم ابن عمر ، ليس له من الأمر شيء، وقد كان ابن عمر خيراً من ألف يزيد .

ثم يقول : لمّا ثبت بأنّ الصحابة يسعون وراء الأفضل ليقلدوه باعتباره أحقّ، فهل يشك أحد بأنّ الحسين أحق من يزيد بالخلافة؟ كلا، بل لا يشكّون في

أولئك الذين يقلون رتبة عن الحسين مثل عبدالرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عباس ؛ لأن هؤلاء جميعاً لهم الحسب والنسب والنجدة والكفائة والعلم الوافر ، ولا تدنورتبة يزيد من أدناهم، فما الوجه إذن في تقديمه .

تمّ كلام ابن الجوزي بعد حذف ما لا صلة له بموضوعنا ، وفساد هذا القول ظاهر ؛ لأن مدار الخلافة لو كان على الأفضلية بطلت خلافة الثلاثة البتة (1) لأنه لا- يشك عاقل في وجود إنسان بعد النبي في الحسب والنسب والعلم والحلم والشجاعة والسماحة والعقل والرفق والصلابة في ذات الله والجهاد والسابقة وسائر الفضائل التي يعتبرها العاقل فضلاً أو صارت فضائل باعتبار اسلامي قريع (2) لأمير المؤمنين عليه السلام أو قرين.

ومن هذه الجهة أنكر الأشاعرة وجوب تقديم الفاضل ، ونسبة هذا القول إلى مطلق الفقهاء خطأ، واستدلوا على عدم اعتبار الأفضلية بقصة الشورى ، فقد كان بعضهم أفضل من بعض ، فكانوا جميعاً إمام الإمامة في مستوى واحد ، فكيف جعل ابن الجوزي هذه الحكاية شاهداً على تقديم الأفضل، وينبغي أن يقرّ الجميع بفضل أمير المؤمنين وتقدمه كما قال الملا سعد التفتازاني في شرح العقائد :

والانصاف أنّه إن أريد بالأفضلية كثرة الثواب فللتوقف جهة ، وإن أريد كثرة ما يعدّه ذوو العقول من الفضائل فلا جهة له .

وقال بعض المحسّنين من أعيانهم المتأخرين : أى فلا جهة للتوقف بل يجب أن يجزم بأفضلية عليّ كرم الله وجهه إذ قد تواتر في حقه ما يدل على عموم

ص: 279

1- بتشديد التاء ومعناها قطعاً، وهي لفظ عربية وإن دخلت اللغة الفارسية كغيرها من اللغات (المترجم) .

2- قريع صفة للإنسان في عبارة (في وجود إنسان). (المترجم)

مناقبه ، ووفور ، فضائله واتصافه بالكمالات ، واختصاصه بالكرامات. هذا هو المفهوم من سوق الكلام، ولهذا قيل فيه رائحة الرفض، لكنّه فرية بلا مرية ، إذ أكثرية فضائل علي وكمالاته العلية تواتر النقل فيه معنى بحيث لا يمكن لأحد إنكاره ، ولو كان هذا رفضاً وتركاً للسنة لم يوجد من أهل الرواية والدراية سنّي أصلاً، فإيّاك والتعصب في الدين والتجنّب عن الحق واليقين .

وأخيراً على فرض تسليم لزوم الأفضلية فإن تقديم المفضول لحكمة أو مانع جائز كما يقول بهذه الأفضلية أهل بغداد والبصرة، وأشار ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة في مقدّمته قائلاً: الحمد لله الذي قدم المفضول على الفاضل المصلحة اقتضاها (التكليف) الحكمة (1) ومن أين حصل له العلم أن لا يكون هناك مانع ، لأنّ الناس إن بايعوا سيّد الشهداء واستتب الأمر له واستقل به فسوق يثبت إمامة أخيه وأبيه ، وعند ذلك يذري دين أهل السنة بالريح ولا مانع أقوى من هذا المانع ، كما نقل ابن أبي الحديد ذلك عن أحد علماء أهل السنة والجماعة (وهو عليّ بن الفارقي مدرّس المدرسة الغربية ببغداد) :

فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟

قال : نعم .

قلت : فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك عندك صادقة؟

فتبسّم ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسنًا مع ناموسه وحرّمته وقلة دعابته، قال: لو أعطها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً وأدّعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنّها صادقة فيما تدعى كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود.

ص: 280

وقال ابن أبي الحديد وهذا كلام صحيح (1).

والحق يقال أن الرجل صدق، وفهم الوضع جيداً، مضافاً إلى هذا كله فليس سبب الإمامة مطلق الأفضلية بل لا بد من تحقق أسباب ثلاثة لكي يكون الأفضل أحق بالإمامة، ويعتقد السنة في الحسين أنه لا نص عليه ولا شوكة له، ولم يبايعه أحد، فكيف يكون إماماً بالنسبة لهم؟ إنّما إمامه يزيد فحسب، وإن شاء الله سوف يذهبون مع إمامهم يسوقهم الملائكة الغلاظ الشداد إلى دركات الجحيم عندما يأتي «يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم». وقد أجاد مهيار الديلمي حيث قال مخاطباً العرب:

ما برحت مظلمة دنياكم*** حتى أضاء كوكب من هاشم

نبلتم به وكنتم قبله*** سراً يموت في ضلوع كاتم

ثمّ قضى مسلماً من ريبه*** فلم يكن عن غدركم بسالم

ثقفتموا عهوده في أهله*** وجزتم عن سنن المراسم

وقد شهدتم مقتل ابن عمه*** خير مصلاً في الورى وصائم

وما استحل باغياً إمامكم*** يزيد في الطف من ابن فاطم

وها إلى اليوم الظبا خاضبة*** من دمهم مناسر القشاعم

يقول سبط ابن الجوزي: وتطرّق إلى هذه الأمة العار بولايته عليها حتى قال أبو العلاء المعري يشير بالشار إلىها:

أرى الأيام تفعل كل نكر*** فما أنا في العجائب مستزيد

أليس قريشكم قتلت حسيناً*** وكان على خلافتكم يزيد

والغرض من إيراد هذه الجملة هو إثبات أنّ أهل السنّة تخلفوا عن سفينة النجاة

ص: 281

1- شرح نهج البلاغة 16 : 384 (المترجم)

التي تضمنها الحديث المنقول بالتواتر: مثل أهل بيتي كسفينة نوح؛ من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق». وكذلك نقل بالتواتر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي»؛ فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إلى التمسك بالعترة وركوب سفينة نوح، والقوم مهدوا لأنفسهم أصولاً وقواعد يكون يزيد الذي قتل فلذتي كبد رسول الله وريحانتيه أحدهما بسم جعدة والآخر بشفرة - تشمر بن ذي الجوشن لعنه الله، بمقتضاها إماماً مفترض الطاعة، كما التزم نجل خليفته المحترم زاهد الصحابة باعتقادهم بإمامته، ومع أنه لم يبايع أمير المؤمنين كما نقل ذلك في الاستيعاب لابن عبد البر - فقد أصر على بيعه يزيد وبيعة عبد الملك، ولما كان صحابياً فقد وجب الاقتداء به في إمامة يزيد بحكم «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وهذا وحده دليل مستقل.

فتبين من هذا أن يزيد إمام أهل السنة والجماعة وخليفتهم، والحمد لله الذي جعلنا متمسكين بولاية أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين، ووقفنا للبرائة من يزيد

ومستخلفيه من المنافقين بل الكافرين .

ص: 282

الشرح : الأبد كما جاء في الصحاح والقاموس ومنتهى الإرب وغيرها بمعنى الدهر، ويقولون: الأبد الأبيد مثل دهر داهر ، وليل أليل، ويوم أيوم ، وشعر شاعر، وموت مانت، وهم ناصب يعتبرون نفس الصفة موصوفاً، ويشتقون له صفة من لفظه ليدلّ على التكرار والاشتغال على هذا الوصف ويفيد المبالغة ويقولوا في مقام التأيد : أبد الأبدين ودهر الدهرين وأبد الأبيد وأبد الأبدية وأبد الأبدين مثل الأرضين، وأبد الأبد وأبد الدهر ، وأبيد الأبيد.

وهذه الألفاظ تدلّ على الدوام والاستمرار والبقاء والاتصال، ونحن ذكرنا في شرح الجملة: «ما بقي الليل والنهار ثلاثين الليل والنهار» ثلاثين لفظاً من ألفاظ التأيد الجارية على السنة الفصحاء القدمات والمستعملة في محاوراتهم وخطاباتهم، وهذا من ذلك ، وقد ذكرناه هناك ، والله أعلم.

وَهَذَا يَوْمٌ فَرِحَتْ بِهِ آلُ زِيَادٍ وَآلُ مَرْوَانَ بِقَتْلِهِمُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ...

الشرح : يستعمل الفرخ أحياناً بمعنى السرور وأحياناً بمعنى البطر كما جاء في كتب اللغة من الصحاح والقاموس وغيرهما، والمراد بالبطر النشاط مع الغرور (1) ومن هذا الباب قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ» (2) وليس الذم لمطلق الفرخ، ولفظ الزيارة يحتمل المعنيين ، والأنسب بحال زياد و حال آل مروان هو المعنى الثاني، والذي يحتاج إلى شرح من سائر ألفاظ الزيارة شرحناه في الفقرات السابقة .

ومن الصواب هنا نقل ما يدلّ على فرح آل مروان وآل زياد من أقوال الفرقة السنّيّة وما يدلّ على فرحهم هم أنفسهم لأنهم في حقيقة الأمر آل زياد وآل مروان تشملهم اللعنة من هذه الزيارة التي ذكرناه في مواضع من هذا الكتاب لذوي الألباب الذين أصل الحديث معهم .

المسعودي وهو من أعظم علماء الشيعة القدماء كما يظهر ذلك من التأمل في طيات كلماته في مروج الذهب وهو شاهد على ما أقول ، وإن كان يذكر في بعض المواقع من كتابه من باب التقيّة أو الاحتمال أو نقل الخبر الضعيف مطالب مخالفة المذهب الحق ، وهذا المعنى صار سبب الالتباس على المحقق الألمعي أغا محمد علي ابن الأستاذ الأعظم خلافاً للجميع فقد صرّح بعدم تشيعه، ومن رأى كتابه إثبات الوصيّة لا يعتريه ريب في تشيعه، وذكر أبو العباس النجاشي في فهرسته

ص: 284

1- قال في اللسان البطر ، النشاط وقيل التبخر، وقيل احتمال النعمة ، وقيل : الدهش والحيرة، وقيل البطر : الطغيان في النعمة . (لسان

العرب مادة بطر - المترجم)

2- القصص : 76 .

مناقبه ومع هذا فهو معتمد أهل السنّة به يثقون وعليه يعتمدون(1)، ولا يوجد مؤرّخ لم يعتمد عليه من هؤلاء ابن خلدون فإنّه يقول في المقدمة :

وقد دوّن الناس وأكثروا وجمعوا تواريخ الأمم والدول في العالم وسطروا، والذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة، واستفرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخرة وهم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل ولا حركات العوامل مثل ابن إسحاق والطبري وابن الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف عمر الأسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير المتميزين عن الجماهير. بهذه الملاحظة فإنّ النقل عن المسعودي في مروج الذهب الذي طبع مراراً وتكراراً مستقلاً وتبعاً في مصر، وهذا في نفسه دليل على الاعتماد عليه عندهم وقد وردت ترجمته في فوات الوفيات المذكورة بالتفصيل لا يكون خارجاً عن صناعة الجدل، مضافاً إلى أن ابن أبي الحديد وافقه على مذهبه .

جملة القول أنه قال في مروج الذهب مسنداً : قال الحجاج يوماً لعبدالله ب--ن هانئ وهو رجل من أودحي من اليمن وكان شريفاً في قومه، شهد مع الحجاج مشاهده كلّها وشهد معه تحريق البيت وكان من أنصاره وشيعته : والله ما كافأناك بعد ، ثم أرسل إلى أسماء بن خارجة وكان من فزارة أن زوج عبدالله ابن هانئ ابنتك ، فقال : لا والله ولا كرامة، فدعا له بالسياط ، فقال : أنا أزوجه، فزوجه ، ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية أن زوج عبدالله بن هانئ ابنتك، قال : ومن أود ؟ والله لا أزوجه ولا كرامة ، قال هاتوا السيف، قال : دعني حتى أشاور، أهلي، فشاورهم، فقالوا: زوجه لا يقتلك هذا الفاسق، فزوه، فقال له

ص: 285

1- ردّ ابن تيمية كتابه «مروج الذهب» واعتبره من الكتب المخالفة لهم وشاهده على ذلك أن لصاحبه كتاباً اسمه إثبات الوصية .
(المترجم)

الحجّاج : يا عبدالله قد زوّجتك بنت سيّد بني فزارة وابنة سيّد همدان وعظيم كهلان ، وما أود هنالك

فقال : لا تقل أصلح الله الأمير ذلك، فإنّ لنا مناقب ما هي لأحد من العرب.

قال : وما هي هذه المناقب ؟

قال : ما سبّ أمير المؤمنين عثمان في نادٍ لنا قط

قال : هذه والله منقبة .

قال : وشهد منا صفيين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً وما شهدها مع أبي تراب منا إلا رجل واحد وكان والله ما علمته امرئ سوء.

قال : وهذه والله منقبة .

قال : وما منا أحد تزوّج امرأة تحبّ أبا تراب وتتولاه.

قال : وهذه والله منقبة .

قال : وما منا امرأة إلا نذرت إن قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها، ففعلت

قال : وهذه والله منقبة .

قال : وما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل وقال: وأزيدكم ابنه الحسن والحسين وأمّهما فاطمة .

قال : وهذه والله منقبة .

قال : وما من أحد من العرب له من الملاحاة والصباحاة ما لنا، وضحك، وكان دميماً شديداً الأدمة مجدراً في رأسه أعجز مائل الشدق أحول

قبيح الوجه وحش المنظر (1)

(يقول المؤلف) : إلى هنا كانت ترجمة كلام (مروج الذهب) وهذه الأمور التي

ص: 286

1- مروج الذهب : 3 : 162 و 163 . (المترجم)

اعتبرت مناقب كلّ واحدة منها عجيبة العجائب، وهذه المناقب ورثها علماء أهل السنّة من أسلافهم، واقتفوا آثارها كما ذكر عبد القادر الكيلاني الذي يعتبر الغوث الأعظم والهيكل الصمداني في محكي كتاب الغنية الذي هو تأليفه بشهادة جماعة من أعلام أهل السنّة، قال ما لفظه :

وقد طعن قوم على صيام هذا اليوم العظيم وما ورد فيه من التعظيم وزعموا أنّه لا يجوز صيامه لأجل قتل الحسين بن علي فيه، وقالوا: ينبغي أن تكون المصيبة فيه عامة [الجميع الناس لفقده - المصدر] وأنتم تأخذونه يوم فرح وسرور وتأمرون فيه بالتوسعة على العيال والنفقة الكثيرة والصدقة على الضعفاء المساكين، وليس هذا من حق الحسين على جماعة المسلمين، وهذا القائل خاطئ ومذهبه قبيح فاسد؛ لأن الله اختار لسبط نبيه صلى الله عليه وآله وسلم الشهادة في أشرف الأيام وأعظمها وأجلّها وأرفعها عنده ليزيده بذلك رفعة في درجاته وكرامة مضاعفة إلى كراماته، ويبلغه منازل الخلفاء الراشدين الشهداء بالشهادة.

ولو جاز أن يتخذ [يتخذ - المصدر] يوم موته مصيبة لكان الاثنين أولى يوم بذلك إذ قبض الله فيه نبيّه، وكذلك أبو بكر الصديق قبض فيه وهو ما روى هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة قال أبو بكر لي أي يوم توفّي النبي؟ قلت: يوم الاثنين، قال: إني أرجو أن أموت فيه، فمات فيه، وفقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفقد أبي بكر (1) أعظم من فقد غيرهما، وقد اتفق الناس على شرف يوم الإثنين وفضيلة صومه وأنه يعرض فيه وفي يوم الخميس أعمال العباد وكذلك [يوم - المصدر] عاشوراء لا يتخذ [يتخذ - المصدر] يوم مصيبة، ولأنّ يوم عاشوراء يتخذ يوم مصيبة ليس بأولى من أن يتخذ يوم عيد وفرح وسرور لما قدمنا ذكره وفضله من

ص: 287

1- في كلّ وإثر من ثعلبة . (المترجم)

يوم نجى الله فيه أنبياءه من أعدائهم وأهلك فيه أعدائهم الكفار من فرعون وقومه وغيرهم، وأنه خلق السماوات والأرض والأنبياء الشريفة [فيه - المصدر] وآدم وغير ذلك ، وما أعد الله لمن صامه من الثواب الجزيل والعطاء الوافر وتكفير الذنوب وتمحيص السيئات فصار عاشوراء مثل [بمثابة - المصدر] بقية الأي-ام الشريفة كالعيدين والجمعة وعرفة وغيرها . ثم لو جاز أن يتخذ هذا اليوم يوم مصيبة لاتخذته الصحابة والتابعون لأنهم أقرب إليه منا وأخص به منا ، انتهى كلام الناصب الدعيّ.

ومحصل حديثه أنّ ردّ الشيعة على أهل السنة في اتخاذ يوم عاشوراء يوم فرح وسرور حديث واه وكلام باطل ، لأنه يوم مبارك وميمون اختاره الله لشهادة ابن النبي ليزيد في كرامته ، وإذا كان يوم عاشوراء يوم مصيبة فيوم الإثنين الذي توفي فيه رسول الله وأبو بكر وكلاهما أعظم منه يوم مصيبة أيضاً مع كون صيامه مستحباً وراجحاً ، والأعمال تعرض على الله فيه وفي يوم الخميس ، بل ينبغي أن يكون يوم عاشوراء يوم فرح واستبشار لنزول البركات المختصة به ، مثل خلق السماوات والأرض ، وخلق آدم ، ونجاة الأنبياء ، وهلاك أعداء الله فيه مثل فرعون وقومه ، ولاستحباب الصوم فيه وزيادة ، فضله ، وإذا كان هذا اليوم يوم مصيبة لم يخف على الصحابة والتابعين لقرب منه وشدة اختصاصهم به ، ولم يفعل أحد منهم ذلك .

وهذا خلاصة كلام عدوّ الله ورسوله ، وشناعة هذا الكلام وظهور فساده بحيث لا يخفى على أي مسلم ذي دين ولا يشك في بطلانه أحد ، ونحن ذكرنا في مواضع من هذا الشرح بطلانه بما فيه غنية وكفاية ، ولكن لإتمام الحجّة وإزاحة العلة نعرض له في هذا الموضع من الشرح إجمالاً .

أما قوله : «إنّه يوم مبارك اختاره الله لشهادة ابن بنت نبيه ليضاعف له به الأجر»

فهو تدليس يخدع به العوام والسُّدج، وإلا فلا تخفى حاله على العاقل العارف بالحقايق، ولا يعتقد أحد بأن شرف اليوم يكون سبباً في قتل الأنبياء وأبنائهم فيه، وجرت عادة الناس أن يحسبوا اليوم الذي يموت فيه أحبائهم من أب أو أم أو ولد أو أخ أو ذي رحم يوم نحس ويتشائمون به ويتطيرون منه، ولا يحتاج هذا الأمر إلى برهان.

وأما ما قاله: «لو صح ذلك لكان يوم الإثنين يوم نحس»

أولاً: هناك فرق واضح بين وقوع اليوم في العام مرة ووقوعه في الأسبوع مرّة كيوم عاشوراء ويوم الإثنين، ولا يصح النقض من ثمّ كان يوم الثامن والعشرين

، من صفر وهو يوم وفات سيد الأنبياء عند الشيعة يوم العزاء الأعظم، وما يجري في عاشوراء من الآداب يجرونها في هذا اليوم بلا أدنى تفاوت.

وثانياً: يوم الإثنين يوم نحس مستمر وورد في أخبار أهل البيت أنه يوم بني أمية ويعتبر يوم مصيبة المسلمين، وليس له عندنا أية حرمة ولا حجة علينا في أخبار عدونا لأنّها بأجمعها كذب ووضع واقتراء والبخاري الذي يرون كتابه أصدق كتاب بعد القرآن وكتابه أصح الكتب كان أكذب البرية كما ظهرت حالات أسانيده في كتاب «استقصاء الأفهام» للسيد الجليل المعاصر المولوي مير حامد حسين - نور الله ضريحه وعرف واقعها.

وإذا ما كنا نحن نستدل بها أحياناً فإنّما هو لإفحام الخصم وإلزامه بالحجة، والاحتجاج بها على الشيعة خارج عن أدب الحوار والمجادلة وفائد للصواب.

وثالثاً: موت الأوّل يجب أن يكون سب البركة واليمن لا موجباً للشؤم والنحس، اللهمّ إلا بالنظر لمن يخلفه من حيث هو فظ غليظ القلب ويكون الناس

معه كالمستجير من الرمضاء بالنار، وبهذه الملاحظة يكون يوم نحس وشؤم.

وأما قوله: «لو كان يوم عاشوراء يوم فرح فهو الأولى لبركاته» فلقد مرّ عليك (1) أن حدوث هذه الوقائع في هـ-هـ و محض الكذب وعين الافتراء، وهـ-م-ن

موضوعات النواصب .

وأما قوله: «إنّ الصوم فيه مستحبّ» فقد مرّ عليك أنّاً بأن الصوم مردّد فيه بين

الكفر والحرام والمكروه (2) وأما قوله: «إنّ الصحابة والتابعين لهم لم يتخذوه يوم مصيبة» فهو مخدوش بالمراد منه هل أدّته قبل وقوع المصيبة أو بعدها؟ فإن كان قبل مقتل سيّد الشهداء فهو خارج عن محلّ النزاع لأنّ في ذلك اليوم لم يكن عزاء بحسب الظاهر وإذا كان بعد القتل فما المراد بالصحابة والتابعين، فهل هم أتباع يزيد ومعاوية أو أتباع أهل البيت عليهم السلام؟ فإن كان المراد الأوّل فأفعالهم ليست حجة، وإن كان الثاني فإنّ نسبة ذلك إليهم كذب فقد اتخذوا هذا اليوم من أوّل يوم وقعت فيه المصيبة يوم حزن وبكاء، وإن كانوا لم يظهرها ذلك علناً لوجود الموانع في بعض الظروف، وقد أبدع بعض النواصب وهو ابن حنبل في الاعتذار عن الاحتفال يوم عاشوراء حيث قال:

ولأنم لام في احتفال***يوم استباحوا دم الحسين

فقلت دعني أحق عضو***يلبس فيه السواد عيني

فإنّه اعترف بذلك وأجاد في شعره المشتمل على زندقته في تزيينه عيون القاصرين، وكأنّه أوحى إليه من الشياطين .

وابن حجر المكي في كتاب (الصواعق) حكى كلام جماعة من هذه الطائفة

ص: 290

1- في شرح قوله: «اللهم إنّ هذا يوم تبركت به بنو أمية». (هامش الأصل)

2- في شرح قوله: «اللهم هذا يوم تبركت فيه بنو أمية». (هامش الأصل)

وذكر بعض الأخبار الذي تمسكوا ببدعهم من أجلها، والعجيب في الأمر أنه مع صلابته الحجرية التي أخرجته من الطبيعة البشرية فقد اعترف بفساد مداركهم وضعفها وإن كان قد طعن في الشيعة لإقامتهم عزاء سيّد الشهداء وقيامهم بواجب النياحة والبكاء، ونحن استمداداً من بركة سيّد الشهداء وخامس آل العباء عليهم السلام بإذن الله تعالى سوف نعرض لدفع شبهاته، وترهاته، وننقل هنا حاصل كلامه ومجمل حديثه كالتالي :

وإياه ثمّ إياه أن يشغله ببدع الرافضة ونحوهم من الندب والنياحة والحزن، إذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين وإلا لكان يوم وفاته صلى الله عليه وآله وسلم أولى بذلك وأحرى، أو ببدع الناصبة المتعصبين على أهل البيت أو الجهال المقابلين الفاسد بالفساد، والبدعة بالبدعة، والشرّ بالشرّ من إظهار غاية الفرح والسرور واتخاذ عيداً، وإظهاراً لزيينة فيه كالخضاب والاكتحال ولبس جديد الثياب وتوسيع النفقات وطبخ الأطعمة والحبوب الخارجة عن العادات، واعتقادهم أن ذلك والمعتاد، والسنة ترك ذلك كله فإنه لم يرد في ذلك شيء يعتمد عليه، ولا أثر صحيح يرجع له .

وقد سئل بعض أئمة الحديث والفقهاء عن الكحل والغسل والحناء وطبخ الحبوب ولبس الجديد وإظهار السرور يوم عاشوراء، فقال : لم يرد فيه حديث صحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن أحد من أصحابه، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين؛ لا من الأربعة ولا من غيرهم، ولم يرد في الكتب المعتمدة في ذلك صحيح ولا ضعيف، وما قيل أنّ من اكتحل يومه لم يرمد ذلك العام، ومن اغتسل لم يمرض كذلك، ومن وسع على عياله فيه وسع الله عليه سائر سنته وأمثال ذلك من فضل الصلاة فيه وأنه كان فيه توبة آدم واستواء السفينة على الجودي وإنجاء إبراهيم من النار، وإفداء الذبيح بالكبش، وردّ يوسف على يعقوب فكل ذلك موضوع إلا

حديث التوسعة على العيال لكن في سنده من تكلم فيه، فصار هؤلاء لجهلهم يتخذونه موسماً، وأولئك لرفضهم يتخذونه مأتماً، وكلاهما مخطئ مخالف للسنة ذكر ذلك جميعه بعض الحفاظ ، وقد صرح الحاكم بأن الاكتحال يومه بدعة مع روايته خبر : إن من اكتحل بالأثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبداً ، لكنّه قال : إنّه

منكر، ومن ثم أورد ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الحاكم.

قال بعض الحفاظ : ومن غير تلك الطريق - أي أنه موضوع بأي طريق نقل .

ونقل المجد اللغوي - أي صاحب القاموس - عن الحاكم أنّ سائر الأحاديث في فضله غير الصوم وفضل الصلاة فيه والإنفاق والخضاب والإدهان والاكتحال وطبخ الحبوب كله موضوع ومفتري.

وبذلك صرح ابن القيم أيضاً ، فقال : حديث الاكتحال والإدهان والتطيب يوم عاشوراء من وضع الكذابين والكلام فيمن خص يوم عاشوراء بالكحل... (1).

تمّ ما أردنا نقله من كلام ابن حجر، وفي هذا الكلام مواضع يحتج بها على المطالب المذكورة :

الأول منها : قلنا في شرح الفقرة السابقة (2) أنّ علماء السنة والجماعة افتروا أخباراً موضوعة في فضائل عاشوراء، وذكر ابن حجر جملة من هذه الأخبار .

الثاني : قلنا إنّها موضوعة ومختلقة، ووضعت كذباً وافتراءً، وشهد شاهد من أهلها وهو ابن حجر، ونقل عن ابن القيم والحاكم وابن الجوزي والمجد اللغوي وبعض أئمة الحديث الاعتراف بكذبها .

الثالث : اعترف بأنّها بدعة.

ص: 292

1- الصواعق المحرقة : 183 و 184 . (هامش الأصل والمترجم)

2- «اللهم هذا يوم تبرّكت فيه بنو أمية».

الرابع : اعترف بنصب فاعلها وعلى هذا يكون أكثر أهل السنة والجماعة بل جميعهم ما عدى ما عدى طائفة منهم ابتلوا بمعاشرة أهل الحق فاضطروا لمماشاتهم على وجه التقيّة هم نواصب ؛ لأن الغالب في بلادهم عمل هذه الشعائر، ولقد اطلع الحجاج على ما يفعله أهل مكة والمدينة وبلغت أسماء سائر الناس كأهل مكة الذين هم بعد أهل المدينة أنصب خلق الله وشاهدنا من غرائب هذه الجماعة إبان إقامتنا في البلدة الشريفة سامراء ما يضيق عنه اللسان ويكلّ عنه البيان، منها أنّهم أقاموا حفلة عرس في تلك السنة - سنة إقامة المؤلّف في سامراء /المتّرجم - يوم عاشوراء وكان زفاف العروس إلى بيت عريسها ليلة الحادي عشر من المحرمّ .

ومجمل القول: إن تيمّن أهل السنّة وتبركهم في يوم عاشوراء واقع مشهور مسموع صده، مهتوك ستره بحيث لا يقبل الإنكار، ويكفي هذا المقدار في إثبات هلاكهم وضلالهم، وأنهم مع وجود الأوامر البليغة والتأكيدات الشديدة على محبة أهل البيت الذين جعل الله مودتهم أجر الرسالة وأجمع كل مسلم على لزوم التمسك بهم ووجوب الاقتداء بجنابهم، وهذا مسلّم عند الفريقين، فإنّهم - أهل السنّة والجماعة - تخلفوا عن سفينة النجاة بحيث اعتبروا يوم قتلهم ونهبهم وأسره من أعيادهم، وجعلوا من السنّة في هذا اليوم الاكتحال والتطيب وارتداء الثياب الجديدة والإدهان وسائر لوازم العيد، ومن هذه الجهة أطلقوا على أنفسهم

اسم السنّة حيث أنّهم عملوا بسنّة يزيد وبني مروان (لعنهم الله جميعاً).

گر مسلمانی از اینست که اینان دارند***وای اگر از پس امروز بود فردائی

إن كان إسلامهم هذا الذي نقلوا***ويل لهم من عذاب الله يوم غد

وقد أجاد أبو الحسين الجزار في قوله :

ويعود عاشورا يذكّرني***رز الحسين فليت لم يعد

يا ليت عيناً فيه قد كحلت***لشماتة لم تخل من رمد

ويداً به لمسرّة خضبت***مقطوعة من زندها بيدي

أما وقد قتل الحسين به***فأبو الحسين أحق بالكمد

وهذه شواهد صدق على ما قاله سيد الساجدين عليه السلام في الخطبة التي قرأها بعد دخوله المدينة، قال فيها: «لو أنّ النبي تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا»⁽¹⁾ فلعن الله أولهم وآخرهم.

تذييل

كلّ ما يقام ممّاهو متعارف عليه بحمد الله في بلاد الشيعة من إقامة العزاء والاجتماع في المجالس ونشر الأعلام ونصب الخيام والتشبيه وتمثيل واقعة عاشوراء في بعض بلاد الهند وصنع الضريح المقدّس ورفع على الاكتاف وغير ذلك من الحداد ولبس السواد وتعطيل الأسواق في يوم عاشوراء والخروج في الشوارع بمواكب اللطم والنياحة وما كان من هذا النمط فجميع ذلك مشروع وراجح في الشريعة المطهرة، ودليلنا على هذا المدعى من طريقين :

الطريق الأوّل: بناءً على مسلك علماء الإمامية وفقه أهل البيت عليهم السلام، وهذا المطلوب وإن كان غنيّاً عن الدليل بناءً على ما في أصول مذهبنا وهو غاية في الوضوح إلا أننا نشير إشارة إجمالية إلى بعض موارد الاشتباه وضمناً نقيم الدليل على عموم المسألة .

اعلم أن الأخبار وردت متواترة في استحباب البكاء على سيد الشهداء وتذكر مصابه والإبكاء بل والتباكي أيضاً، ومعناه اتخاذ شكل البكاء وإظهار الحزن على هيئة الباكي لا كما توهمه بعض القاصرين أنّه الرياء في البكاء؛ لأنّ البكاء على سيّد الشهداء عبادة بالضرورة والرياء في العبادات نظير القياس في الأدلة

ص: 294

1- اللهوف : 202 (المترجم)

والربا في المعاملات غير جائز بوجه من الوجوه. مضافاً إلى هذا فقد جاء في الأخبار الكثيرة الواردة في إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام والأئمة عليهم السلام وفضل الجلوس في المجالس التي تحيي أمرهم وكذلك في الأخبار المتعددة ما ورد من الجزع مكروه على كل شيء إلا الجزع على سيد الشهداء، وورد في الأخبار أن أيام عاشوراء أيام مصيبة أهل البيت وحنينهم، وورد أيضاً عنهم يحزنون لحزننا، ويفرحون لفرحنا والحث على تجديد عزاء ذلك الإمام الغريب وإقامة طقوس عزائه كما ورد تجويز لطم الخدود وشق الثياب .

ومن هذه الأخبار يعرف جواز هذه الأفعال كلها واستحبابها ورجحانها عموماً وخصوصاً ؛ إما بالإصالة أو أنها من باب المقدمة وتوضيح المطلب مع الاختصار

بنقل بعض الأحاديث في هذا الباب وتطبيقها إجمالاً على الأمور المذكورة "

روى الشيخ الصدوق في الأمالي مسنداً عن الإمام الرضا عليه السلام : من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يجيء فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب (1).

والحديث ذاته روي في العيون ولكن مكان قوله «من ذكر مصابنا» جاء قوله : «من تذكر مصابنا».

وفي أمالي الشيخ وساق السند إلى معاوية بن وهب قال : قال الإمام الصادق عليه السلام : كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين (2)

ص: 295

1- الأمالي ، المجلس 17، وبحار الأنوار 44: 278 ، والعيون 1: 294 ، والبحار 44 : 278 رقم 2 ، عوالم العلوم : 531 ح 14 . (هامش الأصل)

2- الأمالي 1: 163 ، بحار الأنوار 44 : 280 رقم 9 ، عوالم العلوم : 533 رقم 6. (هامش الأصل)

وروي في كامل الزيارة بطريقتين عن صادق آل محمد عليهم السلام : ما ذكر الحسين بن عليّ عند أبي عبدالله في يوم قط فرئي أبو عبد الله متبسماً في ذلك اليوم والليل. (1)

وفي قرب الإسناد وساق السند إلى الصادق لأنه قال لفضيل بن يسار : تجلسون وتحذّثون؟ قال : نعم جعلت فداك قال : إن تلك المجالس أحبّها فأحيوا أمرنا ، رحم الله من أحيأ أمرنا يا فضيل ، من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر .

وفي أمالي الصدوق وساق السند إلى الإمام الرضا عليه السلام عن إبراهيم بن أبي محمود قال : قال الرضا الله : إن المحرّم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال فاستحلت فيه دمائنا وهتك فيه حرمتنا ، وسبي فيه ذرارينا ونسائنا ، وأضرمت النيران في مضاربنا ، وانتهيت ما فيها من ثقلنا ، ولم تُرَع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرمة في أمرنا . إن يوم الحسين قرح جفوننا ، وأسبل دموعنا ، وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء وأورثتنا [يا أرض كرب وبلاء أورثتنا] الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء ؛ فعلى مثل الحسين فليبك الباكون ، فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام .

ثم قال عليه السلام : كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر المحرّم لا يرى ضاحكاً ، وكانت الكتابة لها تغلب عليه حتّى يمضي منه عشرة أيام ، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبتته وحزنه وبكائه ، ويقول : هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام . (2)

وفي الأمالي وساق السند إلى الإمام الرضا عليه السلام أنه قال عليه السلام : من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة ، ومن كان يوم عاشوراء

ص : 296

1- كامل الزيارة باب 36 ، البحار 44 : 280 (هامش الأصل)

2- الأمالي : مجلس 27 رقم 2 ، بحار الأنوار 44 : 283 رقم 17 ، عوالم العلوم : 538 الحديث الأول (هامش الأصل) الأمالي : 128 .
(المترجم)

يوم مصيبتته وحزنه وبكائه جعل الله عزّ وجلّ يوم القيامة يوم فرحه وسروره وقرّت بنا في الجنان عينه ، ومن سمّى يوم عاشوراء يوم بركة وادّخر فيه لمنزله شيئاً لم يبارك له فيما ادّخر ، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيدالله بن زياد وعمر ابن سعد لعنهم الله إلى أسفل درك من النار (1).

وفي العيون والأمالى وساق السند إلى شبيب بن الريان عن الإمام الرضا في حديث طويل أنّه قال : يابن شبيب ، إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أنّ رجلاً تولّى حجراً لحشره الله معه الله معه يوم القيامة (2).

وفي كامل الزيارة وساق السند إلى أبي هارون المكفوف قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي : أنشدني ، فأنشدته ، فقال : لا كما تشدون وكما ترثيه عند قبره ، قال : فأنشدته :

امرر على جدث الحسين***فقتل لأعظمه الزكيه

قال : فلما بكى أمسكت أنا فقال مر فمررت قال : ثم قال: زدني زدته فأنشدته :

يا مريم قومي فاندبي مولاك***وعلى الحسين فاسعدي بيكاك (3)

قال : فبكى وتهايج النساء ، قال : فلما أن سكتن قال لي : يا أبا هارون من أنشد في الحسين فأبكي عشرة فله الجنة، ثم جعل ينقض واحداً واحداً حتى بلغ

ص: 297

1- الأمالى ، المجلس 27 رقم 4 ، بحار الأنوار 44 : 285 رقم 4 ، عوالم العلوم : 539 2. (هامش الأصل) الأمالى نسخة المترجم المجلس 27 ص 129 . (المترجم)

2- أمالى الصدوق : 130 (المترجم) الأمالى : المجلس 27 رقم 5 ، العيون 1 : 299 ، بحار الأنوار 44: 284 ، عوالم العلوم : 539 3. (هامش الأصل)

3- الشعر للحميري وذكر في الأغاني قسماً منها . (منه)

الواحد ، فقال : من أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى واحداً فله الجنة . ثم قال : من ذكره فبكى فله الجنة .

وفي الكامل أيضاً (روى عن أبي عبدالله) قال : لكل شيء [سر - المؤلف] ثواب إلا الدمعة علينا (1)، أي إن إخفاء كل أمر عبادي له ثواب (لئلا يتبادر إليه الرياء) إلا البكاء علينا فإن إعلانه من أجل تعظيم شعائر الإسلام وإحياء أمر أئمة الأنام فإنه مطلوب لذاته .

واحتتمل المجلسي عليه الرحمة أن يكون مكان قوله «سر» «شيء» ومعنى نفي الثواب عن البكاء أي أنه غير محدود بحدود، وهذا غاية في البعد بل لا يستحق تسجيله في كتاب علمي، والحق أنه هو المعنى الأول الذي ذكره العلامة المجلسي نفسه .

وفي ثواب الأعمال روي هذا الحديث باختلاف «فقال: أنشدني كما يسير تشدون يعني بالرقعة» وفي آخر الحديث يقول: «ومن ذكر الحسين عنده فخرج

من عينيه مقدار جناح ذبابة كان ثوابه على الله ولم يرض له بدون الجنة». (2).

والمراد من قوله في الحديثين: «لا كما تشدون» أو «أنشدي كما تشدون» أن أبا هارون على الظاهر راعى حرمة الإمام فلم يقرأ الشعر بلحنهم الخاص تادباً فاعترضه الإمام وطلب منه أن يكون على نهج النياحة المعهودة عند الرائيين والرقعة المطلوبة التي يقرنون بها عند قبره، ومن الغرائب أن العلامة المجلسي عليه الرحمة ضبط لفظ الرقة في البحار بالفتح وحملها على قرى عدة تقع غربي

ص: 298

1- كامل الزيارات : 106 ، البحار : 44 : 287 ، عوالم العلوم : 542 ح 4 . (هامش الأصل) وكامل الزيارة نسخة المترجم ص 86 .
(المترجم)

2- ثواب الأعمال : 84 . (المترجم) ثواب الأعمال : 110 ، بحار الأنوار : 44 : 289 ، عوالم العلوم : 542 . (هامش الأصل)

بغداد بالعراق على نهر الفرات في أعماق ديار بكر (1) وهذا النوع من التصحيفات اللفظية والمعنوية الدائرة في أحاديث البحار حملت على الظن بأنها لا ترجع إلى ذلك العالم التحرير والناقد البصير؛ لأنّ هذا العلامة ذو المرتبة الرفيعة ينبغي أن يترفع عن مثل هذه الاشتباهات الواضحة والأخطاء الظاهرة لأن مقامه الرفيع أسمى من ذلك مئة مرة.. والله أعلم. (2)

وفي منتخب الشيخ الطريحي مرسلًا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أخبر ابنته فاطمة بقتل

ص: 299

1- قراءة «الرقعة» بفتح الراء وهو اسم قرية، والمجلسي الله أخذه من الفيروزآبادي فلا لوم عليه. (هامش الأصل) هذا لو كان الموضوع لغويًا أما وهو من المواضيع الخاصة بالشيعة فلا ينبغي أخذه من لغوي بل الرجوع به إلى أصوله فهو ملوم على كل حال. (المترجم)

2- من أوامم بيانات البحار 45: 109 ضبط لفظ «قصة» بالقاف والصاد المهملة في خطبة سيدتنا زينب الطاهرة بالكوفة بـ «فضة» [طبقاً لنسخة المصدر : 130 ، وعوالم العلوم : 387] ويقول ابن الأثير في النهاية : «القصة» الجص ومنه حديث زينب بنت عليّ : «أو كقصة على ملحودة ولم تجر العادة بتزيين القبر بالفضة. ومن العجائب التي تدعو إلى الحيرة والاعتبار وينبغي أن ينزه منها مقام العلامة المجلسي العالي، فقد قال في شرح البيتين المثبتين في الديوان المبارك ورثاء سيدة النساء : فقد قال في الأمثال في البين قائل ***أضّرّ به يوم الفراق رحيل لكل اجتماع من خليلين فرقة*** وكل الذي دون الفراق قليل التضريب مبالغة في الضرب، والبين الفراق، أي أضرب المثل الذي قاله القائل يوم الفراق الذي هو رحيل ، والمثل قوله : «لكل اجتماع» (بحار الأنوار (43 : 216) وهذا مما لا يكاد يتقضي منه التعجب فإنه تصحيف لفظي ومعنوي جعل الإضرار المتصل بحرف الجر تضريباً وجعل الرحيل وهو فاعل اضرب خبراً محذوفاً، وجعل الجملة وصفاً للفراق، وأعاد الضمير المجرور الراجع إلى العامل إلى المثل المفهوم من العبارة، وهذا لا- ينبغي صدوره من أصاغر الطلبة فإنه من مضحكات الثكالي ، ولا يجوز لعاقل فضلاً عن فاضل نسبته إلى ذلك الحبر التحرير والناقد البصير ، والله العالم. (هامش الأصل) أقول : لم ينفرد الشيخ المجلسي في جمع بحار الأنوار ولا في التعليق عليه فقد شاركه جم غفير من أهل الفضل والعلم ومن طلابه أيضاً فلا بدع أن تكون هذه هفوة بدرت من أحد مساعديه وبقيت عالقة في الكتاب حتى تحمل وزرها الشيخ وهو أعلى وأجلّ من ذلك . (المترجم)

ولدها الحسين وما يجري عليه من المحسن بكت فاطمة سلام الله عليها بكاءً شديداً وقالت : يا أبتى متى كون ذلك ؟ قال : في زمان خال مني ومنك ومن علي، فاشتد بكاءها، وقالت يا أبة، فمن يبكي عليه ؟ ومن يلتزم بإقامة العزاء له ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا فاطمة، إن نساء أمتي سيكون على نساء أهل بيتي، ورجالهم سيكون على رجال أهل بيتي ويجددون العزاء جيلاً بعد جيل في كل سنة. (1)

وفي الكافي والتهذيب وساق السنن إلى صادق آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال : قال لي أبي : يا جعفر، أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب تندبني عشر سنين بمنى أيام منى. (2)

وفي التهذيب وساق السنن إلى الصادق عليه السلام عن خالد بن سدير بن سدير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل شق ثوبه على أبيه أو على أمه أو على أخيه أو على قريب له، فقال : لا بأس بشق الجيوب، قد شق موسى بن عمران على أخيه هارون، ولا يشق الوالد على ولده، ولا زوج على امرأته وتشق المرأة على زوجها، وإذا شق زوج على امرأته أو والد على ولده فكفارته حنث يمين ولا صلاة لهما حتى يكفرا ويتوبا من ذلك ، وإذا خمشت المرأة وجهها أو جزت شعرها أو نتفته ففي جز الشعر عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً، وفي الخدش إذا دميت وفي النتف كفاره حنث يمين ولا شيء في اللطم على الخدود سوى الاستغفار والتوبة ، وقد شققت الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين ابن علي عليهما السلام ، وعلى مثله تلطم الخدود وتشق الجيوب. (3)

ومن هذا الحديث الشريف يظهر شرف بيت العصمة وجلالتهم لأن الإمام

ص: 300

-
- 1- المنتخب 1 : 29 المجلس الثاني . (المترجم) وبحار الأنوار 44 : 292 ، عوالم العلوم الإمام الحسين ع : 534 . (هامش الأصل)
 - 2- الكافي 5 : 117 . (المترجم) باب 35 ح 1 ، التهذيب 6 : 358 باب 93 ح 146 . (هامش الأصل)
 - 3- التهذيب :: 325 المترجم وهامش الأصل آخر الكفارات .

يحتج بفعل بنات علي وفاطمة في يوم عاشوراء ليدلّ على أنّهنّ على ما هنّ عليه من البلاء المبرم لم يفعلن ما يخالف الشرع ولعلهنّ دليل الإباحة لأنّهنّ ربّين في منزل الوحي ونشأن في خدر العصمة والطهارة ورضعن من درّها سلام الله عليهنّ أجمعين.

واستدل ابن إدريس في السرائر بذيل الحديث على جواز شقّ الثوب ، ومن هنا نعلم بقطعيّة صدور هذا الخبر ؛ لأنّ مبناه في الأصول المنع من حجية خبر الواحد كما هو مشهور عند أهله .

وهذه جملة من أخبار هذا الباب

ويمكن أن نستفيد منها أحكاماً كليّة منها البكاء ، ومنها الإبكاء ، ومنها إحياء أمر الأئمة، ومنها وجوب الاقتداء بهم في الفرح والحزن، وأحكاماً جزئية منها استحباب الاجتماع وذكر الحديث، ومنها استحباب اجتماع النساء في موضع يستمعن فيه إلى الرجال في مجالس العزاء كما جاء في خبري أبي هارون(1) واستحباب ترقيق الصوت وتحزينه على وجه يستثير البكاء ويحفظ حرمة العزاء واستحباب نياحة النساء وندبتهنّ على سيّد الشهداء كما اتضح ذلك من خبر الكافي والتهذيب، حيث لا فرق بين الأئمة من هذه الجهة، واستحباب اللطم وشقّ الجيوب على سيّد الشهداء واستحباب تجديده عزائه، والالتزام به في كلّ عام، واستحباب إظهار الكآبة والحزن في يوم عاشوراء، واستحباب ترك الكسب والسعي وراء الحوائج في يوم عاشوراء ، وما كان من هذا القبيل من الأحكام.

ولا يضرّ في الأخبار ضعف إسناد بعضها ، لأنّ التسامح في أدلّة السنن من القواعد الإجماعية، مضافاً إلى تعدّد أخبارها ومطابقتها لروح المذهب وأصوله

ص: 301

ولعلّ المتتبع لا يعدم العثور على خبر صحيح في كل واحد منها .

ومجمل القول أنّ ما هو متداول اليوم بأيدي الشيعة لم يخرج من إطار الأقسام المذكورة؛ لأنّ النصوص تشمل انعقاد المجالس للعزاء ومجالس الشبيه مضافاً إلى كونها إيكاءاً وإحياءاً وهما منصوص عليهما ، ولا ينبغي احتمال حرمة عقد مجالس الشبيه لدخول بعض المنكرات فيها من قبيل الغناء والكذب؛ لأنّ الحديث في نفس المجلس لا فيما يتخلله من الحرام، فهو لا مانع منه .

وأجازه المحقق القمي صريحاً في أجوبة مسأله، وأم-اق-رائ-ة اللطميات والضرب على الصدور المعبر عنه بالموكب فيظهر جوازه من الحديث الآخر إذ لا فرق بين اللطم على الخدّ واللطم على الصدر ، وعلى فرض وجود الضرر في الجملة فإنّ ذلك لا ينافي العبادة ؛ لأنّه من الممكن أن نقول في قوله لا ضرر أراد نفي الإلزام لانفي المصلحة .

يعني إذا قصد المكلف إحراز المصلحة الواقعية للفعل فارتكبه فإنه ينال ثوابه ، نعم يعبر لنا لسان «لا ضرر» عن عدم الرغبة في شيء لوجود الضرر ولوجوده أرفع يدي عن نيل المطلوب من أجل التسهيل والتوسعة على المكلفين ؛ لا من أجل تصدر المصلحة مع وجود المفسدة كما قرّنا ذلك في محله تلقياً من السيد الأستاذ أنار الله برهانه كما عظم في الدين والدنيا شأنه .

كما يستحبّ لبس السواد وكسوة البيت بالسواد طلباً للقيام بواجب العزاء ولتعظيم الشعائر وإحياء أمر الأئمة عليهم السلام ، وما ورد من كراهة لبس الثياب السود مع أنّ في بعضها ذكر السبب من كونه إشعاراً بترك سنة بني العباس الذين جعلوا لبس السواد شعاراً لهم حكم واقع في نفسه لولا المعارض، ونحن بملاحظه طريان عنوان آخر وهو العزاء والاستعانة بعرف هذا الزمان حيث اتخذ السواد شعاراً للحزن يكون مجرى حديثنا ، لهذا أفتى جماعة من الفقهاء مثل صاحب الجواهر

وغيره في باب الحداد على المعتدة عدّة الوفاة ترك التزيّن بثياب مصبغة والألوان تختلف باختلاف العادات ويجب عليها ارتداء ثياب العزاء سواء كانت سواداً أو غيره. (1) يؤيده ما ورد في كتاب تاريخ النياحة على الإمام الحسين ينقل عن الدكتور عبداللطيف السعداني في مقالة له يقول فيها : تتغيّر صورة الحياة في كل عام بدنو شهر محرم في المغرب ، لأن الناس يودعون أنفسهم وشهواتهم، وفي هذا الشهر يتحوّل مدن المغرب كلها إلى ضوضاء وهرج ومرج لا- يمكن تصويره إلا- أن نقول حدثت حادثة عظيمة لهؤلاء الناس وألمت بهم، وهذا لأنهم استشعروا أن شهر المحرم هو شهر العزاء لأنّ الحزن والألم فيه تغلف القلوب، ويعزب الناس عن التجميل والزينة حتى يتركوا غسل ثيابهم وبيوتهم، ويهجرون التزاورج في هذا الشهر، ويتركوا الطبول والأصوات الموسيقية والغناء ، بل الناس في بلاد المغرب يرتدون الثياب البيضاء لأنها ثياب الحزن عندهم لهذه المناسبة ، وتقوم طائفة العلويين بإجراء هذه الطقوس من أوّل المحرم إلى اليوم العاشر منه ، وأما غيرهم من الأشراف المحترمين فإنّ طقوسهم تمتد إلى نهاية الشهر وفي يوم الشهادة يعمدون إلى طبخ الطعام ويتصدقون به ويغتنم التجار وطبقة المياسير هذه المناسبة لبذل المال. ولكن باقي الناس يتركوا الطعام تقرباً إلى الله وتظهر عليهم أمارات الحزن ولا تقارقههم، وكانوا يعتقدون أن المرء لا يبكي تلقائياً بل للحصول على السعادة من إراقة هذه الدموع الغالية حزناً على مصاب الشهيد . وأما الأطفال فإنّهم يتخذون الذكرى الحسينية على شكل لعبة تراود نفوسهم البريئة وترى الكبار يناولونهم جرار الماء إشارة إلى عطش ذلك السيد الشهيد الذي فارق الدنيا على ظمأ، وأعظم شيء يثير انتباه المرء تلك المناظر التمثيلية ومشاهد الشبيه التي تحكي الواقعة وتجري في كل سنة في المراكز المهمة من البلاد مثل مدينة بكناس وفاس ومراكش ... (2)

وجاء في بعض الأخبار أنّ الإمام الصادق عليه السلام ارتدى ثياباً بيضاء يوم عاشوراء (3). واقتفى بعض الفقهاء المعاصرين هذه السنة فلبس ثياباً بيضاء وخرج على الناس يوم العاشر ، وهذا خطأ؛ لأن المؤيد في زماننا لبس السواد، وكان البياض شعار الحزن في العصر العباسي كما هو وارد في التاريخ، وجرى الإمام عليه السلام على عرف أهل زمانه وعاداتهم ولما كان عرف اليوم يقضى بالسواد ثياباً للحداد

ص: 303

-1

-2

-3 مع كثرة تتبعنا لم نعثر على مصدره . (هامش الأصل)

استحبّ لبسها نظراً لعمومات الباب مضافاً إلى وجود خبر خاص في المسألة: في البحار عن المحاسن وساق السند إلى عمر (و) بن علي بن الحسين قال: لما قتل الحسين بن علي صلوات الله عليه، لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكان لا يشتكين من حرّ ولا برد، وكان علي بن الحسين عليه السلام يعمل لهنّ الطعام للمآتم.. (1)

ص: 304

1- المحاسن: 420، بحار الأنور: 188 (79: 84 - المترجم) جعفر بن قولويه في (كامل الزيارة عن الحسين بن عليّ الزعفراني عن محمد بن عمر النصيبي، عن هشام بن سعد، عن المشيخة في خبر أنّ ملكاً من ملائكة الفردوس الأعلى نزل على البحر ونشر أجنحته عليها ثم صاح صيحة وقال: يا أهل البحار، البسوا أثواب الحزن فإنّ فرخ الرسول مذبوح (مستدرك الوسائل، أبواب أحكام الملابس في غير الصلاة: ص 221) ابن شهر آشوب في المناقب عن تاريخ الطبري أنّ إبراهيم الإمام أنفذ إلى أبي مسلم لواء النصره وظل السحاب وكان أبيض، طوله أربعة عشر ذراعاً، مكتوب عليها بالحبر: «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ولكن الله على نصرهم لقدير فأمر أبو مسلم غلامه أرقم أن يتحوّل بكل لون من الثياب، فلما لبس السواد قال: معه هيبه فاختره خلافاً لبني أمية، وهيبه للناظر، وكانوا يقولون: هذا السواد حداد آل محمد وشهداء كربلاء وزيد ويحيى. (مستدرك الوسائل) قال ابن فهد في التحصين: قيل لراهب رُئي عليه مدرعة شعر سوداء: ما الذي حملك على لبس السواد؟ فقال: هو لباس المحزونين وأنا أكبرهم، فقيل له: من أي أنت محزون؟ قال: لأنني أصبت في نفسي وذلك أنني قتلتها في معركة الذنوب فأنا حزين عليها، ثم أسبل دمه. (مستدرك الوسائل: 222 أحكام الملابس في غير الصلاة، ص 220) فخر الدين الطريحي في (المنتخب) أنّ يزيد لعنه الله استدعى بحرم رسول الله فقال لهنّ: أيما أحب إليكنّ: المقام عندي أو الرجوع إلى المدينة ولكم الجوائز السنية؟ قالوا: نحب أولاً أن نوح على الحسين. قال: افعلوا ما بدا لكم ثمّ أخليت لهم الحجر والبيوت في دمشق فلم تبق هاشمية ولا قرشيّة إلا ولبست السواد على الحسين وندبوه على ما نقل سبعة أيام. (مستدرك الوسائل باب الصلاة أحكام الملابس في غير الصلاة، ص 221) الطريحي في (المنتخب): قالت سكينه: يا يزيد، رأيت البارحة رؤيا وذكرت للرؤيا... فإذا بخمس نسوة قد عظم الله خلقتهنّ وزاد في نورهنّ امرأة عظيمة الخلقة ناشرة شعرها وعليها ثياب سود وبيدها قميص مضمخ الدم إلى أن ذكرت أنها كانت فاطمة الزهراء. (مستدرك الوسائل، أبواب أحكام الملابس غير الصلاة، ص 221). (هامش الأصل)

وهذا الخبر مع ملاحظة تقرير الإمام بل بدونه نظراً للاحتجاج بفعل الفاطميات كما سمعت في خبر «اللطمة» في باب الكافي... (1)

ولكن ينبغي أن يحترز من تسويلات الشيطان والنفس الأمارة بالسوء ووساوس إبليس فلا يلبس ثياب الحداد من أجل الزينة حيث يبالغ بثمنها وإناقته، ومثلها يقال في تعطيل الأسواق وترك التكسب المتعارف من باب العمل بحديث الأماي (2)، وأول من قام بتطبيق هذا الخبر وإقامة هذه السنّة معزّ الدولة أحمد بن بويه حين أقامها في عام اثنتين وخمسين بعد الثلاثمائة للهجرة كما جاء في شرح شافية أبي فراس، نقلاً عن تاريخ الذهبي :

وفي سنة 352 في يوم عاشوراء أُلزم معزّ الدولة أهل بغداد بالمأتم والنوح على الحسين بن علي عليه السلام هو أمر بأن تغلق الأسواق، وأن يعلّق عليه المسوح، وأن لا يطبخ طبّاخ، وخرجت نساء الشيعة مستخّجات يلطمن وينحن، وفعل ذلك سنوات . وقال ابن الوردي في تنمة المختصر : وفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة أمر معز الدولة بالنياحة واللطم ونشر شعور النساء وتسويد وجوههن على الحسين، وعجزت السنّة عن منع ذلك لكون السلطان مع الشيعة . وتابعه بعد ذلك المعز لدين الله أبو تميم معد بن منصور العبيدي الفاطمي الذي تربع على سرير مصر والمغرب في سنة أربعين بعد الثلاثمائة كما جاء في خطط المقرئ، قال: قال ابن زولاق في يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثلاثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم إلى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة

ص: 305

1- الكافي 1 : 286 .

2- الأماي الصدوق : ص 112 ، بحار الأنوار 44 : 284

ومعهم جماعة من الفرسان المغاربة ورجالتهم بالنيابة والبكاء على الحسين واقتمى سنين عدداً سلاطين الشيعة في إيران، والحمد لله آثار الأئمة الأطهار في ممالك إيران في إقامة هذا الشعار وإجراء هذه السنة النبوية لشرع النبي المختار ونالوا التوفيق يوماً بعد يوم في الترويج الزائد والتأييد المتنامي لهذه الشعائر

الحسينية.

وأما ما التزم به أهل السنة من الاكتحال والاختصاب وسائر العادات الخبيثة مضافاً إلى شاهد صريح العقل في خلافه فإن عملهم ذاته واقع ميزان- ألباطل وأمارة للخلاف عملاً بموجب أخبار التعادل والتراجيح حيث قالوا: خُذ ما خالف العامة فإن الرشد في خلافهم، وهو دليل الكراهة واستحباب الترك، بل إذا نوى به التبرك يتول إلى الكفر، وإذا اتخذ لأصل خصوصية الاستحباب فهو بدعة وتشريع، وإذا كان للمتابعة ويؤخذ بعنوان المستحب العام من غير نظر إلى خصوصيته فإن محض التشبه بهم مكروه، ويستفاد من عدد من الأخبار كراهتها واستحباب الالتزام بتركها.

في الكامل عن صادق آل محمد عليهم السلام ما اختضبت منا امرأة ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجّلت حتى أتانا رأس عبيد الله ..(1)

وروى ابن نما في مثير الأ-حزان عن الصادق : ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ولا زئي في دار هاشمي دخان خمس حجج حتى قتل عبيدالله بن زياد .(2)

وروى عن فاطمة بنت علي عليهما السلام : ما تحنّات امرأة منا ولا أجالت في عينها مروداً

ص: 306

1- كامل الزيارات ، بحار الأنوار 45: 207 (هامش الأصل)

2- كشي ، محمد بن مسعود ، بحار الأنوار 45: 344 الرقم 12 ، عوالم العلوم : 652 .

ولا امتشطت حتى بعث المختار رأس عبيد الله (1).

وهذه الأمور من باب المثل والغرض منها الالتزام بلوازم العزاء ، ولما دلت الأخبار السابقة على أنّ هذه الأيام العشر لاسيّما يوم عاشوراء أيام عزاء الأئمة وكآبتهم وحنزهم فيكون الاقتداء ببني هاشم راجحاً في أيام العزاء، وترك ذلك مكروه.

وفي رواية المصباح وسوف نشير إليه أنه قال لعبدالله بن سنان: يا عبدالله بن سنان ، إن أفضل ما تأتي به في هذا اليوم أن تعمد إلى ثياب طاهرة فتلبسها وتسلب، قلت : وما التسلب ؟ قال : تحلّ إزارك وتكشف عن ذراعيك كهيئة أصحاب المصاب .(2)

ومن هنا يعرف أنه لا خصوصية لرفع اليد وشق الثوب إلا لكونهما يريان حال المصاب، فتبين من هذا أن بقاء الإنسان أشعث أغبر في يوم عاشوراء .

ومن الأخبار في وصف الملائكة زوّار الحسين عليه السلام لكونهم شعثاً غبراً ، ومن أخبار منع الطيب يمكن الفقيه الاستدلال على كراهة الحنّام والتطيب .

ومجمل القول : كلّ ما هو لوازم العزاء فهو مستحبّ ، وما كان من لوازم الابتهاج والفرح فهو إما كفر وإما حرام أو مكروه.

وما هو متداول في بلاد الهند من تمثيل الضريح المقدّس يوم عاشوراء لم أعثر في كلام علماء الهند على استدلال بخصوصه ويمكن أن يستدلّ على رجحانه بما

رواه شيخ الطائفة له في المصباح عن عبدالله سنان ، قال :

وروى عبدالله بن سنان قال : دخلت على سيدي أبي عبدالله جعفر بن محمد -

ص: 307

1- بحار الأنوار 386:45 (هامش الأصل)

2- مصباح المتعبد : 547 ، بحار الأنوار 304:101 (هامش الأصل)

ونحن نقلنا صدر الرواية في أخبار الصوم واستحباب الإمساك يوم عاشوراء حتى تزول الشمس وممرت عبارته في صدر الورقة ، وقال بعد ذلك عليه السلام : - ثم تخرج إلى أرض مقفرة أو مكان لا يراك به أحد، أو تعمد إلى منزل لك ، فقال : أو في خلوة منذ حين يرتفع النهار فتصلي أربع ركعات تحسن ركوعها وسجودها - إلى أن قال : - ثم تمثل لنفسك مصرعه ومن كان معه من ولده وأهله ولتسلم وتصلّي عليه ، إلى آخر الحديث .(1)

وروى هذا الحديث السيّد في الإقبال باختلاف في السند وتغيير بسيط في اللفظ ، فقال : وتمثل بين يديك مصرعه وتفرغ ذهنك وجميع بدنك وتجمع له

عقلك .(2)

وفي لفظ التمثيل احتمالان

الأول: أن تمثل مقتله ومصرعه في قلبك

والثاني : تمثيله في الخارج بالنقش أمامك .

وعبارة المصباح يمكن حملها على المعنى الأوّل لولا- ما ورد فيها من قوله : «لنفسك» إذ لو كان المقصود هو المعنى الأوّل لقال : في نفسك ، إلا- أن عبارة الإقبال بعيدة عن التأويل ؛ لأن قوله بين يديك يبعده كقوله: «وتفرغ ذهنك» إلى آخر الفقرات فإنّها تبعد الاحتمال المخالف.

ويؤيد هذا المعنى أيضاً الأخبار الواردة في زيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .(3)

ص: 308

1- مصباح المتهجد : 547 ، بحار الأنوار 45: 63 (هامش الأصل)

2- الإقبال : 41 ، البحار 101: 316 . (هامش الأصل) الإقبال 3: 66 . (المترجم)

3- يقول العلامة المجلسي الله في (زاد المعاد) في أعمال عيد المولد النبوي في السابع عشر م-ن رب-ي-ع الأول ، يقول : قال الشيخ المفيد والشهيد والسيد ابن طاووس (رحمة الله عليهم) : إذا كنت ببلد غير بلاد طيبة وأردت زيارة رسول الله اغتسل وأقم لك قبراً شبيهاً بقبره وخطّ عليه اسمه المبارك وقف وهو بين يديك وتوجّه بقلبك نحوه، وقال ... وفي هامش «الصحيفة الهادية» أو «الصحيفة المهدية» ص 82 ينقل عن الشيخ البهائي : من كان في مهم وهو في شقة نائية عن العمران فليخط خطوطاً أربعة ويفترضها قبر النبي افتراضاً وليحدق في هذه الخطوط التي اعتبرها قبراً للنبي علا الله وليشر إليها وليقل اثني عشر ألف مرة «صلى الله عليك يا رسول الله» فسوف يكفى هذا المهم إن شاء الله ، وينال قائلها حالة من الأنس والمسرة، وهذا مجرب

ويستحبّ هنا تمثيل الضريح الطاهر وما احتمل من شمول حرمة التصوير له فهو من قصور الباع لأن الفرض من التصوير المحرّم تجسيم صور ذوات الأرواح وتصوير غيرها كالأشجار فإن ذلك جائز وكذلك تصوير الجماد باتفاق المسلمين بل بضرورة الدين جائز ، وتصوير كل بناء مشاكل الصورة جماد أو مشاكل الصورة بناء آخر ، وهذا من القسم الأخير الجائز ، وأهل السنّة لفرط جهلهم وغاية حمقهم والعصبيّتهم المفرطة ولأنّهم غرقى بحر الضلالة يتمسكون بكل حشيشة تردّ الشيعة لعلّ فعلهم هذا يلقي الشبهة في قلوبهم كما يزعمون أو في قلوب الضعفاء منهم ويضلّون مسلماً كما ضلّوا.

والطعام الذي يصنع في بلاد الشيعة في أيام عاشوراء لا يحمل عنوان التوسع والتنعم في المعيشة بل بعنوان صنع الطعام لأصحاب المآتم ، وإسناد أمر العزاء وإقامة نظام مجلس المصيبة كما سمعت ذلك في ذيل خبر المصيبة، ويمكن أن يستفاد هذا المعنى من أخبار وفاة حمزة ووفاة جعفر وغيره الواردة في هذا الباب (1)، والله العالم .

ص: 309

1- قال الطريحي في حديث مناجاة موسى ، قد قال: يا رب ، لم فضلت أمة محمد على سائر الأمم ؟ فقال الله تعالى : فضّلتهم لعشر خصال . قال موسى : وما تلك الخصال التي يعملونها ؟ قال الله تعالى : الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والجمعة والجماعة والقرآن والعلم والعاشوراء . قال موسى : يا رب ، وما العاشوراء ؟ قال : البكاء والتباكي على سبط محمد و المرثية والعزاء على مصيبة ولد المصطفى . ياموسى ، ما من عبد من عبيدي في ذلك الزمان بكى أو تباكى وتعزى على ولد المصطفى إلا وكانت له الجنة ثابتاً فيها ، وما من عبد أنفق من ماله في محبة ابن بنت نبيه طعاماً وغير ذلك درهماً أو ديناراً إلا وباركت له في دار الدنيا الدرهم بسبعين درهماً ، وكان معافاً في الجنة ، وغفرت له ذنوبه . وعزتي وجلالي ما من رجل أو امرأة سال دمع عينيه في يوم عاشوراء وغيره قطرة واحدة إلا وكتب له أجر مائة شهيد (مجمع البحرين - ذيل لفظ عشر ، زهر الربيع 1: 331 ط بيروت) . (هامش الأصل)

لم نعرض لمباني علماء أهل السنة وفقههم وإن كانت الأدلة التي نذكرها هنا حجة عند الشيعة أيضاً إلا أننا في الطريق الأول ذكرنا الأدلة التي يختص بها الشيعة فلم نشر إلى تلك ومبناهم هنا يحتوي على دليلين : الأول القرآن ، والثاني ، السنة ، وهي الأحاديث المروية من طرقهم ، وهذا القسم وإن كان الأصل فيه الكذب والافتراء كما يظهر ذلك من ملاحظة أحوال رجالهم ونقل أخبارهم النواصب والخوارج والوضاعين والكذابين ؛ لأن هذه الطائفة أصل الكذب ومعدن الوضع وينبوع الافتراء ومنشأ الأباطيل ومبدأ الأضاليل ، وقد بين ذلك وأوضح شطراً منه في كتب الشيعة - والحمد لله - مثل (نصرة المؤمنين) للفاضل المؤيد السيف المهند الميرزا محمد مهدي و (استقصاء الإفحام) للسيد الجليل النبيل مرتضى الأمام المولوي المعاصر المير حامد جعل الله من رحمته كفلين ، فقد ذكرا كل ذلك بيان وافٍ وبرهان كافٍ ، إلا أننا لما أعربنا في الأصول الممهدة عن حجّية الخبر الموثوق الصدور وإن رواه الكاذب الوضع ، وأخبار هذه الطائفة في فضائل أهل البيت بلحاظ ما جبلوا عليه من العداوة لهم أو أجبروا على ذلك محفوفة

بقرائن الصدق ، كما قيل :

ومليحة شهد العدو بفضلها***والفضل ما شهدت به الأعداء

ص : 310

وإذا اشتملت الأخبار على أمرين أحدهما موافق لمذهب الشيعة، والثاني مخالف له فإنه غير حجة إذ يحتمل إلحاقه بطريق الدس والتدليس واختلاف الوثوق في جزء كلام واحد لم تكن وثاقته بشخص راويه، وإنما بالاستناد إلى أمور خارجة لم يكن نادر الوقوع ولا عزيز الوجود. ولو افترضنا جدلاً إطراح رواياتهم بأجمعها المخالف منها والموافق؛ لكذبهم ووضعهم وفسقهم ونصبهم وكفرهم فلا مناص من قبولها في مقام الاحتجاج عليهم.

وجملة القول؛ يقول الله تعالى في القرآن: «وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» (1) ويقول سبحانه: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» (2) وفي سبيل التفریع عليه يقول: «فَمَنْ حَاجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ» الآية، ويقول في موضع آخر: «وَمَنْ يُعَلِّمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ» (3).

والشعار مشتق من الشعور بمعنى ما يشعر به، لهذا فسروه في الصحاح وفي تفسير الرازي بإعلام طاعة الله، وقالوا عنه في بعض كتب التفسير لأهل السنة «معالم دين الله» والثلاثة واحد في المعنى والمراد بالحرمان وإن وقعت في مسائل الحج إلا أنها اختصاص لها به بل الكبرى كليتة، ولا شك بأن أهل الرسالة والعصمة التي هي أجر الرسالة من شعائر طاعة الله ومن معالم الدين، ومن أنكر ذلك فهو خارج من دين نبي آخر الزمان بالضرورة؛ إذا الأمر الذي يقوم بتعظيم هذه الشعائر وهذه الحرمة هو التقوى والخير.

وأيضاً من الدلالة على مطلبنا بعد الآيات ما نقله ابن حجر في شرح الهمزية،

ص: 311

1- الحج : 32 .

2- البقرة : 158 .

3- الحج : 30 .

وكفى بتناقض قوله حجة ملزمة عليه ، وهو كالذي يأتي في شرح هذا الشعر الذي قاله الناظم :

وقست منهم قلوب على من ***بكت الأرض فقد هم والسماء

يقول : اقتباس المعنى من الآية الكريمة : «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ» (1) لأن مفهوم الآية أن السماء والأرض يبكيان على المؤمن، وإذا كان هذا في مطلق المؤمنين - كما علم من الآية - فما ظنك بآل البيت النبوي والسر العلوي؟! ويقول بعد تأويلات كثيرة : ولا مانع من حمله على الحقيقة لأنه ممكن ورد به الشرع فلا يخرج عن ظاهره إلا بدليل ، ومرّ كلام مسلم والثعلبي وغيرهما في تفسير هذه الآية في شرح الفقرات السابقة. (2)

وأما الأخبار أولاً فيما ذكره ابن حجر في شرح الهمزية غنيّة عن القول وكفاية ، لأنه قال في الشرح البيت التالي للبيت السابق :

فأبكهم ما استطعت إن قليلاً***من عظيم المصاب فيه البكاء

أي مدة استطاعتك تأسياً بنبك ، ثم بجبرئيل ، ثم بعلي عليه السلام . روى ابن سعد عن الشعبي قال : مرّ علي كرم الله وجهه (3) بكربلاء عند مسيره إلى صفين فوقف وسأل

ص: 312

1- الدخان : 29

2- في شرح : «مصيبة ما أعظم رزيتها».

3- وجه هذا القول الذي يطلق على أمير المؤمنين - كرم الله وجهه - مضافاً إلى ما رووه من حديث أنهم يقولون : لأنه لم يسجد لصنم قط فوجه الشريف مكرم ، وفي (نور الأبصار) و(إسعاف الراغبين) من كتبهم مذكور : إنّ فاطمة بنت أسد لما كانت حاملاً به كلما أرادت تعظيم صنم وضع علي رجله المباركة في بطنها ومنعها من ذلك لأنه لم يسجد لغير الله منذ ولجته الروح إلى أن فارقت، ولم يعبد غيره، وهذا الخبر وإن كان من حيث الدلالة على عبادة فاطمة بنت أسد للأصنام لا يوافق قواعدنا وأخبارنا مطلقاً، إلا أن يحمل على التقيّة من الكفّار إلا أن كونه معجزة لأمير المؤمنين اعترف بها العدو ، لذلك لم أتجاسر عن ذكره ولم أمسك القلم عن كتابته . (منه)

عن اسم هذه الأرض ، فقيل له : كربلاء، فبكى حتى بل الأرض من دموعه ، ثم قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك؟ قال : كان عندي جبرئيل آنفاً، وأخبرني أن ولدي الحسين يُقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء ، ثم قبض جبرئيل قبضة من تراب الأرض أشمني إياها ، فلم أملك عيني أن فاضتا .(1)

وأخرج الترمذي أنّ أم سلمة رأت النبي باكياً، وبرأسه ولحيته التراب، فسألته ، فقال : قُتل الحسين آنفاً.

وكذلك رأى ابن عباس نصف النهار أشعث أغبر ، بيده قاروة فيها دم يلتقطه فسأله، فقال: دم الحسين وأصحابه، لم أزل أتبعه منذ اليوم، فنظروا فوجدوه قتل

ذلك اليوم .(2)

ثمّ يتساءل فيقول : جاء في الخبر الصحيح النهي عن البكاء، ويجب نفسه أنّ المراد بالبكاء هنا الحزن والتأسف على ما أصاب الدين وأهل الدين من استباحة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاستهانة بحقه، ثمّ يتساءل كيف نهى النبي عن البكاء وهو يبكي؟ فيجيب نفسه : النهي عن البكاء بعد الموت لأنّ فيه دلالة على التبرّم من قضاء الله وبكاء النبي قبل حدوث الموت.

وهذان الجوابان كلاهما بعيد عن الصواب :

أمّا الأوّل: فبعده لاقتضاء الحمل تقديم الخاص على العام وعلى فرض التسليم بصحة السند فينبغي أن يخصص خبر النهي بالنسبة إلى سيّد الشهداء بخبر التجويز ، ومبنى علماء الفريقين في جميع المباحث على تقديم الخاص على العام، وهذا الحمل باطل باتفاق علماء الإسلام

ص: 313

1- الصواعق المحرقة : 191 ط عبد اللطيف بمصر

2- صحيح الترمذي 13: 193 ط الصادي بمصر . (هامش الأصل)

ثانياً: حمل البكاء على التأسف والحزن لا يختلف عن حملته على البكاء لأنك سمعت في عبارة الصواعق أنّ الحزن من بدع الروافض .

ثالثاً: حمل البكاء على التأسف والحزن خروج عن ظاهر اللفظ بدون قرينة واطراح هذا الحمل أولى.(1)

وأما جوابه الثاني فلا يصح لأن رواية الترمذي فيها بكاء النبي بعد القتل وإذا ما نفى حجّية الرؤيا فنقول في جوابه : لماذا حرّره إذن وأخذ في توجيهه علاوة على أنه في شرح الأبيات وغيرها من علمائهم يقولون : رؤيا النبي حجّة ورووا في هذا الباب عدداً من الأخبار. ثانياً: لا فرق بين البكاء والحزن في الدلالة على التبرّم من قضاء الله والتفكيك لا يصح بين اثنين علتها مشتركة بالجواز وعدمه .

ومجمل القول : إنّ من الأخبار الدالّة على جواز البكاء الخبر الذي رواه ابن الأثير وغيره من العلماء من أهل السنة والجماعة أن النبي لما قفل من غزاة أحد إلى المدينة سمع بكاء الأنصار على قتلاهم من الشهداء ، قال : لكن حمزة لا بواكي له. فلما سمع الأنصار أرسلوا نسائهم يبكين على حمزة (2) قبل البكاء على قتلاهن . قال ابن الأثير: قال الواقدي : فلم يزلن يبداً بالنذب لحمزة حتى الآن بالقطع واليقين.(3)

ولم تكن محبّة الرسول لحمزة أكثر من محبّته بسببه سيّد الشهداء وإذا كان مأموراً بالبكاء على الحمزة فأجدد به أن يكون مأمور به على الحسين عليه السلام .

ومجمل القول : لَمَّا كانت مودّة أهل البيت واجبة وتعظيم شعائر الإسلام لازماً والبكاء على سيّد الشهداء عمل مندوب إليه فإنّ جميع الأمور المذكورة تدرج

ص: 314

1- وقع خطأ في هذا وما قبله بالتقديم والتأخير . (المترجم)

2- الكامل 2 : 163 ط بيروت. (هامش الأصل)

3- شرح النهج لابن أبي الحديد 42:15 (هامش الأصل)

تحت هذه العناوين وهي مقدّمة لحصول البكاء، وثبت في الأصول واعترف به علماء أهل السنة والجماعة أنّ ما يتوقف عليه المطلوب مطلوب، فثبت من هذا أنّ جميع الأمور المذكورة راجحة وماندية إما بأمر نفسي أو بأمر غيري، وهو عين المطلوب والمدعى .

وأما قوله : «هذا العمل بدعة» فإن كان يقصد بها إدخال ما ليس من الدين في الدين بقصد أنه من الدين فإنّ فساده ظاهر لأنه داخل في العناوين العامة وتشتمل عليه الأدلة الخاصة .

وإن كان قصده أنه عمل مستحدث لم يكن على عهد النبي فإنه مضافاً إلى بطلانه فإننا نقول : نقل عن جماعة من العلماء بمقتضى الأخبار وصرّح ابن الأثير ببعضه أنّ البدعة تنقسم إلى الأحكام الخمسة واجبة ، كالاشتغال بعلوم العربية ، و حرام كشبهات المجبرة ، ومستحبة كبناء المدارس والرباطات ، ومكروهة كتذهيب المساجد ، ومباحة كفتح الجيب ولبس الثياب الجديدة ، ومن أين علم أنّ هذه البدعة لم تكن واجبة أو مستحبة ، بناءً على ما قرره ؟ إذن لا يوجب مجرد إطلاق اسم البدعة على عمل بناءً على مذهبهم الصدود عن ذلك العمل .

ذكر في النهاية بياناً حول الموضوع يحسن الرجوع إليه، وقد سمعت في الفقرات السابقة (1) ذكر بكاء الأرض والسماء .

ونقل عن عبد القادر الكيلاني في الفتية أنّ قال : بكى على الحسين ألف من الملائكة .(2).

ص: 315

1- ذيل فقرة : «مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيتها في الإسلام» .

2- وقال الطبري في ذخائر العقبى : 151 ، ط مكتبة القدوسي بمصر عن جعفر بن محمد الصادق أن حول قبر الحسين سبعين ألف ملك شعثاً غبراً يبكون عليه إلى يوم القيامة . (هامش الأصل)

ويقول ابن زيدون في شرح قصيدة ابن عبدون تعليقاً على البيت التالي:

وأسبلت دمعة الروح الأمين على *** دم بفتح لآل المصطفى هدر

بكي جبرئيل على الحسين عليه السلام ، وإذا كان البكاء على سيّد الشهداء بدعة من بدع الرافضة فينبغي أن يكون رسول الله وأمير المؤمنين وجبرئيل والسبعون ألفاً من الملائكة والسماء والأرض والشمس والقمر ، كلّ هؤلاء روافض وهذا اعتراف مفيد من ابن حجر أنّ هؤلاء جميعاً رفضوا أئمتهم .

ومجمل القول أنه مضاف إلى ما تقدّم من الأمور فإنّ هاهنا دليلاً اعتبارياً لو تأمله العاقل المحايد المنصف فإنّه يجزم بصحة قول الشيعة وفساد طريقة خصومهم من العامة وهو أن أجنبيّاً عن الإسلام لو ألمّ بما جرى من أن جماعة آمنوا برسول الله واعتبروه واسطة الفيض الإلهي ورابطة المدد السماوي وهم يعترفون أن هذا النبي أوصى مراراً وتكراراً بأهل بيته، وأكد هذه الوصية وجاء في كتابه أن مودتهم أجر رسالة جدّهم واختص أحدهم بمزيد عنايته فقال فيه : «حسين متي وأنا من حسين» وقال : «أحبّ الله من أحبّ حسيناً»، وقال: «اللهم إني أحبّه فأحب من أحبه وأبغض من أبغضه» وقال: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى أكون أحبّ إليه من نفسه وأهله». (1)

ونقل هذه الأخبار جميع فرق هذه الأمة ، فاتفق أن انبرى إليه جماعة من نسل أعدائه فقتلوا الحسين ظلماً وعدواناً وأسروا نسائه وبناته كما يؤسر الروم والخزر، ولم يألوا جهداً في إيصال الأذى والظلم إليهم، والآن برزت طائفة من أمة هذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقاموا عزاء هذا الإمام ونصبوا مآتمه نيابة عنه وحفظاً لرحمه اتخذوا البكاء والحزن شعاراً، ويوم مقتله يوم تعطيل وترك للأعمال وراحوا يعظمون قدر

ص: 316

1- ونقلها في إحقاق الحق بالتفصيل 11 : 265 و 283 . (هامش الأصل)

هذا النبي ويؤدّون أجر رسالته على الوجه الأتم

ولكن طائفة أخرى تنسب نفسها إلى الأمة عكست القضية فاتخذت يوم مقتله سبباً للأفراح والمسرات، وراحت تجدد ثيابها وتكتحل وتختضب وتقيم حفلات البهجة والسرور ومجالس الأُنس والفرح، ويهنّئ بعضهم البعض الآخر ثم يستخفون بالطائفة الأولى ويهزئون منها ويعتبرونها ضالة مبدعة فسوف يحكم هذا الوافد الأجنبي المحايد الخارج عن التزامات الطائفتين بصحة عمل الطائفة الأولى وأنها المتبعة حقاً، لذلك النبي والملتزمة بشرائط الأتباع . وأما الطائفة الثانية فقد أعطت ظهرها لحرّامات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسلكوا مسلك العدو وفعّلوا فعله لأنهم ابتهجوا بقتل ابن النبي كما ابتهج وفرحوا كما فرح، والحمد لله على وضوح الحجّة .

نصح وتحذير

ما أحسن أن يلتفت الشيعة عموماً والذاكرون خصوصاً في أمر هذا العزاء والمأتم إلى انتهاج طريقة تقتصر معها السنّة النواصب فيقتصروا على الواجبات والمستحبّات، ويفرغوا عن استعمال الحرام واقتراف المعازف من قبيل الغناء الذي لا تخلوا منها طرائف الندب والرثاء واللطم غالباً، ويحترزوا من رواية الأكاذيب المفتعلة والحكايات الضعيفة المظنونة الكذب الدائرة في كتب المتأخرين بل المعاصرين، بل يشيحوا بوجوههم عن الكتب التي لم يكتبها رجال علماء لأنّ دائرة التصنيف والتأليف في زماننا اتسعت حتى لم يعد بحاجة لغير القرطاس والقلم وهجرت الشروط الأخرى، ولا يجعلوا سبيلاً للشيطان على أنفسهم، ويتركوا الكبائر التي تتلف روح العبادات، لاسيما الكذب والغناء الذي وجد الطريق إلى هذا العمل سالكاً فسار فيه، وقل من صين عنه، والصواب هنا ذكر خبر أو خبرين عن عظيم عقوبة الكذب والغناء لعلّ المبتلى - أجارنا الله وإياك - يرتدع .

ص: 317

نقل في الحديث الموثق (1) في الكافي وعقاب الأعمال أن الله تعالى عز وجل جعل للشرا أقفلاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب. (2) وفي كتب فقهاءنا رضي الله عنهم مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من كذب من غير عذر لعنه سبعون ألفاً من الملائكة ويخرج منه ريح نتنة حتى تبلغ العرش ويكتب الله عليه مكان هذه الكذبة سبعين زنية أقلها الزنا بالأم. (3)

وجاء في الكتب الفقهيّة أيضاً عن الإمام العسكري أنه قال: وضع الخبث في بيت وجعل مفتاحه الكذب.

واستند شيخ الطائفة وقائدها الأجل والمنتهى إليه رياستهم في العلم والعمل شيخنا المرتضى ضاعف الله قدره ورفع في الملاء الأعلى ذكره في كتاب المكاسب على حرمة مطلق الكذب بهذه الأخبار الثلاثة المستندة (4) وأنه من الذنوب الكبائر، وهذا هو مذهب المحقق والعلامة والشهيد الثاني، سواءً ترتبت عليه مفسدة أو

ص: 318

- 1- لم يكن الرجوع إلى الأخبار متيسراً ساعة تأليف الكتاب لذلك اختلفت طريقتنا هنا وسرنا على غير السبب المعهود وإن كان في الاعتماد أقوى. (منه)
- 2- الكافي 2 : 338. (المترجم)
- 3- لا أرتاب في وضع هذا الحديث كما أدين الله بلعن واضعه وحاشى للنبي أن ينطق العوراء خاصة إذا كانت في الوالدات، وأعلم بأن كل حديث وردت فيه عبارة الزنا بالأم فهو موضوع بلا ريب، وسامح الله هذا الشيخ العظيم على هذه الغفلة (المترجم)
- 4- أقول: من هاهنا دهي شيخنا الفاضل العظيم الله والذي عرفته عنه أنه ينأى بنفسه عن نقل مثل هذه الأخبار لولا أنه وجدها في كتاب مولانا الشيخ الأنصاري له من ثم رواها ثقة به واعتماداً عليه ولكنه سامحه الله نسي أن الشيخ الأنصاري ليس معصوماً وأن الغفلة والنسيان يعرضان لغير المعصوم، وإليك الخبرين الذين ترجمناهما في المتن من كتاب المكاسب 2 : 12 : وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أن المؤمن إذا كذب بغير عذر لعنه سبعون ألف ملك وخرج من قلبه نتن حتى يبلغ العرش، وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنية أهونها كمن يزني مع أمه، ويؤيده ما عن العسكري صلوات الله عليه : جعلت الخبائث كلها في بيت واحد وجعل مفتاحها الكذب ... الحديث، فإن مفتاح الخبائث كلها كبيرة لا محالة. (المترجم)

لا، هذا حال الكذب الخالي من المفسدة، وأما الحاوي لها لاسيما إذا كان في الدين وصار سبباً لضعف اعتقاد المسلم أو للافتراء على الإمام أو إدخال الإهانة على قدر أهل البيت فهو حينئذ أخبث من سابقه مائة مرة وذنبه، أكبر، وإذا كان الكذب على الله ورسوله والأئمة عليهم السلام فإن حاله مفهومه وهو مبطل للصوم وموجب للكفارة.

وفي عقاب الأعمال أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار وهذا من الكبر بالاتفاق، وإطلاق الخبر المذكور يشمل حتى الكلمة الواحدة وإن لم تكن مفيدة أو لم تترتب عليها آثار مفسدة فإنها موجبة لدخول جهنم.

ومن هذه الجهة نقل عن المرحوم الفقيه الزاهد الورع الحاج محمد إبراهيم الكلباسي أن خطيباً من فضلاء أهل المنبر قال في حضرته في أثناء القصّة التي قال فيها الإمام الحسين: يا زينب يا زينب فردّ عليه هذا الفقيه الورع ولم يحابه في الملامع ورفع عقيرته بالقول: فضّ الله فاك لم يقل الإمام مرتين «يا زينب» وإنما هي مرة واحدة، من هنا ينبغي لأهل المنبر أن يلحظوا حالهم ويعرفوا المفسدة المترتبة على هذا العمل.

وأما الغناء: فقد أجمعت الإمامية على تحريمه في الجملة.

والكليني بإسناده إلى محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام أنه قال: الغناء ممّا وعد الله عزّ وجلّ عليه النار وتلا هذه الآية: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ» (1)(2)

وخلاصة المعنى للآية الكريمة أنّ من الناس يعني بعضهم يشترون لهو

ص: 319

1- لقمان: 6.

2- الكافي 6: 431 (المترجم) ونفسه حديث 5 باب 6 كتاب 25. (هامش الأصل)

الحديث ويطلبونه ليضلوا الناس عن دين الله بدون علم ويسخرون من الدين هؤلاء لهم في الآخرة عذاب الذل والهون وفسروا لهو الحديث هنا بالغناء . ويمكن أن يدعى التواتر على هذا المعنى في أخبار أهل البيت في الجملة، وفي بعض الأخبار فسروا قول الزور بالغناء.

وحقيقة الغناء هو اللهو سواء كان مع الترجيع أو حصلاً من تقطيع الصوت بأطوال موزونة كما هو حاصل في اللحن المشهور من المناحة الموازنة له والمشهودة .

وصرح بهذا التعميم الشيخ الأفقه الأكبر الشيخ جعفر في شرح القواعد) ولا فرق في هذه الحال بين رثاء سيّد الشهداء وغيره في الحرمة ، ولا تشترط رخامة الصوت بل يكفي أن يتطرب به الفساق ساعة اللهو والطرب ويسمونه في عرفهم الغناء في أي لحن كان، وتضمن أي معنى شاء ، فكله حرام وموجب لدخول النار ، ولئن كان نشر الفضائل مستحباً فإنّ الكذب والغناء حرام وباطل .

ومن المناسب أن ننقل هنا كلام الشيخ الأجل الأعظم أستاذ جميع من تأخر وتقدّم حجة الفرقة الناجية، علامة العترة الزاكية شيخنا الأستاذ الأكبر نور الله ضريحه المطهر في المكاسب في الردّ على من زعم أن الغناء في المراثي موجب للبكاء ولزيادة، فيقول:

أما كون الغناء معيناً على البكاء والتفجّع فهو ممنوع بناءً على ما عرفت من كون الغناء هو الصوت اللهوي بل وعلى ظاهر تعريف المشهور من الترجيع المطرب» لأنّ الطرب الحاصل منه إن كان سروراً فهو مناف للتفجّع لا معين، وإن كان حزناً فهو على ما هو المركوز في النفس الحيوانية من فقد المشتبهات النفسانية لا على ما أصاب سادات الزمان (وعترة خاتم النبيين - المؤلّف) مع أنه على تقدير الإعانة لا ينفع في جواز الشيء كونه مقدّمة لمستحبّ أو مباح بل لا بد

من ملاحظة عموم دليل الحرمة له فإن كان فهو وإلا فيحكم بإباحته للأصل ، وعلى أي حال فلا يجوز التمسك في الإباحة بكونه مقدّمة لغير حرام....(1)

لما عرفت ثم إنّه يظهر من هذا ومما ذكر أخيراً من أن المراثي ليس فيها طرب أن نظره إلى المراثي المتعارفة لأهل الديانة التي لا يقصد إلا للنفج ، وكأن-ه ل-م يحدث في عصره المراثي التي يكتفي بها أهل اللهو والمترفون من الرجال والنساء عن حضور مجالس اللهو وضرب العود والأوتار والتغني بالقصب والمزمار كما هو الشائع في زماننا الذي قد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينظر في قوله : « يتخذون القرآن مزامير » .(2)

كما أن زيارة سيّدنا ومولانا أبي عبدالله الحسين عليه السلام صار سفرها من أسفار النزهة لكثير من المسرفين، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنظيره في سفر الحج وأنه يحج أغنياء أمتي للنزهة والأوساط للتجارة والفقراء للسمعة وكأن كلامه صلى الله عليه وآله وسلم - كالكتاب العزيز - وارد في مورد وجار في نظيره (3) وإلى هنا تمت (ترجمة) عبارة مكاسب الشيخ قدس الله نفسه وروحه رسمه .

ولما كان عموم أهل الإيمان من هذه الأمة من العالم والعامي يجرون كلام هذا الإمام المقدّم والقُدوة المعظم مجرى النصوص فلا بأس من تدبره واتخاذها مثلاً يحتذى فلا يتخطونه، ومن أعظم مصائب الإسلام التي لو مات المسلم الغيور منها كمدّاً لما عدّ ملوماً أن بغاة اللهو وهواة الطرب من الناس يضعون أهل أسماء أهل

ص: 321

1- الشيخ الأنصاري ، المكاسب 1 : 312 (المترجم)

2- الرضا عن آبائه قال : قال رسول الله : إني أخاف عليكم استخفافاً بالدين وبيع الحكم وقطيعة الرحم وأن تتخذوا القرآن مزامير». عيون الأخبار 2: 42 ، بحار الأنوار 2: 42، نفسه 2: 89 ط بيروت (هامش الأصل)

3- المكاسب 1 : 311 و 312.

بيت الطهارة الذين وصفهم الله في القرآن بالكرامة والعظمة من أمثال : زينب وأمّ كلثوم وسكينة في آلات اللهو والطرب مكان الأسماء التي ينبغي أن تدخل في المثلث والمثاني مثل ليلي وسلمى مراراً وتكراراً، ويجعلون تذكّر مصائب آل الرسول بدلاً من سيرة بني أمية مجالاً لرغد العيش والتنعيم ووسيلة للتغنّي والترنم ، ومن تأمل هذا الأمر عرف بأنه تخطى مجالات الفسق وأدخل رأسه في جيب الكفر والإلحاد نعوذ بالله من الخذلان وغلبة الهوى ومكيدة الشيطان .

ص: 322

اللَّهُمَّ فَضَاعِفْ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَ وَالْعَذَابَ بِقَتْلِهِمُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام ...

الشرح : الفاء للتفريع وهي تعليل اللاحق بالسابق، وعدّاة طلب المضاعفة لهم هذا المقام هو فرحهم بيوم عاشوراء لأنها حقيقةً مصيبة عظيمة وخطب جليل

بل لا يقلّ عن إثم قتله وجريمة ذبحه.

ضعف كما في الصحاح والقاموس وأساس البلاغة ومنتهى الإرب وغيرها : المثل . ضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه وأضعافه أمثاله

وقال في القاموس : (والضعف المثل إلى ما زاد) فعلى هذا يكون مثال الشيء مرة أو مرتين أو ما زاد يسمّى ضعفاً، ويقولون لك ضعفه، ويريدون مثليه أو

ثلاثة أمثاله ، وهذا التردد من صاحب القاموس ، وجرت على هذا عادته أن يتردّد في مواضع اختلاف أقوال اللغويين إذا لم يرجح أحدها ؛ فالكلام يدل على قول والمثال شاهد على هذا القول.

وفي تفسير الفخر الرازي نسب العبارة المذكورة إلى الأزهري.

والمضاعفة عدل الشيء مرتين أو أكثر كما قال في منتهى الإرب ونسب في الصحاح هذا القول إلى الخليل وقال : وذكر الخليل أن التضعيف أن يزداد على أصل الشيء فيجعل اثنين أو أكثر ، وكذلك الأضعاف والمضاعفة ، يقال : ضعفت الشيء وأضعفته وضاعفته بمعنى ، والآية الكريمة : «يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ» (1) مؤداه كون العذاب ثلاثاً وشاهد على هذا المدعى قوله تعالى : «يُضَاعَفُهُ أضعافاً مضاعفة» «فَيُضَاعَفُهُ لَهُ أضعافاً كَثِيرَةً» (2) [لأنّ المضاعفة إن اختصت بإضافة المثل لا يستقيم المعنى في هذا الاستعمال، ومن هنا يظهر أن الضعف ليس

ص: 323

1- الأحزاب : 30

2- البقرة : 245 .

مختصاً بمثل واحد لأنَّ اختلاف المشتق مع المصدر في أصل المعنى وسنخ الموضوع لا يعقل. فتبين من هذا أنَّ الحق مع الخليل ولا يصح ما قاله اللغويون ظاهراً بأنَّ الضعف بمعنى المثل ؛ لأنَّ المراد من الضعف المثان لا النظير والمشابه للأصل ، ومن هذه الجهة صار معنى التضعيف جعل الشيء مثليين ، وأشار العلامة الطبرسي له في مجمع البيان إلى دفع هذا الإشكال حيث قال :

«الضعف المثل الزائد على مثله فإذا قال القائل : أضعف هذه الدراهم فمعناه اجعل معه درهماً لا ديناراً، وكذلك إذا قال : اضعف الاثنين فمعناه اجعلهما أربعة ، وقوله : لا- ديناراً إشارة إلى أن الزيادة على الضعف لا تكون اثنين ، ولا يعلم ذلك من اللفظ لكي يمكن أن تظنَّ عشرة أو ديناراً.

وكذلك قال : حكى عن العرب أنَّ الأضعاف في لغتهم مثان ، والمضاعفة الزيادة على المثليين ، وبناءً على هذا فيظهر النكتة في اختيار المضاعفة في هذا الدعاء في معنى الأضعاف والتضعيف.

العذاب : التعذيب، وكلّ ما يقضي على النفس من الألم كما هو في منتهى الإرب، والمراد في عبارة الدعاء على الظاهر العذاب الأخرى.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، وَفِي مَوْقِفِي هَذَا ، وَأَيَّامِ حَيَاتِي بِالْبِرَاءَةِ مِنْهُمْ ، وَاللَّعْنَةِ عَلَيْهِمْ ، وَبِالْمُؤَالَاةِ لِنَبِيِّكَ وَأَلِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ...

الشرح : هذه الفقرة فذلكة الزيارة وخلصتها لأن قوام هذه الزيارة على أمور ثلاثة :

الأول : بإظهار الولاء للنبي وآله كما ذكر في بعض الفقرات تفصيلاً، وفي بعضها الآخر إجمالاً .

الثاني: البرائة من جميع مراتب وجود العدو من الذوات والأفعال والصفات. الثالث : لعن هذا الفريق وفي هذه الفقرة ذكرت المطالب الثلاثة ، ومن محاسن الاتفاق أن يكون ابتداء هذه الزيارة واختتامها بلفظ السلام وهو دليل سلامة القارئ إن شاء الله ببركات أهل بيت العصمة والطهارة من الآفات والشُرور الدينية والدنيوية، ومنّ الله علينا ببيان ما يحتاج إلى بيان وشرح من توضيح وشرح ألفاظ ومعاني هذه الزيارة بما يستحقه وما يقتضيه المقام بمقدار الوسع والطاقة، وما سمح به الزمان ونسبة هذا العمل إلى قوة الذات خطأ فادح وعُجب ورعونة بل ما جرى هو من ميامن وتوجهات ذلك الإمام الذي ارتبطت هذه الزيارة بذاته الشريفة وتعلّقت بفضلته شملنا الله وعامة شيعته ببركاته وألحقنا في الآخرة بدرجة عبيده بل بدرجاته ..

والآن من المناسب التعرّض لشرح فقرات عدّة من الدعاء الوارد عقيب زيارته بفصل مستقل طبقاً للمبادئ التي سرنا على نهجها في شرحنا المتقدم تمييزاً للفائدة وإتماماً لنعمة الله علينا والله الموفق لكل خير وبه الاعتصام ثم برسوله وعترته عليهم أفضل الصلاة والسلام.

في شرح دعاء اللعن والسلام ودعاء قبل السجدة ودعاء السجدة

إشارة

وفي هذا الفصل مطالب عدّة :

المطلب الأول : شرح دعاء اللعن

ذَلِكَ

اللَّهُمَّ الْعَنْ أَوَّلَ ظَالِمٍ ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَآخِرَ تَابِعٍ لَهُ عَلَى

الشرح : أول : اختلف في اشتقاقه فقال جماعة من البصريين أنه مأخوذ من «وول» وفي هذا المعنى راعوا القياس لأن وزنه عندهم على أفعل ولكن لا يظهر معنى لـ«وول» ولم يستعمل في غير موضع النزاع اتفاقاً فيكون على هذا لا وجه للاشتقاق منه .

وقال بعضهم : مشتق من «وئل» ومعناه لجاجاً ، ومنه الموثل بمعنى الملبجأ ، ولما كان السبق علّة في النجاة وأول كل شيء سابق على سائر أجزائه لذلك استعملوا اللفظ الموضوع للالزم في الملزوم وبناءً أعلى هذا يكون الواو الثاني مقلوباً عن الهمزة وهذا خلاف القياس .

وقال جماعة : اشتق من «أول» بمعنى رجع ، وإذا كان على وزن أفعل يكون معناه الشيء الذي يكثر الرجوع إليه ، وهذا المعنى لازم لأسبق الأجزاء ، وبناءً أعلى هذا يكون أفعل التفضيل مشتقاً من المجهول مثل أحب وأبغض وأحمد وأشغل وأشهر ونظائرها .

ووقع الخلاف في وزنه كما وقع في اشتقاقه فقال البصريون هو على وزن

ص: 326

«أفعل» وغالب الكوفيين وبعض البصريين على أنه على وزن فوعل مثل «كوكب» و«جوهر وبناءً على هذا تكون الواو زائداً وليست الهمزة

...

وإذا كان مشتقاً من «وول» فينبغي أن يكون «وول»(1) فقلبت الواو الأولى إلى همزة لثقلها على اللسان وإذا كانت مشتقة من «وئل» تكون .. «وئل» وبناءً على هذا يكون قد حدث قلبان وكلاهما خلاف القياس، ويمكن الالتزام بالنقل المكاني وحينئذ يكون على وزن «عوفل» وبناءً على الوجه الثالث(2) يتفق مع الاحتمال السابق(3) لأنّ كليهما على وزن «أوئل»(4)(5) والمشهور عند النحاة أنّ أول على وزن أفعل واستشهدوا بقول العرب : هذا أول من هذا مع من التفضيلية، ومع أنّ مؤنثه «أولى» ومن هذه الجهة اعتبر الحريري في أوهام الخواص أنّ أول مؤنث أول خطأ، وتابعه المحقق الثاني في جامع المقاصد، وحكم على العلامة بالتخطئة في استعمالين «أولتين» وبعضهم كالمرزوقي في شرح الفصيح صحّح

ص: 327

1- «ووول» هو الصحيح (هامش الأصل)

2- الاشتقاق من مادة أول وعين الفعل في جميع هذه الصور تكون الصورة السادسة والأولى واحدة. (هامش الأصل) والترجمة غير دقيقة .
(المترجم)

3- أن يكون أفعل تفضيل من «وول» .

4- الصحيح «أوول». (هامش الأصل)

5- وفي المسألة سنة فروض : الف - أفعل تفضيل . ب - ألف «أول فاء الفعل على أن يكون أول على وزن فوعل، وتكون مادة أول مأخوذة من 1 - وول ، 2 - من «وئل»، 3 - من أول . ومع ضرب الاحتمالين في الاحتمالات الثلاثة تكون للمادة صور ست والتفصيل على النحو التالي : 1 - أوول ، 2 - أوئل ، 3 - أوول ، 4 - ووول ، مع كون الواو الزائدة بين فاء الفعل وعينه كالواو في كوكب وجوهر ؛ لأن الواو تزداد ثانية كثيراً كجوهر وكوثر (شرح عليخان : 34) 5 - ووئل ، 6 - أوول مع كون الواو زائدة بين فاء الفعل وعين الفعل وفي جميع هذه الصور تكون الصورة السادسة والأولى واحدة.

ذلك والتزم بأولة مؤنثاً لأول قياساً على آخره في تأنيث آخر ولا يخلو هذا الكلام من قدح .

وفي شرح الشهاب الخفاجي صاحب الريحانة على درة الغواص، وفي شرح الصحيفة المكرّمة للسيد الأديب المحقق المذكور أنّ أول يكون أحياناً أفعل تفضيل وأحياناً يكون صفة ويأتي أحياناً مثل الظروف لازمة الإضافة كقبل وبعد، ويستعمل استعمالهما وأحياناً يكو كسائر الأسماء، وهذان القسمان منصرفان

ومؤنّته «أوله» . ونقل عن المرزوقي في شرح الدرّة وعن منتهى الإرب.

ويقول في أساس البلاغة: «جمل أول» و«ناقة أول» وفي أخبار أهل العصمة عليهم السلام الذين كلامهم حجة واستعمالاتهم دليل الصحة ورد لفظ «أول» و«أولة كثيراً في كلامهم بل هو متكرّر الورد ومتكثر الوجود، ومع تصريح أبي حيان والمرزوقي والزمخشري ومجيب الاستعمال الفصيح في ذلك يكون الحكم بالتنخّط هو الخطأ.

والذي يصل إليه فهمي الفاصر أنّ «أول» لفظ مشترك بين هذين الوزنين عندما يكون غير منصرف ويستعمل مع «من» بمعنى أفعل التفضيل يكون مؤنّته أولى، وعندما يكون منصرفاً وبالمعنى المتقدم من دون نظر إلى التفضيل «فوعل» ومؤنّته أوله، واحتمال قياسه على «آخر» في غير المورد المذكور كما ذكر ذلك المرزوقي لا وجه له.

وعلاوة على هذا التأويل فإن ما يقال من انصراف معنى التفضيل ونزعه يحتاج إلى تكلف آخر، وما فعلناه من الجمع فإنّه وإن لم يقل به أحد إلا أنه ليس بعيداً على أية حال ولم نلتزم باجتهادات النحاة وآرائهم، ولا وحشة من حق ساعد عليه الدليل والاعتبار.

آخر: بكسر الخاء بمعنى البعد ضدّ الأول كما في منتهى الإرب وتأنيثه آخره

والآخَر بالفتح بمعنى الغير... (1) ولكنه أخص منه وهو من جنسه مثل «جائني رجل وآخره لا حيوان آخر ، وهذا المعنى يظهر من معنى الغير أيضاً ولكن بالانصراف لا الوضع بل بالقرينة لا بالانصراف ، وهذا ظاهر كلام اللغويين ، والفرق لا يخلو من إشكال .

التابع : في منتهى الإرب: «تبعه تبعاً - بالتحريك - وتباعة - بالفتح ..

والقصد من أول ظالم على الظاهر أبو بكر لأنه أول من تَمَّص الخلافة وفتح باب الظلم على أهل بيت النبوة عليهم السلام (2) وغضب حق محمد وآله وتعود إليه سيئات عمر لأنه عقد الخلافة من بعده لعمر ، ولذا جاء في أحاديث أهل بيت العصمة

ص: 329

1- يقال للأول بمعنى السابق والمقتدى به وبهذا المعنى جاء قول الله تعالى: «وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ» أي لا تسبقوا إلى الكفر فيقتدى بكم، وقول أمير المؤمنين: «أنا أول المؤمنين» أنا السابق إلى الإيمان وأنا المقتدى به - مفردات الراغب . والآخَر بمعنى من لم يكن الأول لا الفرد المكتمل ، وبهذا المعنى فسروا الآية الشريفة: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا» [المائدة: 114] الكشف ومجمع البيان . والآية المباركة: «قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْدَاقُنَا» [الأعراف: 38] والآية الكريمة «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ» [الحديد: 3] . ويظهر مما تقدّم تفاهة هذا السؤال . وفي هذه الفقرة «لعن الله أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد وآخر تابع له» ولكن اللعنة لم تصب المتوسطين بين الأول والآخَر ، فَلِمَ لَمْ يَلْعَنَهُمْ؟ (هامش الأصل)

2- ويدلّ عليه ما رواه العياشي عن أبي جميلة عن بعض أصحابه عن أحدهما قال: قد فرض الله في الخمس نصيباً لآل محمد فأبى أبو بكر أن يعطيهم نصيبهم حسداً وعداوة وقد قال الله: «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» وكان أبو بكر أول من منع آل محمد الله حقهم وظلمهم وحمل الناس على رقابهم ، ولما قبض أبو بكر استخلف عمر على غير شورى من المسلمين ولا رضا من آل محمد فعاش عمر بذلك لم يعط آل محمد علا الله حقهم وصنع ما صنع أبو بكر ... (العياشي ، ذيل الآية ، بحار الأنوار 8 2.10 ط تبريز و 8: 218 ط كمپاني) (هامش الأصل)

والطهارة : «عمر سيّئة من سيئات أبي بكر» وليس من المستبعد أن يكون المراد بأول ظالم الثاني لجهتين :

إما لأن ظهور آثار ظلمه أشدّ وأعظم .

وأما لأن الأول لم يتسنّم غارب الحكم إلا بتمهيد منه وتسويل كما أن كلام شارح المقاصد وغيره الذي سمعته سابقاً شاهد على صدق هذا المدعى ، من ثمّ يعبر عن أبي بكر في لسان الأئمة وخواصهم بالعجل ، وعن عمر بالسامري، وعلى كليهما من كتب القوم شاهد أعدل ومخبر أمين بعون الله وأوليائه الكرام ولا بد من

ذكرها.

أمّا دليل الوجه الأول : فالخبر الذي نقله ابن أبي الحديد من كتاب نصر بن مزاحم، ورواه المسعودي في مروج الذهب، وكلاهما معتمد عند أهل السنّة والجماعة ، وهذا الخبر وإن كان مسهباً إلاّ أنه لاشتماله على فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ومثالب عدوّه رأينا من الصواب نقله برمته لنؤدي به حق تلکم الحقبة من الزمن وهو كما يلي:

لما عزل علي عليه السلام قيس بن سعد من ولاية مصر ونصب محمد بن أبي بكر ووصل إلى مصر كتب إلى معاوية كتاباً كما يلي :

من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر ، سلام على أهل طاعة الله ممن هو سلم لأهل ولاية الله .

أما بعد فإنّ الله بجلاله وعظّمته وسلطانه وقدرته خلق خلقاً بلا عتب ولا ضعف في قوته ولا حاجة إلى خلقهم ولكّنه خلقهم عبداً وجعل منهم شقيّاً وسعيداً وغويّاً ورشيداً ، ثمّ اختار الله على علمه فاصطفى وانتخب منهم محمّداً فاختصّه برسالته واختاره لوحيه وائتمنه على أمره، وبعثه رسولاً مصدّقاً لما بين يديه من الكتب ودليلاً على الشرايع فدعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة

ص: 330

الحسنة ، فكان أول من أجاز وصدق (1) فأسلم وسلم فأخوه (2) وابن عمه علي بن أبي طالب فصدقه بالغيب المكتوم ، وأثره على كل حميم، ووقاه كل هول ، وواساه بنفسه في كل خوف فحارب حربه ، وسالم سلمه ، فلم يبرح متبذلاً لنفسه في ساعات الأزل ، ومقامات الروع حتى برز سابقاً لا- نظير له في جهاده ، ولا مقارب له فعله ، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو ، السابق المبرز في كل خير ، أول الناس إسلاماً، وأصدق الناس نية، وأطيب الناس ذرية، وأفضل الناس زوجة وخير الناس ابن عم.

وأنت اللعين بن اللعين ، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتبذلان فيه المال، وتخالفان في ذلك القتال (3) على ذلك مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله .

والشاهد لعلي مع فضله وسابقته القديمة، أنصاره الذين ذكرهم الله في القرآن ففضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار ، فهم معه في كتائب وعصائب يجالدون حوله بأسياهم، ويهريقون دماهم دونه، يرون الفضل في اتباعه، والشقاق والعصيان في خلافه، فكيف يالك الويل تعدل نفسك بعلي ، وهو وارث رسول الله ووصيه وأبو ولده وأول الناس له اتباعاً، وآخرهم به عهداً يخبره بسرهم ويشركه في أمره.

وأنت عدوه وابن عدوه ، فتمتع من دنياك ما استطعت بباطلك، وليمدك

ص: 331

1- ووافق - كتاب صفين. (هامش الأصل)

2- وأخوه - ابن أبي الحديد. (هامش الأصل)

3- القبائل - ابن أبي الحديد. (هامش الأصل)

ابن العاص في غوايتك فكأن أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهى، وسوف تستبين لمن تكون العاقبة العليا .

واعلم أنك إنما تكاد ربك الذي قد أمنت كيده، وأيست من روحه، وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور وباللله وبأهل بيت رسوله عنك الغنى، والسلام

على من اتبع الهدى (1).

ولما وصل الكتاب الذي خلاصة مضمونه ذكر فضائل علي عليه السلام وسبقه وجهاده وعلمه وحلمه ونصرته الإسلام ووقايته بنفسه المقدسة والثناء على أصحابه الذين هم لباب الأنصار وخلاصة المهاجرين، وتحذير معاوية من مغبة فعله، وسوء عاقبته لخلافه أهل بيت الرسالة وتبنيه إلى الرجوع عن غيه وعهده السالف ورسمه السابق وحقده القديم على النبي، وما كان يفعله هو وأبوه من تجييش الجيوش وتجنيد الجنود والعساكر على النبي ودعوته. لذلك صار اللعين ابن

اللعين والعدو ابن العدو، وبهذا يعرف وبه يلقب .

إلى أن كتب معاوية إليه :

من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر، سلام على أهل طاعة الله .

أما بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه ، وما اصطفى به نبيه مع كلام ألفته ووضعته ، فيه لرأيك تضعيف ، ولأبيك فيه تعنيف، وذكرت حق ابن أبي طالب ، وقدم (2) وقرابته من نبي الله ، ونصرته له ، ومواساته إياه في كلّ

ص: 332

1- شرح ابن أبي الحديد 3: 188 (هامش الأصل) نفسه : 189 . (المترجم)

2- قديم سابقته - أبي الحديد. (هامش الأصل)

خوف (1)، واحتجاجك عليّ وفخرك بفضلك لا بفضلك ، فاحمد إلهاً صرف ذلك الفضل عنك وجعله لغيرك، فقد كنا وأبوك معنا في حياة نبينا نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا، فلما اختار الله لنبيه ما عنده ، ه ، وأتم له وعده، وأظهر دعوته ، وأفلج حجته ، قبضه الله إليه ، فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه على ذلك اتفقاً واتسقا ، ثم دعواه على أنفسهما فأبطأ عنهما وتلكاً عليهما فهما به الهموم ، وأرادا به العظيم فبايعهما وسلّم لهما ، لا يشركانه في أمرهما ، ولا يطلعانه على سرهما ، حتى قبضا وانتضى أمرهما ، ثم أقام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان يهتدي بهديهما ويسير بسيرتهما فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأفاصي من أهل المعاصي ، وبطنتما له عداوتكما ، وعلّكما حتى بلغتما منه مناكما ، فخذ حذرک يابن أبي بكر ، فترى (فستري - ابن أبي الحديد) وبال أمرک ، وقس شبرک بفترك تقصر أن تساوي أو توازي من يزن الجبال حلمه ولا تلين على قسرقناته ، ولا يدري ذو مدى أناته ، أبوک مهد له مهاده ، وبنى ملكه ، وشاده ، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوک أول ، وإن يكن جوراً فأبوک أسه (أسسه ابن أبي الحديد)(2) ونحن شركاء ، فبهدها أخذنا ، وبفعله اقتدينا ، رأينا أبأك فعل ما فعل فأخذنا مثاله ، واقتدينا بفعاله ، فعب أبأك بما بدى لك أودع ، والسلام على من أناب ورجع عن غوايته وتاب..(3)

وهذا الجواب المذكور في مصادر ثلاثة من كتب أهل السنّة والجماعة وهي: كتاب نصر بن مزاحم وهو من أعظم المعتمدين الثقات عندهم ، و«مروج

ص: 333

1- هول - ابن أبي الحديد.

2- في ابن أبي الحديد: أسه ، وفي صفين لنصر : أسسه . (المترجم)

3- ابن أبي الحديد 3 : 189 (هامش الأصل)

الذهب» وقد مرّ آنفاً شطر من أحواله على القارئ (1) و«شرح نهج البلاغة» لعبد الحميد بن أبي الحديد البغدادي وهو من أجلة علماء هذه الطائفة وفقهائها .. (2) وقد تعرّض لذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان استطراداً عند ذكره ترجمة نصر الله بن الأثير صاحب (المثل السائر) وذكره صلاح الدين الكتبي في قوات الوفيات استقلالاً، والصلاح الصفدي في شرح اللامية وغيره، وعبروا عنه مراراً بالإمام العلامة، ومع ذكر هؤلاء للكتابين لا يبقى شك لأحد في سلامة السند. (3)

وفي هذا الكتاب شهد معاوية أنّ أساس الظلم لأهل البيت هو ذلك الملحد الذي جهل الله وعذابه في مواضع عدّة، ومعاوية عند القوم إمامهم وخليفة تجب طاعته، وهو واسطة الفيض الربّاني بينهم وبين الله، وأثبتوا له كرامات ومقامات، كما جاء في حكاية حديثه مع الشيطان في المشنوي، وبالطبع قول معاوية حجّة عليهم، وروايات علمائهم معتمدة.

وأما دليل الوجه الثاني فالخير الذي ذكره آية الله العلامة أدام الله في الجنة إكرامه الذي رواه عن البلاذري وأقرّ به ابن روزبهان، وهذه عبارته: «... لما قتل الحسين عليه السلام الكتب عبدالله بن عمر إلى يزيد بن معاوية: أما بعد، فقد عظمت الرزية وجلّت المصيبة وحدث في الإسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم الحسين».

ص: 334

1- في شرح جملة: «هذا يوم فرحت به آل زيا». (هامش الأصل)

2- هو معتزلي وقد صرّح في شرحه مراراً بذلك فكيف خفي على المؤلّف ونسه الى أهل السنّة والجماعة. (المترجم)

3- وذكر المؤلّف بعد هذا ترجمة الكتابين ولكنّه سمّى الترجمة محصلاً مما يشعر بأنه اختصرها فاستنبط منها وأضاف إليها ولكني وجدتها ترجمة هي عين الأصل. (المترجم)

فكتب يزيد «أما بعد، فاتنا جئنا إلى بيوت منجدة وفرش ممهدة ووسائدة منضدة، فقاتلنا عنها؛ فإن يكن الحَقُّ لنا فعن حقنا، قاتلنا، وإن كان الحق لغيرنا فأبوك أول من سنَّ هذا وابتز واستأثر بالحقِّ على أهله» انتهى. (1)

وهذا الكتاب يتفق مع مضمون خبر مطلب منقول من كتاب دلائل الحميري (الطبري - ظ) أن عبدالله بن عمر لما قدم على يزيد الشام كلمه في بدعه فخلا- به وأراه طومارين طويلين كتبهما عمر إلى معاوية وفيهما الظلم الذي أنزله بأهل البيت وتوجيه ما يظهره لهم من الود الظاهري السوري والسعي لاستئصالهم وقطع فروعهم في الباطن وإظهار الثبات على العهد القديم ودين الجاهلية وعبادة الأوثان بالتفصيل الذي ورد في فتن البحار وغيره. (2)

ص: 335

1- نهج الحق: 356. وهذا أمر ضروري ولا يحتاج إثباته إلى قول يزيد وأضرابه، وإن كان فيه تأييد للمطلوب، فالحسين لم يقتل إلا بأسيف الأولين، ولذا قال القاضي ابن قريعة في أبياته: لولا حدود صوارم*** أمضى مضاربها الخليفة لنشرت من أسرار آل*** محمد جملاً طريفه وأريتكم أن الحسين*** أصيب في يوم السقيفة (هامش الأصل)

2- بحار الأنوار 221 8 ط تبريز البصائر: أحمد بن محمد، عن الحسن بن عليّ، عن أبي الصخر، عن الحسن بن علي قال: دخلت أنا ورجل من أصحابي على عليّ بن عيسى بن عبدالله بن أبي طاهر العلوي. قال أبو الصخر: فأظنه من ولد عمر بن عليّ، قال: كان أبو طاهر في دار الصيدين نازلاً. قال: فدخلنا عليه عند العصر وبين يديه ركة من ماء وهو يتمسح فسلمت عليه فردّ علينا السلام ثم ابتدأنا، فقال: معكم أحد؟ فقلنا: لا، ثم التفت يميناً وشمالاً هل يرى أحداً، ثم قال: أخبرني أبي عن جدي أنه كان مع أبي جعفر محمد بن علي بمني وهو يرمي الجمرات ورأيت أنا أبا جعفر رمى الجمرات، قال: فاستتمها ثم بقي في يده [بعد] خمس حصيات، فرمى اثنين في ناحية وثلاثة في ناحية، فقال له جدي: جعلت فداك، لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعه أحد قط، رأيتك رميت الجمرات ثم رميت بخمسة بعد ذلك؛ ثلاثة في ناحية واثنين في ناحية. قال: نعم، إذا كان كل موسم أخرج الفاسقان الغاصبان ثم يفرق بينهما هاهنا وهاهنا، لا يراهما إلا إمام عدل فرميت الأول اثنين والآخر ثلاثة لأن الآخر أخبث من الأول. الاختصاص: أحمد بن محمد بن عيسى عن الورد، عن أبي الصخر أحمد بن عبدالرحيم، عن الحسن بن علي رجل كان في جباية مأمون قال: دخلت ... مثله وفيه: أخرج الفاسقان غضين طريين فصلبا هاهنا لا يراهما إلا إمام عدل [بحار الأنوار 8: 214 ط كمانى]. (هامش الأصل)

وشهد يزيد هنا بأن عمر أول ظالم ، ولما كان يزيد إمام أهل السنة وهو عندهم خليفة تجب طاعته فينبغي أن تقبل شهادته ولو أنهم تبرموا لهذا فإن تقرير ابن الخليفة عبد الله وإقراره ليزيد على ما قال وسكوته عمّا قال دليل على أنه لا يملك الجواب، وهذا الحديث حق ، ومن المعلوم المشهور عندهم أن معاوية وعبدالله ابن عمر كلاهما من أكابر الصحابة، وجاء في أحاديثهم حديث : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ونحن في هذه الفقرة عن أول ظالم هل هو أبو بكر أو عمر

نعمل بقول معاوية أو عبد الله لئلا نكون قد خالفناهم في أمر هذا الحديث ... ومجمل القول يمكن أن نذهب إلى أن عمر وأبا بكر كليهما كانا أول ظالم وهذا الأمر قائم بالمجموع من حيث هو مجموع لأنه لولا عمر لما استخلف أبو بكر ، ولولا أبو بكر لما استخلف عمر ، وشاهد الاحتمال الأول: كتاب معاوية فكان

أبو بكر أبوك وفاروقه أول إلى آخره، لكن الاحتمال الأول أقرب إلى التحقيق، وإنما ذكر يزيد عمر لكون مخاطبه ابنه عبدالله، ويلاحظ أن قوام أمر أبي بكر بعمر ، أو أنّ النظر متعلّق بالمتأخرين وإثبات الأوليّة بالإضافة أي أن الغرض من قوله أول ظالم ليس على الحقيقة بل هذه الأوليّة إضافية أي يمكن أن يكون أبو بكر أول بالنسبة إلى عمر ، وهو أول بالنسبة إلى عثمان ، وهكذا - المترجم - .

وعلى أية حال لولا هذان الرجلان لما وقع في الإسلام ظلم ولم تهتك حرمت

آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما ذكرنا سابقاً حديث الكميت الذي ذكره الكشي (1) وقد أجاد القائل :

بر عترت رسول پس از رحلت *** رسول کرد آنچه کرد آنکه بنای ستم نهاد

بنیاد بارگاه سلیمان بیاد داد *** دیو پلید پای چه بر تخت جم نهاد

جری ما جری بعد موت الرسول *** علی آله من ید الظالم

غداً حين تكشف أعماله *** يعرض على اصبع النادم

ويقول أيضاً:

کی بر فلک درخت شقاوت کشید *** سر گر زیر خاک تخم جفا زابتدا نبود

ودوحة الظلم لم تضرب بهامتها *** هام السماوات لولا غرس بذرتها

وقد أجاد شاعر العصر صاحبنا السيد حيدر الحلبي في شكواه من أمر القرعة العسكرية حيث قال :

نرى سيف أولهم منتضى *** على رأسنا بيد الآخر

وجملة القول : نرى من الصواب أن نشير إشارة إجمالية إلى الظلم والاعتداء الوارد على أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عدوهم، ولما كان الاستقصاء أبوابه وفنونه خارجاً عن طاقة هذا القليل البضاعة الكثير الإضاءة نزر الاطلاع، وترك هذا الباب من رأس ينافي ما اتخذناه على أنفسنا من الشرح والإيضاح، رأينا من الأولى أن نقتصر على الكتاب الذي كتبه إلى أهل نيشابور أبو بكر الخوارزمي صاحب الرسائل المعروفة، وهو من فضلاء المؤرخين وابن أخت أبي جعفر الطبري المشهور، ومن هذه الناحية يطلق عليه «طبر خرمي» (2)، ولقد طبعت رسائله إلى

ص: 337

1- في شرح «أسست أساس الظلم عليكم أهل البيت وأحاديث أخرى في هذا الموضوع». (هامش الأصل)

2- مخفف طبري خوارزمي . هامش الأصل أو منحوت منهما . (المترجم)

الآن مراراً في مصر وإسلامبول مع تقرّيات لطيفة وله ترجمة في اليتيمة والوفيات وغيرهما، وهذا الكتاب حَبْرَه إلى أهل نيشابور وأظهر فيه المظالم التيمية والعدوية والعباسية، ولما كبس المعاني المعسولة طيّ العبارات المصقولة، وتمتاز رسائله بلطافة المضمون وفخامة اللفظ، لذلك أوردنا هنا هذه الرسالة من النسخة المطبوعة في اسلامبول وهي هذه :

وكتب إلى جماعة الشيعة بنيشابور لَمّا قصدهم محمد بن إبراهيم واليها :

سمعت أرشد الله سعيكم وجمع على التقوى أمركم ما تكلم به السلطان الذي لا يتحامل إلا على العدل، ولا يميل إلا على جانب الفضل، ولا يبالي بأن يمزق دينه إذا وفا ديناه، ولا يفكر في أن لا يقدم رضاء الله إذا وجد رضاه، وأنتم ونحن أصلحنا الله وإياكم عصابة لم يرض الله لنا الدنيا فذخرنا للدار الأخرى، ورغب بنا عن ثواب العاجل، فأعدّ لنا ثواب الآجل، وقسمنا قسمين : قسماً مات شهيداً، وقسماً عاش شريداً، فالحي يحسد الميت على ما صار إليه، ولا يرغب بنفسه عمّا جرى عليه.

قال أمير المؤمنين ويعسوب الدين عليه السلام : المحن إلى شيعتنا أسرع من الماء إلى الحدود، وهذه مقالة أسست على المحن، وولد أهلها في طالع الهزاهز والفتن، فحياة أهلها نقص، وقلوبهم حشوها غصص، والأيام عليهم متحاملة، والدنيا عنهم مائلة، فإذا كنا شيعة أئمتنا في الفرائض والسنن، ومتبعي آثارهم في كل قبيح وحسن، فينبغي أن تتبع آثارهم في المحن.

غُصبت سيّدتنا فاطمة صلوات الله عليها وعلى آلها ميراث أبيها صلوات الله عليه وعلى آله يوم السقيفة وآخر أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلافة، وسُمّ الحسن سرّاً، وقتل أخوه - كرمّ الله وجهه - جهراً، وصلب زيد بن عليّ بالكناسة، وقطع رأس زيد بن عليّ في المعركة، وقتل عبدالله بن الحسن في

السجن، وقتل ابنه محمّد وإبراهيم على يد عيسى بن موسى العباسي، ومات موسى بن جعفر في حبس هارون، وسُمّ علي بن موسى بيد المأمون، وهزم إدريس بفتح حتى وقع إلى الأندلس فريداً، ومات عيسى بن زيد طريداً شريداً، وقتل يحيى بن عبدالله بعد الأمان والإيمان، وبعد تأكيد العهود والضمان.

هذا غير ما فعل يعقوب بن الليث بعلوية طبرستان، وغير قتل محمد بن زيد والحسن بن القاسم الداعي على أيدي آل ساسان، وغير ما صنعه أبو السّاح (كذا) في علوية المدينة؛ حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز إلى سامراء، وهذا بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلي لابن عمر بن عليّ حين أخذه بأبويه وقد ستر نفسه، ووارى شخصه يصانع عن حياته ويدافع عن وفاته، ولا كما فعله الحسين بن إسماعيل المصعبي بيحيى بن عمر الزبيدي خاصة، وما فعله مزاحم بن خاقان بعلوية الكوفة كافة.

وبحسبكم أنه ليست في بيضة الإسلام بلدة إلا- وفيها لقتيل طالبي ترة تشارك في قتلهم الأموي والعباسي، وأطبق عليهم العدناني والقحطاني.

فليس حي من الأحياء نعرفه***من ذي يمان ولا بكر ولا مضر

إلا وهم شركاء في دمائمهم***كما تشارك أيسار على جزر

قادتهم الحمية إلى المنية، وكرهوا عيش الذلّة فماتوا موت العزة، ووثقوا بما لهم في الدار الباقية، فسخت نفوسهم عن هذه الفانية، ثم لم يشربوا كأساً من الموت إلا شربها شيعتهم وأولياءهم، ولا قاسوا لوناً من الشدائد إلا قاساه أنصارهم وأتباعهم.

داس عثمان بن عفان بطن عمّار بن ياسر بالمدينة، ونفى أباذر الغفاري إلى الربذة، وأشخص عامر بن عبد قيس التميمي، وغرب الأشر النخعي وعدي بن حاتم الطائي، وسير عمر بن زرارة إلى الشام، ونفى كميل بن زياد إلى العراق،

وجفا أبي بن كعب وأقصاه ، وعادى محمد بن حذيفة وناواه، وعمل في ذمّ محمد بن سالم ما عمل، وفعل مع كعب ذي الخطبة ما فعل.

وأتبعه في سيرته بنو أمية يقتلون من حاربهم، ويغدرون بمن سالمهم، لا يحفلون المهاجري ، ولا يصونون الأنصاري، ولا يخافون الله ، ولا يحتشمون الناس قد اتخذوا عباد الله خولاً، ومال الله دولاً، يهدمون الكعبة ويستعدون الصحابة، ويعطلون الصلاة الموقوتة ، ويختمون أعناق الأحرار ، ويسيروا في حرم المسلمين سيرتهم في حرم الكفار، وإذا فسق الأموي فلم يأت بالضلالة عن كلالته.

قتل معاوية حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي بعد الأيمان المؤكدة والمواثيق المغلظة ، وقتل زياد بن سمية الألوف من شيعة الكوفة وشيعة البصرة صبراً ، وأوسعهم حبساً وأسراً حتى قبض الله معاوية على أسوأ أعماله، وختم عمره بشر أحواله ، فأتبعه ابنه يجهز على جرحاه، ويقتل أبناء قتلاه إلى أن قتل هاني بن عروة المرادي ومسلم بن عقيل الهاشمي أولاً، وعقب بالحرث بن زياد الرياحي وبأبي موسى عمرو بن قرظة الأنصاري، وحبيب بن مظهر الأسدي، وسعيد بن عبدالله الحنفي، ونافع بن هلال البجلي، وحنظلة بن أسعد الشامي، وعابس بن أبي شبيب الشاكري في نيف وسبعين من جماعة الشيعة، وأمر بالحسين عليه السلام اليوم كربلاء ثانياً.

ثم سلط عليهم الدعي بن الدعي عبيد الله بن زياد يصلبهم على جذوع النخل، ويقتلهم ألوان القتل ، حتى اجتت الله دابره ؛ ثقبيل الظهر بدماءهم التي سفك ، عظيم التبعة بحريمهم الذي انتهك، فانتبعت لنصرة أهل البيت طائفة أراد الله أن يخرجهم من عهدة ما صنعوا، ويغسل عنهم وضر ما اجترحوا، فصمدوا صمد الفئة الباغية ، وطلبوا بدم الشهيد الدعي ابن الزانية ، لا يزيدهم قلة عددهم وانقطاع مددهم وكثرة سواد أهل الكوفة بإزائهم إلا إقداماً على القتل والقتال وسخاء

بالنفوس والأموال، حتّى قُتل سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة الفزاري وعبد الله بن وال التيمي في رجال من خيار المؤمنين وعلية التابعين، ومصاييح الأنام وفرسان الإسلام.

ثمّ تسلّط ابن الزبير على الحجاز والعراق فقتل المختار بعد أن شفى الأوتار، وأدرك الثار، وأفنى الأشرار، وطلب بدم المظلوم الغريب، فقتل قاتله، ونفى خازله، وأتبعوه أبا عمر بن كيسان وأحمد بن شميظ ورفاعة بن يزيد والسائب بن مالك وعبد الله بن كامل، وتلقطوا بقايا الشيعة يمثلون بهم كلّ مثلة، ويقتلونهم شر قتلة حتى طهر الله من عبد الله بن الزبير البلاد، وأراح من أخيه مصعب العباد، فقتلهما عبد الملك بن مروان، «كَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (1) بعد ما حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية وأراد إحراقه، ونفى عبد الله ابن عباس وأكثر إرهابه، فلما خلت البلاد لآل مروان سلطوا الحجاج ع-ل-ى الحجازيين ثمّ على العراقيين فتلعب بالهاشميين وأخاف الفاطميين، وقتل شيعة عليّ، ومحي آثار بيت النبي، وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعي، واتصل البلاء مدّة ملك مروان إلى الأيام العبّاسيّة حتّى إذا أراد الله أن يختم مدتهم بأكثر آثامهم، ويجعلهم أعظم ذنوبهم في آخر أيامهم بعث على بقية الحق المهمل والدين المعطل زيد بن عليّ، فخذله منافقوا أهل العراق، وقتله أحزاب أهل الشام، وقتل معه من شيعته نصر بن خزيمة الأسدي ومعاوية بن إسحاق الأنصاري وجماعة من شايعه وتابعه وحتى من زوجه، وأذناه، وحتى من كلمه وماشاه، فلما انتهكوا ذلك الحريم، واقترفوا ذلك الإثم غضب الله عليهم وانتزع الملك منهم .

ص: 341

فبعث عليهم أبا مجرم لا أبا مسلم فنظر - لا نظر الله إليه - إلى صلابة العلوية وإلى لين العباسية فترك تقاه واتبع هواه وباع آخرته بدينه وافتتح عمله بقتل عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وسلط طواغيت خراسان وخوارج سجستان وأكراد اصفهان على آل أبي طالب يقتلهم تحت كل حجر ومدر، ويطلبهم في كل سهل وجبل حتى سلط عليه أحب الناس إليه فقتله كماقتل الناس في طاعته، وأخذه بما أخذ الناس في بيعته، ولم ينفعه أن أسخط الله برضاه، وأن ركب ما لا يهواه، وخلت من الدوانيقي الدنيا فخبط فيها عسفاً، وتقضى فيها جوراً وحيفاً، إلى أن مات وقد امتلئت سجونته بأهل بيت الرسالة ومعدن الطيب والطهارة، قد تتبع غائبهم، وتلقط حاضريهم حتى قتل عبدالله بن محمد بن عبدالله الحسيني بالسند على يد عمر بن هشام بن عمر التغلبي، فما ظنك بمن قرب تناوله عليه ولان مته على يديه.

وهذا قليل في جنب ما قتله هارون منهم، وفعله موسى قبله بهم، قبله بهم، فقد عرفتم ما توجه على الحسين بن عليّ بفح من موسى وما اتفق على عليّ بن الأفطس الحسيني من هارون، وما جرى على أحمد بن علي الزيدي وعلى القاسم بن عليّ الحسيني من حبسه وعلي بن غسان بن حاضر الخزاعي حين أخذ من قبله .

والجملة أن هارون مات وقد حصد شجرة النبوة واقتلع غرس الإمامة، وأنتم أصلحكم الله أعظم نصيباً في الدين من الأعمش فقد شتموه، ومن شريك فقد

عزلوه، ومن هشام بن الحكم فقد أخافوه، ومن علي بن يقطين فقد اتهموه.

فأما في الصدر الأول فقد قتل زيد بن صوحان العبدي، وعوقب عثمان بن حنيف الأنصاري، وخفي حارثة بن قدامة السعدي وجندب بن زهير الأزدي وشريح بن هاني المرادي ومالك بن هاني المرادي ومالك بن كعب الأرحبي ومعقل بن قيس الرياحي والحرث الأعور الهمداني وأبو الطفيل الكناني وما فيهم

إلا- من خرّ على وجهه قتيلاً، أو عاش في بيته ذليلاً، يسمع شتمة الوصي فلا فلا ينكر ويرى قتله الأوصياء وأولادهم فلا يغير ، ولا يخفى عليكم جرح عامتهم وحيرتهم كجابر الجعفي وكرشيد الهجري وكزرارة ابن أعين وكفلان وأبي فلان ليس إلا أنّهم كانوا يتولون أولياء الله ويتبرؤون من أعداء الله ، وكفى به جرماً عظيماً عندهم وعيباً كبيراً بينهم.

وقل في بني العباس فاتك ستجد بحمد الله تعالى مقالاً ، وجل في عجائبهم فإنك ترى ما شئت مجالاً ، يجبي فيهم فيفرق على الديلمي والتركي ، ويحمل إلى المغربي والفرغاني، ويموت إمام من أئمة الهدى وسيد من سادات ب-ي-ت المصطفى ، فلا تتبع جنازته ولا تجصص مقبرته ، ويموت ضراط لهم أو لاعب أو مسخرة أو ضارب فتحضر جنازته العدول والقضاة، ويعمر مسجد التعزية عند القواد والولاة ، ويسلم فيهم من يعرفونه دهرياً أو سوفسطائياً ولا يتعرضون لمن يدرّس كتاباً فلسفياً ومانوياً، ويقتلون من عرفوه شيعياً، ويسفكون دم من سمى ابنه عليّاً ولو لم يقتل من شيعة أهل البيت غير المعلى بن خنيس قتيل داود بن عليّ، ولو لم يحبس فيهم غير أبي تراب المروزي لكان ذلك جرحاً لا يبرئ، ونائرة لا تطفئ، وصدعاً لا يلتئم ، وجرحاً لا يلتحم .

وكفاهم أنّ شعراء قریش قالوا في الجاهلية أشعاراً يهجون بها أمير المؤمنين عليه السلام ويعارضون فيها أشعار المسلمين فحملت أشعارهم ، ودونت أخبارهم، وروتها الرواة مثل الواقدي ووهب بن منبه التميمي، ومثل الكلبي والشرقيّ بن القطامي والهيثم بن عدي وداب ابن الكناني، وإن بعض شعراء الشيعة يتكلّم في ذكر مناقب الوصي بل في ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقطع لسانه، ويمزق ديوانه كما فعل بعبد الله بن عمار البرقي ، وكما أريد بالكميت بن زيد الأسدي، وكما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمري، وكما دمّر على دعبل بن علي الخزاعي مع رفقتهم من

مروان بن أبي حفصة اليمامي، ومن علي بن الجهم الشامي، ليس إلا- لغلّوهما في النصب واستيجابهما مقت الربّ حتى أن هارون بن الخيزران وجعفر المتوكل على الشيطان لا على الرحمن كانا لا يعطيان مالاً ولا يبذلان نوالاً إلا لمن شتم آل أبي طالب، ونصر مذهب النواصب مثل عبدالله بن مصعب الزبيري ووهب بن وهب البختری، ومن الشعراء مثل مروان بن أبي حفصة الأموي، ومن الأدباء مثل عبدالملك بن قريب الأصمعي.

فأما في أيام جعفر فمثل بكار بن عبدالله الزبيري وأبي السمط بن أبي الجون الأموي وابن أبي الشوارب العشمي، ونحن أرشدكم الله ق-د تمسكنا بالعروة الوثقى وآثرنا الدين على الدنيا وليس يزيدنا بصيرة زيادة من زاد فينا، ولن يخل لنا عقيدة نقصان من نقص منا، فإنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود كما بدأ، كلمة من الله، ووصية من رسول الله، يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، ومع اليوم غد، وبعد السبت أحد. قال عمّار بن ياسر يوم صفين: لو ضربونا حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل، ولقد هزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم هزم ولقد تأخر أمر الإسلام ثم تقدّم «الم» «أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» (1).

ولولا- محنة المؤمنين وقتلهم ودولة الكافرين وكثرتهم لما امتلأت جهنّم حتى تقول هل من مزيد ولما قال الله تعالى: «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (2).

ولما تبيّن الجزوع من الصبور، ولا عرف الشكور من الكفور، ولما استحق المطيع الأجر، ولا احتقّب العاصي الوزر، فإن أصابتنا نكبة فذلك ما قد تعوّدناه،

ص: 344

1- العنكبوت: 1 و 2.

2- يونس: 55.

وإن رجعت لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه، وعندنا بحمد الله تعالى لكلّ حالة آية ولكل مقامة مقالة، فعند المحن الصبر، وعند النعم الشكر، ولقد شتم أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر ألف شهر فما شككنا في وصيّته، وكذب محمد صلى الله عليه وآله وسلم بضع عشرة سنة فما اتهمناه في نبوّته، وعاش إبليس مدة تزيد على المدد فلم نرتب في لعنته، وابتلينا بفترة الحق، ونحن مستيقنون بدولته، ودفعنا إلى قتل الإمام بعد الإمام، والرضا بعد الرضا، ولا مريّة عندنا في صحة إمامته، وكان وعد الله مفعولاً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» «ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» (1) «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» (2) «وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ» (3).

اعلموا رحمكم الله أنّ بني أميّة الشجرة الملعونة في القرآن وأتباع الطاغوت والشيطان، جهدوا في دفن محاسن الوصي، واستأجروا من كذب في الأحاديث على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحوّلوا الجوار إلى بيت المقدس عن المدينة والخلافة، زعموا إلى دمشق عن الكوفة، وبذلوا في طمس هذا الأمر الأموال، وقلدوا عليه الأعمال، واصطنعوا فيه الرجال، فما قدروا على دفن حديث من أحاديث رسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولا على تحريف آية من كتاب الله تعالى، ولا على دس أحد من أعداء الله في أولياء الله، ولقد كان ينادي على رؤوسهم بفضائل العترة، ويبكت بعضهم بعضاً بالدليل والحجّة، لا تنفع في ذلك هيبة، ولا يمنع منه رغبة ولا رهبة، والحق عزيز وإن استذل أهله وكثير وإن قل حزبه، والباطل ذليل وإن رصع بالشبهة، وقبيح وإن غطّى وجهه بكل ملبح.

ص: 345

1- التكاثر: 3 و 4.

2- الشعراء: 227

3- طه: 88

قال عبدالرحمن بن الحكم وهو من أنفـس بني أمية :

سمية أمى نسلها عدد الحصا***وبنت رسول الله ليست بذى نسل (1)

وقال أبو دهبـل الجمحي في حمة سلطان بني أمية وولاية آل أبي سفيان:

تبيت السكارى من أمية نوماً***وبالطف قتلـى ما ينام حميمها

وقال سليمان بن قتة :

وإن قتيل الطف من آل هاشم***أذلّ رقاب المسلمين فذلت

وقال الكميت بن زيد، وهو جار خالد بن عبدالله القسري :

فقل لبني أمية حيث حلـو***وإن خفت المهند والقطيعا

أجاع الله من أشبعتموه***وأشبع من بجوركم أجيعا

وما هذا بأعجب من صباح شعراء بني العباس على رؤوسهم بالحق وإن كرهوه وبتفضيل من تقصوه وقتلوه .

قال المنصور بن البرقان :

آل النبي ومن يحبهم***يتطامنون مخافة القتل

أمن النصارى واليهود وهم***من أمه التوحيد في الذل

وقال دعبـل بن على وهو صنيعة بني العباس وشاعرهم (2):

ألم تر أئى من ثمانين حجة***أروح وأغدو دائم الحسرات

ص: 346

1- وقبله لهام بجنب النهر أدنى قرابة***من ابن زياد الوغد ذي الحسب الوغل والقافية مكسورة ولكن عند المؤلف : ليس لها نسل ، والصحيح ما قلناه . (المترجم)

2- رحم الله الخوارزمي ورضى عنه وأرضاه ، متى كان دعبـل صنيعة بني العباس وشاعرهم وهو الذي لم يترك خليفة منهم إلا هجاه، فطارده وأرادوا قتله حتى قال : حملت خشبتي ... الخ ، وأنجاه الله منهم. (المترجم)

أرى فيهم في غيرهم متقسماً*** وأيديهم من فيهم صفرات

وقال علي بن العباس الرومي وهو مولى المعتصم :

تأليت أن لا يبرح المرء منكم*** يتل على حرّ الجبين فيعفج

كذاك بنو العباس تصبر منكم*** ويصبر للسيف الكمي المدجج

لكل أوان للنبي محمد*** قتيل زكي بالدماء مضرج

وقال إبراهيم بن العباس الصولي وهو كاتب القوم وعاملهم في الرضا لما قربه

المأمون:

يمن عليكم بأموالكم*** وتعطون من مائة واحدا

وكيف لا ينتقصون قوماً يقتلون بني عمهم جوعاً وسغباً، ويملأون ديار الترك والديلم فضّة وذهبا، يستنصرون المغربي والفرغاني، ويجفون المهاجري والأنصاري، ويولون أنباط السواد وزارتهم وتلف العجم والطماطم قيادتهم ويمنعون آل أبي طالب ميراث أمّهم وفيء جدّهم، يشتهي العلوي الأكلة فيحرمها، ويقترح على الأيام الشهوة فلا يطعمها، وخراج مصر والأهواز وصدقات الحرمين والحجاز تصرف إلى ابن أبي مريم المدني وإلى إبراهيم الموصللي وابن جامع السهمي، وإلى زلز الضارب وبرصوما الزامر وأقطاع بخينشوع النصراني قوت أهل بلد، وجارى بغا التركي والأفشين الأشروسي كفاية أمة ذات عدد والمتوكل زعموا يتسرى باثني عشر ألف سرية، والسيد من سادات أهل البيت يتعفّف بزنجية أو سنديّة، وصفوة مال الخراج مقصور على أرزاق الصفاينة وعلى أولاد المخاتنة، على طعمة الكلابيين ورسوم القرايين ، وعلى مخارق وعلوية المغنيّ ، وعلى زرزر وعمر بن بانه الملهي، ويخلون على الفاطمي بأكلة أو شربة، ويصارفونه على دائق وحبّة، ويتشرون العوادة بالبدر، ويجرون لها ما يفي برزق عسكر والقوم الذين أحلّ لهم الخمس وحرّمت عليهم

ص: 347

الصدقة، وفرضت لهم الكرامة والمحبة، يتكفّفون ضرراً ويهلكون فقراً، ويـيـرهم سيفه، ويبيع ثوبه، وينظر إلى فيئه بعين مريضة، ويتشدد على دهره بنفس ضعيفة، ليس له ذنب إلا أن جده النبي وأبوه الوصي، وأمه فاطمة، وجدته خديجة ومذهبه الإيمان .

وأما القرآن وحقوقه مصروفة إلى القهرمانه والمضطرة وإلى المغمزة، وإلى المزررة، وخمسة مقسوم على نقار الديكة الرومية والقردة، وعلى عرس اللعبة واللعبة، وعلى مرية الرحلة .

وماذا أقول في قوم حملوا الوحوش على النساء المسلمات، وأجروا العبادة وذويه الجرايات وحرثوا تربة الحسين عليه السلام بالفدان، ونفوا زوّاره إلى البلدان، وما أصف من قوم هم نطف السكارى في أرحام القيان، وماذا يقال في أهل بيت منهم نبغ البغاء، وفيهم راح التخنيث وغدا وبهم عرف اللواط، كان إبراهيم ابن المهدي مغتياً، وكان المتوكل مؤثناً موضعاً، وكان المعتز مخنثاً، وكان ابن زبيدة معتوهاً (1) مفرّكاً، وقتل المأمون أخاه، وقتل المنتصر أباه، وسّم موسى بن المهدي أمه، وسّم المعتضد عمّه .

ولقد كانت في بني أمية مخازي تذكر ومعائب تؤثر، كان معاوية قاتل الصحابة والتابعين وأمه أكلة أكباد الشهداء الطاهرين، وابنه يزيد القرود، مربي الفهود،

وهادم الكعبة، ومنهب المدينة، وقاتل العترة، وصاحب يوم الحرّة.

وكان مروان الوزغ بن الوزغ لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أباه وهو في صلبه فلحقته لعنة الله ربه .

وكان عبدالملك صاحب الخطيئة التي طبقت الأرض وشملت وهي توليته

ص: 348

1- الأقرب إلى السياق «المستوها». (المترجم)

الحجاج بن يوسف الثقلي فاتك العباد وقاتل العباد ، ومبيد الأوتاد ، ومخرّب البلاد، وخيبت أمة محمّد الذي جاءت به النذر وورد فيه الأثر

وكان الوليد جبّار بني أمية ، وولى الحجاج على المشرق، وقرّة بن شريك على المغرب.

وكان سليمان صاحب البطن الذي قتله بطنه كفة ومات بشماً وتخمة .

وكان يزيد صاحب سلامة وحبابة الذي نسخ الجهاد بالخمير، وقصر أيام خلافته على العود والزمر ، وأول من أغلى سعر المغنّيات، وأعلن بالفاحشات وماذا أقول فيمن أعرق فيه مروان من جانب ويزيد بن معاوية من جانب فهو ملعون بين ملعونين، وكافر غريق في الكفر بين كافرين.

وكان هشام قاتل زيد بن علي مولى يوسف بن عمر الثقفي.

وكان الوليد بن يزيد خليع بني مروان الكافر بالرحمن الممزق بالسهم القرآن وأول من قال الشعر في نفي الإيمان، وجاهر بالفسوق والعصيان، والذي غشى أمهات أولاد أبيه ، وقذف بغشيان أخيه ، وهذه المثالب مع عظمها وكثرتها ومع قبحها وشنعتها صغيرة وقليلة في جنب مثالب بني العباس الذين بنوا مدينة الجبارين، وفرّقوا في الملاهي والمعاصي أموال المسلمين، هؤلاء أرشدكم الله الأئمة المهديون الراشدون ، الذين قضوا بالحق وبه يعدلون ، بذلك يقف خطيب جمعتهم، وبذلك تقوم صلاة جماعتهم ؛ فإن كسد الشيع بخراسان فقد نفق بالحجاز والحرمين والشام والعراقين وبالجزيرة والثغرين وبالجبيل واليغارين، وإن تحامل علينا وزير أو أمير فإننا نتوكل على الأمير الذي لا يعزل، وعلى القاضي الذي لم يزل يعدل ، وعلى الحكم الذي لا يقبل رشوة، ولا يطلب سجلاً ولا شهادة .

وإياه تعالى نحمد على طهارة المولد وطيب المحتد ، ونسأله أن لا يكلنا إلى أنفسنا، ولا يحاسبنا على مقتضى عملنا، وأن يعيدنا من رعونة الحشوية ومن

لججاج، الحروريّة، وشك الواقية، وأرجاء الحنفيه، وتخالف أقوال الشافعية، ومكابرة البكريّة، ونصب المالكية، وإجبار الجهمية النجارية، وكسل الراوندي، وروايات الكيسانية، ووجد العثمانية، وتشبيه الحنبلية، وكذب الغلاة الخطابية، وأن لا يحشرنا على نصب اصفهاني، ولا على بغض لأهل البيت طوسي أو شاسي، ولا على إرجاء كوفي، ولا على تشبيه قمّي، ولا على جهل شامي ولا على تحنبل بغدادي، ولا على قول بالباطن مغربي، ولا- على عشق لأبي حنيفة بلخي، ولا- على تناقض في القول حجازي، ولا على مروق سجزي، ولا غلو في التشيع كرخي وأن يحشرنا في زمرة من أحببناه، ويرزقنا شفاعة من توليناه إذا دعي كل أناس بإمامهم، وساق كل فريق تحت لوائهم، إنه سميع قريب يسمع ويستجيب.

انتهت الرسالة الطنانه بديع عباراتها، وخفي إشاراتها، وهي جيدة عن آخرها إلا أني لم أفهم وجه نسبة التشبيه إلى أهل قم وهم وجوه أهل الإيمان ومعتمد نقلهم مدى الأعصار والأزمان، وكذا رمي الكرخيين بالغلو مع أن جمهورهم من الطبقة العالية من الشيعة كيف لا وقد ربّاهم المشايخ الثلاثة الذين بهم قام عماد الإسلام، وانتظم أمور كافة الأنام، وأسسوا المذهب أحسن تأسيس، وفتحوا للعلماء باب التصنيف والتدريس، ولولاهم لما قام للدين عمود، ولا اخضر للتحقيق عود، وهم شيخنا الأقدم أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان المفيد وسيدنا الأجل أبو القاسم علي بن الحسين المرتضى، وشيخنا الأعظم أبو جعفر بن الحسن رئيس الطائفة شكر الله مساعيهم، وأعلى في مدارج الجنة مراقيهم بمحمّد وآله عليهم السلام. (1)

ص: 350

1- أقول: لعله يشير بهذه الجمل المتزاوجة إلى أدباء من هذه الأقطار كانوا يناصرونه العدا فقد كان الرجل محسوداً وقد جرى عليه من بديع الزمان وأنصاره ما جرى فلا- أستبعد أن تكون الإشارة في قم والكرخ وغيرهما من البلاد التي ذكرها إلى أدباء فيها يعادونه، والله أعلم. (المترجم)

اللَّهُمَّ الْعَنِ الْعِصَابَةَ الَّتِي جَاهَدَتِ الْحُسَيْنَ وَشَايَعَتْ وَبَايَعَتْ وَتَابَعَتْ عَلَيَّ قَتْلِهِ ، اللَّهُمَّ الْعَنَّهُمْ جَمِيعاً ...

اللَّهُمَّ الْعَنِ الْعِصَابَةَ الَّتِي جَاهَدَتِ الْحُسَيْنَ وَشَايَعَتْ وَبَايَعَتْ (1) وَتَابَعَتْ عَلَيَّ قَتْلِهِ ، اللَّهُمَّ الْعَنَّهُمْ جَمِيعاً ...

عصابة بمعنى جماعة من العشرة إلى الأربعين كما يقول ذلك في منتهى الإرب وهذا هو المعنى الوضعي للكلمة وتستعمل في العرف العام في مطلق القوم والطائفة كائنة ما كانت ، وفي هذه العبارة إن قصد المعنى الثاني كانت أداة التعريف عهديّة أو المعنى الثاني كانت جنسيّة أو استغراقية لكي تفيد معنى العصائب والجموع . المجاهدة : مأخوذة من الجهد بمعنى التعب ويكنى بها عن مطلق الحرب سواء كانت على وجه مشروع أو باطل كما هي عليه في هذا المقام .

المشايعة : المتابعة وأشير إليها في السابق .(2)

المبايعة : أخذ البيعة من المرئ وأصلها من البيع كما أنّ في البيع المصافقة ووضع اليد على اليد ، كذلك في البيعة لا بد من هذا الفعل ولا محيص عنه . وما قيل في معنى البيعة من أنّ المبايع يبيع نفسه للجدّة فهو معنى قشري لا ينطبق في البيعة على جميع مراتبها، وما قلناه صرّح به مهرة هذا الفنّ وأئمة هذه الصناعة.

المتابعة : بقاء موحدة قبلها ألف من التباعة وقد سلف معناها (3) وهي الاقتداء . قال السيّد المحقق الأجل السيد الداماد نقر الله وجهه في الكتاب (الرواشح السماوية) في باب التصحيقات :

ص: 351

- 1- تابعت - نسخة خطية من المصباح ويؤيده كلام عدة من العلماء من استعمال التتابع في الخير والتتابع في الشر، ومنهم الكفعمي في حاشية المصباح : 210 ، والحريري في درة الغواص : 55 . (هامش الأصل)
- 2- في شرح جملة : «برنت» إلى الله وإليكم منهم ومن أتباعهم وأشياعهم . (هامش الأصل)
- 3- في شرح جملة : «برنت إلى الله وإليكم منهم ومن أتباعهم» . (هامش الأصل)

ثمّ من تتّمات المقام أنّه قد وقعت من الذين شاركونا في الصناعة ولم يساهمونا في البضاعة ولم يلحقوا شأناً من العلم والحكمة تحريفات غريبة وتصحيّفات عجيبة لفظية ومعنوية في أفانين العلم وطبقات الصناعة ولا جناح علينا لو تلونا طائفة منها على إسماع المتعلمين تبصيراً لبصائرهم في سبيل الدين وصيانة لأحاديث سيّد المرسلين وأوصيائه الطاهرين عن شرور تصحيّفات الجاهلين وتصرفات القاصرين.

ثم إنه أخذ يعدّد :

منها حديث عمّار : «لكن عمّار جاض جيضة» بالجيم المعجمة أو المهملة بمعنى حاد وزاغ ، وصحفوه بحاض بالحاء المهملة ثم المعجمة .

وحدث تعداد الكبائر التي منها الت-ع-رب ب-ع-د-ه-ج-رة المصحف بالتعرب بالمعجمة المعبر عنه في لسان الأصحاب بالالتحاق ببلاد الكفر والإقامة بها بعد المهاجرة عنها إلى بلاد الإسلام.

قال : وبالجمله هو كناية عن الزيغ عن المعرفة والحبور عن الحق والالتحاق بأهل الشقاوة والضلالة بعد الدخول في حريم السعادة والهداية.

إلى أن قال:

ومنها في دعاء زيارة مولانا الشهيد أبي عبدالله الحسين عليه السلام يوم عاشوراء : «اللهم العن العصابة التي جاهدت الحسين عليه السلام وشايعت وتابعت وتابعت على قتله» كلتاهما بالمشثات من تحت بعد الألف قبلها موحدة في الأولى ومثناة من فوق في الثانية للتخصيص بعد التعميم إذ المبايعة بالباء الموحدة مفاعلة من البيعة بمعنى المعاهدة والمعاهدة سواء كان على الخير أو على الشرّ، والمتابعة بالمشثاة من فوق معناها المجارة والمساعدة والمهافتة والمسارة والمعاضدة والمسائرة على الشرّ ، لا يكون في الخير ، وكذلك التتابع التهافت على الشرّ

ص: 352

والتسارع إليه مفاعلة وتفاعلاً من التيعان. يقال : تاع القيء يتبع تبعاً وتيعاناً خرج، وتاع الشيء ذاب وسال على وجه الأرض، وتاع إلى كذا يتبع إذا ذهب إليه وأسرع . والجملة أنّ المفاعلة والتفاعل لا يكون إلا للشر، وجماهير القاصرين من أصحاب العصر يصحّفونها ويقولون : تابعت بالتاء المثناة فوق والباء الموحدة (1)، انتهى كلامه الشريف، ضاعف الله قدره المنيف .

وظاهر هذا الكلام أنّ لفظ تابعت بباء مثناة لا تابعت بالباء الموحدة ، وكانوا في الأزمنة السابقة يقرنونها على هذا الوجه، وهذا التغيير وقع في زمن هذا المحقق -

السيد الداماد. (2).

ولكن المتأمل المحيط بأطراف الكلام يعلم أنّه اعتمد في هذا الباب على القواعد اللغوية كما سمعت عن المحقق الثاني في با «أوله» (3) والأصل في هذه المسألة الحريري فقد ذكر في درّة الغوّاص من أوهام الخواص أنّهم يقولون : تابعت النوائب على فلان والحق أنّها تابعت بالياء لأنّ التتابع بالباء الموحدة في الصلاح والخير والتتابع بالمثناة مختصة بالمنكر والشر. (4)

ص: 353

1- الرواشح : 142 «هامش الأصل) و 143. (المترجم)

2- ويدل عليه محكي كلامه من رسالة التصحيف ، قال : والمصحف المغلاط صحفها فظنّها تابعت بالتاء المثناة والباء الموحدة و (سقم) (كذا) نسخاً قديمة هي مصححة من المصباح المتهدج بحك إحدى النقطتين وجماهير القاصرين سائرون مسيرة في التصحيف . (هامش الأصل)

3- مؤنث أول . (المترجم) ومرّ في ترجمة : «أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد». (هامش الأصل)

4- وإليك ما ذكره الحريري في درّة الغوّاص : ويقولون : تابعت النوائب على فلان ووجه الكلام أن يقال : تابعت - بالباب المعجمة بائنتين من تحت - لأنّ التتابع يكون في الصلاح والخير، والتتابع يختص بالمنكر والشركما جاء في الخبر : «ما يحملكم على أن تتابعوا في الكذب كما تتابع الفراش في النار» وكما روي أنه لما كثر شرب الخمر في عهد عمر جمع الصحابة رضي الله عنهم وقال : إني أرى الناس قد تتابعوا في شرب الخمر واستهانوا بحدّها ، فماذا ترون ؟ فقال له علي : أرى أن أحده ثمانين لأنني أراه إذا شرب سكر وإذا سكر هذي وإذا هذي افتري فأحده حد المفترى ، فاستصوب عمر رأيه وأخذ به (ص 68) . (المترجم)

ومن العلماء وصيارفة الأدب من لهم نقد على كلام الحريري هذا، منها أن الخفاجي نقل عن ابن بَرِّي، وتحريره يوافق ما جاء في (كشف الطرّة) وهو إن كان المقصود من التابع بموحدة الاستعمال في الخير دون الشر، وله اختصاص بذلك فهو ظاهر الفساد فإنّه جاء في القرآن الكريم على خلاف ذلك وهو قوله تعالى: «فَأَتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا» (1) وإذا كان الغرض أنّ التابع عام والتابع خاص فينبغي أن لا يقتصر في استعمال التابع على المعنى الخاص وهذا فساده أظهر لأنّه ما من عام إلا ويصح استعماله في الخاص كما هو الحال في الآية المذكورة. وبناءً على هذا فتخطئة استعمال المتابعة والتتابع في الشر لا وجه له، تمّ كلامه (2).

ومضافاً إلى عدم استعمال التابع (بالمثناة) بالشر وحده ولم يثبت ذلك فإنّ مادته لا تدلّ عليه، ونقل في التهذيب عن السبب في اقتصاره على الشر، قال: إنّ مشتق من تاع ومعناه سال والسيلان يوجب السرعة، والسرعة والعجلة من الشيطان ثم صار للشرّ.

وهذا حديث غريب، لا يوجد إلا في صحف المتنبئين، وما من أمر يمكن تصحيحه بقياس مثل هذا فما بالك باللغة التي لا حجة فيها للقياس، أجل هناك حديث واحد للقوم عن أبي عبيدة، فقد قال: لم يسمع التابع في الشر وإنّما سمعناه في الخير، ولكن هذا الإجمال لا يخطأ به إن ثبت الاستعمال.

ص: 354

1- المؤمنون: 44 .

2- واعلم بأنّ هذا الكلام هو الترجمة، أما الأصل فلم نعر عليه ولا على الكتاب الذي يحتوي على النصّ. (المترجم)

واستعمل الزمخشري في الكشف التابع في الخير وأقام لهذا الاستعمال أساساً أصيلاً في شرح الآية : «وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا» (1) واستعمال العلماء يعادل النقل وإن كان مولداً، ومن هذه الجهة أجازوا الاستدلال بشعر أبي تمام، وتابعه السيد الشريف في حاشية الكشف والبيضاوي وغيرهم، وأول من تنبه إلى هذا عبدالقاهر الجرجاني واضع علم البيان، وكتب أحد المعاصرين من أهل القسطنطينية رسالة في الاحتجاج بشعر الرضي ومهيار وأبي فراس، ويظهر من الشهاب الخفاجي قبول هذا المذهب ولا يخلو من قوة، واستوفينا تحقيقه في محله بقدر الوسع والاستعداد والاطلاع.

وجملة القول، لو سلمنا بخطأ استعمال التابع في الخير فإن استعمال التابع في الشر ليس خطأ، وما هو بتصحيح ولا بوهم، واحتمال كونه تصحيحاً وحادثاً بعيد؛ لأن ما عشر عليه في النسخ المعتبرة القديمة هو التابع بالباء الموحدة وقراءتها بالياء لا تجزي. نعم من جمع للاحتياط احتمالاً أن تكون الرواية بالياء أيضاً، ولو طلباً للخروج من خلاف هذا المحقق الوحيد والعالم الحكيم الذي اعتبره البعض أستاذ البشر واعتبرته طائفة المعلم الثالث، فإنه أقرب للصواب وأوفق لطلب الثواب، والله أعلم.

ونحن وإن ذكرنا في هذا الشرح هنا وهناك من أدلة اللعن عقلاً ونقلًا وسنةً وكتاباً إلا أننا في هذا الموضوع من الشرح نذكر حديثاً أو حديثين في ثواب لعن قاتلي سيد الشهداء لأداء حق ذلك السيد المحقق، لأن الأدلة السابقة في اللعن والتحريض عليه ليس له مدخليه بالقدر الكافي الأخبار المعبرة عن ثوابه الجزيل. في العيون والأمال وساق السند إلى الإمام الرضا عليه السلام أنه قال لريان بن شبيب :

ص: 355

يابن شبيب ، إن سرّك أن تسكن الغرف المبنية في الجنّة مع النبي وآله فالعن قتلة الحسين .

يابن شبيب ، إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته : يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.(1) أي تمن على التحقيق حضورك في كربلاء وحبّ الشهادة مع أصحابه وتولاهم.

وفي كامل الزيارة عن داود الرقي أنه قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام إذا استسقى الماء، فلما شربه رأيته قد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه ثم قال لي: يا داود لعن الله قاتل الحسين عليه السلام فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلا كتب الله له مائة ألف حسنة ، وحطّ عنه مائة ألف سيئة ، ورفع له مائة ألف درجة وكأنما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله تعالى يوم القيامة ثلج الفؤاد (2).

اللهم العن قتلة الحسين إلى يوم القيامة.

ص: 356

1- أمالي الصدوق : 130. (المترجم) نفسه مجلس 27 رقم 5 ، العيون 1 : 399، بحار الأنوار 44: 286 . (هامش الأصل)

2- كامل الزيارة : 106، بحار الأنوار 44: 303 رقم 16. (هامش الأصل)

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى الْأَزْوَاجِ الَّتِي حَلَّتْ بِفَنَائِكَ ...

الشرح : المعاني المتعلقة بهذا اللفظ الشريف سبق بيانها فيما يتعلّق بمعاني الزيارة الشريفة وسوف نذكر جملة من الأخبار المناسبة في فضل أصحاب الحسين عليه السلام في ختام هذا المطلب عندما نصل إلى قوله : وعلى أصحاب الحسين عليه السلام إن شاء الله تعالى.

لَا جَعَلَهُ اللَّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنِّي لِزِيَارَتِكَ ...

الشرح : العهد الأصل في معانيه «الميثاق» ويأتي بمعنى الوصية، والأمر والحكومة والمعرفة، تقول: «عهدي بكذا» و«عهده كذا» ومعناه أيضاً الملاقات والزمان وما شابه ذلك ، ويستعمل بعلاقة المعاني السابقة.

ولعلّ المعنى الأوّل هو المقصود بالعبارة.

واللام: إما أن تكون بمعنى «مع» أو للاختصاص أي عهدي المخصوص بزيارته. ويمكن أن تكون للتقوية على المعنى الثاني حيث استعمل متعدّياً، وبمعنى «إلى» بإعطائها معنى التوجّه وأشباهه ويحتمل احتمالاً بعيداً أن الأصل كان بالباء أي بزيارتك وصحفت إلى اللام فوضعت موضعها والملاقات وهي كناية عن التعارف والصحبة ولا تخلو في هذا الكلام من قوة بناءً على تنزيل الزيارة منزلة الشخص الذي تعرفه وتصاحبه.

الزيارة: في الأصل بمعنى «القصد للقاء الشخص» واستعملت في الشرع تحقيقاً بهذا المعنى، وإطلاقات الأدلة حول زيارة الرسول والأئمّة صلوات الله

عليهم أجمعين منزلة على هذا المعنى ، والدعاء والصلاة من الآداب الشرعية لهذا العمل وهو مستحب من كفيات هذا المستحب، وبناءً على هذا يؤدي الن-ذر وأشباهه بمجرد الحضور (وإن لم يتضمن قولاً أو عملاً) (1) إن لم ندع ص-رف معناها عن حقيقته إلا أن هذا المعنى غير متصوّر في الغياب والبعد ولهذا تستعمل الزيارة تنزيلاً في معنى آخر وهو عبارة عن حضور القلب وتوجه النفس عند المزور مع قراءة الدعاء، ويسمى هذا الفعل زيارة على سبيل الاستعارة والتشبيه ولما كانت الزيارة على البعد تتقوم بالدعاء ظنّ بعضهم أن حقيقة الزيارة قوامها الدعاء، وما قلناه أصحّ بدليل تعارض الأحوال ، لأن الوجه الذي قالوه يتوقف على النقل والاشتراك، وما قلناه يتوقف على الاستعارة وهي حقيقة لغوية، وإذا كانت الحقيقة مجازاً فالمجاز خير من الاشتراك، وهذا ترجيح يتم بعد ثبوت كون الدعاء غير مأخوذ في مفهوم الزيارة، وهذا أمر مقطوع به بل هو من ضروريات لغة العرب . قال المتنبّي وقيل هو أمير شعره:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي *** وأنثي وبياض الصبح يغري بي

السّلامُ على الحسين ...

الشرح: هذا الكلام مشتمل على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ولعلّ النكتة فيه الالتذاذ بذكر الحسين عليه السلام الذي هو جلاء القلوب وشفاء الصدور وقرّة العيون، ولعلّ السبب هو التمهيد من لفظ الحسين إلى اللفظ بعده وهو علي بن الحسين، لأن ناقد جواهر المعاني وصيارفة الألفاظ والمعاني يرون في هذا الالتفات أنساً ولذة للسامع .

ص: 358

الشرح : علي بن الحسين اسم ثلاثة من أولاد الحسين عليه السلام : أحدهم : سيد الساجدين سلام الله عليه ، والآخر عليّ الأكبر ، والثالث علي الرضيع ، ويسمى في رواية عبد الله الرضيع المعروف بعلي الأصغر.

والمراد بهذه الفقرة علي الأكبر الشهيد في كربلاء لأن هذه الزيارة مختصة تماماً بقتلى كربلاء ومن في معيته من الشهداء ، واحتمال أن المقصود بهذه الجملة هو سيد الساجدين بعيد كل البعد .

وجملة القول أنّ أمها عليهما السلام طبقاً للرواية المشهورة ليلي بنت أبي مرة عروة بن مسعود الثقفي، وفي رواية سبط ابن الجوزي في التذكرة أن أمه تعرف بآمنة، والأول أصح وأعرف (1) وأمها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب، لذلك شهد معاوية بحقه بأنه أحق بالخلافة، وتفصيل هذا النقل كالتالي وهو مسطور في زبر الأولين ومذكور في مقاتل الطالبين :

قال معاوية : من أحق الناس بهذا الأمر؟

قالوا : أنت .

قال : لا ، أولى الناس بهذا الأمر علي بن الحسين بن عليّ ؛ جده رسول الله ، وفيه شجاعة بني هاشم ، وسخاء بني أمية ، وزهو ثقيف . (2)

ومجمل القول أن خلافاً عظيماً وقع في مقدار سنه ؛ فقد رأى الشيخ المفيد في

ص: 359

1- قال في التذكرة : وقتل علي بن الحسين بن علي وهو عليّ الأكبر وأمّه ليلي بنت من الثقفية (ص 229) ولم يذكر آمنة . (المترجم)

2- مقاتل الطالبين : 52 . (المترجم)

الإرشاد أن عمره تسعة عشر عاماً، وسمّاه علياً الأوسط (1) والسجّاد أكبر منه ، وحكي هذا القول عن صاحب كتاب (البدع) (2) وصاحب كتاب (شرح الأخبار) من علماء أهل السنّة .

وفي رواية أبي الفرج ومحمد بن أبي طالب كان ابن الثامنة عشرة، وفي رواية خمس وعشرين، وفي رواية ثمان وثلاثين، وليس في الأخبار ما ينافي كونه أكبر من الإمام السجّاد، لأنه وقع خلاف في عمره الشريف أيضاً في ذلك اليوم فمن قائل بأنّه لم يبلغ الحلم ، وقال قوم إنّه ابن الثالثة والثلاثين، وبين هذين القولين أقوال عدّة.

وقال جمهور المؤرّخين والنسابين والمحدثين من الفريقين عن علي أنه الأكبر من هؤلاء الحفاظ الجنازدي وسبط ابن الجوزي وكمال الدين بن طلحة ومحّب الدين الطبري وابن الجوزي في (الصفوة) والديار بكري في الخميس وصاحب (كشف الغمة) وابن الخشاب وأبو الفرج والزبير بن بكار والبلاذري والمزني والشريف العمري النسابة صاحب كتاب (المجدي) وابن قتيبة وأب-و حنيفة الدينوري وأبو جعفر الطبري، وابن أبي الأزهري وأبو الفضل الصابوني صاحب كتاب الفاخر الذي يعبر عنه فقهاؤنا بالجعفي، وأبو علي بن همام وابن شهر آشوب وابن إدريس وأبو عبيدة وخلف الأ-حمر وصاحب كتاب اللباب وصاحب كتاب (الزواج والمواظ)، والشيخ الحرّ العاملي في (منظومة أحوال الأئمة عليهم السلام) (3) وجماعة غيرهم الذين رأينا كلامهم وعبارات جماعة سمعناها،

ص: 360

1- في الإرشاد : وله يومئذ بضع عشرة سنة (106:1) . (المترجم)

2- يريد به صاحب الاستغاثة وقد أتى بأقوال تافهة فندناها في كتابنا (فاطمة الزهراء) . (المترجم)

3- ومن الغرائب أن صاحب (نزهة الجليس) السيد علي المولوي المكي في كتابه المذكور نزهة الجليس ذكر المنظومة مفرقة على كتابه في التذييل على حالات سيد الشهداء ونظم خطبته وأثنى ثناءً بليغاً على الشيخ الحر وذكر عن المنظومة أنها لما كانت مرغوباً فيها ولطيفة وهي في أحوال سيد الشهداء لا ذكرتها وغفل بعض أصحاب المقاتل جديدة التصنيف عن مضمون هذه الدباجة فنسبوا المنظومة المذكورة إلى السيد عباس المؤلّف نفسه وهذا أعجب العجب . (منه)

وهذا القول بالطبع أصح وأسد.

وجاء عن أبي الفرج في مقاتل الطالبين أن ولادته في خلافة عثمان، وقد روى عن جده علي بن أبي طالب عليه السلام وعن عائشة أحاديث، وعن أبي عبيدة وخلف الأحمر أن هذه الأبيات قيلت في علي بن الحسين الأكبر، والمدح دليل على كبر قدره وكبر سنّه، والأبيات هذه:

لم تر عين نظرت مثله*** من محتف يمشي ومن ناعل

غلي نئي اللحم حتى إذا***أنضج لم يغل على الأكل

ان إذا شبت له ناره***أوقدها بالشرف القابل

كيما يراها بئس مرمل***أو فرد حي ليس بالآهل

أعني ابن ليلي ذا السدى والندى***أعني ابن بنت الحسب الفاضل

لا يؤثر الدنيا على دينه***ولا يبيع الحق بالباطل...[\(1\)](#)

ويقتضينا الإنصاف الاعتراف بأن سياق هذا الشعر يدلّ على أن علياً عليه السلام كان يومئذ من الرجال المعدودين، ومثله كلام معاوية يشهد بحقه، فلو كان في ذلك الزمان طفلاً أو مراهقاً لم تظهر عليه آثار السماحة والشجاعة هذا الظهور الذي حمل معاوية مع شديد عداوته على الاعتراف بأولويته بالخلافة، وهذا هو الصواب، وفي هذا المقام نورد عبارة الفحل الفقيه المحقق المقدم والشيخ الفاضل المتبحر المعظم محمّد بن إدريس الحلّي في كتاب «السرائر» ونكتفي

ص: 361

1- مقاتل الطالبين : 52 تحقيق كاظم مظفر ، الثانية ، الحيدرية النجف .

بها لتكميل المسألة . قال في باب الزيارات في خاتمة كتاب الحج :

فإذا كانت الزيارة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام يزار ولده علي الأكبر وأمه ليلى بنت أبي مرة بن عمرو بن مسعود الثقفي وهو أول قتيل في الواقعة يوم الطف من آل أبي طالب وقد مدحه الشعراء، وروي عن أبي عبيدة وخلف الأحمر أن هذه الأبيات قيلت في علي بن الحسين الأكبر المقتول بكر بلاء «لم ترعين».. الأبيات.

وقد ذهب شيخنا المفيد في كتاب الإرشاد إلى أن المقتول بالطف هو علي الأصغر وهو ابن بنت الثقفية وأن علياً الأكبر زين العابدين أمه أم ولد وهي شاه زنان بنت كسرى يزدرج .

قال محمد بن إدريس : «والأولى الرجوع إلى أهل هذه الصناعة وهم النسابون وأصحاب السير والتواريخ مثل الزبير بن بكار في كتاب (أنساب قریش) وأبي الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين والبلاذري والمزني وصاحب كتاب اللباب [في] أخبار الخلفاء والعمري النسابة حقق ذلك في كتاب «المجدي» (1) فإنه قال : زعم من لا بصيرة له أن علياً الأصغر هو المقتول بالطف، وهذا خطأ ووهم، وإلى هذا ذهب صاحب كتاب (الزواج والمواظ) وابن قتيبة في المعارف وابن جرير الطبري المحقق لهذا الشأن وابن أبي الأزر في تاريخه وأبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال وصاحب كتاب (الفاخر) مصنف من أصحابنا الإمامية ذكره شيخنا أبو جعفر في فهرست المصنفين وأبو علي ابن همام في كتاب (الأنوار في تواريخ أهل البيت ومواليدهم) وهو من جملة أصحابنا المصنفين المحققين، وهؤلاء جميعاً أطبقوا على هذا القول وهم أبصر بهذا النوع.

قال أبو عبيد في كتاب (الأمثال) : وعند جهينة الخبر اليقين، قال: وهذا قول

ص: 362

1- صنّفه لمجد الدولة بن بويه . (منه)

الأصمعي ، وأمّا هشام ابن الكلبي فأخبر أنه جهنة وكان ابن الكلبي أخبر بهذا النوع من الأصمعي .

قال محمد بن إدريس : نعم ما قال أبو عبيد لأنّ أهل كلّ فنّ أعلم بفنّهم من غيرهم وأبصر وأضبط ، ثم أخذ يعدّد وقايح من أمثال ذلك فيها اشتباه من المفيد وغيره على جاري عاداته في ذكر الشيء بنظيره، وحرصه على تكثير الفوائد الأدبية في كتابه بحيث قد يخرج عن صناعته ويذهب به إلى فنّ آخر من العلم كما هو ظاهر لمن مارس كتابه .

ثمّ قال محمّد بن إدريس وأيّ غضاضة يلحقنا وأي نقص يدخل على مذهبنا إذا كان المقتول عليّاً الأكبر وكان علي الأصغر الإمام المعصوم بعد أبيه الحسين عليه السلام فإنّه كان لزين العابدين يوم الطف ثلاث وعشرون سنة، ومحمد ولده الباقر حي له ثلاث سنين وأشهر ، ثم بعد ذلك كله فسيّدنا ومولانا عليّ بن أبي طالب كان أصغر ولد أبيه سنّاً ولم ينقصه ذلك (1)، انتهى بألفاظه وفيه غنى وكفاية عن تطويل الكلام وذيله وتصعيب المرام ونيله.

وجملة القول أنّ فضائل ذلك السيّد الصورية والمعنوية، الخلقية والخلقية، من صباحة الوجه وحلاوة النطق والزهد والعبادة والعفاف والسماحة والشجاعة

والمداواة والرفق والصيانة وجلالة القدر وشهامة النفس وشرف المحتد وطهارة الذات وعلو الهمة وسمو الرتبة ليست من السهولة بحيث يمكن درجها في كتاب أو جمعها في دفتر ، وإذا حققت في خصوصياته وتلويحات سيد الشهداء سلام الله عليه الخاصة وتصريحاته الناصة في حقه يوم عاشوراء تأملت في ذلك تأملاً حقيقياً وتدبرته بعين التحقيق لعرفت كبر شأنه وارتفاع قدره، وهذه المقولة من

ص: 363

خصائصه ذات قسمين: أفعاله وأقواله ، وتفصيل هذين الأمرين تجده في المقاتل مطوّلاً مفصلاً، ونحن هنا نكتفي بحديث واحد منقول عن بحار الأنوار في تذييله على حديث يوم عاشوراء الذي أخذه المؤلف من روايات كتب مثل الإرشاد واللهوف وغيرهما، والحديث كما يلي :

(لما برز علي بن الحسين عليه السلام إلى ميدان القتال) رفع الحسين سبابته نحو السماء وقال : اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وحُلُقاً ومنطقاً برسولك (1)، كنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إلى وجهه ، أمنعهم بركات الأرض، وفرقهم تفريقاً، ومزقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قديداً، ولا تُرض الولاة عنهم أبداً فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدو علينا يقاتلوننا .

ثم صاح الحسين عليه السلام بعمر بن سعد : مالك ؟ قطع الله رحمك ، ولا بارك الله لك في أمرك، وسلّط عليك من يذبحك بعدي على فراشك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم رفع الحسين الاصوته وتلا: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى

ص: 364

1- وقد حكى أهل السير في شباهته برسول الله قضايا فمنها : أنه دخل رجل نصراني مسجد رسول الله فقال له الناس : أنت رجل نصراني اخرج من المسجد ، فقال لهم : إني رأيت البارحة في منامي رسول الله ومعه عيسى بن مريم أسلم على يد خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله فإنه نبي هذه الأمة حقاً وأنا أسلمت على يده وأتيت الآن لأجدد إسلامي على رجل من أهل بيته . قال : فجاءوا به إلى الحسين فوقع على قدميه يقبلهما ، فلما استقر به المجلس قص له الرؤيا التي رآها ، فدعا الحسين بولده الأكبر كان إذ ذاك طفلاً صغيراً وقد وضع على وجهه البرقع، فجيء به إلى أبيه ، فلما رفع الحسين البرقع من وجه عليّ ورآه ذلك الرجل وقع مغمى عليه ، فقال الحسين صبوا الماء على وجهه، ففعلوا، فلما أفاق التفت إليه الحسين وقال : يا هذا إن ولدي هذا شبيه بجدي رسول الله ؟ فقال الرجل : اي والله ، فقال له الحسين : يا هذا إن كان عندك ولد مثل هذا وتصيبيه شوكة ماكنت تصنع ؟ قال : سيدي ، أموت . فقال الحسين : أخبرك أنّي أرى ولدي هذا بعيني مقطوعاً بالسيوف إرباً إرباً (ثمرات الأعواد 1 : 174 - 175 ، كفاية الخطيب للسيد مهدي الخطيب السويج). (هامش الأصل)

آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ» «ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (1) وفي هذا الحديث تظهر مزايا عدة لهذا الشهيد المظلوم :

المزية الأولى : لَمَّا تَوَجَّهَ نحو العدوِّ وحمل على ميدان القتال، وقـف سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ بهيئةَ المستغيثِ الملتجئِ ووضع يده تحت لحيته وقبض عليها ورمق السماء بطرفه، وهذا كناية عن نفاذ جلده، وأنه بلغ مرحلة السيق، وبلغ السكين العظم، وهذا مقام المستعيز المستعين وهذا دليل على عظم قدر الأكبر عليه السلام و جلال مصيبة هذا المظلوم في نظر الإمام الهمام.

المزية الثانية : لشدة تأثيره وحرارة فؤاده وضع القوم في معرض العذاب الإلهي حيث استشهد الله عليهم وهذا دليل على عظم ذنبهم وجلالة قدر هذا الإمام العظيم

الشان.

المزية الثالثة : إنَّه شبه ولده بجده صلى الله عليه وآله وسلم لأن شمائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحسن والصباحة وغاية الاعتدال والتناسب ، سمر الآفاق وحديث أهل الأرض، وشهرة الكرة الأرضية، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ما استقبل الشمس الأغلب نوره نورها، وإذا ما جلس إلى جانب السراج أخفى ضوئه وحديث أمّ معبد معروف عنه، وأشعار خديجة في مدحه مشهورة منها قولها:

جاء الحبيب الذي أهواه من سفر***والشمس قد أثرت في وجهه أثرا

عجبت للشمس من تقبيل وجنته***والشمس لا ينبغي أن تدرك القمر

ونسبوا إليها أيضاً هذا الشعر، وبعضهم نسبه إلى عائشة :

لواحي زليخا لوراين جبينه***لاثرن بالقطع القلوب على الأيدي

ولو سمعوا في مصر أوصاف وجهه***لما بذلوا في سوم يوسف من نقد

ص: 365

وينبغي أن يقال في حقه :

بر سر يوسف اگر نام غلاميش نهند***تا قيامت شرف دوده اسحاق آيد

لئن دعي الصديق يوسف عندهم***غلاماً ففي إسحاق يشرف محتده

المزيّة الرابعة : شبّه عليه السلام بخلق رسول الله وهذه المنقبة تكفيه لأنّ الله بين عظمة هذا الخلق مؤكداً بالجملة الاسمية وحروف التأكيد والقسم ، فقال : «إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» (1) وأظهر سيّد الشهداء أن ولده أشبه الخلق بجده صلى الله عليه وآله وسلم في خلقه وبالطبع ليست شهادة المعصوم مبنية على المبالغة والإغراق والغلوّ الشعري، وفي هذا المشهد الحساس حيث يناجي ربه ويتظلم من فعل عدوّه ، فلو لم يكن إماماً لكان الموقف يضطر للاقتصار على الأمور الواقعية الحقيقية فلا يتجاوز الحقيقة إلى المجاز ولا يدعي غير الواقع ، ولا أقول ليس في كلام الإمام مجاز والإغراق افتراء وكذب، ولكن لما كانت البلاغة هي المطابقة لمقتضى الحال كان الحال يقتضيه ترك ذلك .

المزيّة الخامسة : جعل ولده أشبه الخلق في المنطق بجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي هذا ندرك معنيين لأنّ إماماً أن يريد بالشبه اللهجة وكيفية التكلّم بناءً على مقتضى الوراثة وقربه من ذلك الجناب الرفيع أو أنّه يريد فصاحة الألفاظ وجزالة كلماته حيث قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش واسترضعت من بني سعد (في بني سعد - المترجم) ولا بدع بإرادة المعنيين معاً ووضع كليهما فيه، وهذه الجهات الثلاث لا توجد في مخلوق على وجه الأرض كائناً من كان ، ولولا شهادته والنصوص المتواترة في إمامة سيد الساجدين لقال قوم بإمامته .

المزيّة السادسة : ما قاله عليه السلام : كلّما اشتقنا إلى النظر لوجه نبيك نظرنا إليه ، وهذا

ص: 366

1- القلم : 4 .

مؤكد للشبه الصوري في ذلك الجمال البديع على وجه يعيد للأذهان الجمال النبوي والحسن المصطفوي.

المزيّة السابعة : بعد هذا الثناء البليغ ومع كونه مظهراً من مظاهر رحمة الله دعا على القوم لأقدامهم على قتل هذا الكائن المقدّس وأراد من الله أن يهلكهم على وجوه ، وكانت سمة الأنبياء من أولي العزم الصبر ، ولسيد الشهداء في مقام الصبر قدم راسخة ومقام شامخ بحيث أعجب ملائكة السماء ولكنه هنا دعا على القوم وهذا يدلّ على مبلغ ألمه وحرارة لوعته بفقدان ولده وشدة علاقته وغاية محبّته له وتعلق قلبه به ، وفي هذه الفقرة دعا عليهم بفنون الدعوات، وكل واحدة منها تدل

بالاستقلال على جلاله قدره .

فواحدة: طلبه من الله أن يمنع منهم بركات الأرض.

الثانية : أن يبّد جمعهم ويشتت شملهم .

الثالثة : أن يمزقهم كل ممزق.

الرابعة : أن يفرق كلمتهم.

الخامسة : أن لا يرضي الولاة عنهم أبداً، وهذا الدعاء كله على قاتلي ذلك المظلوم وهم أنفسهم قاتلوا الإمام المعصوم ، أستجيب له كما يشاهد ذلك من راجع الأخبار وقرأ التاريخ.

المزية الثامنة : جعل قتله عنواناً لجميع المظالم والتعديات على أهل البيت

وأصحابهم «فإنّهم دعونا .. الخ».

المزيّة التاسعة : خاطب ابن سعد بعد أن بلغ به الألم كلّ مبلغ ووصل احتراق القلب عنده وتشويش الخاطر إلى آخر حدّه وصاح به ودعا عليه قطع الله رحمك ، وسلب منك البركة، وسلّط عليك من يذبحك على فراشك ؛ لأن الذبح على الفراش أذل أنواع القتل . وقد أجاد القائل في رثاء الحسين عليه السلام .

ص: 367

لقد مات لكن مية هاشمية*** لهم عرفت تحت القنا المتقصد

لعمري لئن لم يقض فوق فراشه*** فموت أخي الهيجاء غير موسد

وإن لم يشاهد موته غير سيفه*** فذاك أخوه الصدق في كل مشهد

المزية العاشرة: وهذه أعظم المناقب حين تلا آية الاصطفاء وهي دليل عصمة الأنبياء في حق ولده، وهذا مشعر بعصمته بل دليل عليها (سلام الله عليه) فهذه مناقبه الفاضلة وتلك عشرة كاملة استخرجناها من حديث واحد؛ فعلى الحقيقة:

هذه من علاه إحدى المعالي*** وعلى هذه فقس ما سواها(1)

أَوْلَادِ الْحُسَيْنِ ...

وَعَلَى

الشرح: ذكر هذه الجملة من باب ذكر العام بعد الخاص وتدلّ على شرف عليّ بن الحسين عليه السلام حيث يسلم عليه مرتين. ولفظ «أولاد» كما صرح اللغويون والفقهاء في باب الوصية والوقف به، أعم من البنين والبنات، ولا يبعد أن يراد في هذه الزيارة خصوص الذكور من الأولاد كما أشرنا إلى اختصاص هذه الزيارة بالشهداء.

وجملة القول أن الخلاف واقع في عدد أولاد الإمام الحسين عليه السلام، وقال الشيخ المفيد في كتابه المبارك «الإرشاد» أن عدد أولاده ل ستة؛ أربعة أولاد ذكور أحدهم الإمام الهمام سيد الساجدين عليه السلام من شاه زنان بنت يزدجرد «شاهنشاه إيران» ومن هذه الجهة يدعى عليه السلام ابن الخيرتين نظراً للحديث المعروف: «خيرة الله من العرب قريش ومن العجم فارس» وفيه يقول أبو الأسود الدثلي:

وإنّ غلاماً بين كسرى وهاشم*** لأكرم من نيطت على التمام(2)

ص: 368

1- الكلام بين القوسين للمؤلف بالعربية، والشعر للأزري (المترجم)

2- الشعر لشاعر من بني تميم فيقول فيه يفخر بأمه: أنا ابن أبي ليلى وجدي ظالم*** وأمي حصان أنجبتها الأعاجم وإن غلاماً ما بين كسرى وظالم*** لأكرم من نيطت عليه التمام (المترجم)

وعليه بنيت قولِي في قصيدة مهدويّة :

يهنئ في ميلاد أبلج ماجد***حوى هاشماً ما بين كسرى وقيصر

الثاني علي بن الحسين الشهيد.

الثالث جعفر ، وأمه من قضاة ، درج.

الرابع عبدالله الرضيع ، قتل في حجر أبيه بسهم من الأعداء ، وابنتان إحداهما سكينه وأمّها الرباب الكلبيّة ابنة امرئ القيس بن عدي وهي أمّ الرضيع أيضاً، والأخرى فاطمة بنت أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي .(1)

وفي كشف الغمة عن الحافظ عبدالعزيز بن الأخضر الجنازدي: ولد الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام ستة أربعة ذكور وابنتان : علي الأكبر قتل مع أبيه (2).

وفي عبارته المراد بعلي الأصغر الإمام زين العابدين لأنه ذكر غيره عبدالله وجعفر والقرينة الدالة على ما ندعيه قوله : ونسل الحسين من علي الأصغر(3)، ومن هذه الجهة ذكرنا نحن فيما تقدم القول بأنّه يرى الشهيد منهم عليّاً الأكبر ولا موضع لإيراد الفاضل صاحب كشف الغمة حيث ظنّ أنّ الجنازدي أخلّ بذكر علي زين العابدين(4) ومن تأمل كلامه لا يرى للإشكال موضعاً كما يظهر ذلك بحسن المراجعة .

ص: 369

1- الإرشاد : 236. (هامش الأصل)

2- كشف الغمة 2 : 248 . (المترجم)

3- نفسه. (المترجم)

4- عبارة صاحب كشف الغمة : قلت : قد أخلّ الحافظ بذكر علي زين العابدين .. الخ (2 : 249) . (المترجم)

وفي البحار عن مناقب ابن شهر آشوب له ولد اسمه محمد وبنت مسمأة بزینب (1) وعلى هذا يكون عددهم ثمانية أفراد .

وقال كمال الدين بن طلحة في (مطالب السؤل) : أولاده ستة وبناته أربع، وساق أسمائهم على النمط التالي : علي الأكبر وهو الشهيد، وعلي الأوسط وهوزين العابدين، وعلي الأصغر ومحمد وعبدالله وجعفر وزینب وسكينة وفاطمة، ولم يذكر العاشر، وتكون ابنته الرابعة .

وذكر علي بن عيسى في كشف الغمة عن ابن الخشاب أنهم تسعة، وعن أبي الفرج ومحمد بن أبي طالب وغيرهم وهو مذكور في البحار أنه بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام : فخرج غلام من تلك الأبنية وفي أذنيه درتان وهو مذعور فجعل يلتفت يميناً وشمالاً وقرطاه يتذبذبان، فحمل عليه هاني بن بعث [ثبيت -

المصدر] (لعنه الله) فقتله فصارت شهربانويه تنظر إليه ولا تتكلم كالمدهوشة .. (2)

ويمكن أن يكون هذا جعفر بن الإمام من شهربانويه، ويؤيد وجودها في الحرب قول ابن شهر آشوب أمّا شهربانويه فأتلقت نفسها في الفرات... (3)

يولا يظهر من هذا الكلام أنها أم سيد الساجدين ليقال بأنها ماتت في نفاسها، ولا يبعد أن تكون أختها فقد ورد في بعض الأخبار أنّهن أخوات ثلاث: تزوج إحداهن الإمام الحسن، والثانية الإمام الحسين، والثالثة محمد بن أبي بكر، ولا يبعد أن يتزوج إحدى الاثنتين بعد موت أختها وموت زوجها، وأن تحضر معه كربلاء، وأحسب أنني رأيت ذلك في بعض الكتب المعتمدة .

ص: 370

1- المناقب 4 : 77 ، بحار الأنوار 45: 330 (هامش الأصل)

2- بحار الأنوار 45: 45 (هامش الأصل)

3- بحار الأنوار 45: 62. (هامش الأصل)

وفي المنتخب ذكر حديث رقية بنت الحسين عليه السلام في الشام ولعلها الاسم الذي نسيه جماعة المؤرخين ويؤيده قبرها والقبة المبنية عليه في الشام وزيارة الناس من عامة وخاصة له، وينقل أهل الشام بالتوارث صاغراً عن كابر أن المدفونة ابنة الحسين عليه السلام والمعروفة بالسيّدة رقية، ويتوسلون ويتبركون بمرقدها المطهر ولقد تشرفت بزيارتها مراراً في طريقي إلى الحج عندما اجتزت بدمشق الشام وشاهدت آثار الجلال والخدر وأنوار العصمة والطهارة تتلألأ في ذلك المرقد والمضجع المقدّس .

ويظهر من كلام ابن عبد ربه في العقد والعبارة منقولة من ابن قتيبة أن محمداً ابن الحسين أسرف في كربلاء وأحضر إلى الشام، وذكر ابن الأثير له ولداً آخر وسماه عمراً بن الحسين وله قصة مشهورة في كلامه مع خالد بن يزيد لعنهما الله، وعلى هذا يكون أبنائه الكرام سبعة .

والعبارة المحكية عن (تاريخ يزيد) لحمد الله المستوفي مطابقة في العدد وإن خالفت في أسمائهم، لأنّها سمّت اثنين منهم عبيدالله والحسن .

وقال ياقوت في معجم البلدان جوشن جبل في غربي حلب ومنه كان يحمل النحاس الأحمر وهو معدنه، ويقال: إنّه بطل منذ عبر عليه سيي الحسين بن علي ونساؤه وكانت زوجة الحسين حاملاً فأسقطت هناك فطلبت من الصناع في ذلك الجبل خبزاً وماءً أفشتموها ومنعوها، فدعت عليهم فمن الآن من عمل فيه لا يربح، وفي قبلي الجبل مشهد يعرف بمشهد السقط ويسمى مشهد الدكة، والسقط يسمى محسن بن الحسين (1)، تم كلامه .

واقتمدى بعّمه المكرّم المحسن بن عليّ واقتمفى أثره لأنه أسقط أيضاً بظلم

ص: 371

الأعداء كما يظهر ذلك من مطاوي كتب أهل السنة .

فانظر إلى حظ هذا السم كيف لقي ***من الأواخر ما لاقى من الأول

ومجمل القول أن مجموع أولاد الحسين عليه السلام بناءً على جميع الروايات اثنا عشر فرداً؛ استشهد منهم اثنان على التحقيق واليقين عليّ الأكبر والرضيع ، وبناءً على احتمال آخر أنّهما رضيحان عليّ وعبدالله ، وأسقط واحد في طريق الشام ، ولكن دخوله في هذا السلام محل إشكال، وأقوى رواية الشيخ المفيد تلك لأنه أوثق وأبصر من غيره بهذه الأمور وهو حامل لواء علوم الأئمة إلى الأمة وناشر لواء آثار أهل البيت في الشيعة رضي الله عنه وأرضاه وحباه من رحمته ما تقر به عيناه .

تنبيه :

في بعض النسخ المصححة أنّ بعض مواضعها المقابلة على خط ابن إدريس والشيخ وهي موجودة في حوزتي ضرب خط على أولاد الحسين تطمس الجملة وكذلك هي محذوفة في نسخة مصباح السيّد المذكور وهذا الوجه أقرب إلى الواقع باعتبار (1) لأنك علمت أن ذكرهم بصيغة الجمع في هذه الجملة باحتمال دخول علي بن الحسين معهم يحتاج إلى تكلف وتمحل (2)، والله العالم.

ص: 372

1- في ص: 355 سلام على أولاد الحسين مختصة بمن استشهد في كربلاء منهم . (هامش الأصل)

2- لا داعي للتكلف لأنّ الشهداء من أولاد الحسين يقلون عن اثنين بالقطع واليقين وهذا المقدار يصدق على أقل الجمع . (هامش الأصل)

الشرح: مرّ في شرح قوله: «وعلى الأرواح التي حلت بفنائك» ذكر عدد الأصحاب وعدد الهاشميين منهم بالقدر الذي تتسع له مداركي وداخل في نطاق قدرتي وصبري على التتبع، وأرى من الصواب هنا ذكر حديث أو حديثين في فضلهم عليهم السلام، وإن لم تكن حاجة لذكر التضحية وفداء الذين كان عليهما أصحاب الحسين عليه السلام مع الحسين، ولا لثبات القدم ورسوخ العقيدة وكمال الجد والاهتمام بنيل السعادة في الشهادة عندهم، ولا للمنافسة والمسابقة بينهم على تناول كؤوس الردى وتداول جامات البلا، والظاهر لا يحتاج إلى كشف، والعيان غني عن البيان.

وليس يصح في الأفهام شيء*** إذا احتاج النهار إلى دليل

لاسيما إذا وضعنا مدّ بصرنا أنه ما من فريق من الناس قاتل مع إمام أو نبي أو محقّ أو مبطل فاستمات ووهب نفسه للهلاك، وباع على الموت، وكسر جفون السيوف وهاجم جيش الخصم بقلب واحد إلا وهو يأمل الفتح والظفر، وهؤلاء مع علمهم بالهلاك وقطعهم بالموت ويقينهم بالقتل من غير أمل بالنصر ولا رجاء للنصر أقدموا على الموت وجعلوا نفوسهم القدسيّة في ميدان الفداء والتضحية وقاءاً لوجود ابن سيّد الوصيين وسبط خاتم النبيين، وصار كلّ واحد منهم في

صدق الجهاد وثبات الموقف مصداقاً لقول حسّان بن ثابت الذي قال :

يلقى الرماح الشاجرات بنحره*** ويقيم هامته مقام المغفر

ما إن يريد إذا الرماح شجرته*** درعاً سوى سربال طيب العنصر

وما أحسن ما قاله سروش في مدح عابس بن شبيب الشاكري :

جوشن زير گرفت که ما هم خانه ماهيم*** مغفر زسر فکند که بازم نيم خروس

وما أخلقهم وأحقهم واحداً بعد واحد بقول الطائي الكبير رحمه الله تعالى :

ألا في سبيل الله من عطلت له***فجاج سبيل الله وانثغر الثغر

فتى كلما فاضت عيون قبيلة دماً***ضحكت عنه الأحاديث والذكر

فتى دهره شطران فيما ينوبه***ففي بأسه شطر وفي جوده شطر

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة***تقوم مقام النصر إن فاته النصر

ومامات حتى مات مضرب سيفه***من الضرب واعتلت عليه القنا السمر

وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه***إليه الحفاظ المرّ والخلق الوعر

ونفس تعاف العار حتى كأنما***هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر

فأثبت في مستنقع الموت رجله***وقال لها من دون أخمصك الحشر

غدا غدوة والحمد نسج ردائه***فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر

تردى ثياب الموت حمراً فما دجى***له الليل إلا وهي من سندس خضر

أ- ابن قولويه في كامل الزيارة و فرات بن إبراهيم في تفسيره وساق السند إلى صادق أهل البيت عليهم السلام : كان الحسين عليه السلام مع أمه تحمله، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : لعن الله قاتلك ولعن الله سالبك وأهلك الله المتوازين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك .

قالت فاطمة الزهراء سلام الله عليها : يا أبة ، أي شيء تقول ؟

قال : يا بنتاه ذكرت [ذكرته] ما يصيب بعدي وبعذك من الأذى والظلم [والغدر] والبغي وهو يومئذ في عصبه كأنهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل وكأنني أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم (1) والحديث طويل.

ب - الصدوق في العلل وساق السند إلى عمارة عن أبيه عن أبي عبد الله قال :

ص: 374

1- تفسير فرات : 171 واللفظ له . (المترجم) نفسه : 55 - 56 ، كامل الزيارات : 69 ، بحار الأنوار 44: 297 . (هامش الأصل)

قلت له : أخبرني عن أصحاب الحسين عليه السلام وإقدامهم على الموت، فقال : إنهم كُشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم من الجنة فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها وإلى مكانه من الجنة (1).

ج - الشيخ الأجل قطب الدين الراوندي في كتاب (الخرايج) عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال : كنت مع أبي الليلة التي قتل صبيحتها، فقال لأصحابه : هذا الليل فاتخذوه جملاً فإنّ القوم إنّما يريدونني ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم، وأنتم في حلّ وسعة، فقالوا: لا والله لا- يكون هذا أبداً. قال: إنكم تقتلون غداً كذلك لا يفلت، رجل، قالوا الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك ، فقال عليه السلام [لهم - المصدر] (ثم دعا) (2) وقال لهم: ارفعوا رؤوسكم وانظروا ، فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة وهو يقول لهم هذا منزلك يا فلان ، وهذا قصرك يا فلان وهذه درجتك يا فلان فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدرة ووجهه ليصل إلى منزله من الجنة (3).

د - القطب الراوندي أيضاً في الخرائج وساق السند إلى باقر علوم النبيين ، قال : قال الحسين بن علي عليهما السلام لأصحابه قبل أن يقتل : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا بني، إنك ستساق إلى العراق وهي أرض قد التقى بها النبيون وأوصياء النبيين، وهي أرض تدعى عموراء، وإنك تستشهد بها ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مس الحديد، وتلا : «قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ» (4) تكون الحرب عليك وعليهم برداً وسلاماً ، فابشروا فوالله لئن قتلونا فإننا نرد على نبينا ، ثم

ص: 375

1- علل الشرائع 1 : 229 (المترجم) نفسه : 218 باب 163 ، بحار الأنوار 44 : 297. (هامش الأصل)

2- لم ترد عند المؤلف . (المترجم)

3- الخرائج 2 : 848. (المترجم) وبحار الأنوار 44 : 298. (هامش الأصل)

4- الأنبياء : 69.

أمكث ما شاء الله فأكون أول من تنشق عنه الأرض فأخرج خرجة يوافق ذلك خرجة أمير المؤمنين لها وقيام قائمنا وحياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولينزلنّ على وفد من السماء من عند الله لم ينزلوا إلى الأرض قط، ولينزلن إلى جبرئيل وإسرافيل وجنود من الملائكة، إلى آخر الحديث. (1)

هـ - ونقل الشيخ المفيد في الإرشاد فجمع الحسين عليه السلام أصحابه عند قرب المساء . قال علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام : فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريض ، فسمعت أبي يقول لأصحابه : أثني على الله أحسن الثناء ، وأحمده على السراء والضراء ، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، فاجعلنا من الشاكرين.

أما بعد ، فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيراً ، ألا وإني لأظنّ أنّه آخر يوم لنا من هؤلاء ، ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم مني ذمام ، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً. (2)

ويوافق رواية السيّد في اللهوف: لا أعلم أصحاباً أصلح من أصحابي ولا أهل بيت أبرّ ولا أفضل من أهل بيتي .. (3)

وهذا الخبر من أعظم المدائح المتصوّرة لأصحاب سيّد الشهداء عليه السلام لأنه قال : لا أعلم أصحاباً أصلح من أصحابي ولا أوفى ولا أهل بيت أبرّ ولا أفضل من أهل

ص: 376

1- الخرائج 2 : 848 ووردت جمل من الحديث لم ترد عند المؤلف . (المترجم) بحار الأنوار 45: 80 رقم 6

2- الإرشاد 2 : 91 (المترجم) ونفسه : 214 ، وبحار الأنوار 44: 392. (هامش الأصل)

3- اللهوف : 90 . (المترجم)

بيتي، وهذا الخبر موجب لتفضيلهم على صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام ويمكن أن تكون النكتة في هذا هو نفس الدقيقة التي جرت الإشارة إليها في صدر المقالة .

وجملة القول أن نهاية الحديث يتضمن الحوار الدال على حُبهم وأقوالهم المخلصة الصادقة ، فقد نطق كل واحد بما في قلبه ، وأعرّب عما في ضميره، بحيث يترك العقل ذاهلاً حيران، ومجمله كما يلي . شعر .

شاهها من اربعرش رسانم سرير فضل***مملوك آن جنابم و محتاج آن درم

ور باورت نمى رسد از بنده اين حديث***از گفته كمال دليلى بياورم

گر بر كنم دل از تو و بردارم از تو مهر***اين مهر بر كه افكنم آن دل كجا برم

سيدي لو بلغت عرش الشريا***لم أزل عبد سيدي المحتاجا

ولو أنّ المولى يشك بصدقي***إنّ عندي لما أقول حجاجا

هاك قلبي ينبيك عما الاقي***من عذابي ودمعي الثجاجا

أين ينحو حبيّ إذا حاد عن بابك***والقلب عاف ذاك الرتاجا

والتفصيل مذکور في كتب المقاتل، والله درّ القائل فيهم :

قوم إذا نودوا لدفع ملمة***والخيل بين مدعس ومكردس

لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا***يتهافتون على ذهاب الأنفس

اللَّهُمَّ خُصَّ أَنْتَ أَوَّلَ ظَالِمٍ بِاللَّعْنِ مِنِّي ، وَابْدَأْ بِهِ أَوَّلًا ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّالِثُ ثُمَّ الرَّابِعُ ...

اللَّهُمَّ خُصَّ أَنْتَ أَوَّلَ ظَالِمٍ بِاللَّعْنِ مِنِّي ، وَابْدَأْ بِهِ أَوَّلًا (1) ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّالِثُ ثُمَّ

شرح : لفظ «أولاً» منصوب على الظرفية. وكما مرّ سابقاً إن كان اسماً فهو يستعمل على ضربين (2) ولما كان معنى أول من المفاهيم المتضايقة لا يستعمل بدون إضافة وحكمه حكم الظروف التي تلازم الإضافة ولهذا الظرف وجوه:

الأول : ذكر المضاف إليه .

الثاني : حذف المضاف إليه مع تقدير لفظه، وفي هذه الحالة يكون معرباً من غير تنوين مثل ابدأ به من أول . كما قال الشاعر:

ومن قبل نادى كلّ مولى قرابة

بكسر اللام، بناءً على رواية الثقات كما قالوا.

والثالث : حذف لفظه وإبقاء معناه ، وفي هذه الحالة يكون مبنياً على الضم مثل : «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ». (3).

والرابع : حذف لفظ المضاف ومعناه أي قطعه عن الإضافة بتاتاً، والغرض «قبل ما» و«بعد ما» لتنكيره، وفي هذه الحالة ينصب وينون ، مثل :

وساغ لى الشراب وكنت قبلاً

ومثل ابدأ به أولاً. والحريري اعتبر ابدء به أولاً خطأ لحرصه على تكثير

ص: 378

1- في مصباح المتهدج النسخة الخطية و (البلد الأمين) ومصباح الكفعمي أول بضم اللام .

2- في شرح جملة : «أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد» (هامش الأصل)

3- الروم : 4 .

أوهام الخواص في درّة الغوّاص (1) وتذرع بالبيت التالي :

العمرک ما أدري وإني لأوجل***على أينا تعدوا المنية أول

وغفل على أنّ الضمّ على المعنى الذي سبق ذكره ولا اعتبار بتخطئة النصب بغير هذا المعنى، ولا زال الحريري جارياً على هذه العادة أن يقيس خطأ في استعمال آخر، وهذا من ضعف التحصيل وقلة التبصر، والدعاء نفسه دليل ساطع وبرهان قاطع على بطلان دعواه، ولا تعجب منه ولكن اعجب من السيّد الأجل المحقق الداماد له حيث تبعه في حاشيته على الصحيفة السجادية المكرّمة ولا- يسوغ أولاً بالتنوين، ولا بد من أن هذا السيد العلامة غفل عن الفقرة الواردة في الزيارة، وإلا فمع اعتبار سند هذه الزيارة بل قطعيتها بين الشيعة وأنها قول الأئمة جميعاً بل هي الحديث القدسي وتطابق جميع النسخ على هذا اللفظ، كيف يسوغ القول بعدم صحة الاستعمال ذهاباً مع الحريري.

وجملة القول المراد بالأربعة، معروف، وهاهنا حكاية طريقة نقلها السيد المحقق الشهيد الثالث القاضي نور الله الشوشتری قدس الله سرّه السري في كتاب مجالس المؤمنين (2) في ذيل ترجمة شيخ الطائفة ورئيس المذهب وإمامها بعد الأئمة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي - قدس الله سرّه القدوسي - أن بعض العدو وشى به إلى الخليفة العباسي المعاصر للشيخ بأنه وأصحابه من الشيعة الإمامية يسبون الصحابة وكتاب المصباح الذي فيه أعمال السنة للمتجهدين شاهد بذلك، لأنّ في دعاء يوم عاشوراء جاء فيه: «اللهم خص ...» إلى آخره، فاستدعاه الخليفة وأمره بحمل كتاب المصباح معه .

ص: 379

1- درّة الغوّاص : 92 ط سنة 1272 . (هامش الأصل) ونفسه : 105 ط المكتبة العصرية 1424 .

2- ذكرها البحراني في اللؤلؤة : 246 ، وقال : مثلها في حياة القلوب ومجالس المؤمنين . (هامش الأصل)

فلما حضر وواجهه بالتهمة أنكر ذلك فأمر الخليفة بقرائة الدعاء المذكور من الكتاب ، وقال له : بأي عذر تعتذر عن هذا؟

فقال الشيخ على البديهة : يا أمير المؤمنين ، ليس المراد من هذه العبارة المعنى الذي قذفنا به العدو ، بل المراد بالأول قابيل ، قاتل هايل الذي وضع أسالس القتل في الأرض وفتح على نفسه أبواب اللعن ، والمراد بالثاني عاقر ناقة صالح واسم عاقرها قي دار بن سالف ، والمراد بالثالث قاتل يحيى بن زكريا الذي قتله من أجل بغية من بغايا بني إسرائيل ، والمراد بالرابع عبدالرحمن بن ملجم - لعنه الله - الذي أقدم على قتل علي بن أبي طالب عليه السلام .

فلما سمع الخليفة منه ذلك صدقه ، وأنعم عليه وعاقب الساعين والغمازين تَمَّت عبارة المجالس .

وجملة القول إنّي وإن ذكرت في مطاوي هذا الكتاب وتضاعيف هذا الباب أخباراً وآثاراً دالة على جواز لعن هذا الفريق وسبّه وإثبات ظلمه وكفره موافقة للعقل والاعتبار حتى لا يشك بها أحد انقشعت عن قلبه غشاوة الشقاوة وزالت عن عينيه ستائر الجهالة ولكننا نذكر في هذا المورد حديثاً أو حديثين من طرق أهل السنّة المعتمدة في إثبات ظلم المشايخ الثلاثة بل كفرهم وجواز لعنهم ، ثم نسوق خبرين من طريقهم أيضاً عن كفر معاوية ، والآن بتوفيق الله عزّ اسمه نقول :

1 - روى مسلم في كتاب الجهاد باب الفبيء بطريقين والبخاري في موضعين من صحيحه في باب فرض الخمس والآخر في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة عن مالك بن أوس رواية تتضمن أنّ تيمماً وعدياً كانوا باعتماد أمير المؤمنين كاذبين وآثمين وغادرين ، وألفاظ هذه الأحاديث الأربعة متقاربة وإن كان البخاري دلّس في النقل وأورد عقيب هذه الجملة ترعمان أنه كذا قول عدي ليقابل بينهما فقال: «والله يعلم أنه صادق بار راشد تابع للحق» ويعلم من خلال ذلك كلام عليّ

والعباس في حق الرجلين ، ونحن نكتفي في هذا الباب برواية مسلم وننقل نفس عبارته وهي كافية في الاستبصار.

قال مسلم في صحيحه - ما مثاله - : حدثني عبد الله بن أسماء الضبعي ((نا)) جويرية، عن مالك ، عن الزهري أن مالك بن أوس حدثه قال : أرسل إلي عمر بن الخطاب فجنه حين تعالى النهار ، قال : فوجدته في بيته جالسا على سرير مفضيا إلى رماله ، متكئا على وسادة من آدم ، فقال لي : يا مال ، إنه قد دف أهل أبيات من قومك وقد أمرت فيهم برضح ، فخذ فاقسمه بينهم.

قال : قلت : لو أمرت بهذا غيري.

قال : خذه يا مال

قال : فجاء يرفأ ، فقال هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان وعبدالرحمن ابن عوف والزيير وسعد ؟ فقال عمر : نعم ، فأذن لهم فدخلوا ثم جاء فقال : هل لك في عباس وعلي ؟ قال : نعم ، فأذن لهما ، فقال عباس : يا أمير المؤمنين ، اقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن (1).

فقال القوم : أجل يا أمير المؤمنين فاقض بينهم وأرحهم .

فقال مالك بن أوس : يخيل إلي أنهم قد كانوا هم قدموا لذلك ، فقال عمر اتئدا (أي اصبرا وأمهلا) أنشدكم بالله الذي ياذنه تقوم السماء والأرض ، أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا نورث ما تركناه صدقة ؟ قالوا : نعم ، فقال عمر : إن الله جلّ وعزّ كان خص رسول الله بخاصة لم يخصص بها أحدا غيره ، قال : «مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيَّ

ص: 381

1- حاشا لسيدنا أبي الفضل أن يقول هذا بحق أمير المؤمنين وهو يعرف منزلته من الله ولكن القوم لا- يملكون الجرأة على سب أمير المؤمنين جهاراً فسبوه على لسان العباس كذباً ، فلعنهم الله وسوّد وجوههم. (المترجم)

رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ» (1) وما أدري هل قرأ الآية التي قبلها أم لا. قال: فقسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينكم أموال بني النضير فوالله ما استأثر عليكم ولا أخذها دونكم حتى بقي هذا المال، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم يجعل ما بقي أسوة المال ثم قال: أنشدكم بالله الذي ياذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون ذلك؟ قالوا:

نعم، ثم نشد عباساً نشد عباساً وعلياً بمثل ما نشد به القوم أتعلمان ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فلما توفي رسول الله قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله، فجتتما تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر: ما تركناه صدقة [ما نورث] فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً (2) والله يعلم إنّه لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفي أبو بكر وأنا ولي رسول الله (3) وولي أبي بكر فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم إنّي لصادق باز راشد تابع للحق فوليتهما، ثم جئتني أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد فقلتما أدفعها إلينا، فقلت: إن شئت دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تعملوا فيها بالذي كان يعمل رسول الله، فأخذتماها بذلك، قال: أكذلك؟ قالوا: نعم، قال: ثم جئتماني لأفضي بينكما ولا والله لا أفضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما فرداها عليّ. (4) انتهى بألفاظه في أول طريقي مسلم.

من هذا الحديث الذي يعتبر عند أهل السنة له حكم نصوص الكتاب، يرد على خليفتهم المحترم طعون عدّة بعضها يوجب الكذب الذي يوجب الصفات

ص: 382

1- الحشر: 7.

2- وأقول أنا حسبة: لعن الله هذا الكاذب الآثم الغار الخائن. (المترجم)

3- من الذي ولاك يابن الزانيتين حنتمة وصهاك. (المترجم)

4- صحيح مسلم: 3: 1758 باب 15 كتاب الجهاد. (هامش الأصل) ونفسه رقم 4531. (المترجم)

الأربعة المذكورة. وبعضها يوجب الكفر وبه يجوز لعنه .

أما كذب دعواهم ففي زعمه وصاحبه أنّهما وليا رسول الله مع أنّهما باتفاق الأمة أمر النبي عليهما أسامة وأمرهما بالخروج معه ، كما ستسمعه.

وأما عذرهما وإثمهما وخيانتها، وكذبهما، وقد اعترف بشهادة العباس وأمير المؤمنين وهما من أفضل العترة ورؤساء الأمة عليهما بذلك ، وما من مسلم لا يحكم بشهادة هذين الفاضلين ؟

وهذه المثالب التي نسبها عدي إليهما كانت بمشهد وسمع من أوس وعبدالرحمن وسعد ونعثل والزبير، فلا هما أنفا من هذا الوصف ولا عليّ والعباس تنصلا منه أو اعتذرا ، ومع هذا نقول : إن قول عدي هذا في حق صاحبه لا يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون صادقا ، وإما أن يكون كاذبا ؛ فإن كان الأول تكون حقيقته بحكم هذه الشهادة معلومة ، وإن كان كاذبا فتعرف حاله أيضا وتصدق عليه الآية الكريمة: «فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» .(1)

وأما كفره فيعلم من لحن حديثه بحق رسول الله والزهراء عليهما السلام فقد نطق اسميهما الشريفين بطريق الاستخفاف والإهانة ، فقد قال للعباس : تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها ، وهذا قلة أدب منه ليس بمستطاع المسلم تحمّله النبي الذي يخاطبه الله بالتعظيم في كتابه، وإنما ذكر اسمه يذكره بالإجلال وبالألقاب المكرّمة مثل : «يا أيها الرسول» و«يا أيها النبي» و«يا أيها المرّمّل» و«يا أيها المدثر» وما أشبهها إلا في مواضع من الكتاب اقتضت الضرورة التصريح باسمه المبارك من أجل التنصيص على نبوّته أو غير ذلك من الأغراض . يأتي عدي باسمه بهذا الاستخفاف، ويأتي باسم فاطمة بضعة النبي

ص: 383

1- آل عمران: 61 .

وسيدة المحشر بهذا الصغار، وبالطبع إن هذا موجب للكفر، لأن الضرورة قاضية عند أهل هذه الملة أن إهانة الأنبياء والاستخفاف بقدرهم خروج من الملة. وفي معجم البلدان لياقوت الحموي في لفظ صنعاء كما ذكر السيد المحقق الشهيد الثالث في إحقاق الحق حشره الله أجداده، قال: قال زيد بن المبارك كنا عند عبد الرزاق (بن همام) - وهو شيخ البخاري ومسلم وروى كلاهما عنه روايات كثيرة ومن الأمثال المعروفة عند أهل السنة والجماعة من روى له الشيخان فقد جاز القنطرة - فحدثنا بحديث معمر عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان الطويل، فلما قرأ قول عمر لعليّ والعباس: فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، قال: ألا يقول الأنوك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (1).

وحكم عبدالرزاق بحمقه أو إنه اعتقد بكفره، ونحن أشرنا إلى حال عبدالرزاق في الحاشية على الكتاب الذي وضع على رجال النجاشي (2).

الحديث الثاني في نهج الحق عن مسند أحمد بن حنبل: من آذى علياً بعث يهودياً أو نصرانياً. (3)

وبالطبع إيذاء القوم لأمير المؤمنين واضح وثابت و مشهور «كوقوع الصفيحة من فوق السطح». (4).

ص: 384

1- معجم البلدان 3: 429 (المترجم)

2- ما رحل الناس إلى أحد بعد رسول الله مثلما رحلوا إلى عبد الرزاق الصنعاني ... الذهبي: شيخ الإسلام ومحدث الوقت ومن احتج به كل أرباب الصحاح قيل ليحيى بن معين: إن عبدالرزاق شيعي ويكره معاوية، قال: لو ارتد عبدالرزاق ما تركنا حديثه (تاريخ اليمن الفكري 1: 48 و 49). (المترجم)

3- نهج الحق، نقل هذا الحديث بأسناد مختلفة وذكرها في إحقاق الحق بالتفصيل 6: 90. (هامش الأصل)

4- هذا مثل فارسي وليس له نظير في أمثالنا العربية (المترجم)

وكَلَّمَا أَرَادُوا سِتْرَهُ بَدَى «كَالطَّبَلِ مِنْ تَحْتِ الْقَطِيفَةِ» فَهُوَ مَعْرُوفٌ لِلْعَارِفِ وَالْعَامِيِّ وَمَعْلُومٌ لِلْجَمَادِ وَالنَّامِيِّ .

الحديث الآخر لابن أبي الحديد عن عبدالرزاق الجوهري وهو من أجلة الثقات والمعتمدين روى وساق السند إلى ابن عباس قال : إني لأماشي عمر (لعنه الله) في سكة من سكك المدينة، يده في يدي، فقال : يابن عباس ، م-أظنّ صاحبك إلا مظلوماً، فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلت: يا أمير المؤمنين ، فاردد إليه ظلامته فانتزع يده من يدي ثم مرّ بهم ساعة ثم وقف ، فلحقته ، فقال لي: يابن عباس، ما أظنّ القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه، فقلت في نفسي: هذه شرّ من الأولى ، فقلت : والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة برائة من أبي بكر ..(1)

نشكر الله أن عدي اعترف أنه وأصحابه ظلموا عليّاً وأخذوا منه حقه زوراً وباطلاً.

وذكر ابن أبي الحديد هذا الحديث أيضاً في أحوال «عدي» من كتاب الموفقيات عن الزبير بن بكار الزبيري وهو من أكابر ثقات المؤرّخين من هذه الطائفة .

والحديث الآخر نقله عبدالكريم الشهرستاني في كتاب الملل والنحل عن النبيّ : «جهزوا جيش أسامة ، لعن الله من تخلف عنه» (2).

وصدر الحديث وإن كان متواتراً ولكن ذيل الحديث لم أعره عليه من طرق العامة إلا في كتاب الملل والنحل (3) وكان عدي وتيم ومعهما نعثل كما في روضة

ص: 385

1- شرح ابن أبي الحديد 6: 45 . (المترجم)

2- الملل والنحل 1: 23 .

3- ويوجد في المقدمة التي كتبها محيي الدين عبدالحميد على كتاب مقالات الإسلاميين للأشعري . (المترجم)

الأحباب لجمال المحدثين في ذلك الجيش وتخلفا؛ أما بمخالفة النص وهو الكفر، أو بالاجتهاد وهو الفسق، وعلى أية حال فقد شملتهم لعنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الحديث الآخر نقله آية الله العلامة - نشر الله في الخلد أعلامه - عن الحميدي المحدث، عظيم الشأن، نقلاً عن تفسير السدي وهو من تفسير السدي وهو من أكابر المفسرين والمحدثين عندهم، قال: لما توفي أبو سلمة وعبد الله بن خديفة وتزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم سلمة وحفصة، وصارتا من أمهات المؤمنين، قال طلحة ونعثل لعنهما الله: أيتزوج محمد نساينا إذا هلكنا والله لو مات لتزوجنا نسائه ولو بضرب السيوف، وكان طلحة يطمع في حميراء ونعثل في أم سلمة (1)، فنزلت الآية: «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا» (2) ونزلت هذه الآية أيضاً: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (4)(5).

وهذه الآية علاوة على ما صرحت به من لعن الله تعالى نعثل وطلحة، هي دليل على كفرهم أيضاً لأنهما زعما تساويهما مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يرعيا حرمة النبوة واستخفا بقدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يطيعا أمر الله، وعارضا شرع النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما هو الظاهر، وهذه الأمور تدل على الكفر بالضرورة، وأحاديث من هذا القبيل في كتب أهل السنة أكثر من أن تحصى، وكتابتنا هذا مبني على الإشارات والتلميحات لا

ص: 386

1- من الناس من يحلوه أن يتحدث عن علاقة لطلحة بعائشة قبل زواجها من رسول الله لأنها من بني عمه وهذا افتراء على حرمة النبي فأرجو أن ينزه المرء المسلم خلده من هذا الباطل. (المترجم)

2- الأحزاب: 53.

3- الأحزاب: 54.

4- الأحزاب: 57.

5- نهج الحق: 304 و 305. (هامش الأصل)

على الإحاطة والاستقصاء، وبهذا القدر يكتفي العلماء طلاب الحقيقة وعارفوه وتغنيهم وتشفيهم إن شاء الله ، وعلى أثر ذكر هؤلاء الثلاثة لم أجد بدأً من إثبات شعر أبي القاسم المغربي وإن مرّت فيما تقدّم شذرة منه ، فله دره حيث قال :

لكنما حسد النفوس وشحها*** وتذكر الأذحال والأوتار
أفضى إلى هرج ومرج فانبرت*** عشواء خابطة بغير نهار
وتداولتها أربع لولا أبو*** حسن لقلت لئمت من أستار
من عاجز ضرع ومن ذي غلظة*** جاف ومن ذي لوثة خوار
ثم ارتدى المحروم فضل ردائها*** فغلت مراجل إحنة ونفار
فتأكلت تلك الجذى وتلمظت*** الضبا ورقاً أجيج النار
تالله لو ألقوا إليه زمامها*** لمشى بهم سججاً بغير عثار
ولو أنّها حلت بساحة مجده*** بادي بدي سكنت بدار قرار
هو كالنبي فضيلة لكنّ ذا*** من فضله كاس وهذا عاري
والفضل ليس بنافع أربابه*** إلا بمسعدة سعدة من الأقدار
ثمّ امتطها عبد شمس واغتدت*** هزءاً وبدل ربحها بنخسار
وتنقلت في عصابة أموية*** ليسوا بأبرار ولا أطهار
مايين مأفون إلى متزندق*** ومضعف ومداهن وحمار

وقد سبقت هذه الأبيات الأخيرة وهي من جيّد شعر العرب قد وشج في البداوة أصوله ، وتهدل بالحضارة غصونه ، وكأثما وصفه البحري بقوله الذي سبق فيه كلّ

واصف للشعر :

في نظام من البلاغة ما شكّ*** امرى أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضاحك*** في رونق الربيع الحديد
مشرق في جوانب السمع ما*** يخلقه عوده على المستعيد

ما أعيرت منه بطون القراطيس*** وحملت ظهور البريد

مستميل سمع الطروب المغنى*** عن أغاني مخارق وعقيد

جج تخرس الألد بألغاز***فرادى كالجوهر المنضود

حزن مستعمل الكلام اختياراً*** وتجنّبن ظلمه التعقيد

وركن اللفظ القريب فأدركن*** به غاية المراد البعيد

كالعدارى غدون في الحلل ال-***بيض إذا رحن في الخطوط السود

وأنا وإن خرجت عن المقصود بحكاية هذا اللؤلؤ المنضود إلا أن إعجابي بشعر أبي القاسم ملك عناني وأخذ بزمامي وقادني إلى مدحه،
فتخيّرت شعر البحري في ذلك لأنه بذلك واصف وبهر كلّ عارف بمواقع اللطائف. (1)

وهذان الخبران يدلان على كفر معاوية لعنه الله :

الأول : ما ذكره ابن أبي الحديد وغيره من صناديد هذا الفريق وذلك أن النعمان ابن بشير الأنصاري جاء في جماعة من الأنصار إلى معاوية فشكوا إليه فقرهم وقالوا: لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله لنا : «ستلقون بعدي أثرة» فقد لقيناها، قال معاوية : فماذا قال لكم ؟ قالوا : قال لنا : (فاصبروا حتى تردوا عليّ الحوض) قال : فافعلوا ما أمركم به عساكم تلاقونه غداً عند الحوض كما أخبركم ، وحرّمهم ولم يعطهم شيئاً.

قال ابن أبي الحديد وهذا الخبر هو الذي يكفر كثير من أصحابنا معاوية بالاستهزاء به. (2)

الخبر الثاني : ذكره المسعودي في مروج الذهب في أحوال المأمون وأشار إليه

ص: 388

1- كان النصّ بالعربية من المؤلّف . (المترجم)

2- شرح نهج البلاغة 6 : 32 (المترجم)

ابن أبي الحديد أيضاً: وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين نادى منادي المأمون: برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدّمه على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتكلّم في أشياء من التلاوة أنّها مخلوقة وغير ذلك، وتنازع الناس في السبب الذي من أجله أمر بالنداء في أمر، معاوية، فقيل في ذلك أقاويل منها أنّ بعض سماره حدّث بحديث عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي وقد ذكر هذا الخبر الزبير بن بكار في كتابه من الأخبار المعروفة بالموقفيات التي صنّفها للموفق وهو ابن الزبير قال:

سمعت المدائني يقول: قال مطرف بن المغيرة بن شعبة وفدت مع أبي المغيرة إلى المعاوية، فكان أبي يأتيه يتحدث عنه ثم ينصرف إلى فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب ممّا يرى، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، فرأيتُه مغتماً، فانتظرتُه ساعة وظننت أنه لشيء حدث فينا أو في عملنا، فقلت له: مالي أراك معتماً منذ الليلة؟

قال: يا بني، إني جنت من عند أخبت الناس.

قلت له: وما ذاك؟

قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت منك يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه.

فقال لي: هيهات هيهات!! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه، فعمل ما عمل وعمل به، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به، وإن أخا هاشم يصرخ به في كلِّ

ص: 389

يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله ، فأى عمل يبقى مع هذا؟ لا أم لك ؟ والله إلا دفناً دفناً.

وإن المأمون لما سمع هذا الخبر بعثه ذلك على أن أمر بالنداء على حسب ما وصفنا ، وأنشئت الكتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر ، فأعظم الناس ذلك وأكبروه

واضطربت العامة ، فأشير عليه بترك ذلك فأعرض عمّا كان همّ به .(1)

إلى هنا كان كلام المسعودي وهو ثقة عند أهل السنّة علاوة على إعطائه السند على هذا وهو كتاب الموقّيات للزبير بن بكار وهو من الأصول المعتمدة والمصادر المعتبرة عند هذه الطائفة .

ومما كتبناه يظهر كفر هؤلاء الأربعة وجواز لعنهم وظلمهم كالشمس في رابعة النهار، بيّنة واضحة من هذه الجهة كان الإمام الصادق عليه السلام ملزماً نفسه بعدك -ل فريضة لعن هؤلاء الأربعة وصار ذلك ملزماً للشيعة، على نحو التأسّي ، كما روى الكليني والشيخ وأوصلا السند إلى الحسين بن ثوير وأبي سلمة السراج قالا : سمعنا أبا عبد الله يلعن في دبر كل مكتوبة أربعة من الرجال وأربعاً من النساء ويذكر أسمائهم(2).

والآيات المأولة بلعنهم والمصرحة به كثيرة وهو من ضروريات مذهب الشيعة ، ومن المطاعن الموجهة إليهم من عدوّهم ، ولم ينكر ذلك أحد ممن انتمى إلى هذا المذهب ذلك، سوى واحد جاهل ضال مضل في أيامنا ظهر في كشمير

ص: 390

1- مروج الذهب 4 : 48 و 49

2- سمعنا أبا عبد الله وهو يلعن في دبر كل مكتوبة أربعة من الرجال وأربعاً من النساء : فلان وفلان وفلان ومعاوية، ويسمّيهم، وفلانة وفلانة وهند وأمّ الحكم أخت معاوية (الكافي 3: 342 كتاب 12 باب 32 ح 10 ، تهذيب الأحكام 2 : 321 باب 15 حديث 169 ويتمثل الإمام بذلك أمر الله «فَإِذَا فَرَعْتَ فَأُنْصَبْ» «وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ» [الشرح : 7 و 8] . (هامش الأصل)

وكتب رسالة في منع سبّ الشيخين، وضمّ صوته إلى صوت السنة ورقص على حبالهم وخدع بأساطير طائفة من العوام أخفاء الهام، سفهاء الأعلام، وترهاتهم وخدع جماعة بطاقاته وجرياته من الجهال، وأقام فتنَةً بحيله والأعيبه وأساليبه ونفاقه وتملّقه، وأنشأ سقيفة جديدة. والعجيب في الأمر أن الرجل مع كونه من أوائل الطلاب قليل المعرفة خال من العلم، وهو من رؤوس الفساق ومشايخ أهل الكبائر، يدّعي الاجتهاد ويتصدّى للإفتاء، بل أحياناً يدعى لنفسه الأعلميّة ويطنطن بها تحت الستار، وتظهر من تحت رماده فتاوي غريبة تدلّ على الجهل، وكان ينكر نسب الطائفة الجليلة الرضوية وهم وجوه أكابر أشرف قم وطهران وهمدان، وخراسان وسيادتها وغيرهم من أمثالهم، وصرّح بتضليله وتفسيقه علماء المشهدين والجناب المستطاب حجّة الإسلام سيدنا الأستاذ - دام ظله - مراراً وتكراراً وكتبوا في ذلك المقالات وحرّروا الرسائل والكتب فلم يقلع عن غوايته، ولم يرتدع عن ضلّالته⁽¹⁾ وإلا لو لم يجر في حقه ما جرى فإنّ ما نخشاه

ص: 391

1- من عجائب شيطنة هذا المدّلس أنّ الكتب التي ترد على أهالي تلك الأصقاع من علماء الإسلام ووجوه الأعلام يحرفها أمام عوام الشيعة أو يمزق جملة منها أو يأولها بوجوه ظاهرة الفساد وينفي بعضها ليلبس بذلك على العامة من الشيعة، فيصطاد قوماً من الجهال الضعفاء في شبابه لعله يبلغ شهواته الباطلة، والله يحول دون آماله، ويجازيه بسوء أعماله، ومن جملة هذه المرقومات نصوص صاحب الحضرة المستطاب الأجل سيّد المسلمين، السيد الأستاذ أديمت معاليه وبوركت أيامه ولياليه، لحقه من ذلك مسائل وردت قبل مدة تتعلق بأمور عدة من فروع فقهية ومطالب شرعية من جملتها ورد سؤال عن أولاد السيد محمد الأعرج بن موسى المبرقع وكذلك عن أحوال هذا السيد الغاوي الدعي المشكوك بنسبه بالتفصيل الذي اشتهر في إقليم كشمير كله، وبلغ حد التواتر، فأوكل السيد الأستاذ الجواب عليها إليّ أنا ذو البضاعة المزجاة، فأجبت عليها جواباً يناسب مبادئه، وكتب في حق هذا السيد الدعي ياملاء الأستاذ دام ظله: إنّ هذا ذو حماقة ولا ينبغي أن يصغى أحد إلى هذه الخرافات والأباطيل بل مثل هذه الكلمات توجب عليه الحدّ وختمه بخاتمه الشريف ومع كلّ هذا فلم يفارق هذا الرجل غوايته وتضليله العامة. (منه)

واقع لا محالة وذلك أن قاصراً لو اطلع على تزويقات هذا الشيطان وتدليساته فإنه يخدع به ، وإذا ما اطلع على هذه الصحيفة فإنه يرجع عوده على بدئه ويرتدع عن مسلك الضلال، ويأوب إلى مسلك الهداية، وحتى هذا القدر من الكلام لا يستحق من الذكر، ولكننا خشينا أن إنساناً يمر بهذه المسألة الضرورية من مذهبنا فيحسبها خلافية مع أن هذا الجاهل لولا ما ذكرناه أقل من أن يجري ذكره على ألسنة العلماء فضلاً عن اعتباره من ذوي الآراء وينسب إليه خلاف بين أولي الفضل من العلماء.

ومجمل القول يقتصر في هذه الخاتمة على نقل حديث واحد في ثواب لعن الجبت والطاغوت المعبر بهما في عرف أهل البيت عن تيم وعدي وأحياناً يطلقان على مطلق الغاصبين لحقوق العترة الزاكية .

فقد نقل الفاضل الزاهد الورع الأخوند ملا محمد كاظم الهزار جريبي من تلامذة الاستاذ الأعظم السيد البهبهاني وهو من فضلاء المحدثين والعلماء المحصلين في كتابه (جمع الفضائح لأرباب القبائح) عن أبي حمزة الشمالي عن الإمام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام بأنه قال: من لعن الجبت والطاغوت لعنة واحدة كتب الله له سبعين ألف حسنة، ومحى عنه سبعين ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف درجة، ومن أمسى (1) يلعنهما لعنة واحدة كتب الله له مثل ذلك .

قال : فمضى مولانا علي بن الحسين فدخلت على مولانا أبي جعفر محمد

ص: 392

1- الظاهر من تأمل هذه الفقرة والزيادة التي معها من الباقر أن ما ذكره أولاً مخصوص بالإصباح إذ لو كان ذلك عاماً لم يكن وجه لذكر الإساءة ، خصوصاً وعليه بنينا الترجمة لأجل هذا الاستظهار، والله أعلم. (منه)

الباقر، فقلت: يا مولاي، حديث سمعته من أبيك، فقال: هات يا ثمالي، فأعدت عليه الحديث، فقال: نعم يا ثمالي، أتحب أن أزيدك؟ فقلت: بلى يا مولاي فقال: من لعنهما لعنة واحدة في كل غداة لم يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم حتى يمضي، ومن أمسى ولعنهما لم يكتب له ذنب في ليله حتى يصبح.

قال: فمضى أبو جعفر فدخلت على مولانا الصادق عليه السلام فقلت: حديث سمعته من أبيك وجدك، فقال: هات يا أبا حمزة، فأعدت عليه الحديث، فقال: حقاً يا أبا حمزة، ثم قال عليه السلام: ويرفع له ألف ألف درجة، ثم قال: إنه واسع كريم(1).

والحديث يتعدد بتعدد المروي عنه بل بلحاظ آخر يكون ستة أحاديث لأن الزيادة عن الإمام الباقر رواها عن الصادق عليه السلام، وإنما قال الإمام التتمة «إن الله واسع كريم» فلكي يدفع به الاستبعاد أي إن ذلك ليس بعيداً على عموم مكرمته وسعة دائرة رحمته أن يهب على العمل القليل الثواب الكثير الذي يظهر بهذا الاتساع ويظهر العبد ذي الاعتقاد الخالص الموالي لأهل البيت عليه السلام بهذه العناية والاستحقاق.

تم محصل معنى الحديث الشريف ونحن أيضاً نختم الكلام ونقول: اللهم العن الجبت والطاغوت.

ص: 393

1- العياشي: عن زرارة، عن أبي عبد الله «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا» [الأنعام: 160] قال: ومن ذكرها فلعنهما كل غداة كتب الله له سبعين حسنة ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات. (بحار الأنوار 8: 214 ط كمپاني)

اللَّهُمَّ الْعَنْ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ حَامِسًا ، وَالْعَنْ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ وَابْنَ مَرْجَانَةَ وَعُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَسَمُرًا وَآلَ أَبِي سُفْيَانَ وَآلَ مَرْوَانَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ...

الشرح: الغرض من ذكر هذا الدعاء استيفاء جميع من له أثر ومدخلية في قتل سيّد الشهداء عليه السلام سواء كان مشاركاً مثل يزيد وابن زياد وغيره أو مسبباً مثل الأربعة الأول أو راضياً كآل مروان وبقية آل أبي سفيان وآل زياد.

والنكتة في ذكر ابن مرجانة مع أنه هو هو ابن زياد إنما هو لمزيد التعيير والانتقاص بهذا النسب الذي أخذ باللئامة والدنائة من طرفيه ، وتكرار ذكر الشمر لعنه الله في هذه الزيارة لإثبات أنه قاتل الإمام المظلوم كما الأشهر في الروايات والمشهور بين المؤرّخين، ولما كان تحقيق هذه المسألة يتوقف على ذكر كيفية شهادة هذا الإمام المظلوم وإني لم أقدر بحال من الأحوال أن أقرأ هذه المصيبة العظيمة والفادحة الكبرى في كتاب بالتفصيل كذلك لا أقدر على ذكرها في هذا الكتاب، ولله درّ القائل :

افسانه كه كس نتواند شنيدنش *** يا رب بر اهل بيت چه آمد از ديدنش (1)

ومصيبة يعيا السماع بذكرها*** كيف استطاع الطاهرون شهودها

ونحن نعمد إلى تأويل آية أو آيتين وردت من طريق أهل البيت عليهم السلام الذين يسأل الله عباده عن مودتهم ويلزمهم بالتمسك بحبل ولا يتهم في ذمّ أعدائهم وغاصبي حقوقهم، وهي تناسب حال الأفراد المعنيين بالدعاء المذكور تماماً:

ص: 394

1- لسان حال الحسين على جسد الأكبر من كه چون خضر رهم پير شدم بر سر تو*** وای بر حال عمه خونین جگرت فنیت علی جرح برأسك غائر*** فكيف إذا جانتك أم المصائب

الآية الأولى : قال تعالى: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» (1) وبارشاد القرينة دلّ التأويل على أ الرشد هو التشيع، والغبي هو التسنن . «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ» والمراد بالطاغوت هو الشيطان كما روي في المجمع عن الصادق عليه السلام وفي تفسير علي بن إبراهيم القميّ ، قال : هم الذين غصبوا آل محمّد. وهذا التفسير يمكن انطباقه مع حديث الإمام الصادق عليه السلام لأن المراد من الشيطان لا يبعد أن يكون عدي ويدور بخاطري أنّ هذا المعنى المذكور في موضع آخر من الأخبار وكتي بالشيطان عن عدي «فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا» ورد في الكافي عن العروة الوثقى أنّها ولاية أهل البيت (2). وهذا التأويل مؤيد للحديث السابق لأنّ كلّ من كفر بغاصبي حق آل محمد متمسك بمودتهم، ومعنى ذلك أن التمسك بهم لا يتم إلا ببغض عدوّهم ، كما تكرر ذلك مراراً .

وفي معاني الأخبار : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحب أن يتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليتمسك بولاية أخي ووصيي علي بن أبي طالب فإنّه لا يهلك من أحبّه وتولاه ولا ينجو من أبغضه وعاداه.. (3)

«وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» والله يسمع أقوال الناس ويرى أعمالهم .

الآية الثانية : «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ» في تفسير علي بن إبراهيم الطاغوت هم الظالمون لآل محمد

والذين أتبعوا من غصبهم (4) «يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ»: (5) في الكافي عن

ص: 395

1- البقرة : 256 .

2- مناقب ابن شهر آشوب 4 2 تفسير الثقلين 1 : 219 رقم 1054 . (هامش الأصل)

3- معاني الأخبار : 369 .

4- نور الثقلين 1 : 220 رقم 1063 . (هامش الأصل) تفسير القمي 1 : 85 . (المترجم)

5- البقرة : 257 .

صديق آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم : النور آل محمد والظلمات أعدائهم (1).

وأيضاً ابن أبي يعفور قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنني أخالط الناس فيكثر عجبني من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلاناً وفلاناً لهم أمانة وصدق ووفاء ، وأقوام يتولونكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق !

قال : فاستوى أبو عبد الله جالساً فأقبل عليّ كالغضبان ثم قال : لا دين لمن دان بولاية إمام جائر ليس من الله ، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله .

قلت : لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء ؟

قال : نعم ، لا- دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء ! ثم قال : ألا تسمع لقول الله عزّ وجل : «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» يعني ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولا يتهم كل إمام عادل من الله عزّ وجلّ.

وقال : «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ» إنما عنى بها أنّهم كانوا على نور الإسلام، فلما أن تولّوا كل إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب الله لهم النار مع الكفار ، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

والخبر نفسه مع زيادة جزء فيه ذكره في الصافي عن العياشي (2).

«أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» وقال العياشي في ذيل الحديث : إذا أعداء

ص: 396

1- نور الثقلين 1 : 217 رقم 1045 عن العياشي . (هامش الأصل)

2- تفسير البرهان 1: 243 و 244 رقم 1 و 13 من أصول الكافي والعياشي ، نور الثقلين 1: 221 من أصول الكافي . (هامش الأصل) والمؤلف حذف جزءاً من الحديث وهو قول الراوي : قلت : أليس الله عنى بها الكفار حين قال: «والذين كفروا» ؟ قال : فقال : وأي نور للكافر وهو كافر فأخرج من الظلمات؟! إنما عنى .. الخ . كذا في تفسير العياشي، تفسير نور الثقلين 1 : 266 . (المترجم)

أمير المؤمنين خالدون في النار وإن كانوا في دينهم غاية في الزهد والورع والعبادة .. (1).

الآية الثالثة: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ» في تفسير علي بن إبراهيم روي أن الآية نزلت في الذين غصبوا آل محمد حقهم وحسدوهم على منزلتهم. (2)

وروي في تفسير العياشي عن باقر علوم النبيين أنه قال: الجبت والطاغوت فلان وفلان - الأول والثاني. «وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً». (3)

وفي الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام: ويقولون الأئمة الضالة والدعاة إلى النار هؤلاء أهدى من آل محمد سبيلاً (4).

وبناءً على هذا يكون الذين أوتوا نصيباً من القرآن هم الغاصبون وأتباعهم، والمراد من الكافرين الجبت والطاغوت ونعثل والرابع وأحزابهم من آل مروان وآل العباس الذين قدمهم العامة على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الآية الرابعة: بعد الآية السالفة «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيحاً» «أَمْ لَهُمْ نَصِيحٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيحاً» (5) - النقيير الشق في نواة التمر - وجاء في الكافي عن الباقر عليه السلام أن المراد بالملك الإمامة والخلافة (6).

ص: 397

1- لم أعر على هذا القول في تفسير العياشي . (المترجم)

2- تفسير نور الثقلين وتفسير البرهان من تفسير القمي ذيل الآية الشريفة . (هامش الأصل)

3- تفسير العياشي 1 : 264 . (المترجم)

4- نفسه 1 : 246 . (المترجم) ونور الثقلين 1:406 رقم 299 من أصول الكافي . (هامش الأصل)

5- النساء : 52 و 53 .

6- الكافي 1 : 205 . «المترجم» نور الثقلين 1:406 رقم 299 من أصول الكافي (هامش الأصل)

ومن هنا يعلم أن اللعن السابق على ذلك في الآية إنّما هو بحق الغاصبين

لخلافة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن هذه الآيات التي تدمّ عدو أهل البيت لاسيما أولاء الأربعة بخاصة الاثنان منهم كثير في القرآن المجيد ونكتفي بهذا المقدار اللهم العن أعداء آل محمد لعناً وبيلاً.

ص: 398

الشرح: ولا بد في المقام من بيان معنى الحمد والشكر لتتضح العبارة وإن كنا أشرنا فيما سبق إلى كثرة تعرّض العلماء لذكر هذين اللفظين مما أوجب ملل الفضلاء، ونحن هنا ننقل محصل كلام صاحب الكشاف والسيد الشريف في حاشيته عليه؛ لأنّ ثقة بهما أعظم من غيرهما وقبلًا جاءك من كلام ابن إدريس أنّ الرجوع لكلّ صنعة إلى أهلها، وخلاصته بعد التحرير والنقد كالتالي:

الحمد: ثناء اللسان على جميل اختياري، والمدح مرادف له، والذمّ نقيضه (1) وأحياناً يستعمل المدح في ذكر المآثر ونشر المناقب ونقيضه الهجاء في ذكر المعاييب وتعداد المثالب، ومثل: حمدت اللؤلؤ على صفائها. الظاهر من كلام الزمخشري إنكار صحة هذا الاستعمال إلا بتأويل، وبناءً على ما سلف أخذاً عن السيد الشريف يمكن رفع إشكالها وتصحيح استعمالها؛ لأنّ المآثر لا تختص بالاختيارات.

الشكر: عبارة عن الجزاء على النعمة سواء كان باللسان ليكون ثناءً أو بالقلب ليكون اعتقاداً باتصاف المنعم بالصفات الكمالية أو بالجوارح وهو عبارة عن التعب في الطاعة وتحمل مصاعب الاتقياد والاتباع وهذا الشعر المشهور يفيد المعاني الثلاثة المستعملة في الشكر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة***يدي ولساني والضمير المحجبا

ص: 399

1- الحمد هو الثناء بالجميل على قصد التعظيم والتبجيل للممدوح (مجمع البحرين 3: 38) (المترجم)

والشكر: العمل الذي يكون بأزاء النعمة وهنا اعتبر أشياء ثلاثة أفادتها النعمة: الأول: اليد التي يخدم بها وهي لون من ألوان الشكر.

والثاني: اللسان وهو ظاهر.

والثالث: الضمير، ووصفه بالمحجب إشارة إلى أنه ممتنع على سواكم، وبين الشكر والحمد عموم وخصوص من وجه لا العموم المطلق؛ لأن بعض أفراد الحمد ليس شكراً إذا كان ثناء على غير نعمة، وبعض أفراد الشكر ليس حمداً وهو الجزاء بالقلب والجوارح والثناء باللسان على النعمة حمد وشكر. وجاء في الحديث: الحمد رأس الشكر؛ لأن الشكر بالجوارح يحتمل التأويل والشكر بالقلب خفي لا يبين، وليس إعلاناً بذكر فضل الله. وأما الصريح والعلن فهو الشكر باللسان الذي هو الحمد. فتبين أن المراد بالحمد نوع خاص منه الذي وضع على رأس الشكر.

إلى هنا كان محصل كلام هذين الفاضلين النحريرين والناقدين البصيرين.

ويجب أن يعلم أن حمد الله في كل موضع وعلى كل حال مرغوب فيه بل لازم وواجب، وإن كان على البلاء فينبغي أن يقال: «الحمد لله على السراء والضراء» وكل ما جاء من الله فهو جميل لأنه مبني على مصالح وحكم، ويجب أن يحمد على كل مصيبة، وبليّة، ولا منافاة بين أن يكون إنسان مظلوماً فيشكو ظالمه وظلمه ويلعن ظالمه ويتأوه من مصيبتة، ويحمد الله على كل حال.

وتحقيق هذه المسألة مستمدّ من المبادئ العقلية والنقلية، ويؤدّي بيانها بنا إلى الخروج عن نطاق هذا الاختصار ولكن هاهنا دقيقة لا محيص من بيانها، وشرحها كما يلي:

أشرنا إلى أن متعلّق الشكر النعمة فلا بد من وقوعه على المجيب الملايم للرجبة كما أن الصبر يكون على الأمر المحبّب الملايم للرجبة كما أن الصبر يكون

على الأمر البغيض غير المرغوب فيه ، وهذا سرّ الحديث: «الإيمان نصف صبر ونصف شكر لأنّ الإنسان أبداً لا يخلو من حالين : إما المحبّب الملايم أو البغيض المكروه، وعلى هذا ينبغي عليه الصبر أحياناً والشكر أحياناً أخرى . والصبر يقابل الجزع والشكر يقابل الكفران ، وهذا الأخير شعبة من الكبر ، قال تعالى: «لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» (1).

ولمّا كان ما يقابل الشكر أخبث كان الشكر من درجة الصبر أعلى ، وهذا يعتبر في طليعة السلوك الإنساني، فإذا رقى الإنسان مراقي أرفع في هذا السلم يكون كلّ ما يراه أو يلاقه منه يعتبره نعمة، وإن كانت مصيبة أو شدة، وهذا ثمرة المحبّة ومقتضى الاعتراف بالباطن أو بالظاهر ، كما ورد في الأخبار .

ابتلي جابر بن عبدالله الأنصاري في آخر عمره بالشيخوخة والضعف والعجز، فجاء الإمام محمد الباقر عليه السلام إلى عيادته فسأل عن حاله ، فقال : بلغت إلى حالة أحب فيها الموت أكثر من الحياة ، والشيخوخة أكثر من الشباب والمرض أكثر من الصحة، ولا أقدم الحياة على الموت.

قال الإمام عليه السلام : وأنا كذلك إن اختار لي الشيخوخة أحببتها، أو الشباب فالشباب، أو القوّة فالقوّة ، وإن أمرضني فالمرض، أو أصحني فالصحة، أو أماتني فأنا أحبّ الموت، أو أحياني فأحب الحياة .

فلما سمع جابر من الإمام هذا الحديث أهوى إلى وجهه فقبله وقال: صدق رسول الله إذ قال لي : ستلاقي أحد أولادي اسمه اسمي «بيقر العلم كما يبقّر الثور

ص: 401

1- إبراهيم : 7 .

1- لم أعر على حديث على هذا النحو ولكن الأحاديث المتضمنة لرضا رسول الله والأئمة بتقدير الله كما يلي : ابن قولويه بالإسناد عن محمد بن الحسين بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب قال : زارنا رسول الله .. ثم قام إلى مسجد في جانب البيت وصلى وخرّ ساجداً فبكى، فأطال البكاء ثم رفع رأسه فما اجترأ منا أهل البيت أحد يسأله عن شيء، فقام الحسين يدرج حتى يصعد [صعد - المصدر] على فخذي رسول الله فأخذ برأسه إلى صدره ووضع ذقنه على رسول الله ثم قال : يا أبا، ما يبكيك؟ فقال : يا بني إني نظرت إليكم اليوم فسررت بكم [إيكم - الأصل] سروراً لم أسرّ بكم مثله قط، فهبط إلي جبرئيل فأخبرني أنكم قتلتني وأن مصارعكم شتّى، فحمدت الله على ذلك، وسألته لكم الخيرة (كامل الزيارات : 58، بحار الأنوار 44 : 234 الرقم 21 و 66 : 355 الرقم 11، عوالم العلوم : 122) ابن عساكر : أخبرنا أبو بكر رستم بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري بطابران، أنبأنا محمد بن يزيد المبرد قال : قيل للحسن بن عليّ : إن أباذر يقول : الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصحة، فقال : رحم الله أباذر، أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمنّ أنّه في غير الحالة التي اختار الله تعالى له . وهذا حدّ الخوف على الرضا بما تصرف به القضاء . (ترجمة الإمام الحسن المجتبي : 159 ط بيروت) والشيخ أبو محمد عفيف الدين اليافعي في الإرشاد والتطريز ص 132 ط القاهرة، وفي البداية والنهاية ص 398 ط مصر : مثله إلا- أنه ذكر بدل قوله : «لم يتمن غير ما اختار الله له» «لم يتمن أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له» . الخوارزمي : أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، سمعت الحافظ الزبير بن عبدالواحد، سمعت الشافعي يقول : مات ابن الحسين فلم يُر به كآبة، فعوتب على ذلك، فقال : إنا أهل بيت نسال الله فيعطينا، فإذا أراد ما نكره فيما يحبّ رضينا. (مقتل الحسين للخوارزمي : 147 ط الغري، إحقاق الحق 11 : 429 عنه ، وكتاب «الحسين» للسيد علي جلال المصري بلاغة الحسين : 296 الرقم 63 عنه) . وقال الإمام علي بن الحسين في الحديث : حدثنا سليمان بن أحمد قال : ثنا الحسن بن المتوكل قال : ثنا أبو الحسن المدائني، عن إبراهيم بن سعد قال : سمع عليّ بن الحسين ناعيه في بيته وعنده جماعة، فنهض إلى منزله ثم رجع إلى مجلسه، فقيل له : أمن حدث كانت الناعية؟ قال : نعم، فعزوه وتعجبوا من صبره، فقال : إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب، ونحمده فيما نكره . (حلية الأولياء 3 : 138 ط مطبعة السعادة بمصر، مجد الدين بن الأثير في المختار مناقب الأخيار : 27 نسخة الظاهرية بدمشق، إحقاق الحق 12 : 82 عنهما) . وقال الإمام محمد الباقر : ندعوا الله فيما نحبّ، فإذا وقع الذي نكره لم نخالف الله عزّ وجلّ فيما أحبّ. (حلية الأولياء 3 : 187 ط السعادة بمصر، إحقاق الحق 12 : 194 عنه) وقالت زينب في جواب ابن زياد كيف رأيت صنع الله بأخيك؟ [ما رأيت إلا- جميلاً هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم (مثير الأحزان : 91، بحار الأنوار 45 : 116، عوالم العلوم : 383) وقالت : الحمد لله الذي ختم لأؤلئنا بالسعادة [والمغفرة] وآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسال الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل (اللهوف : 76، بحار الأنوار 45 : 133، عوالم العلوم 135) (هامش الأصل) .

وقد أشار سيّد الشهداء إلى مقامهم هذا في خطبة الخروج من مكة حيث قال : «رضانا أهل البيت رضا الله» (1).

وخلاصة الحديث أنّ الشكر على الملائم لو كان فإنّه مقام الأوائل ، وإذا كان ليس ملائماً ولو حظ صدوره من المحبوب الحقيقي وعد نعمة وشكر عليها فهو

ص: 403

1- حديثان في باب الرضا بقضاء الله 1 - العدة عن البرقي ، عن محمد بن عليّ ، عن عليّ بن أسباط ، عمّن ذكره ، عن أبي عبد الله قال : لقي الحسن بن عليّ عبد الله بن جعفر فقال : يا عبد الله ، كيف يكون المؤمن مؤمناً وهو يسخط قسمه ويحقر منزلته ، والحاكم عليه الله ، وأنا الضامن لمن لم يهيجس في قلبه إلا الرضا أن يدعو الله فيستجاب له . (الكافي ، بحار الأنوار 43: 351 الرقم 25 ط طهران) 2 - في خطبة الحسين عند عزمه على المسير إلى العراق: الحمد لله وما شاء الله ، ولا قوة إلا بالله ، خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لي مصرع أنا لاقية ، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء ، فيملأن منّي أكراشاً جوفاً وأجربة سعباً ، لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم ، رضى الله رضانا أهل البيت ، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين ، لن تشذ عن رسول الله لحمته بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تقرّ بهم عينه ، وينجز لهم وعده ، ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته ، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا ، فإني راحل مصباحاً إن شاء الله (التهوف، عوالم العلوم: 217 ، بلاغة الحسين : 144 الرقم 23) (هامش الأصل)

نتیجه الرضا، والرضا ثمرة المحبة، وهو مقام الأخر والأکابر . وأشار إلى هذا المقام من قال :

گر آسوده در مبتلا می پسندد*** پسندیدم آنچه خدا می پسندد

چرا دست یازم چرا پای کوبم*** مرا دوست بی دست و پا می پسندد (1)

ولمّا كان الأئمّة عليهم السلام يدعون أتباعهم إلى المقامات العالية والدرجات الرفيعة لذلك أمروا شيعتهم بتلاوة هذا الدعاء وهو ترجمان مقام الراضين، ويشمل الشكر على المصيبة لعلهم يبلغون بهذا الدعاء المبارك وببركة تلاوته إلى المقام الرفيع والرتبة العالية .

عَظِيمٌ رَزِيئِي ...

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلِي

الشرح : تکرار هذا الكلام على سبيل الالتفات الغيبي من أجل الن-ص-ع-ل-ى الثبات ورسوخ الأقدام في مقام الحمد على هذه المصيبة مضافاً إلى ورود التصريح به ضمن الدعاء من الخطب الهائل والرزء العظيم . وفيه أيضاً الافتتان والتلون في وجوه الحمد وإنحاء الشكر وإظهار الاستسلام والانقياد للأوامر الإلهية التي هي أكمل صفات المؤمنين وأحسن حالات المتقين .

گر آسودگر مبتلا می پسندد*** چه خوشتر از اینکو بما می پسندد

همو دشمنان را عطا میفرستد*** همو دوستان را بلا میفرستد

ندانیم ناخوش کدام است یا خوش*** خوش است آنکه بر ما خدا میپسندد

چرا دست یازم چرا پای کوبم*** مرا خواجه بی دست و پا می پسندد

خطای من ای دوست بر من چه گیری*** مرا عفو او با خطا می پسندد

طیبیا بدرمان دردم چه کوشی*** مرا در داد بی دوا می پسندد

نشاطا توانا و بینا است یارت*** رو ناتوان باش تا میپسندد

اللَّهُمَّ ارزُقْنِي شَفَاعَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْوُرُودِ ...

الشرح: الأخبار الدالة على شفاعة الأئمة لاسيما سيّد الشهداء كثيرة ونحن أشرنا إلى هذا الباب فيما سبق (1) ولا يتسع المقام لأكثر من هذا.

الورود: الأصل في هذه الكلمة الوصول إلى النبع ومورد الماء كما يستفاد ذلك من كتب الفنّ، ويقابله الصدور

ويوم الورود: يوم القيامة لأنه فيه يرد العبد على ربّه سبحانه ويمثلون بمحضره، ويقفون تحت ظل حكمه وسلطانه القاهر، أو إنه سمّي بذلك بلحاظ الوصول إلى مشرعة الرحمة الإلهية من المؤمنين في ذلك اليوم أو من حيث أنّ جميع الخلق يردون جهنّم بحكم قوله تعالى: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» (2) فينجو المطيعون، ويرسب فيها العاصون والله أعلم.

وَتَبَّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ بَدَلُوا مَهْجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ ...

الشرح: البذل العطاء كما جاء في منتهى الإرب.

والمهجة: معناه الدم المتجمّع في سويداء القلب كما قال ذلك المطرّزي وغيره، وهو كناية عن الروح؛ لأنّ الحياة مرتبطة معها فتبين من هذا أن بذل المهجة كناية عن الشهادة.

الدون: كما يستفاد من القاموس ومنتهى الإرب مأخوذ من دان يدون، أي صار

ص: 405

1- في شرح: «يبلغني المقام المحمود». (هامش الأصل)

2- مريم: 71

دوناً وخسيساً. ويقال : دون فلان يعني أدنى منه منزلة، وأحياناً يستعمل بمعنى الوراثة والأمام ، وكلاهما بالاعتبار المتقدم، وأحياناً يستعمل بمعنى القرب باعتبار أن كلا- المعنيين من الأمان والوراثة متقاربان بالمعنى ، وما ذكر له من معنى العند فهو من دون بمعنى الإمام، ولما كانت جهات الشيء والأدنى منه بالرتبة غيره في الحقيقة استعمل دون بمعنى الغير أيضاً، وتكون عبارة الزيارة أمام «الحسين» عليه السلام أو «عند الحسين». وعلى أية حال فالمعنى أنهم بذلوا مهجهم وسفكت دمائهم في سبيل محبته ونصرته .

وأما معنى «تثبيت قدم صدق» فقد ذكرناه فيما سبق وذكرنا الاختلاف ف--ي توجيهه وبيّنا مختارنا في المعنى بما تقتضيه الحال من الشرح (1) فلا داعي للتكرار .

ص: 406

1- شرح الجملة : «وأن يثبت لي قدم صدق». (هامش الأصل)

في شرح الدعاء المشهور بدعاء علقمة، وتبتهك في البداية أن من الخطأ نسبته إلى علقمة لأن الراوي له صفوان وإن كنا لم نقصد بشرح الزيارة إلا هذا المقدار، وقد ألمعنا في البداية أن هذا الدعاء ليس داخلياً ضمن الشرح ولكن إتماماً لهذا العمل الشريف قمنا بترجمته أولاً لينتفع به إخواننا جميعاً تلاوة واستظهاراً، ثم بعد ذلك عمدنا إلى شرح ألفاظه المشكلة وتراكيبه العويصة لا بأسلوب الشرح المعهود ولكن بطريق البيان والتوضيح الذي سلكه الشيخ البهائي والمجلسي وغيرهما غاية في الاختصار، ونرى من الضروري إعادة ترجمته وإن أفضى بنا إلى التكرار فلا بأس بذلك لأنه هو المسك ما كررته يتضوع .. وهذه نسخته الشريفة.

«يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ، يَا مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، يَا كَاشِفَ كُرْبِ الْمُكْرُوبِينَ، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ، يَا صَرِيحَ الْمُسْتَصْرِخِينَ، وَيَا مَنْ هُوَ رَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَيَا مَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، وَيَا مَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى وَبِالْأُفُقِ الْمُبِينِ، وَيَا مَنْ هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَيَا مَنْ يَعْلَمُ خَائِدَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، وَيَا مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، يَا مَنْ لَا تَسْتَتِبُهُ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ، وَيَا مَنْ لَا تُغَلِّطُهُ الْحَاجَاتُ، وَيَا مَنْ لَا يُبْرِمُهُ إِلَّا الْحَاحُ الْمُلْحِينُ، يَا مُدْرِكَ كُلِّ فَوْتٍ، وَيَا جَامِعَ كُلِّ شَمْلٍ، وَيَا بَارِيَّ النَّفْسِ بَعْدَ الْمَوْتِ، يَا مَنْ هُوَ كُلُّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ، يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ، يَا مُنْفَسَ الْكُرْبَاتِ، يَا مُعْطِيَ السُّؤَالَاتِ، يَا وَليَّ الرَّغْبَاتِ، يَا كَافِيَ الْمُهِمَّاتِ، يَا

مَنْ يَكْفِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يَكْفِي مِنْهُ شَيْءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَعَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَبِحَقِّ فَاطِمَةَ
 بِنْتِ نَبِيِّكَ ، وَبِحَقِّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ، فَأِنِّي بِهِمْ أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا ، وَبِهِمْ أَتَوَسَّلُ ، وَبِهِمْ أَسْتَقْعُ إِلَيْكَ ، وَبِحَقِّهِمْ أَسْأَلُكَ وَأُقْسِمُ وَأَعِزُّمُ
 عَلَيْكَ ، وَبِالشَّانِ الَّذِي لَهُمْ عِنْدَكَ وَبِالتَّقْدِيرِ الَّذِي لَهُمْ عِنْدَكَ ، وَبِالَّذِي فَضَلْتَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي جَعَلْتَهُ عِزَّهُمْ ، وَبِهِ
 خَصَصْتَهُمْ دُونَ الْعَالَمِينَ ، وَبِهِ أَبْتَتَّهُمْ وَأَبْنَتَ فَضْلَهُمْ مِنْ فَضْلِ الْعَالَمِينَ حَتَّى فَاقَ فَضْلَهُمْ فَضْلَ الْعَالَمِينَ جَمِيعاً ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَصَلِّيَ عَلَيَّ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَكْشِفَ عَنِّي غَمِّي وَهَمِّي وَكَرْبِي ، وَتَكْفِينِي الْمُهَمَّ مِنْ أُمُورِي ، وَتَقْضِي عَنِّي دِينِي ، وَتَجِيرَنِي مِنَ الْفَقْرِ ، وَتَجِيرَنِي مِنَ
 الْفَاقَةِ ، وَتُعِينَنِي عَنِ الْمَسْأَلَةِ إِلَى الْمُحْلُوقِينَ ، وَتَكْفِينِي هَمَّ مَنْ أَخَافُ هَمَّهُ ، وَعُسْرَ مَنْ أَخَافُ عُسْرَهُ ، وَحُزُونََ مَنْ أَخَافُ حُزُونَتَهُ ، وَشَرَّ مَنْ
 أَخَافُ شَرَّهُ ، وَمَكْرَ مَنْ أَخَافُ مَكْرَهُ ، وَبَغْيَ مَنْ أَخَافُ بَغْيَهُ ، وَجَوْرَ مَنْ أَخَافُ جَوْرَهُ ، وَسُلْطَانَ مَنْ أَخَافُ سُلْطَانَهُ ، وَكَيْدَ مَنْ أَخَافُ كَيْدَهُ ،
 وَمَقْدَرَةَ مَنْ أَخَافُ مَقْدَرَتَهُ عَلَيَّ ، وَتَرُدَّ عَنِّي كَيْدَ الْكَيْدَةِ ، وَمَكْرَ الْمَكْرَةِ . اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَنِي فَأَرِدْهُ ، وَمَنْ كَادَنِي فَكِدْهُ ، وَاصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُ وَمَكْرَهُ
 وَبِاسْمِهِ وَأَمَانِيهِ وَأَمْنَعُهُ عَنِّي كَيْفَ شِئْتَ وَأَتَى شِئْتَ اللَّهُمَّ اشْغَلْهُ عَنِّي بِفَقْرٍ لَا تَجْبِرُهُ ، وَبِإِلَاءٍ لَا تَسْتُرُهُ ، وَبِإِفْآقَةٍ لَا تَسُدُّهَا ، وَبِسُقْمٍ لَا تُعَافِيهِ ، وَذُلِّ
 لَا تُعِزُّهُ ، وَبِمَسْكَنَةٍ لَا تَجْبِرُهَا . اللَّهُمَّ اضْرِبْ بِالذُّلِّ نَصَبَ عَيْنِيهِ ، وَأَدْخِلْ عَلَيْهِ الْفَقْرَ فِي مَنْزِلِهِ ، وَالْعِلَّةَ وَالسُّقْمَ فِي بَدَنِهِ حَتَّى تَشْغَلْهُ عَنِّي بِشُغْلِ
 شَاغِلٍ لَا فِرَاقَ لَهُ ، وَأَنْسِيهِ ذِكْرِي كَمَا أَنْسَى يَتَهُ ذِكْرَكَ ، وَخُذْ عَنِّي بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَقَلْبِهِ وَجَمِيعِ جَوَارِحِهِ ، وَأَدْخِلْ عَلَيْهِ فِي
 جَمِيعِ ذَلِكَ السُّقْمَ وَلَا تَشْفِهِ حَتَّى تَجْعَلَ ذَلِكَ لَهُ شُغلاً شَاغِلاً بِهِ عَنِّي وَعَنْ ذِكْرِي ، وَكَفِّنِي يَا كَافِي مَا لَا يَكْفِي سِوَاكَ فَإِنَّكَ

الكافي لا كافي سواك، ومُفَرِّجٌ لا مُفَرِّجٌ سواك، ومُغِيثٌ لا مُغِيثٌ سواك، وجارٌ لا جارٌ سواك، حَابٌ مَنْ كَانَ جَارُهُ سِوَاكَ، وَمُغِيثُهُ سِوَاكَ، وَمَفْرَعُهُ إِلَى سِوَاكَ، وَمَهْرَبُهُ إِلَى سِوَاكَ، وَمَلْجَأُهُ إِلَى غَيْرِكَ، وَمَنْجَاهُ مِنْ مَخْلُوقِ غَيْرِكَ، فَأَنْتَ ثِقَاتِي وَرَجَائِي وَمَفْرَعِي وَمَهْرَبِي وَمَلْجَأِي وَمَنْجَائِي، فَبِكَ أَسَدُ تَفْتِيحٍ وَبِكَ أَسَدُ تَنْجِيحٍ، وَبِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ وَأَتَوَسَّلُ وَأَتَشْفَعُ، فَاسْأَلُكَ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، فَاسْأَلُكَ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تُكْشِفَ عَنِّي غَمِّي وَهَمِّي وَكَرْبِي فِي مَقَامِي هَذَا كَمَا كَشَفْتَ عَنْ نَبِيِّكَ هَمَّهُ وَعَمَّهُ وَكَرْبَهُ، وَكَفَيْتَهُ هَوْلَ عَدُوِّهِ، فَاكْشِفْ عَنِّي كَمَا كَشَفْتَ عَنْهُ، وَفَرِّجْ عَنِّي كَمَا فَرَّجْتَ عَنْهُ، وَاكْفِنِي كَمَا كَفَيْتَهُ، وَاصْرِفْ عَنِّي هَوْلَ مَا أَخَافُ هَوْلَهُ، وَمُؤُودَةَ مَا أَخَافُ مُؤُودَتَهُ، وَهَمَّ مَا أَخَافُ هَمَّهُ، بِلا مُؤُودَةٍ عَلَيَّ نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، وَاصْرِفْنِي بِقِضَاءِ حَوَائِجِي، وَكَفَايَةِ مَا أَهَمَّنِي هَمُّهُ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِي وَدُنْيَايَ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، عَلَيْنَا مِنْ سَلَامِ اللَّهِ أَبَدًا مَا بَقِيَتْ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا جَعَلَهُ اللَّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيَارَتِكُمَا وَلَا فَرَقَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمَا . اللَّهُمَّ أَحْيِنِي حَيَاةَ مُحَمَّدٍ وَذُرِّيَّتِهِ، وَأَمِّتْنِي مِمَّا تَهْتَمُّ، وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِهِمْ، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَتِهِمْ، وَلَا تَفَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَتَيْتُكُمْ زَائِرًا وَمُتَوَسِّلًا إِلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ، وَمُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ بِكُمْ، وَمُسْتَسَدِّ فِعَالًا بِكُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَاشْدَّ فِعَالِي فَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ، وَالْجَاءَ الْوَجِيهَ، وَالْمَنْزِلَ الرَّفِيعَ وَالْوَسِيلَةَ، إِنِّي أَتَقَلَّبُ عَنْكُمْ مُنْتَظِرًا لِتَنْجِزِ الْحَاجَةِ وَقِضَائِهَا وَنَجَاحِهَا مِنَ اللَّهِ بِشَفَاعَتِكُمَا لِي إِلَى اللَّهِ فِي ذَلِكَ فَلَا أَخِيْبُ، وَلَا يَكُونُ

مُنْقَلَبِي مُنْقَلَبًا خَائِبًا حَاسِدًا رَا، بَلْ يَكُونُ مُنْقَلَبِي مُنْقَلَبًا رَاجِحًا مُفْلِحًا مُنْجِبًا مُسْتَجَابًا بِقَضَاءِ جَمِيعِ حَوَائِجِي وَتَشَفُّعًا لِي إِلَى اللَّهِ . انْقَلَبْتُ عَلَى مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، مُفَوَّضًا أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ، مُلْجِنًا ظَهْرِي إِلَى اللَّهِ ، مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ ، وَأَقُولُ حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى ، سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ دَعَا ، لَيْسَ لِي وَرَاءَ اللَّهِ وَرَاءَ كُمْ يَا سَادَتِي مُنْتَهَى ، مَا شَاءَ رَبِّي كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَسْتَئُودِعُكُمْ اللَّهُ ، وَلَا جَعَلَهُ اللَّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنِّي إِلَيْكُمَا ، انصَرَفْتُ يَا سَيِّدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوْلَايَ وَأَنْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَا سَيِّدِي وَسَلَامِي عَلَيْكُمَا مُتَّصِلٌ مَا اتَّصَلَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَاصِلٌ ذَلِكَ إِلَيْكُمَا غَيْرٌ مَحْجُوبٍ عَنْكُمَا سَلَامِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأَسْأَلُهُ بِحَقِّكُمَا أَنْ يَشَاءَ ذَلِكَ وَيَفْعَلَ فَإِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . انْقَلَبْتُ يَا سَيِّدِي عَنْكُمَا تَائِبًا حَامِدًا لِلَّهِ شَاكِرًا رَاجِحًا لِلْإِجَابَةِ ، غَيْرَ آسِ وَلَا قَانِطٍ ، آتِيًا عَائِدًا رَاجِعًا إِلَى زِيَارَتِكُمَا ، غَيْرَ رَاغِبٍ عَنْكُمَا وَلَا عَنْ زِيَارَتِكُمَا بَلْ رَاجِعٌ عَائِدٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، يَا سَادَتِي رَغِبْتُ إِلَيْكُمَا وَإِلَى زِيَارَتِكُمَا بَعْدَ أَنْ زَهَّدَ فِيكُمَا وَفِي زِيَارَتِكُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا ، فَلَا خَيْبَنِي اللَّهُ مِمَّا رَجَوْتُ وَمَا أَمَلْتُ فِي زِيَارَتِكُمَا إِنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ .

قوله عليه السلام : « يا الله يا الله » إلى آخره ..

ابتدأ بتمجيد الذات المقدسة وتحميدها والثناء على ربِّ العزة جلَّت عظمته ، كما ورد هذا المعنى في أخبار أخرى ، ففي (عدة الداعي) عن الحارث بن المغيرة روى عن الإمام الصادق عليه السلام : إياكم إذا أردتم أن يسأل أحدكم ربه شيئاً من حوائج الدنيا حتى يبدأ بالثناء على الله عزَّ وجلَّ [والمدحة له - المصدر] والصلاة على

النبي وآله ثم يسأل الله حاجته. (1)

وروى أخباراً أخرى بهذا المعنى ، وفي إحدى «عيسى بن القاسم» (أبي القاسم - المصدر) قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا طلب أحدكم الحاجة فليثن على ربه وليمدحه فإن الرجل منكم إذا طلب الحاجة من سلطان هيأ له من الكلام أحسن ما يقدر عليه، فإذا طلبتم الحاجة فمجدوا الله العزيز الجبار وامدحوه واثنوا عليه ... الخ (2).

قوله عليه السلام : «يا من هو أقرب إلي من حبل الوريد ..

هذه العبارة مقتبسة من القرآن المجيد، والحبل بمعنى الشريان، والوريد:

الوريدان عرقان غليظان تحت الودجين عن يمين ثغرة النحر ويسارها وحياة الإنسان مرتبطة به، ووجوده عدّة للحياة الظاهرية، ومعنى الأقرب منه كناية عن كمال الإحاطة وغاية الاقتدار على وجوده وإن كان لا يعلم بذلك ، كما قيل :

دوست نزدیک تر از من بمن است***وين عجب تركه من از وی دورم

این سخن با که توان گفتم که دوست***در کنار من و من مهجورم

وأقرب من نفسي إلي وإنني***بمبعدة عنه وذا أعجب العجب

وأي امري يبقى قريباً حبيبه***ولكنه بالهجر كالغصن يضطرب

وتفصيل هذا المقام يلتبس من الكتب التي تناولت الموضوع بإطناب، ولكنّه

ص: 411

1- عدة الداعي : 97 ، بحار الأنوار 90: 314 ط ، لبنان ، دعوات الراوندي ، بحار الأنوار 90: 312 ط لبنان . (هامش الأصل)

2- عدة الداعي : 161 . (الترجم وللحديث بقية)

خارج عن إدراك أكثر الناس . «وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ» .(1)

قوله عليه السلام : «يا من يحول بين المرء وقلبه» ..

والمراد من القلب إما العقل الإنساني الذي يحول بين المرء وبين التفكير بالمصلحة الشخصية الظاهرية التي هي طابع عقول الناس شريطة أن تتغلب المحبة عليه كما أن هذا الأمر لازم فرط المحبة، وقد خفي الواقع على عدو سيد الشهداء فأوه مع قلة أنصاره وكثرة عدوه وظنه المتأخم لليقين بالشهادة أزمع السفر إلى كربلاء ، وأجاب بعضهم عن هذا بأنه غلب عليه ظن السلامة وهذا بعيد عن الحق والجواب الصحيح هو أن الإمام غلب عليه أن الله شاء أن يراك قتيلاً هذا الحب الرباني الطهور، فتحرك نحو ميدان الشهادة برجله يرتوي من عذب ووردها، ويغلب العالم على السعادة، ولنعم ما قيل في حقه ك

با هوایش در تمور و دی خوشیم***ماهی آبم و مرغ آتسیم

تیغ بر سر همچو اسفر میبریم***تشنگی چون آب کوثر می خوریم

والحديث الذي مرّ سابقاً (2) في حق أصحابه: «لا يجدون مس ألم الحديد» شاهد أمين على هذا المدعى.

والوجه الثاني أن المراد بالقلب عزم المرء ونيته .

والحيلولة : كناية عن نقض العزم وتقليب القلوب، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : «عرفت الله بفسخ العزائم» (3).

ص: 412

1- يوسف : 103 .

2- في شرح جملة : «وأصحاب الحسين» حديث «د». (هامش الأصل)

3- عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحلّ العقود ونقض الهمم . (هامش الأصل) قصار الحكم رقم 250

الوجه الثالث : المراد بالقلب هو إنساء المعلومات الآدمية، وبناءً على هذا يكون القلب بمعنى الفهم .

قوله عليه السلام : «يا من هو بالمنظر الأعلى وبالأفق المبين» ..

وهذا كناية عن علو القدر وظهور الأمر ؛ لأنّ من كان في المنظر الأعلى لا يكون أحد أعلى منه ، وبالطبع العلو هذا علو القدر ، وهو بالأفق المبين أي جانب السماء من جهة المشرق، وهذا لا ينكر ولا خفاء له، وهو على سبيل تمثيل أمر معنويّ بأمر حسي.

قوله عليه السلام : «يا من يعلم خائنة الأعين» ..

وفي خائنة الأعين وجوه

ظنّ البعض أنّ «خائنة» مصدر بمعنى الخيانة والمراد سارقة النظر، ورفع له للشيء بالخفاء شريطة أن لا يكون معيياً .

وقال بعضهم : المراد به الرمز والغمز ، وبهما الإشارة إلى العين وجفنها.

وتوهم بعضهم فيه هذا المعنى وهو أن يقول رأيت وهو لم ير ، ولم أر وقد رأى، والعلاقة بينه وبين خائنة الأعين لأنّ الرؤية عمل العين فالكذب في ذلك يعتبر خائنة الأعين .

والأوجه من كلّ ذلك اعتبار خائنة اسم فاعل من الخيانة وهو صفة لموصوف محذوف كالحركة وأشباهاها والمراد أعم من المعنى الأول والثاني (1) وهذا المعنى

ص: 413

1- هذه العبارة مقتبسة من قوله تعالى : «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ» [غافر : 19] ويدلّ على خيانة العين بقربنة ما تخفي الصدور، والغرض من ذلك بيان خيانة العين التي تتم في السر من الأنظار، ومن هذا المطلب يتصوّر الإشكال على المؤلّف المحترم لأنه قال : الخائنة مطلق خيانات العين إلا أن يقول أن قصدي من المطلق تناول المعنيين : السريّ والرمزي ، الذي لا يطلع عليه أحد إلى حد ما . (هامش الأصل)

وإن لم أجده عند أحد إلا أن ضيق الوقت حملني على عدم الاستقصاء وظنني أن ذوق الأدباء يقتضيه وهو المتعین.

قوله عليه السلام : «يا من لا تغلظه الحاجات» ..

لَمَّا كان من طباع البشر بحكم غلبة السهو والنسيان إذا ما كثرت الحوائج على أحد منهم وتضاعفت الحاجات وترادفت المطالب كان معرضاً للخطأ والاشتباه والنسيان ، أثنى على الله بإحاطة علمه بكل شيء وعدم عروض الغفلة عليه.

قوله عليه السلام : «يا من لا يبرمه» ..

الإبرام ، إفعال ، والبرم بمعنى الملل والضجر والسأم يعني لا يصيرُه ضجراً سأمًا كما مرّ في الترجمة السالفة. (1)

قوله عليه السلام : «يا من هو كل يوم في شأن» ..

وهذا أيضاً اقتباس من القرآن الكريم أي إنّ له في كل يوم شأنًا يحيى قومًا ويميت ، آخرين، ويرزق فئة ويفقر أخرى ، كما نقل ذلك عن المفسرين.

ويمكن أن يكون المراد من الشأن ظهورات وأمارات عزة الله كما ورد في دعاء

ص: 414

1- لم يذكر «إلحاح الملحّين» الخ ، الإلحاح الإلحاف في المسألة ، ألخ يلح فهو ملح . (المترجم)

كميل: «وبأسماءك التي ملأت أركان كل شيء».

وخلاصة المعنى أن له تجلياً في كل موجود وأثراً في كل شيء، ونعم ما قال أبو العتاهية:

فيا عجباً كيف يعصى الإله***أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية***تدل على أنه واحد

وقد أبدع أبو نؤاس بقوله في مقطوعة شعر:

تأمل في رياض الأرض وانظر***إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين ناظرات***على أطباقها ذهب سبيك

على قضب الزبرجد شهادات***بأن الله ليس له شريك

الظاهر أن هذا الكلام جاء دليلاً على ما سبق من دعوى «أسألك» أي إنَّ شاهدي حالتني الفعلية وهي سؤالي إياك بحقهم من التوجه والتوسل والتشفع، وعلى هذا تكون جملة «وبحقهم أسألك» تأكيداً وتأييداً لأسألك، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «أقسم وأعزم عليك»..

يقال: عزمت عليه أي حلّفته، وأصل العزم الإلزام بشيء، ويجوز أن تكون في عبارة الزيارة تأكيداً لا قسم، ويمكن أن تكون بمعنى ألزم أي إنّي غير راض

بترك ذلك.

قوله عليه السلام: «وباسمك الذي جعلته عندهم»..

جاء في الأخبار أن الاسم الأعظم عندهم بل إنهم هم الاسم الأعظم.

ص: 415

قوله عليه السلام : «وتجبرني من الفقر»..

الجبر حقيقة هو الإصلاح وأشرب هنا معنى النجاة لذلك تعدّي ب-«من»، والله أعلم.

قوله عليه السلام : «كيد الكيدة»..

ترك الإعلال في «كيده» هنا الرعاية المزاجية ، وتأخر المكرة الذي ترك الإعلال المراعاة وزنه لا يضر كما ورد في نهج البلاغة الشريفة: «غير مأزور ولا مأجور» والأصل في الأول: «موزور» ومثله الفقرة المعروفة: «الجبرية والقدرية» وقد قال جماعة إسكان الباء لا يصح مع الاجتماع. (1)

قوله عليه السلام : «فكده»..

أشرنا إليه سابقاً (2) وتدلّ صحة هذه الاستعمال (3) على جواز إطلاق كائد على الله تعالى.

قوله عليه السلام : «اللهم اشغله»..

الإمام الذي دعا بهذا الدعاء يجوز أن يدعو به على أعدائه، وبناءً على هذا يجوز أن يدعو به الداعي على قوم بينه وبينهم عداوة دينية وإلا فينبغي أن يقصد به

ص: 416

1- يلزم فتح الباء لتقابل فتح الدال في قدرية . (المترجم)

2- في شرح: «أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت»، وذيل: «صلى الله عليه وآله وسلّم» الفائدة الخامسة . (هامش الأصل)

3- في القرآن المجيد مثل: «وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ» [الأعراف: 183 ، القلم: 45] ، و«إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا» [الطارق: 15]. (هامش الأصل)

أعداء أهل البيت أو أن يقرأ هذا الجزء من الدعاء لمحضى التعبد.

قوله عليه السلام : «ومسكنة»..

هذا مصدر جعلي مأخوذ من لفظ مسكين، وحقيقته في الفارسية: «بيجاره» من لا حيلة له ، وهو أشدّ من الفقير ومن هنا يظهر معنى الفقير والمسكين إذا اجتمعا افتراقاً، وإذا افترقا اجتمعا لأنه في صورة الاجتماع يراد معنى المسكنة وفي صورة الافتراق يجوز إرادة المعنى الأعم.

قوله عليه السلام : «نصب عينيه»..

في القاموس تردّد في تخطئة الفتح وعادته ثبتت في الترديد أن يكون بعد خلاف، والموجود في النسخ الفتح ، وإن لم أتمّ التتبع . وعلى كل حال إن ثبت الفتح فهو دليل الصحة وإلا فالقراءة على الوجهين احتياطاً، والمراد من نصب العين، ما ينصب من شيء أمامك ومن هذه الجهة كُنّي بها عن المطلوب.

قوله عليه السلام : «وخذ عني»..

الظاهر أن المراد بالأخذ هنا الصرف والدفع ، ويجوز أن يراد بالكلمة معنى البدليّة والعوضيّة، أي خذ عني بعينه وسمعه لأنك قادر على ذلك ولست بقادر ، وهذا بعيد .

قوله عليه السلام : «شاغلاً عني»..

الظاهر أنّ شاغلاً حال من ضمير الفاعل وهو الضمير المجرور بالباء «به» ويرجع إلى ذلك، والله أعلم .

قوله عليه السلام : «من مخلوق غيرك»..

وصف المخلوق بغير من باب التنصيص على مباينة الخالق للمخلوق.

قوله عليه السلام : «وأَتَشَفَّعُ»..

هذه العبارة: «أَتَشَفَّعُ» معناها طلب الشفاعة مثل الاستشفاع وإن لم أجد لها في كتب اللغة ولكن الاستعمال حجة . ومن هذا القبيل ألفاظ لم يذكرها اللغويون توجد في متون اللغة وفصح العربية وهي أكثر من أن تحصى وصدورنا مراراً وتكراراً القول بأن ألفاظ الأئمة المستعملة منهم حجة على الأدباء خصوصاً الصادقين فصاعداً؛ لأن طبقة من الأدباء عاصرتهم يحتج بأقوالهم مثل الكميت ومن عاصره، ورواة أخبارنا ليسوا بأقل من عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، والأصمعي الناصبي وأبي عبيدة الخارجي اللائط، إذن لا مانع من الاستدلال والاحتجاج سوى عدم الالتفات إلى أصول اللغة وسوى تقليد اللغويين الذين لا

بصيرة لهم، والله العاصم

قوله عليه السلام : «ومؤنة» إلى آخره ..

اشتقاق هذا اللفظ من «مان» ووزنه فعلولة، ولهذا جاء جمعه على «مؤن» مثل سفن، ولا وجه لاشتقاقه من «آن» ليكون وزنه مفعولة مثل مقولة (1).

ص: 418

1- جاء عقيب هذا في نسخة الكتاب : قوله : «ما أهمني همه» وهذا سهو من النساخ ولكننا أصلحناه وذكرنا بعد قوله «ومؤنة» قوله : «واصرفني». (هامش الأصل)

قوله عليه السلام : «واصرفني»..

بناء هذا الكلام على دعاء المرء حين يدعو ويوجّه قلبه وجهة مقصوده الحقيقي كأنه كان في سفر وطوى المراحل لذلك كان الانصراف والانتقال من هذا السفر إلى حيث موضع قصده لازماً محتملاً له، وبهذا الاعتبار صرّح في دعاء أبي حمزة: «وإنّ الراحل إليك قريب المسافة»، وبهذه الملاحظة كثر ورود لفظ : اقلبني وانقلبت وانقلب كثيراً في الأدعية المخصصة للقراءة في الحضر، ولذلك قلنا في الترجمة : «انصرف عن باب بينك»...

قوله عليه السلام : «ما أهمني»..

هذه النسبة إما أن تكون على سبيل المبالغة والتأكيد ، أو أنّ المراد من الهم . محل الاهتمام ، والله أعلم.(1)

قوله عليه السلام : «يا أمير المؤمنين»..

لما كانت هذه الزيارة بعد زيارة أمير المؤمنين، بدأ الخطاب ، به ، وإذا قرأ امرؤ تلك الزيارة أولاً أو أي زيارة مختصة بأمير المؤمنين فالأمر سهل ميسور وإلا- من هنا يبدأ الكلام مع أمير المؤمنين . ولما كان سيّد الشهداء فرعاً من تلك الدوحة المباركة كان الخطاب مع أمير المؤمنين أثناء زيارة الحسين عليه السلام كأنه بالنظر إلى أن زيارته زيارتك لا فرق بينهما ..

ص: 419

1- بعد هذه العبارة ورد العبارة التالية : من زيارتكما ونحن أصلحنا العبارة ووضعنا يا أمير المؤمنين في المقدّمة عليها .. (هامش الأصل)

قوله عليه السلام : «من زيارتكما»..

«من» ابتدائية، كأنما

هي كانت مبدأ عهد الزيارة وتنتهي بالانصراف، وهذه النكتة حسنت مجي حرف «من» الجار.

قوله عليه السلام : «مستجاباً»..

وصف الانقلاب بكونه «مستجاباً» (1) وهو صفة للدعاء مجاز في الإسناد، ولما لابس الحوائج التي تكون الاستجابة وصفاً لها كأنما أثبت له صفة العارية التي أثبت للحوائج ويمكن أن يكون مستجاب مثل مشكوك ومولود مشتتلاً على الحذف والإيصال، وكان في الأصل مستجاباً فيه وبناءً على هذا يكون الوصف حقيقياً، والله أعلم.

قوله عليه السلام : «وتشفّعاً»..

الظاهر أنه مضعف الفاء من باب التفعّل ؛ لأن معناه كما بينه اللغويون «الشفاعة» متعدية باللام ، كما هو في منتهى الإرب، وما يوجد في بعض النسخ من التخفيف أي كونه أحد الأفعال الخمسة - «تشفّعاً» لم أجد وجهاً لحذف النون ، اللهم إلا أن نقرأ فلا أخيب بالنصب والفاء للتعليل مثل: «لو ما تأتيني فتحدّثني» وتكون الأفعال التالية معطوفة عليها ، وتشفّعاً معطوفة أيضاً .

ويمكن أن يكون العطف على معنى بقضاء حاجتي» وتقدر أن الناصبة بقرينة هذا العطف

ويمكن أن يكون الواو بمعنى «مع» كما في قولنا : لا تشرب اللبن وتأكل

ص: 420

1- في قوله : «بل يكون منقلبي منقلباً راجحاً مفلحاً مستجاباً» .

السّمك، أي: مع أكل السّمك ، وهذا المورد وإن لم يكن من الموارد القياسية إلا أنه لا مانع منه على الظاهر ، وإن كان لا يخلو أحد هذه الاحتمالات من المناقشة ومخالفة الذوق ، والله أعلم.

قوله عليه السلام : «على ما شاء الله»..

قال المجلسي عليه الرحمة : المراد أننا نرجع إلى هذا الكلام وبناءً على هذا نقول : ما شاء الله، وخبر «ما» محذوف وتقديره كائن أو كان وأمثال ذلك. ولا حول ولا قوة إلا بالله عطف على ما شاء الله. ويمكن أن يراد المعنى دون اللفظ أي : على ما أراد الله ولا حول ولا قوة إلا بالله إنشاء توحيد الأفعال من أجل أن الانقلاب متعلق بوجود المشيئة ؛ والمعنى الأول لا يخلو من بعد.

قوله عليه السلام : «وأقول حسبي الله وكفى»..

الظاهر من قول «كفى» أنها تأكيد وتأکید المعنى حسبي»، ويمكن أن تكون الجملة استئنافية، والضمير راجع إلى قول «حسبي» أو إلى نفس الجملة. وعلى أي وجه يؤيد احتمالنا في العبارة السابقة ويبعد احتمال البحار لأنه إن كان المراد منه «القول» فينبغي أن تذكر الأقوال مع بعضها البعض.

قوله عليه السلام : «سمع الله لمن دعى»..

يمكن أن تكون الجملة خبريّة في مقام التمجيد والتوحيد للباري تعالى ، والأظهر أنها جملة دعائية كما هو الحال في «سمع الله لمن حمده».

قوله عليه السلام : «ليس وراءكم»..

أي ليس سواكم من ينتهي أرباب الحوائج إليه ، ومعناه أن أي محتاج يتوسل

بآخر فإنّ سلسلة الحاجات تنتهي إليكم ، وحلّ عقود المشاكل بعهدة أناملكم وعواطفكم وفواضلكم.

قوله عليه السلام : «أنت يا أبا عبد الله» ..

عطف على أمير المؤمنين ويا النداء داخله عليه للقاعدة النحوية المسلمة القائلة: «يفتقر في الثواني ما لا يفتقر في الأوائل» بل أجزاها الشيخ الأجل الشيخ

جعفر النجفي له في (القواعد المختصرة) في الفقه وأوردها هناك.

وما يجري على ألسنة أهل العلم عن السيّد المحقق الداماد أنّه قال : لفظ «أبت» على وزن قلت (1) من الأوب بمعنى الرجوع وتكون معطوفة على «انصرفت» لم أجدها في كلام هذا العلامة المشهور ، وإن كانت فهي قول ضعيف ومن جنس المصحف، ونظير هذا ما حكاه السيد الأجل غياث الدين عبدالكريم ابن طاووس الحسني في كتاب «فرحة الغري» عن أحد الأدباء أنّه كتب كتاباً في التصحيف وجاء إلى الحديث المعروف «تختموا بالعقيق» فاعتبره مصحفاً والصحيح «تخيّموا في العقيق» أي اضربوا لكم أطناباً هناك، وهو محلّ بالقرب من المدينة وميقات العراق ، ويجد المتتبع في كتب العلماء كثيراً من هذه الغرائب. (2)

ص: 422

-
- 1- أي إنّ قرأ بدل «أنت» الضمير المنفصل المرفوع، «أبت» الفعل الماضي من «آب» فتكون العبارة : «أبت يا أبا عبد الله» بدل «أنت».
 - 2- أنقل لك ما جاء في كتاب «فرحة الغري لتكون على بينة من أمره ، ذكر في كتابه - حمزة بن الحسن الاصفهاني - التنبيه على حدوث التصحيف - أن كثيراً من رواة الحديث يروون أن النبي قال : تختموا بالعقيق وإنما قال : تختموا بالعقيق وهو اسم واد بظاهر المدينة (فرحة الغري : 115 ، تحقيق تحسين آل شبيب ، أولى ، 1419 ، مركز الغدير). (المترجم)

قوله عليه السلام : «سلامي»..

الظاهر أن سلام نائب الفاعل المحجوب، ويمكن أن يكون غير محجوب خبر ثان وسلام بدل منه ، وهذا غاية في البعد.

قوله عليه السلام : «إن شاء الله»..

يمكن أن يكون التعليق على المشيئة لمجرّد التبرك مثل: «لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»⁽¹⁾ وبناءً على هذا إنّ قول «وأسأله أن يشأ ذلك» جملة

استثنائية، والأظهر بحسب سياق العبارة أنّها للشرط الحقيقي والواو للعطف .

والحق طبقاً لرعاية قواعد الإملاء ، أنّ هذه الكلمة إن كانت للتبرك كتبت متصلة هكذا «إنشاء» لأنها في الحقيقة ليست للتعليق ، وإن أريد بها التعليق حقيقة فصلت عنها «إن» رسماً هكذا «إن شاء».

قوله عليه السلام : «غير آيس ولا فائظ»..

الظاهر أن اليأس والقنوط لا فرق بينهما في مجاري الاستعمال ، والجمع بينهما للتأكيد مثل : المكر والحيلة، والأوب والرجوع والعود، وهذه عادة العرب في الجمع بين المترادفات وإن كان في الواقع لا ترادف، وكل كلمة له معنى خاص بها استعملت فيه ، ولكن لكثرة تناوب الكلمات في مقام الاستعمال على كثير من المواضع لم تدرك خصوصياتها لحد الآن، والله أعلم

ص: 423

وبهذا القدر نكتفي في بيان ألفاظ هذا الدعاء وفيه غنية لأهل العلم، والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً على توفيقه لإتمام الباب الثاني من هذا الشرح الشريف كثرة الشواغل وقلة البضاعة، وعدم المهلة لصرف الوقت فيه ، وما ذلك إلا ببركات من خدمته به وهو سيّدنا المظلوم أبو عبد الله الحسين سلام الله عليه ، وقد حصل لي آثار التأييد وهبت علي نسمات من قدسه من التوفيق والتسديد ، وكتب مصنّفه الفقير إلى باب ربه الغني العاصم أبو الفضل بن المحقق المرحوم أبي القاسم حوسبا حساباً يسيراً، وأوتيا خيراً كثيراً، في الأرض المقدّسة والبقعة المباركة سرّ من رأى في عصر يوم عاشوراء في سنة 1309 من الهجرة النبوية، حامداً مستغفراً مصلياً مسلماً.

شكر وثناء

حمداً لله الذي جعل التوفيق العظيم نصيب هذا الأقل، وبعناياته السرمدية منحني القوة فأصبحت أشدو مع الشادين في قافلة سيّد الشهداء وأعوانه.. فأقول:

درون شعله چو پروانه سوختم ای دوست***بدین امید که از عاشقان حساب شوم

واستطعت أن أثبت اسمي في سجل المتوسلين بجانبه بعد إتمام عمل التحقيق والتصحيح والتعليق ووضع الفهرس الكامل، ونشر هذا الكتاب الشريف المليء من النكات الأدبية والعلمية والعرفانية والولائية الذي قيل أنه لا سابق له في موضوعه ولا نظير له، وهو جدير بالاهتمام.

في قم المقدّسة وعُش آل محمّد وحرم أمن فاطمة المعصومة سلام الله عليها . حرّره السيد علي ابن العلامة الكبير الحاج سيد مرتضى الموحد الأبطحي ،

دامت افاضاته .

ص: 425

من وجد برد حبنا على قلبه فليكثر الدعاء لأمه فإنها لم تخن أباه . (الإمام الصادق عليه السلام - معاني الأخبار)(1)

قلب هرکس خنک از آتش عشق ما شد *** خوش بحالش که ورا تحفه چنین اعطا شد

دم بدم مادر خود را بنوازد بدعا *** که زباکی وی این عشق بما پیدا شد

دشمن ما نشود آنکه عقیف الأم است *** خصم را گو که پرسد زکه او پیدا شد

من زار برد حبنا قلبه *** فليشكر الله على تحفته

وليدعو الله إلى أمه *** فإنها صانت دما خلقتة

بغضنا فليتهم أمه *** لم تؤتمن يوماً على نطفته

الأشعار الفارسية لشاعر أهل البيت ، أحمد قاضي الزاهدي.

ونعم ما أنشد المولى محمد طاهر القمي المتوفى 1098 في ذلك :

سلامة القلب نحتني عن الزلل *** وشعلة العلم دلّني على العمل

طهارة الأصل قادتني إلى كرم *** كرامتي ثبتت في اللوح في الأزل

قلبي يحبّ علياً ذا العلوم لذا *** أدعو لأمي في الإبكار والأصل

محبّة المرتضى نور لصاحبها *** يمشي بها آمناً من آفة الزلل

لزمت حبّ عليّ لا أفارقه *** وداده من جناني قط لم يزل

أخا النبي إمامي قوله سندي *** لقوله تابع ما كان من عملي

أطعت حيدرة ذا كلّ مكرمة *** إمام كل تقي قاصر الأمل

ص: 426

صرفت في حب آل المصطفى عمري*** من مال عنهم إليه قط لم أمل

باب المدينة منجانا وملجاناً*** ما انحلّ مشكلنا إلا بحلّ علي

لولا محبة طه للوصي لما*** أتى يشاركه في طيب الأكل

ولاية المرتضى في خم قد ثبتت*** بنص أفضل خلق الله والرسول

نص النبي عليه فوق منبره*** عليه أشهد أهل الدين والدول

قد نص في الدار عند الأقربين على*** خلافة المرتضى جداً بلا هزل

إن الإمامة عهد لم تنل أحداً*** سوى المصون من الزلات والخلل

أطعت من ثبتت في الكون عصمته*** وعفت كل جهول سيئ العمل

قد ردّت الشمس للمولى أبي حسن*** روعي فدا المصطفى ذي المعجز الجلل

طوبى له كان بيت الله مولده*** كمثل مولده ما كان للرسول

وأسعد بمن يقول لسان حاله :

من غم مهر حسين با شير از مادر*** گرفتم روز اول كآدم دستور تا آخر گرفتم

بر مشام جان زدم يك قطره از عطر حسيني*** سبقت از مشك و گلاب و عنبر گرفتم

وأحسن من حاله من أعطي هذه الرتبة الرفيعة :

من زدر بار حسين بن على ماهانه دارم*** كى دگر چشم طمع بر مردم بيگانه دارم

تا گرفتم دست خط نوكرى از مادر او*** بر در دربار آن شه منصب ماهانه دارم

لا عذب الله أمي في مرابعها*** شربت حب حسين من مواضعها

من يوم جئت إلى الدنيا قد اتخذت*** نفسي قواعد حبي من مواضعها

رويت من عطره نفسي فما برحت*** بالمسك والورد يذكو عطر واقعها

لي على سيدي أبي الأحرار*** تمن يرتجى بدار القرار

لست أرجو غير الحسين مجيراً***أبغير الحسين أمن الجار

من يدي أمه جواز عبوري***كيف أخشى غداً عذاب النار

ص: 427

لما كانت زيارة عاشوراء من بين الزيارات الواصلة التي حظيت بالاهتمام من مبادي الوحي لهذا كانت مورد عناية العلماء وكبار الدين وأعلامه، من ثم كتبت فيها الكتب وحررت الرسائل، وكل واحد من هؤلاء هدف إلى غاية، ونحى نحو وسيلة يتعقبها فمن هؤلاء من اهتم بالسند والمدرک، ومنهم من اهتم بالثواب المترتب عليها والبركة المتوخاة من ذلك وكيفية التوسل بها، وبعضهم صبّ عنايته على لغتها وعباراتها. وهكذا

ونحن من أجل تبصرة عموم المؤمنين نذكر الكتب المطبوعة والمخطوطة التي بلغتها أيدينا كما لا ننسى الفهارس التي تناولت هذه الكتب بالذكر.

الف - المخطوطات

1 - تذكرة الزائرين (مختصر): تأليف أبي محمد الحسن بن محمد الطباطبائي الساروي، المتوفى في حدود 1351، المخطوطة في مكتبة مجلس الشورى

الإسلامي، مرقمة برقم 4373/7 وهو شرح مختصر للزيارات كلّها.

2 - تذكرة الزائرين (مسهب) أو صداق الحور في شرح زيارة العاشور: تأليف أبي محمد الحسن بن محمد الطباطبائي الساروي، المتوفى حوالي 1351، وهذه الرسالة مرقمة برقم 43738 في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، والمؤلف من تلاميذ شيخ الشريعة الإصفهاني والميرزا محمد علي الجهادي والشيخ عبدالله المازندراني رضوان الله عليهم أجمعين، وكتب هذه الرسالة بعد تمام

1328 ومع مقايستها بالرسالة السالفة يظهر لنا بأن المؤلف كتب الرسالة المختصرة أولاً ثم أتبعها بالمسهبية المطوّلة وآخرها شرح الجملة: «عليكم مني جميعاً سلام الله» راجع فهرست المكتبة 12: 83 - 84.

3 - جنة السرور في تحقيق كيفية زيارة العاشور: تأليف الشيخ علي بن محمد جعفر الشريعتمداري الاسترآبادي، المتوفى 1351، والنسخة المخطوطة بخط المؤلف باللغة العربية ورقمها 3090/3 في مكتبة آية الله المرعشي النجفي في قم. راجع فهرست المكتبة المذكورة 314 8 و 315، الذريعة 5: 158.

4 - رسالة في زيارة عاشوراء تأليف الميرزا علي الشهرستاني الحائري المتوفى حوالي 1290. راجع الذريعة 12: 80.

5 - رسالة في زيارة عاشوراء: تأليف المولى محمد جعفر الاسترآبادي (1263 - 1197) ومنها نسخة عند الشيخ مهدي شرف الدين في شوشتر، ومن الممكن أن تكون نفس النسخة المرقمة 2517 في مكتبة سپهسالار. راجع الذريعة 12: 79.

6 - رسالة في رواية زيارة العاشور: تأليف أو كتابة نصر الله بن حسن الحسيني. هذه الرسالة بذلت العناية لتصحيح سند زيارة عاشوراء، وأودعت في مكتبة مدرسة سپهسالار الجديدة برقم 2527/3 مع المجموع الذي كتب في سنة 1237، وهذا الكتاب وهي غير الرسالة التي ذكرت في مكتبة كلية الحقوق

في تحت رقم 29 من هذه المكتبة. راجع فهرست المكتبة 5: 89 و 90.

7 - رسالة في زيارة عاشوراء: كتب الشيخ نصر الله بن عبدالله الشبستري يقول: ولبعض الأساطين من فقهاء بلدنا القاطنين في المشهد المقدس العلوي على مشرفه آلاف التحية والثناء تأليف في زيارة عاشوراء. راجع: اللؤلؤ النضيد: 38.

8 - رسالة في آداب زيارة عاشوراء: توجد هذه المخطوطة برقم 4343/9 في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، وذكر كاتب الفهرست أنها من تأليفات

ص: 429

الشيخ محمد باقر بن ملا محسن الاصطهباناتي . أما ملاحظة الرسالة فتدل على أنها فصل من رسالة أخرى. راجع فهرست المكتبة 12: 84 و 85.

9 - رسالة زيارة عاشوراء : مؤلف هذه الرسالة مجهول وتوجد نسخة منها برقم ... في متحف بريطانيا. راجع النسخ الخطية (نشرة المكتبة المركزية لجامعة طهران 4 : 663) .

10 - رسالة كيفية زيارة عاشوراء : تأليف المولى محمد محسن بن محمد الكاشاني، المتوفى سنة 1222 وهو من أحفاد المولى المحسن الفيض الكاشاني صاحب تفسير الصافي، توجد نسخة من هذه الرسالة برقم 2217/1 في مكتبة آية الله الكلبايكاني راجع فهرست المكتبة 3: 197 وراجع أيضاً ملخصاً عن حياة المؤلف وآثاره في مقدمة آية الله المرعشي النجفي على كتاب (معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة ص 49). وتوجد نسخ من كتبه في مكتبة فيض مهدوي في كرمانشاه راجع فهرست مكتبة فيض مهدوي في نشرة «تراثنا» رقم 9 .

11 - زيارة عاشوراء وكيفيةها : تأليف الشيخ محمد حسين بن القاسم القميشي النجفي، المتوفى سنة 1335 ، وذكر شرحاً لحاله في نقباء البشر ص 635، وتوجد نسخة من هذه الرسالة في مكتبة السيد محمد علي القاضي الطباطبائي في تبريز، والمؤلف يعرف بقميشي الكبير، وهو معاصر للشيخ محمد حسين بن أبي طالب قميشي. راجع كنز العلماء 5: 390 و 391 والذريعة 12: 79 ومخطوطات نشرة المكتبة المركزية لجامعة طهران: 5187

12 - شرح مختصر (مصباح المتهدج) أو المصباح الصغير : تأليف السيد بهاء الدين علي بن عبدالكريم الحسيني ، أو كتابة السيد زين الدين علي بن عبدالحميد النجفي بناءً على اختلاف النظر في الموضوع. كتب هذا الكتاب في القرن

ص: 430

الثامن ومؤلفه من كبار العلماء والأعلام البارزين ، وذكر العلامة المجلسي في كتابه : جاء بعض فضلاء تستر بهذا الشرح إلى اصفهان فرأته عنده -ده ولم يكن فيه كثير فائدة بل هو مقصور على بيان تراكيب الألفاظ وما يتعلّق بالعربيّة ونحو ذلك . الذريعة 2 : 500 .

ونقل المرحوم القاضي نور الله المرعشي في مجالس المؤمنين 1 : 13 - 15 طبع الإسلامية، والمولى أحمد النراقي في الخزانة : 465 ط الإسلامية أيضاً مطالب من هذا الكتاب، ولمزيد الاطلاع عن هذا الكتاب ومؤلفه العظيم تراجع الكتب التالية :

1 - أعيان الشيعة 41 و 305 و 310 رقم 9064 .

2 - أمل الآمل للشيخ الحر العاملي 2 : 192 .

3 - تأسيس الشيعة : 295 .

4 - ريحانة الأدب 1 : 294 .

5 - سفينة البحار 1 : 116 .

وكتب أخرى ذكرت في هامش روضات الجنّات 4 : 347 و 353، وتوجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة آية الله المرعشي في قم برقم 4568 . راجع فهرست المكتبة 12 : 143 . ولما وردت زيارة عاشوراء في مصباح المتهجد وهذا الكتاب في شرحها فينبغي اعتباره أول شرح لزيارة عاشوراء.

13 - شرح جملة «يا ثار الله وابن ثاره» : تأليف الشيخ علي الأكبر بن محمد أمين اللاري ، القرن الثالث عشر، وهذه الرسالة المفصلة ألّفت سنة 1284 وتوجد نسخة منها تحت رقم 4086/1 في مكتبة آية الله المرعشي النجفي وفهرست المكتبة : 11 : 99 و 100 ذكرها.

14 - شرح زيارة عاشوراء تأليف الشيخ المفيد بن محمد نبي الشيرازي ، المولود :

ص: 431

سنة 1251 والمتوفى سنة 1325 ، ذكر ذلك الميرزا محمد نصير «فرصت» الشيرازي في قصيدة له فارسية وذكر تاريخ تأليفها 1303 ، وعرف عنها في فهرست مكتبة آية المرعشي بذلك.

وهي شرح مزجي مفصل جداً تتضمن البحث في المواضيع الأدبية والتاريخية والاعتقادية، وتتصدر الكتاب مقدمة في فضل زيارة الإمام الحسين ومعنى عاشوراء ، شرع في تأليفها غرة شهر رمضان سنة 1303 وفرغ من تأليفها في نفس السنة اليوم الثالث من ذي القعدة.

توجد نسخة من هذا الكتاب برقم 375 في مكتبة آية الله المرعشي ، وفي الفهرست : 1 393 و 394 لمكتبة المرعشي ورد تعريف مطنب عن الكتاب والمؤلف ، وجاء شرح حاله في آثار العجم : 26 - 30 ، وكذلك جاء ذكره في كتاب علماء فارس وخطبائها 2 : 493 - 506 ذيل كلمة «داور» لتخلصه بهذه الكلمة . راجع الذريعة : 13 308 .

15 - شرح زيارة عاشوراء تأليف الميرزا المرحوم محمد علي الجهاردهي النجفي المتوفى سنة 1334 وتوجد نسخة منه في مكتبة قرية المؤلف المرحوم السيد مرتضى المدرسي وهو وقفها على مكتبة الآستانة المقدسة الرضوية، وتوجد فيها الآن نسختان منها مع رسائل أخرى من تأليف المؤلف ، برقم 9357 و 12370 قسم المخطوطات.

ألفها سنة 1326 هجري قمري والنسخة المرقمة 12370 خير من غيرها، وفي مقدمة شرح الصحيفة السجادية ذكر المؤلف تاريخ تأليفها سنة 1332 ، وهذا اختلاف برز في تاريخ تأليف الكتاب.

16 - شرح زيارة عاشوراء : تأليف سيد أسد الله بن حجة الإسلام السيد محمد باقر الشفتي الاصفهاني الذي توفي في طريقه إلى العتبات المقدسة في كوند سنة

1290، وتوجد نسخة الكتاب في مكتبة نجل المؤلف. راجع الذريعة 13 : 307 .

17 - شرح زيارة عاشوراء تأليف السيّد حسين بن أبي القاسم جعفر الموسوي : الخونساري الاصفهاني، أستاذ السيد مهدي بحر العلوم المتوفى 1091 يراجع مقدّمة كتاب مناهج المعارف) ص 178 - 182 تأليف أبو القاسم - جعفر الخونساري المتوفى سنة 1157 ، والذريعة 13: 307.

18 - شرح وترجمة زيارة عاشوراء بلغة الأردو: تأليف مولانا السيد أنصار حسين صدر الأفاضل ، المتوفى سنة 1387 . راجع تذكرة علماء إمامية باكستان

تأليف سيد حسين عارف النقوي ، ط 1363 شمسي ص 58 - 60 .

19 - شرح زيارة عاشوراء تأليف سيد حسين بن جعفر الموسوي اليزدي، وهذا الكتاب كتب على شكل سؤال وجواب عن بعض الجمل الواردة في الزيارة ، وهو من آثار القرن الثالث عشر الهجري، وتوجد نسخة منه مع تاريخ تأليفها سنة 1296 في أربع وتسعين ورقة في مكتبة وزيرى بيزد برقم 1419، وجرى التعريف بها في فهرست المكتبة 3: 955 والمؤلف له كتب كثيرة، وذكر أسمائها في الذريعة 2 و 245 و 20 ك 69، وكذلك في فهرست النسخ : 20 ك الخطيّة لمكتبة .وزيرى.

20 - شرح زيارة عاشوراء : مؤلفه مجهول، وتوجد نسخة منه مرقمة برقم 10836/13 في مكتبة المرحوم آية الله الحاج ملا-علي المعصومي في همدان. راجع فهرست مكتبة مدرسة الآخوند في همدان ، ص 452.

21 - شرح زيارة عاشوراء : لمؤلف مجهول ، رقم هذه الرسالة 10184/1 وتوجد منها نسخة في مكتبة المرحوم آية الله معصومي المشهورة بمكتبة مدرسة الآخوند في همدان راجع فهرست المكتبة - مدرسة الآخوند همدان، ص 441. 22 - شرح كيفية زيارة عاشوراء تأليف أو كتابة المولى حسن بن إبراهيم الحسيني

ص: 433

الساجي، تاريخ تحرير الكتاب 1286 ، توجد نسخة خطية من هذه الرسالة في مكتبة المسجد الأعظم بقم مرقمة برقم 2603 . راجع فهرست المخطوطات في المكتبة طبع 1364 ، ص 361 .

23 - شرح زيارة عاشوراء : تأليف المرحوم الحاج الشيخ عباس الحائري الطهراني المتوفى سنة 1360 ، توجد نسخة من هذا الشرح عند نجل المؤلف حجة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ مهدي الحائري الطهراني . راجع آثار الحجة تأليف الشيخ محمد الرازي 1: 225 و 226 ، ومقدمة شرح أصول الكافي .

24 - الصرخة المهدوية الكبرى: تأليف السيد مهدي بن علي الغريفي البحراني المتوفى 1343 في زيارة عاشوراء وكيفية تلاوتها مع خاتمة في موضوع الإمامة والمؤلف من تلاميذ المرحوم الشيخ محمد طه نجف . راجع الذريعة 15 : 39 .

25 - الصرخة الهدوية (الصغرى): تأليف السيد مهدي بن علي الغريفي البحراني النجفي المتوفى 1343 ، وهذا الكتاب تلخيص للكتاب السابق . الذريعة 15:

39 و 40 .

26 - الضيائية : من المحتمل أن يكون التأليف لميرزا هداية الله بن ميرزا رضا الكلبايكاني المتوفى حوالي 1330 ، وهذا الكتاب يتحدث في موضوع سند زيارة عاشوراء وكيفية قراتتها وثوابها وفضائل سيد الشهداء وتاريخ الحائر الحسيني ومسائله .. كتب المؤلف الرسالة باسم نجله ضياء الدين وشاهد نسختها في النجف الأشرف الحاج آقا بزرگ الطهراني . راجع الذريعة 15: 132 .

27 - كيفية زيارة عاشوراء : بقي اسم المؤلف طي الكتمان . توجد نسخة منها ضمن المجموع ... في مكتبة جامعة لوس انجلس بأمريكا . راجع نشرة

ص: 434

28 - كيفية زيارة عاشوراء : لا يعرف مؤلفها ولكنّه من علماء القرن الثالث عشر وقد أثبت تاريخ 27 ربيع الثاني عام 1271 في النسخة الخطيّة، والظاهر أنّها النسخة الأصليّة، وينقل المؤلّف فيها مطالب عن أبيه وأستاذه مطالب في كيفية زيارة عاشوراء ولم يذكر اسم واحد منهما، يحتوي هذا الكتاب على تسعين ورقة بقطع الربعي والجيبّي وهو عربي ويحتفظ به في جامعة طهران برقم «63 - د» . راجع فهرست مكتبة كليّة الحقوق جامعة طهران ص 365.

29 - نتيجة النتائج : تأليف الشيخ علي بن محمد جعفر الشريعتمداري الاسترابادي، المتوفّى، 1315 وذكرت باسم تلخيص نتائج المأثور» تحت ، رقم 31 الفهرست راجع الذريعة 24:50 .

30 - نتائج المأثور في ترجمة جنة السرور: تأليف الشيخ علي بن محمد جعفر الشريعتمداري الاسترابادي، المتوفّى، 1315 ، وهذه الرسالة ترجمة لفظية لرسالة: «جنة السرور في تحقيق زيارة العاشور» وكانت ترجمتها بقلم المؤلّف إلى الفارسيّة. توجد نسخة غير كاملة منها بخط المؤلّف برقم 3090/1 في مكتبة آية الله المرعشي النجفي في قم . راجع فهرست المكتبة 8: 313 و 314، والذريعة 24 47 .

ب - المطبوعات

1 - جامع الشتات تأليف آية الله القمّي صاحب القوانين، يحتوي هذا الكتاب على مسائل متنوّعة ومنها سؤال عن كيفية زيارة عاشوراء والجواب عنه، ونقلناه في الجزء الأوّل من شفاء الصدور.

ولا يخفى أنّ العلماء الكبار ومراجع التقليد قام كل بدوره ببيان كيفية تلاوة زيارة العاشور ، وليس بالإمكان التعرّض لشرحها بأجمعها ، وقد نقلنا جانباً من ذلك في الصدور وذكرنا جانباً من أقوالهم في الجزء الأول.

2 - الدر المنضود في شرح زيارة العاشور: تأليف الميرزا أحمد بن عبدالرحيم المشهور بالميرزا التبريزي بأغميشة أي (المعاصر)، كتب هذا الشرح بالفارسية

سنة 1380 وتمّ طبعه في 252 صفحة بالقطع الرقعي .

3 - ذخيرة العباد ليوم المعاد : كتب الشيخ نصر الله بن عبد الله يقول : ولبعض مشايخ عصرنا رسالة في زيارة عاشوراء مطبوعة تسمى ب- ذخيرة العباد ليوم المعاد». راجع اللؤلؤ النضيد : 38 ، الذريعة 10 : 16 .

4 - رساله شرح «تايغت» در زيارت عاشور: تأليف ميرزا محمد باقر الحسيني - المشهور بميرداماد ، المتوفى سنة 1104 في لفظ «تايغت» هو بالياء لا بالباء، وفي كتاب شفاء الصدور الذي بأيدينا في الجزء الثاني ص 339 نقل قول السيد الداماد ، وهذه الرسالة من كتاب الرواشح ، وكتب المؤلف نقداً عليه ، وأشار إلى هذه الرسالة أغا بزرك في الذريعة 13 : 132.

5 - رسالة في زيارة العاشوراء وكيفيتها : تأليف حجّة الإسلام السيد محمد باقر شفتي اصفهاني المتوفى سنة 1260 ، توجد نسخة من هذه الرسالة ضمن مجموع (سؤال وجواب) في مكتبة مدرسة سپهسالار الجديدة ونقلناه في الجزء الأول من شفاء الصدور الطبع الجديدة. راجع الذريعة 12 : 79 و فهرست مكتبة سپهسالار 1 : 423 و 509 .

6 - رسالة في كيفية زيارة عاشوراء : تأليف المولى محمد بن مهدي أشرفي المازندراني، المتوفى سنة 1315 ، طبعت هذه الرسالة مع الطبعة الثانية لكتاب: «شعائر الإسلام من الحلال والحرام» في أواخر الكتاب وعرف بشعائر

الإسلام في الذريعة 14 : 191 على النحو التالي مجموعة مفصلة تشتمل على أبواب الفقه على شكل سؤال وجواب.. وذكرت ترجمة للمؤلف في كتاب العلماء المعاصرون تأليف ملاً علي الواعظ الخياباني ص 62 - 64 .

7 - زاد المؤمنين : تأليف السيد محمد تقي الهندي المعاصر، بالأردن، في موضوع أعمال عاشوراء وزيارة عاشوراء وخواصها ، وطبع في مطبعة نول كشور في لكهنو . راجع الذريعة 12 : 11 .

8 - شرح زيارة عاشوراء : تأليف ميرزا أبي المعالي بن محمد إبراهيم بن حسن الخراساني الكلباسي المتوفى سنة 1315 ، والكتاب باللغة العربية وفيه شرح بعض عبارات من زيارة عاشوراء وأحكام الحايير الحسيني وحدود وأحكام التربة الحسينية، ومسائل أخرى حول هذا الموضوع طبع هذا الكتاب في طهران سنة 1309 .

9 - شرح زيارة عاشوراء : تأليف المولى عبدالرسول النوري الفيروزكوهي المتوفى بعد سنة 1320 ، طبع هذا الكتاب في طهران سنة 1321 مع رسائل 1321 أخرى للمؤلف، ومرّ ذكره في فهرست مكتبة الأستانة الرضوية 332/6، وكتب عقيب ذلك : المؤلف من تلاميذ صاحب الفصول، والميرزا أبي القاسم الكلانترى ، وجعل كنجينه دانشمندان كنز العلماء : 6 : 124 و 125 ، وفاته سنة 1323 ، وذكر هذا الكتاب في الذريعة 13 : 308 .

10 - شفاء الصدور وهو الكتاب الحاضر : هذا الكتاب من الشروح المطوّلة - وهو أشهرها - على زيارة عاشوراء ، كتب في سنة 1309 هجرية ، وبما أن مؤلفه ذو إحاطة علميّة بالفقه والأصول والحديث وعلم الهيئة والأدب العربي وغير ذلك فقد جاء الكتاب حافلاً بالنكات المتنوعة والفوائد المهمّة من كلّ فنّ وعلم ، وهذا يكفي دليلاً على عظمة الكتاب والكاتب مما حدى بالمرحوم

آية الله الميرزا محمد الشيرازي أن يصدره بتقريظ ، ويحلّي صدر الكتاب به.

11 - شرح زيارت عاشور: تأليف المرحوم المولى حبيب الله شريف الكاشاني المولود 1262 والمتوفى سنة 1340 ، وهو شرح بالفارسية مختصر، مطبوع وجاءت ترجمة المؤلف في كتاب لب اللباب في ألقاب الأطياب من آثار المؤلف في ترجمة علماء كاشان وريحانة الأدب 5: 18 و 19 ، وموسوعة 5: دهخدا « لغتنامه دهخدا» ذيل ترجمة حبيب الله بن علي مدد الكاشاني ومقدمة عقائد الإيمان في شرح دعاء عديلة، طبع بصيرتي قم 1396 ، ورسالة شرح حال ملا حبيب الله شريف الكاشاني تأليف علي شريف من أحفاد المؤلف ، وذكر الكتاب في قائمة كتبه .

12 - الكنز المخفي تأليف الشيخ عبدالنبي النجفي العراقي من تلاميذ المرحوم آية الله السيد أبي الحسن الاصفهاني وأقا ضياء الدين العراقي ... وهو كتاب بالفارسية في آداب زيارة عاشوراء وكيفيتها، طبع على الحجر في طهران 1371، جاء شذرة من حياة المؤلف في فهرست مكتبة «آستانة قدس» الرضوية (5 : 535) و «گنجينه دانشمندان» 2: 196 و 198 كما ذكرت مؤلفاته في كتاب «غوالي اللتالي في فروع العلم الإجمالي طبع قم سنة 1370. راجع فهرست مكتبة آستانة قدس الرضوي 6 344 طبع سنة 1344 شمسي ، وهذا الكتاب ذكر في فهرست كتب «مشار» المطبوعة ص 433 ، وفهرست الكتب الفارسية لدار الترجمة والنشر المطبوعة 2 : 1878 باسم رسالة في زيارة عاشوراء باللغة العربية ، نسبت إلى الحاج يوسف بوعلي البحراني في حين هي : 1 - باللغة الفارسيّة لا العربية ، 2 - الكتاب طبع بسعي الحاج يوسف بوعلي البحراني لأنه من تأليفه 3 - السم الكتاب الكنز المخفي وكثيراً ما ، يعرض السهو والنسيان للناس في مثل هذه الأمور وهو أمر عادي.

ص: 438

13 - اللؤلؤ النضيد في شرح زيارة مولانا الشهيد أبي عبدالله الشهيد عليه السلام : تأليف الشيخ نصر الله بن عبدالله الشبستري ، المولود سنة 1333 ، وهذا الكتاب باكورة كتب المؤلف، وألفه سنة 1359 ، وتم طبعه في العام نفسه وجددت طبعه في قم مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام . راجع فهرست آستانه «قدس» الطبعة القديمة: 6 و344 و345 .

14 - المصباح والنور في شرح زيارة العاشور : تأليف الميرزا محمد بن حسين التبريزي التوتونجي (المعاصر) وهو شرح مختصر بالفارسية ، كتبه سنة 1392 وطبع في السنة نفسها، ويحتوي على 87 صفحة بالقطع الرقعي وللكتاب شروح أخرى على زيارة الجامعة ودعاء الندبة والخطبة الشقشقية.

15 - نور على نور في آداب زيارة العاشور : تأليف ميرزا حبيب الله بن شير محمد الهمداني ، وهذا الكتاب بالفارسية ، ويشتمل على خمسة أنوار وخاتمة ، كتبه سنة 1317 ، وفي سنة 1320 طبع في بمبي بالقطع الرقعي في 242 صفحة . راجع الذريعة 24 و371 و372 ، فهرس كتب مشار الفارسية المطبوعة 16: 5335 ، وفهرست كتب دار ترجمة ونشر الكتاب الفارسية المطبوعة ج 2 عمود 3322 .

منّ الله على ففرغت من ترجمته في ذى الحجة الحادى والعشرين منه سنة 1425 في داري بالأهواز.

محمد شعاع فاخر

ص: 439

أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مُنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ...3

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ...8

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهًا بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...28

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِلَى فَاطِمَةَ وَإِلَى الْحَسَنِ وَإِلَيْكَ بِمُؤَالَاتِكَ وَبِالْبِرَاءَةِ مِمَّنْ قَاتَلَكَ ، وَنَصَبَ لَكَ الْحَرْبَ ، وَبِالْبِرَاءَةِ مِمَّنْ أَسَّسَ الظُّلْمَ وَالْجَوْرَ عَلَيْكُمْ وَأَبْرَأَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مِمَّنْ أَسَّسَ ذَلِكَ وَبَنَى عَلَيْهِ بُنْيَانَهُ ، وَجَرَى فِي ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَشْيَاعِكُمْ...32

بَرِثْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ ، وَأَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَيْكُمْ بِمُؤَالَاتِكُمْ وَمُؤَالَاتِهِ وَلِيَّتِكُمْ ، وَبِالْبِرَاءَةِ مِنْ أَعْدَائِكُمْ ، وَالتَّاصِيحِينَ لَكُمْ الْحَرْبَ ، وَبِالْبِرَاءَةِ مِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ ، إِنِّي سَأَلْتُ لِمَنْ سَأَلْتُمْ ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ ، وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاكُمْ ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاكُمْ. فَاسْأَلِ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَائِكُمْ، وَرَزَقَنِي الْبِرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ...42

أَنْ يَجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...50

وَأَنْ يُبَيِّنَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...54

وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ...57

وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِي مَعَ إِمَامٍ مَهْدِي ظَاهِرٍ نَاطِقٍ مِنْكُمْ...64

وَأَسْأَلُ اللَّهَ بِحَقِّكُمْ وَبِالسَّانِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ أَنْ يُعْطِيَنِي بِمُصَابِي بِكُمْ أَفْضَلَ مَا يُعْطِي مُصَابًا بِمُصِيبَةٍ...89

مُصِيبَةٌ مَا أَعْظَمَهَا وَأَعْظَمَ رَزِيئَتَهَا فِي الْإِسْلَامِ وَفِي جَمِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...94

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِي مَقَامِي هَذَا مِمَّنْ تَنَالَهُ مِنْكَ صَلَوَاتٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَحْيَايَ مَحْيَا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَمَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ....128

اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ تَبَرَّكَتَ بِهِ بَنُو أُمَّيَّةَ....142

وَإِنَّ أَكَلَةَ الْأَكْبَادِ اللَّعِينُ ابْنُ اللَّعِينِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكَ ، فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَوْقِفٍ وَقَفَ فِيهِ نَبِيِّكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ....170

اللَّهُمَّ الْعَنْ أَبَا سُفْيَانَ....185

وَمُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ....192

وَيَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ....229

عَلَيْهِمْ مِنْكَ اللَّعْنَةُ أَبَدَ الْأَبَدِينَ....283

وَهَذَا يَوْمٌ فَرَحْتُ بِهِ آلَ زِيَادٍ وَآلَ مَرْوَانَ بِقَتْلِهِمُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ....284

اللَّهُمَّ فَضَاعِفَ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَ وَالْعَذَابَ بِقَتْلِهِمُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ....323

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، وَفِي مَوْقِفِي هَذَا ، وَإِيَّامِ حَيَاتِي بِالْبِرَاءَةِ مِنْهُمْ ، وَاللَّعْنَةَ عَلَيْهِمْ ، وَبِالْمُؤَالَاةِ لِنَبِيِّكَ وَآلِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ....325

اللَّهُمَّ الْعَنْ أَوَّلَ ظَالِمٍ ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَآخِرَ تَابِعٍ لَهُ عَلَى ذَلِكَ....326

اللَّهُمَّ الْعَنْ الْعِصَابَةَ الَّتِي جَاهَدَتِ الْحُسَيْنَ وَشَائِعَتِ وَبَايَعَتِ وَتَابَعَتِ عَلَى قَتْلِهِ ، اللَّهُمَّ الْعَنْهُمْ جَمِيعاً....351

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ....357

لَا جَعَلَهُ اللَّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنِّي لِزِيَارَتِكَ....357

السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ....358

وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ....359

وَعَلَى أَوْلَادِ الْحُسَيْنِ....368

وَعَلَى أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ....373

اللَّهُمَّ خُصِّ أَوَّلَ ظَالِمٍ بِاللَّعْنِ مِنِّي ، وَابْدَأْ بِهِ أَوَّلًا ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّلَاثُ ثُمَّ الرَّابِعَ....378

اللَّهُمَّ الْعَنْ زَيْدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ خَامِسًا ، وَالْعَنْ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ وَابْنَ مَرْجَانَةَ وَعُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَشَيْمِرًا وَآلَ أَبِي سَفْيَانَ وَآلَ مَرْوَانَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ....394

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ لَكَ عَلَيَّ مُصَابِيهِمْ....399

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَيَّ عَظِيمٌ رَزِيَّتِي....404

اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَفَاعَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْوُرُودِ....405

وَتَبَّتْ لِي قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ بَدَلُوا مَهْجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ....405

قوله عليه السلام : « يا الله يا الله » إلى آخره....410

قوله عليه السلام : « يا من هو أقرب إلي من حبل الوريد »....411

قوله عليه السلام : « يا من يحول بين المرء وقلبه »....412

قوله عليه السلام : « يا من هو بالمنظر الأعلى وبالأنف المبين »....413

قوله عليه السلام : « يا من يعلم خائنة الأعين »....413

قوله عليه السلام : « يا من لا تغلظه الحاجات »....414

قوله عليه السلام : « يا من لا يبرمه »....414

قوله عليه السلام : « يا من هو كل يوم في شأن »....414

قوله عليه السلام : « أقسم وأعزم عليك »....415

قوله عليه السلام : « وباسمك الذي جعلته عندهم »....415

قوله عليه السلام : « وتجيرني من الفقر »....416

قوله عليه السلام : « كيد الكيدة »....416

قوله عليه السلام : « فكده »....416

قوله عليه السلام : « اللهم اشغله »....416

قوله عليه السلام: «ومسكنة»....417

ص: 443

قوله عليه السلام : «نصب عيني»...417

قوله عليه السلام : «وخذ عني»...417

قوله عليه السلام : «شاغلاً عني»...417

قوله عليه السلام : «من مخلوق غيرك»...418

قوله عليه السلام : «وأشفع»...418

قوله عليه السلام : «ومؤنة» إلى آخره...418

قوله عليه السلام : «واصرفني»...419

قوله عليه السلام : «ما أهمني»...419

قوله عليه السلام : «يا أمير المؤمنين»...419

قوله عليه السلام : «من زيارتكما»...420

قوله عليه السلام : «مستجاباً»...420

قوله عليه السلام : «وتشفعا»...420

قوله عليه السلام : «على ما شاء الله»...421

قوله عليه السلام : «وأقول حسبي الله وكفى»...421

قوله عليه السلام : «سمع الله لمن دعى»...421

قوله عليه السلام : «ليس وراءكم»...421

قوله عليه السلام : «وأنت يا أبا عبد الله»...422

قوله عليه السلام : «سلامي»...423

قوله عليه السلام : «إن شاء الله»...423

قوله عليه السلام : «غير آيس ولا قانظ»...423

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

